شرح أصول الكافي

السيد جعفر الحسيني الشيرازي

كتاب الحجة القسم الرابع

الجزء السادس

الشجرة الطيبة

دار العلوم

شبكة الفكر
alfeker.net

شرح أصول الكافي

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة
لمؤسسة الشجرة الطيبة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

الشجرة الطيبة

دار العلوم
للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع

المكتب والمستودع: بئر العبد - مقابل البنك اللبناني الفرنسي

ص.ب: 24/140 - هاتف: 01/541650 - تلفاكس: 01/545182 - موبايل: 03473919

www.daraloloum.com E-mail:info@daraloloum.com

شرح أصول الكافي

كتاب الحجة

القسم الرابع

السيّد جعفر الحسيني الشيرازي

الجزء السادس

الشجرة الطيبة

دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اَلرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ

صِرَاطَ الَّذِينَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ

الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

بَابُ أَنَّ الْإِمَامَ لَا يُغَسِّلُهُ إِلَّا إِمَامٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَّالِ أَوْ غَيْرِهِ، عَنِ الرِّضَا عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ

قد استفاضت الأخبار بأنَّ الإمام لا يُغسّله إلّا إمام[1]، وقد تمَّ التساؤل عمَّن غسَّل الإمام الكاظم عليه السلام، حيث إنّه مضى مسموماً في بغداد، وكان الإمام الرِّضا عليه السلام في المدينة، وكذا السؤال عمَّن غسَّل الإمام الرِّضا عليه السلام وهو في خراسان وكان ابنه الإمام الجواد عليه السلام في المدينة؟

والجواب: من وجهين ـ ظاهري وواقعي ـ:

أمّا الأوَّل: فإنَّ هذا حكم تشريعي، أي يجب أن يغسل الإمام إمامٌ، فإذا تعدّى متعدٍّ ومنع الإمام عن التغسيل فإنَّ ذلك لا يبطل إمامتهما.

وأمّا الثاني: فإنَّ الإمام اللاحق يغسل الإمام السابق إمّا ظاهراً مكشوفاً، أو بالسِّر والخفية، وقد حضر الإمام الرِّضا عليه السلام بالإعجاز وغسل أباه من حيث خفي عليهم، وكذا حضر الإمام الجواد لتغسيل أبيه (عليهم جميعاً الصلاة والسَّلام).

وقد قال الإمام الرِّضا عليه السلام لهرثمة بن أعين: إنّه سيشرف عليك المأمون ويقول لك: يا هرثمة أليس زعمتم أنَّ الإمام لا يغسله إلّا إمام مثله، فمن يُغسِّل أبا الحسن علي بن موسى، وابنه محمَّد بالمدينة من بلاد الحجاز، ونحن بطوس؟ فإذا قال ذلك فأجبه وقل له: إنّا نقول إنَّ الإمام يجب أن يُغسِّله الإمام، فإن تعدّى متعدٍّ فغسّل الإمام، لم تبطل إمامة الإمام لتعدّي غاسله، ولا بطلت إمامة الإمام الذي بعده، بأنْ غاب عن غسل أبيه، ولو تُرِك أبو الحسن علي بن موسى

---

(١) راجع أيضاً: البحار: ج٢٧، ص٢٨٨ فما بعد.

لَهُ: إِنَّهُمْ يُحَاجُّونَا[١] يَقُولُونَ: إِنَّ الْإِمَامَ لَا يُغَسِّلُهُ إِلَّا الْإِمَامُ، قَالَ: فَقَالَ: مَا يُدْرِيهِمْ مَنْ غَسَّلَهُ؟ فَمَا قُلْتَ لَهُمْ[٢]؟ قَالَ: فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، قُلْتُ لَهُمْ: إِنْ قَالَ مَوْلَايَ إِنَّهُ غَسَّلَهُ تَحْتَ عَرْشِ رَبِّي فَقَدْ صَدَقَ، وَإِنْ قَالَ: غَسَّلَهُ فِي تُخُومِ الْأَرْضِ فَقَدْ صَدَقَ. قَالَ: لَا هَكَذَا، قَالَ: فَقُلْتُ: فَمَا أَقُولُ لَهُمْ؟ قَالَ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي غَسَّلْتُهُ، فَقُلْتُ: أَقُولُ لَهُمْ إِنَّكَ غَسَّلْتَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ.

بالمدينة لغسّله ابنه محمَّد ظاهراً مكشوفاً، ولا يغسِّله الآن أيضاً إلَّا هو من حيث يخفى»(١).

الحديث الأوَّل:

حاصل الحديث: أنَّ من شبهات الواقفة في عدم وفاة الإمام الكاظم عليه السلام ومن ثَمَّ إنكار إمامة الرضا عليه السلام، هو أنَّ الإمام لا يغسله إلَّا إمام، فكيف غسّل الإمام الرضا عليه السلام وهو في المدينة أباه الكاظم عليه السلام وهو في بغداد؟

والجواب: إنّه عليه السلام ذهب إلى بغداد إعجازاً بطيّ الأرض، فغسّله سرّاً، ولم يشعروا به.

[١] **(إنَّهم يحاجونا):**

أي إنَّ الواقفة يحتجون علينا بهذا.

[٢] **(قلت لهم...) إلخ:**

حاصل جوابه: أنّي أعتقد بإمامة الرِّضا عليه السلام فأصدقه في كل ما قال، وهذا جواب على سبيل الفرض، أي إن قال كذا صدقته، فقال له الإمام عليه السلام: أجبهم على سبيل الجزم، فقل لهم: إنَّ الرِّضا عليه السلام غسّل أباه حتماً.

---

(١) البحار: ج٢٧، ص٢٨٨.

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ قَالَ: سَأَلْتُ الرِّضَا عليه السلام عَنِ الْإِمَامِ يُغَسِّلُهُ الْإِمَامُ؟ قَالَ: سُنَّةُ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عليه السلام[١].

الحديث الثاني:

[١] **(سُنّة موسى بن عمران):**

في معنى هذه العبارة احتمالات:

الأول: إنَّ وصيّه يوشع بن نون عليه السلام حضر وفاته بالإعجاز وغسَّله، وذلك لأنَّ موسى عليه السلام مات بعيداً عن بني إسرائيل، ولذا خفي قبره، وكذلك الإمام الرِّضا عليه السلام حضر أباه عليه السلام بالإعجاز.

وقد روى الصدوق بإسناده عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «...وغاب موسى عن قومه، فمرَّ في غيبته برجل وهو يحفر قبراً، فقال له: ألا أُعينك على حفر هذا القبر؟ فقال له الرجل: بلى، فأعانه حتى حفر القبر وسوَّى اللحد، ثمَّ اضطجع فيه موسى بن عمران لينظر كيف هو، فكشف له عن الغطاء فرأى مكانه من الجنَّة، فقال: يا ربِّ اقبضني إليك، فقبض ملك الموت روحه مكانه، ودفنه في القبر وسوَّى عليه التراب، وكان الذي يحفر القبر ملك في صورة بشر، وكان ذلك في التيه»(١).

الثاني: أن تكون هذه السُّنَّة بدأت من موسى عليه السلام حيث أمره الله بأن يغسل أخاه هارون عليه السلام، أو أن يغسل شعيباً عليه السلام، فتكون من الأحكام التي لم تنسخ في هذه الشريعة.

الثالث: أن يُراد التشبيه في أصل الكتمان والإخفاء، فكما كان كثير من أمر موسى عليه السلام من ولادته وسائر أموره مبنيّاً على الكتمان، كذلك غسل الإمام الرِّضا عليه السلام لأبيه الكاظم عليه السلام كان بالخفاء، فتأمَّل.

---

(١) البحار: ج١٣، ص٣٦٥ عن الأمالي وإكمال الدين.

٣ ـ وَعَنْهُ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ طَلْحَةَ قَالَ: قُلْتُ لِلرِّضَا عليه السلام: إِنَّ الْإِمَامَ لَا يُغَسِّلُهُ إِلَّا الْإِمَامُ؟ فَقَالَ: أَمَا تَدْرُونَ[١] مَنْ حَضَرَ لِغُسْلِهِ؟! قَدْ حَضَرَهُ خَيْرٌ مِمَّنْ غَابَ عَنْهُ، الَّذِينَ حَضَرُوا يُوسُفَ فِي الْجُبِّ[٢] حِينَ غَابَ عَنْهُ أَبَوَاهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ.

الحديث الثالث:

[١] **(فقال: أما تدرون):**
بيَّن الإمام الرِّضا عليه السلام حضور الملائكة في تغسيل الإمام الكاظم عليه السلام، وهذا لا ينفي حضوره عليه السلام للتغسيل أيضاً.
ويحتمل أن يكون (الذين حضروا...) بدلاً عن قوله: (ممَّن غاب عنه) أي إنَّ الحاضر لغسل الإمام الكاظم عليه السلام ـ يعني نفسه الشريفة ـ كان خيراً من الملائكة الذين حضروا يوسف في البئر وغابوا عن غسل الإمام الكاظم عليه السلام في بغداد، فيكون في الكلام تورية أو إيهام لعدم تحملُّ السامع أو لكونه ممَّن يُتَّقى منه.
ولا يخفى أنَّ الراوي ليس طلحة بن زيد العامي، لأنَّ ذاك روى عن الإمام الباقر والإمام الصَّادق عليهما السلام ومن البعيد بقاؤه إلى ما بعد وفاة الإمام الكاظم عليه السلام.

[٢] **(الذين حضروا يوسف في الجبّ):**
فقد رُوي أنَّ جبرائيل عليه السلام حضر يوسف في البئر(١).
والجمع في (الذين) إمَّا تفخيمٌ وتعظيمٌ لأمر جبرئيل عليه السلام، أو إنَّ جبرائيل عليه السلام كان في جمع من الملائكة.

---

(١) راجع البحار: ج١٢، ص٢٤٧ عن تفسير القمي.

بَابُ مَوَالِيدِ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام

١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِسْحَاقَ الْعَلَوِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدٍ الرِّزَامِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: حَجَجْنَا مَعَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي السَّنَةِ

الحديث الأوّل:

حاصل الحديث في بيان كيفية خلق الأئمّة عليهم السلام:

١ ـ إنَّ الله تعالى يرسل شربة ـ ولعلّها طينة علّيين الّتي يخلق منها الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ـ، فتنتقل إلى صلب شامخ، ثمّ إلى رحم مطهّر.

٢ ـ فإذا بلغ الجنين أربعة أشهر أنشأ الله فيه الرُّوح، وبعث ملكاً يكتب على عضده الأيمن آية: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

٣ ـ وفور ولادته يضع يده على الأرض ويرفع رأسه إلى السّماء، وبذلك يفيض الله عليه كلّ علم أنزله تعالى إلى الأرض، ويُخاطبه الله تعالى باسمه، ويُبيّن تعالى صفاته... إلخ.

٤ ـ فيُجيب الإمام عليه السلام بهذه الآية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ الآية.

٥ ـ وبعد ذلك يُعطى العلم الأوّل والآخر، ويستحق زيارة الرُّوح في ليلة القدر.

ثمّ اعلم أنّ كلّ ذلك ممكن عقلاً لا محذور فيه، وقد وقع لأنبياء سابقين عليهم السلام، فتكلّم عيسى عليه السلام في المهد قائلاً: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَـٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾[1].

والحاصل: أنّ الله تعالى يصطفي الأئمّة عليهم السلام كما قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ

---

(١) سورة مريم: الآيتان ٣٠ ـ ٣١.

الَّتِي وُلِدَ فِيهَا ابْنُهُ مُوسَى عليه السلام، فَلَمَّا نَزَلْنَا الْأَبْوَاءَ[١] وَضَعَ لَنَا الْغَدَاءَ، وَكَانَ إِذَا وَضَعَ الطَّعَامَ لِأَصْحَابِهِ أَكْثَرَ وَأَطَابَ، قَالَ: فَبَيْنَا نَحْنُ نَأْكُلُ إِذْ أَتَاهُ رَسُولُ حُمَيْدَةَ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ حُمَيْدَةَ تَقُولُ: قَدْ أَنْكَرْتُ نَفْسِي[٢]، وَقَدْ وَجَدْتُ مَا كُنْتُ

﴿ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ﴾(١)، وفي هذا الاصطفاء كيفية خاصَّة وقد تمَّ بيانها في الروايات، من خلقهم من نوره تعالى ـ أي نور شرَّفه بأن نسبه إلى نفسه ـ وجعلهم حول العرش، وجعل طينتهم من علّيِّين وأعلى منها، ثمَّ أنزلها إلى الأرض، إمَّا عبر تفاحة ـ كما في مولد الزَّهراء عليها السلام ـ، أو بصورة شربة ـ كما بُيِّن في هذا الحديث الشريف ـ، وحباهم بالعلم، وكلَّمهم... إلخ.

كلُّ ذلك لا يُخالف العقل، بل كليّ الاصطفاء يدلُّ عليه العقل أيضاً، ثمَّ قد ثبت في القرآن الكريم وقوع ذلك لبعض البشر، وقد دلَّت الروايات المتواترة إجمالاً على وقوع ذلك في الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام.

[١] **(فلما نزلنا الأبواء):**

في رجوعهم من الحج، والأبواء منطقة بين مكَّة والمدينة، والأشهر أنَّ ذلك كان في السابع من صفر المظفَّر(٢).

[٢] **(أنكرت نفسي):**

أي أنكرت الحالة التي اعترتني، بمعنى أنَّها ليست الحالة الطبيعية بل حالة عارضة ـ وهي حالة المخاض ـ، وهذا مجاز في الإسناد أي أنكرت الحالة، ويبدو أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام لم يكن بكر أولادها.

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٢) راجع البحار: ج٤٨، ص١ ـ ٩.

أَجِدُ إِذَا حَضَرَتْ وِلَادَتِي، وَقَدْ أَمَرْتَنِي أَنْ لَا أَسْتَبِقَكَ بِابْنِكَ هَذَا[٣]، فَقَامَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فَانْطَلَقَ مَعَ الرَّسُولِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: سَرَّكَ اللَّهُ وَجَعَلَنَا فِدَاكَ فَمَا أَنْتَ صَنَعْتَ مِنْ حُمَيدَةَ[٤]؟ قَالَ: سَلَّمَهَا اللَّهُ، وَقَدْ وَهَبَ لِي غُلَاماً، وَهُوَ خَيْرُ مَنْ بَرَأَ اللَّهُ فِي خَلْقِهِ[٥]، وَلَقَدْ أَخْبَرَتْنِي حُمَيدَةُ عَنْهُ بِأَمْرٍ ظَنَّتْ أَنِّي لَا أَعْرِفُهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمَ بِهِ مِنْهَا، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمَا الَّذِي أَخْبَرَتْكَ بِهِ حُمَيدَةُ عَنْهُ؟ قَالَ: ذَكَرَتْ أَنَّهُ سَقَطَ مِنْ بَطْنِهَا حِينَ سَقَطَ وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ، رَافِعاً رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَخْبَرْتُهَا أَنَّ ذَلِكَ أَمَارَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَأَمَارَةُ الْوَصِيِّ مِنْ بَعْدِهِ[٦]، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمَا هَذَا مِنْ أَمَارَةِ[٧]

---

[٣] **(أن لا أستبقك بابنك هذا):**
أي لا أصنع شيئاً إلّا بإذنك، وأن أُخبرك بالحالات كلّها، وذلك لأنّ ولادة إمام معصوم تختلف عن ولادة سائر المواليد.

[٤] **(فما أنت صنعت من حميدة):**
أي من إخبارها، والمعنى فما صنعت لمّا أخبرتك؟ فكأنّهم علموا أنّ هناك خصوصية خاصّة، حيث أمرها بأن لا تسبقه في ابنه هذا، فأرادوا أن يعرفوا تلك الخصوصية.

[٥] **(خير من برأ الله في خلقه):**
أي في زمانه، أو أنّ المُراد أنّه أفضل كلّ النّاس والتفضيل نسبيّ أي باستثناء الرسول صلى الله عليه وآله وبعض الأئمّة بأدلة أُخرى قطعيّة.

[٦] **(أمارة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمارة الوصي من بعده):**
أي ذلك من علائم نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله، وإمامة أوصيائه الأئمّة عليهم السلام.

[٧] **(وما هذا من أمارة...) إلخ:**
«ما هذا» أي ما هو الوجه في كون وضع اليدين ورفع الرأس من أمارات النُّبوّة والإمامة؟

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَمَارَةِ الْوَصِيِّ مِنْ بَعْدِهِ؟ فَقَالَ لِي: إِنَّهُ لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي عُلِقَ فِيهَا[٨] بِجَدِّي، أَتَى آتٍ جَدَّ أَبِي[٩] بِكَأْسٍ فِيهِ شَرْبَةٌ[١٠]، أَرَقُّ مِنَ الْمَاءِ، وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَأَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَبْيَضُ مِنَ

والإمام عليه السلام أجابه بعد ذكر مقدّمة طويلة تصف كيفية خلق الأئمَّة عليهم السلام، والجواب: هو قوله: «فأمَّا وضعه يديه على الأرض...» إلخ.

[٨] **(علق فيها):**

من «العلوق» بمعنى انعقاد النطفة.

[٩] **(جد أبي):**

أي الإمام الحسين عليه السلام.

[١٠] **(فيه شربة):**

سيأتي في الحديث اللاحق وما بعده، أنَّ الآتي هو ملك، ومصدر هذا الماء من تحت العرش من عين في الفردوس(١)، والظاهر أنَّ هذه هي الطينة التي خُلقت منها أجساد الأئمَّة عليهم السلام، وأمَّا أرواحهم فخلقت ممَّا فوق ذلك إذ هي من نور عظمة الله تعالى، وسيأتي في الباب اللاحق عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «إنَّ الله خلقنا من علِّيِّين، وخلق أرواحنا من فوق ذلك»(٢). وعنه عليه السلام: «إنَّ الله خلقنا من نور عظمته، ثمَّ صوَّر خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النُّور فيه»(٣).

ثمَّ اعلم أنَّ الله تعالى خلق رسول الله محمَّداً ﷺ وعترته عليهم السلام قبل الخلق أجمع، فكانوا أشباح نور حول عرشه، ثمَّ أسكن هذا النُّور في صلب آدم عليه السلام، فما زال ينتقل من صلب شامخ إلى رحم مطهَّر، إلى أن سكن في صلب عبد المطَّلب عليه السلام فانقسم قسمين: قسم انتقل إلى عبد الله عليه السلام

---

(١) البحار: ج٦٤، ص٨٣.

(٢) الكافي: ج١، ص٣٨٩.

(٣) المصدر نفسه.

فكان منه الرسول صلى الله عليه وآله، وقسم انتقل إلى أبي طالب عليه السلام فكان منه أمير المؤمنين عليه السلام[(١)] والجمع بين الأخبار يقتضي أحد الاحتمالات التالية:

الأوَّل: إنَّ حقيقتهم عليهم السلام مركَّبة من عدَّة أُمور، منها:

١ ـ النُّور الذي سكن في صلب آدم، وتقلَّب في الساجدين من صلب شامخ إلى رحم طاهر.

٢ ـ الجسم الذي جاء به الملك على صورة شربة ماء من تحت العرش.

٣ ـ الرُّوح التي أسكنها الله في الجسم بعد مضيّ أربعة أشهر.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ الله تبارك وتعالى أحد واحد تفرَّد في وحدانيته، ثمَّ تكلَّم بكلمات فصارت نوراً، ثمَّ خلق من ذلك النُّور محمَّداً صلى الله عليه وآله وخلقني وذرِّيتي، ثمَّ تكلَّم بكلمة فصارت روحاً، فأسكنه الله ذلك النُّور، وأسكنه في أبداننا»[(٢)].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما أراد الله أن يخلقنا تكلَّم بكلمة فخلق منها نوراً، ثمَّ تكلَّم بكلمة أُخرى فخلق منها روحاً، ثمَّ مزج النُّور بالرُّوح، فخلقني وخلق عليّاً وفاطمة والحسن والحسين»[(٣)].

الثاني: أن يكون الرُّوح الذي يسكن في الجسم بعد أربعة أشهر هو روح المدرج، وأمَّا ذلك النُّور الذي سكن في صلب آدم فهو روح القدس، وقد مرَّ في باب (ذكر الأرواح التي في الأئمَّة عليهم السلام) الروايات الدالة على أنَّ الله تعالى جعل في الأنبياء والأوصياء خمس أرواح، فراجع.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ الله أوَّل ما خلق، خلق محمَّداً وعترته الهداة المهتدين، فكانوا أشباح نور بين يدي الله. قلت: وما الأشباح؟ قال: ظلّ النُّور، أبدان نورانيَّة بلا أرواح، وكان مؤيداً بروح واحدة وهي روح القدس، فبه كان يعبد الله، وعترته»[(٤)].

---

(١) راجع الروايات في بحار الانوار: ج١٥، ص٢ فما بعد، باب بدء خلق الرسول صلى الله عليه وآله وما يتعلَّق بذلك.

(٢) البحار: ج١٥، ص١٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) البحار: ج١٥، ص٢٥ عن الكافي.

اللَّبَنِ، فَسَقَاهُ إِيَّاهُ[١١]، وَأَمَرَهُ بِالْجِمَاعِ، فَقَامَ فَجَامَعَ، فَعُلِقَ بِجَدِّي، وَلَمَّا أَنْ كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي عُلِقَ فِيهَا بِأَبِي، أَتَى آتٍ جَدِّي فَسَقَاهُ كَمَا سَقَى جَدَّ أَبِي، وَأَمَرَهُ بِمِثْلِ الَّذِي أَمَرَهُ، فَقَامَ فَجَامَعَ، فَعُلِقَ بِأَبِي، وَلَمَّا أَنْ كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي عُلِقَ فِيهَا بِي، أَتَى آتٍ أَبِي، فَسَقَاهُ بِمَا سَقَاهُمْ، وَأَمَرَهُ بِالَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ، فَقَامَ فَجَامَعَ، فَعُلِقَ بِي، وَلَمَّا أَنْ كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي عُلِقَ فِيهَا بِابْنِي، أَتَانِي آتٍ كَمَا

الثالث: أن يكون الله تعالى قد قسَّم الطينة ـ وطينة الجسم من عليِّين وطينة القلب ممَّا فوق ذلك كما في الأخبار(١) ـ فقسم منها جعله في صلب آدم، وبعضها تُسقى بشكل الشربة يوم انعقاد النطفة، وقسم منها تجعل في أُمَّهاتهم، وقسم منها تُفاض بعد أربعة أشهر، وسيأتي أنَّ الله تعالى خلقهم من عشر طينات، كما أنَّه تعالى خلقهم من الرُّوحين: روح القدس وروح من أمره(٢) فيحتمل أن يكون النُّور أحدهما والرُّوح التي تحلّ في الأبدان بعد أربعة أشهر الأُخرى، والله العالم.

[١١] **(فسقاه إيَّاه....) إلخ:**

اعلم أنَّ كلمة (الجماع) ليست اسماً صريحاً للمباشرة، بل هي كناية عنها، وكانت الكناية بهذه الكلمة هو العُرف السائد في الصدر الأوَّل، ثمَّ وبالتدريج صارت اللفظة كالصريح في الأعراف اللاحقة.

وكلام الرسول ﷺ والأئمَّة ﷺ كان بلسان قومهم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ﴾(٣)، فلذا كانت تعبيراتهم تنسجم مع أعراف زمانهم، ولم يكن في هذا التعبير الكنائي في عرفهم أية حزازة.

ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا﴾(٤)،

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في أول كتاب الإيمان والكفر، باب طينة المؤمن والكافر.

(٢) سيأتي في الحديث الثالث من باب خلق أبدان الأئمَّة وأرواحهم.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٤.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٩١.

أَتَاهُمْ، فَفَعَلَ بِي كَمَا فَعَلَ بِهِمْ، فَقُمْتُ بِعِلْمِ اللَّهِ[١٢]، وَإِنِّي مَسْرُورٌ بِمَا يَهَبُ اللَّهُ لِي، فَجَامَعْتُ، فَعُلِقَ بِابْنِي هَذَا الْمَوْلُودِ، فَدُونَكُمْ[١٣] فَهُوَ وَاللَّهِ صَاحِبُكُمْ مِنْ بَعْدِي، إِنَّ نُطْفَةَ الإِمَامِ مِمَّا أَخْبَرْتُكَ، وَإِذَا سَكَنَتِ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأُنْشِئَ فِيهَا الرُّوحُ، بَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَكاً يُقَالُ لَهُ: حَيَوَانُ[١٤]، فَكَتَبَ عَلَى عَضُدِهِ الأَيْمَنِ[١٥]: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ

فليس (الفرج) إلَّا كناية، ولم يكن لفظاً صريحاً حتَّى يستقبح ذكره، نعم في الأعراف اللاحقة صار صريحاً فاستقبحوا ذكره، ولكن لا يحمل القرآن ولا كلامهم عليهم السلام على حسب أعرافنا بل حسب عرف زمانهم.

[١٢] (فقمت بعلم الله):

«بعلم الله»: إمَّا قَسَم، وإمَّا بمعنى آخر، ففي المرآة: أي بإذنه وتقديره، أو بأمره وإلهامه، أو متلبساً بما علَّمني الله من أنَّه يصير سبباً لحصول هذا الولد، ويؤيد الأخير ما في البصائر: فقمت فرحاً مسروراً بعلم الله بما وهب لي(١).

[١٣] (فدونكم):

أي خذوه، والمقصود اتبعوه لأنَّه الإمام من بعدي.

[١٤] (يُقال له: حيوان):

من الحياة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾(٢)، ولا يخفى تناسب تسميته مع المهمّة التي أوكلها الله إليه، لأنَّ الحياة المعنوية تكون من الإمام عليه السلام بإذن الله تعالى.

[١٥] (عضده الأيمن):

الظاهر أنَّ كتابة هذه الآية على جسم الإمام عليه السلام تكون في مراحل

---

(١) المرآة: ج٤، ص٢٦٠.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٤.

وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١٦] [الأنعام: ١١٥]. وَإِذَا وَقَعَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ، وَقَعَ وَاضِعاً يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ، رَافِعاً رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ. فَأَمَّا وَضْعُهُ يَدَيْهِ عَلَى الْأَرْضِ فَإِنَّهُ

مختلفة، فلما يبلغ أربعة أشهر في الرحم تكتب على عضده الأيمن، وحينما يُولد تكتب ثلاث مرَّات: مرَّة في عضده الأيمن، وأُخرى بين عينيه، وثالثة بين كتفيه ـ كما سيأتي في الأحاديث اللاحقة ـ.

ولعلَّ هذه الكتابة هي من مراحل الاصطفاء.

[١٦] **(وهو السميع العليم)**:

للآية مصداقان:

الأوَّل: القرآن الكريم، فيكون المعنى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالقرآن الكريم، فما أراده الله سبحانه من البشر قد تمَّ بإنزال هذا الكتاب، فليس وراءه كتاب آخر وكلمة أُخرى، ﴿صِدْقًا﴾ لا يشوبه كذب، ﴿وَعَدْلًا﴾ لا يشوبه انحراف وزيغ، فكل خبر يُخالف القرآن فهو كذب، وكل حكم يُخالف حكمه فهو زيغ، ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ لأنَّها هي الميزان لكلّ شيء، فلا تبديل صحيح لكلماته بالزيادة والنقصان، إذ كل تبديل هو انحراف(١) ﴿وَهُوَ﴾ تعالى عالم بكلّ شيء ويعرف خلقه، لذا جعل ما يناسبهم فهو ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

الثاني: الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام، لأنَّ الكلمة هي الشيء المُلقى، فقد يكون الملقى لفظاً، وقد يكون الملقى خلقاً، ولذا كان عيسى عليه السلام كلمة الله، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥ﴾(٢)، فيكون معنى الآية: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بخلق الإمام وتعيينه للإمامة ﴿صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ أي يتطابق ذلك مع نظام التكوين والتشريع ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ أي لا يقدر أحد على عزل الإمام الذي نصَّبه الله تعالى ونصَّب آخر بدله، وإنما الغاصبون يغتصبون السلطة الظاهرية دون الإمامة الإلهية.

---

(١) نقل بتصرُّف عن تقريب القرآن: ج٢، ص١٢٠.

(٢) سورة النِّساء: الآية ١٧١.

يَقْبِضُ كُلَّ عِلْمٍ لِلَّهِ أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ[١٧]، وَأَمَّا رَفْعُهُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِنَّ مُنَادِياً يُنَادِي بِهِ مِنْ بُطْنَانِ الْعَرْشِ[١٨] مِنْ قِبَلِ رَبِّ الْعِزَّةِ مِنَ الأُفُقِ الأَعْلَى بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ يَقُولُ: يَا فُلَانَ ابْنَ فُلَانٍ اثْبُتْ تُثْبَتْ[١٩]، فَلِعَظِيمِ مَا

---

[١٧] (كل علم لله أنزله من السَّماء إلى الأرض):

وذلك لأنَّ العلم الذي نزل مع آدم ثمَّ ازداد مع الأنبياء، لم يُرفع، بل انتقل من نبي إلى نبي أو وصي، وهكذا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثمَّ اعلم أنَّ قبضهم للعلم لحظة ميلادهم، ليس بمعنى خلوهم عنه قبل ذلك، بل لعلَّ ذلك العلم يُفاض عليهم مرَّة أُخرى، لأنَّ تكرار التعليم لا مانع منه، فمرَّة حين خلقهم، ومرَّة حين ولادتهم، وأُخرى بعدها، وتارة بواسطة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتارة بواسطة الملك، وتارة بالنظر في كتاب علي عليه السلام ومصحف فاطمة عليها السلام والجفر الأبيض، ولعلَّه سنذكر تحقيق هذا إن شاء الله تعالى.

[١٨] (بطنان العرش):

«بطنان»: الوسط، «من قبل رب العزَّة»: لعلَّ المُنادي مَلَك، و«الأُفق» الناحية.

وقوله: «من الأفق الأعلى» عطف بيان لقوله: «من بطنان العرش»، ويحتمل أن يكون بطنان العرش منشأ الصوت، و«الأفق الأعلى» جهة سماعه.

[١٩] (اثبت تثبت):

«اثبت»: أي كن ثابتاً على الحق في جميع أقوالك وأفعالك، وهذا النداء يكون بعد قبضه العلم، فيكون نظير قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾(١)، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ

---

(١) سورة هود: الآية ١٢٠.

خَلَقْتُكَ[٢٠]، أَنْتَ صَفْوَتِي[٢١] مِنْ خَلْقِي، وَمَوْضِعُ سِرِّي، وَعَيْبَةُ عِلْمِي، وَأَمِينِي عَلَى وَحْيِي، وَخَلِيفَتِي فِي أَرْضِي، لَكَ وَلِمَنْ تَوَلَّاكَ أَوْجَبْتُ رَحْمَتِي[٢٢]، ....

﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(١)، ولعلَّ لهذا النداء أثراً تكوينياً، فبه تُفاض العصمة وكرائم الأخلاق ـ أي تكرار إفاضتها كما مرَّ ـ.

«تثبت»: إمَّا من باب الأفعال، أو باب التفعيل، مبنيّاً للفاعل أو للمفعول، أي (تُثَبِّت) غيرك على الحق، أو (تُثَبَّت) أنت عبر روح القدس أو غيره، أو (تُثْبَت) على الحق، أو (تُثْبِت) أي تهدي.

[٢٠] **(فلعظيم ما خلقتك):**

«ما» موصولة، أضيف إليها عظيم، و(لعظيم ما خلقتك) تعليل لقوله: (أنت صفوتي...)، فالمعنى لقد اصطفيتك وفضَّلتك لأجل أن تقوم بالمهمَّة العظيمة.

ويحتمل أن يكون (عظيم) بالتنوين، و(ما) للإبهام والتفخيم، فقوله: (أنت صفوتي...) جملة مستأنفة.

[٢١] **(أنت صفوتي...) إلخ:**

«الصفوة»: الخالص، و«موضع السِّر»: العلوم التي لم يرد الله إظهارها لأحد، و«عيبة»: كالصندوق يحفظ فيه الشيء، والمُراد أنَّك محلّ العلوم التي أنزلتها إلى الأرض، و«وحيي»: أي القرآن فتفسر القرآن كما أنزله الله تعالى، و«خليفتي»: تؤدِّي في الأرض ما أُريده.

[٢٢] **(أوجبت رحمتي):**

أي الرَّحمة الخاصَّة التي تنزل على المؤمنين، أمَّا الرَّحمة العامَّة فهي وسعت كل شيء.

---

(١) سورة النحل: الآية ١٠٢.

وَمَنَحْتُ جِنَانِي، وَأَحْلَلْتُ جِوَارِي[٢٣]، ثُمَّ وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأُصْلِيَنَّ[٢٤] مَنْ عَادَاكَ أَشَدَّ عَذَابِي، وَإِنْ وَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي دُنْيَايَ مِنْ سَعَةِ رِزْقِي، فَإِذَا انْقَضَى الصَّوْتُ ـ صَوْتُ الْمُنَادِي ـ أَجَابَهُ هُوَ، وَاضِعاً يَدَيْهِ، رَافِعاً رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٢٥] [آل عمران: ١٨]. قَالَ: فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ أَعْطَاهُ اللَّهُ الْعِلْمَ

---

[٢٣] (أحللت جواري):

أي جعلته حلالاً، و«جواره»: كناية عن القرب من رضاه.

[٢٤] (لأصلين):

«الإصلاء»: الإلقاء في النار بقصد الإحراق.

ثمَّ اعلم أنَّ هذا النداء يتضمن أمرين:

١ ـ الأمر بالثبات والتثبيت.

٢ ـ بيان منزلة الإمام، ومصير من تولّاه، ومصير من عاداه.

ولعلَّ الغرض هو بيان أهمية ثباته وتثبيته الآخرين.

فأمّا ثباته: فلأنَّه الصفوة وموضع السِّر... إلخ، وهذه أُمور عظيمة تحتاج إلى محلّ قابل لها.

وأمّا تثبيته للآخرين: فلأنَّهم لو ثبتوا لنالوا الجنَّة، ولو لم يثبتوا أُلقوا في النار، فلذلك كان تثبيتهم أمراً مهماً.

والحاصل: أنَّ الهدف من الخلقة يتحقَّق بالأئمة عليهم السلام بعد النَّبي صلى الله عليه وآله، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١) فلذا تمَّ بيان الطريق إلى هذا الهدف من لحظة ولادة الإمام عليه السلام، وذلك الطريق هو ثبات الإمام، ثمَّ تثبيته للآخرين.

[٢٥] (إلّا هو العزيز الحكيم):

في التبيين(٢): ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ شهادته أي خلقه الخلق الدالَّ على وحدته،

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) التبيين: ص٦٣.

الْأَوَّلَ، وَالْعِلْمَ الْآخِرَ[٢٦]، وَاسْتَحَقَّ زِيَارَةَ الرُّوحِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. قُلْتُ:

ويمكن أن تكون هناك شهادة لفظية: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وشهدت ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ أصحاب العلم أيضاً شهدوا بالوحدانية، ﴿قَآئِمًۢا﴾ أي في حال كون الله قائماً ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بالعدالة، فهو عادل في خلقه وفي تشريعه ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

ولعلَّ نطق الإمام بهذه الآية:

١ ـ لكي يبدأ حياته في الدُّنيا بالشهادة بالتوحيد، لأنَّ الإمام من أفضل أولي العلم، مضافاً إلى بيان أنَّه عبد مربوب لله تعالى درءاً للغلوّ.

٢ ـ وكذا الشهادة بأنَّ الله تعالى قائم بالقسط، فخلقه الإمام وتفضيله وإدخال من تولَّاه الجنَّة، ومن عاداه النَّار، كلُّ ذلك مطابق للعدل.

٣ ـ وكذا الإقرار بأنَّه عزيز حكيم، كلُّ ذلك بقدرته التي لا غالب له فيها، وبحكمته التي اقتضت هذه الكيفية من الخلق.

[٢٦] (العلم الأوَّل والعلم الآخر):

يمكن أن يكون هذا الإعطاء القبض نفسه الذي ذكر قبل قليل حيث قال: (فأمَّا وضعه يديه على الأرض فإنَّه يقبض كلّ علم لله أنزله. . .) إلخ.

ويمكن أن يكون شيئاً آخر، وفي المرآة: لعلَّ المُراد (بالعلم الأوَّل): علوم الأنبياء والأوصياء السابقين، و(بالعلم الآخر): علوم خاتم الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم.

أو (بالأوَّل): العلم بأحوال المبدأ وأسرار التوحيد وعلم ما مضى وما هو كائن في النشأة الأولى، والشرائع والأحكام، و(بالآخر): العلم بأحوال المعاد والجنَّة والنار، وما بعد الموت من أحوال البرزخ وغير ذلك، والأوَّل أظهر، ويؤيده ما في البصائر: علم الأوَّل وعلم الآخر.

وفي بعض الروايات: علم الأوَّل علم رسول الله ﷺ وعلم الآخر علم أمير المؤمنين عليه السلام(١).

---

(١) المرآة: ج٤، ص٢٦٢.

جُعِلْتُ فِدَاكَ الرُّوحُ لَيْسَ هُوَ جَبْرَئِيلَ؟ قَالَ: الرُّوحُ هُوَ أَعْظَمُ مِنْ جَبْرَئِيلَ، إِنَّ جَبْرَئِيلَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَإِنَّ الرُّوحَ هُوَ خَلْقٌ أَعْظَمُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ[٢٧] تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤].

مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى؛ وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحَسَنِ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ مِثْلَهُ.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُوسَى بْنِ سَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ رَاشِدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ أَنْ يَخْلُقَ الْإِمَامَ، أَمَرَ مَلَكاً فَأَخَذَ شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ تَحْتَ الْعَرْشِ[١]، فَيَسْقِيهَا أَبَاهُ، فَمِنْ ذَلِكَ يَخْلُقُ الْإِمَامَ،

---

[٢٧] (أليس يقول الله):
كأنَّ وجه الاستدلال بالآية أنَّ ظاهر العطف هو المغايرة، لأنَّ المُراد إذا كان جبرئيل ـ وهو من الملائكة ـ يكون من عطف الخاص على العام، وهو خلاف الأصل، وقد مرَّ الكلام في الرُّوح ومعانيها سابقاً فراجع.

الحديث الثاني:

[١] (من ماء تحت العرش):
والظاهر أنّه (العليُّون) الذي قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾(١)، كما ورد في حديث خلقهم عليهم السلام.
فعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنَّ الله خلقنا من أعلى عليِّين، وخلق قلوب

---

(١) سورة المطففين: الآيات ١٨ ـ ٢١.

فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَلَيْلَةً فِي بَطْنِ أُمِّهِ لَا يَسْمَعُ الصَّوْتَ[٢]، ثُمَّ يَسْمَعُ بَعْدَ ذَلِكَ الْكَلَامَ، فَإِذَا وُلِدَ بَعَثَ ذَلِكَ الْمَلَكَ فَيَكْتُبُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، **فَإِذَا مَضَى الْإِمَامُ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ رُفِعَ لِهَذَا مَنَارٌ مِنْ نُورٍ[٣] يَنْظُرُ بِهِ إِلَى أَعْمَالِ الْخَلَائِقِ، فَبِهَذَا يَحْتَجُّ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ[٤].**

شيعتنا ممَّا خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك، قلوبهم تهوي إلينا لأنَّها خُلقت ممَّا خُلقنا، ثمَّ تلا هذه الآية»(١).

[٢] **(لا يسمع الصوت):**
لعلَّ المُراد صوت الملك، أو صوت أُمّه ومن يتكلّم حولها.

[٣] **(منار من نور):**
«المنار»: اسم مكان بمعنى موضع النُّور، وسيأتي في الحديث السابع أنَّه ملك موكل بكل بلدة يرفع الله به أعمال تلك البلدة، فينظر الإمام إليه ويعلم بأعمال النَّاس أجمع، ليشهد عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٢).

[٤] **(فبهذا يحتجّ الله على خلقه):**
أي بهذا الإمام الَّذي اصطفاه الله يحتجّ الله على النَّاس، وذلك بإلزامهم الإيمان به وطاعته، فمن لم يعرفه يموت ميتة جاهلية، لا بأئمَّة الجور والضلالة، وكذا يكون هذا الإمام هو الشاهد وكلامه حجَّة لا غيره.

---

(١) الكافي: ج١، ص٣٩٠.
(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَدِيدٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْإِمَامَ مِنَ الْإِمَامِ، بَعَثَ مَلَكاً، فَأَخَذَ شَرْبَةً مِنْ مَاءٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، ثُمَّ أَوْقَعَهَا ـ أَوْ دَفَعَهَا[١] ـ إِلَى الْإِمَامِ فَشَرِبَهَا، فَيَمْكُثُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ يَوْماً لَا يَسْمَعُ الْكَلَامَ، ثُمَّ يَسْمَعُ الْكَلَامَ بَعْدَ ذَلِكَ، فَإِذَا وَضَعَتْهُ أُمُّهُ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْمَلَكَ الَّذِي أَخَذَ الشَّرْبَةَ، فَكَتَبَ عَلَى عَضُدِهِ الْأَيْمَنِ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾. فَإِذَا قَامَ بِهَذَا الْأَمْرِ رَفَعَ اللَّهُ لَهُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ مَنَاراً يَنْظُرُ بِهِ إِلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُسْلِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ الْإِمَامَ لَيَسْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، فَإِذَا وُلِدَ خُطَّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، فَإِذَا صَارَ الْأَمْرُ إِلَيْهِ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ عَمُوداً مِنْ نُورٍ يُبْصِرُ بِهِ مَا يَعْمَلُ أَهْلُ كُلِّ بَلْدَةٍ.

الحديث الثالث:

[١] (ثم أوقعها أو دفعها):

لعلَّ الترديد من الراوي، ويحتمل أن تكون هناك طريقتان لإيصالها إلى الإمام، فتارة بالإيقاع وأُخرى بالدفع، وفي بعض الأخبار عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «إذا أراد الله أن يقبض روح إمام ويخلق من بعده إماماً أنزل قطرة من ماء تحت العرش إلى الأرض فيلقيها على ثمرة أو على بقلة، فيأكل تلك الثمرة أو تلك البقلة الإمام الذي يخلق الله منه نطفة الإمام الذي يقوم بعده..»(١).

---

(١) البحار: ج٢٥، ص٣٩ عن بصائر الدرجات.

٥ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْجَعْفَرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ إِسْحَاقَ بْنَ جَعْفَرٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: الْأَوْصِيَاءُ إِذَا حَمَلَتْ بِهِمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَصَابَهَا فَتْرَةٌ شِبْهُ الْغَشْيَةِ[١]، فَأَقَامَتْ فِي ذَلِكَ يَوْمَهَا ذَلِكَ إِنْ كَانَ نَهَاراً، أَوْ لَيْلَتَهَا إِنْ كَانَ لَيْلًا، ثُمَّ تَرَى فِي مَنَامِهَا رَجُلًا[٢] يُبَشِّرُهَا بِغُلَامٍ، عَلِيمٍ، حَلِيمٍ[٣]، فَتَفْرَحُ لِذَلِكَ، ثُمَّ تَنْتَبِهُ مِنْ نَوْمِهَا فَتَسْمَعُ مِنْ جَانِبِهَا الْأَيْمَنِ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ صَوْتاً يَقُولُ: حَمَلْتِ بِخَيْرٍ، وَتَصِيرِينَ إِلَى خَيْرٍ، وَجِئْتِ

الحديث الخامس:

هذا الحديث حول حالات أُمّهات الأئمّة عليهم السلام، ثمّ بيان بعض تفاصيل الإمام حين ولادته.

[١] (فترة شبه الغشية):

لعلّ ذلك لعظمة نور الإمام عليه السلام بحيث لا يمكنها تحمّله، ولذا احتاجت إلى مزيد لطف من الله تعالى.

[٢] (ترى في منامها رجلاً):

لعلّه ملك بصورة رجل، أو هو أحد الأنبياء أو الأئمّة عليهم السلام.

ففي البداية تسمع البشارة في المنام لأنّها في حالة شبه الغشية، ثمّ بعد إفاقتها تسمع البشارة في اليقظة.

[٣] (عليم حليم):

البشارة بغلام يتصف بهذين الوصفين قد وردت في القرآن الكريم في بشارة إبراهيم عليه السلام بابنه إسماعيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾(٢).

---

(١) سورة الحجر: الآية ٥٣.

(٢) سورة الصافات: الآية ١٠١.

بِخَيْرٍ، أَبْشِرِي بِغُلَامٍ حَلِيمٍ عَلِيمٍ، وَتَجِدُ خِفَّةً فِي بَدَنِهَا، ثُمَّ لَمْ تَجِدْ بَعْدَ ذَلِكَ امْتِنَاعاً مِنْ جَنْبَيْهَا وَبَطْنِهَا[٤]، فَإِذَا كَانَ لِتِسْعٍ مِنْ شَهْرِهَا سَمِعَتْ فِي الْبَيْتِ حِسّاً شَدِيداً[٥]، فَإِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي تَلِدُ فِيهَا ظَهَرَ لَهَا فِي الْبَيْتِ نُورٌ تَرَاهُ لَا يَرَاهُ غَيْرُهَا إِلَّا أَبُوهُ، فَإِذَا وَلَدَتْهُ وَلَدَتْهُ قَاعِداً[٦]، وَتَفَتَّحَتْ لَهُ حَتَّى

ولعلَّ تخصيص هذين الوصفين بالذكر ـ مع تحلِّيه بجميع الفضائل ـ لأجل أنَّها منشأ كل الفضائل.

وأمّا سرورها فلأجل أنَّ المؤمن يفرح بفضل الله تعالى، وأية سعادة أكبر لامرأة من أن يجعل الله تعالى لها القابلية لتحمل بالإمام عليه السلام؟ قال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾(١).

[٤] (امتناعاً من جنبيها وبطنها):

لعلَّ المُراد صعوبة الحمل التي تُصيب النِّساء عادة.

[٥] (حسّاً شديداً):

في الوافي: الحِس ـ بالكسر ـ الحركة والصوت، وأن يمرُّ بك الشيء قريباً فتسمعه ولا تراه(٢).

ولعلَّ هذا الحس هو صوت هبوط الملائكة تهيؤاً لولادة الإمام عليه السلام، وكذا النُّور الذي تراه لعلَّه يشتمل على فيوضات خاصَّة لاحتضانه عليه السلام.

[٦] (ولدته قاعداً):

ورد في بعض الأخبار حول بعض الأئمَّة عليهم السلام أنَّهم يُولدون من الفخذ(٣) ولعلَّ المقصود من الجانب الأيمن أو الأيسر من البطن الملاصق للفخذ، ويمكن تشبيهه بالعملية القيصرية التي تجرى الآن، فيخرج الطفل بتمامه، لا كالولادة العاديّة حيث يُولد الطفل برأسه أو برجليه.

---

(١) سورة يونس: الآية ٥٨.

(٢) الوافي: ج٣، ص٦٩٠.

(٣) راجع كمثال: البحار: ج٤٣، ص٢٥٦.

يَخْرُجَ مُتَرَبِّعاً، يَسْتَدِيرُ بَعْدَ وُقُوعِهِ إِلَى الْأَرْضِ[٧]، فَلَا يُخْطِىءُ الْقِبْلَةَ حَيْثُ كَانَتْ بِوَجْهِهِ، ثُمَّ يَعْطِسُ ثَلَاثاً[٨]، يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ بِالتَّحْمِيدِ[٩]، وَيَقَعُ مَسْرُوراً[١٠]، مَخْتُوناً، وَرَبَاعِيَّتَاهُ مِنْ فَوْقٍ وَأَسْفَلَ، وَنَابَاهُ، وَضَاحِكَاهُ[١١]، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِثْلُ سَبِيكَةِ الذَّهَبِ[١٢] نُورٌ، وَيُقِيمُ يَوْمَهُ وَلَيْلَتَهُ تَسِيلُ يَدَاهُ

وعلى ضوء ما ذكرناه يمكن فهم قوله عليه السلام: «ولدته قاعداً»، وما ذكرناه على سبيل الاحتمال، والله العالم بحقائق خصائص أوليائه عليهم السلام.

[٧] **(يستدير بعد وقوعه إلى الأرض):**

قيل: هذا مبنيٌّ على كون وجه أُمّه إلى القبلة، وكون وجهه إلى ظهر أُمّه، فيستدير بقدر نصف الدائرة(١).

[٨] **(ثمَّ يعطس ثلاثاً):**

لعلَّه بدل من البكاء المتعارف في سائر الأولاد.

[٩] **(يشير بإصبعه بالتحميد):**

إمَّا بمعنى أنَّ تحميده بالإشارة، أو بمعنى يشير مع التحميد باللفظ.

[١٠] **(مسروراً):**

أي مقطوع السُّرة.

[١١] **(رباعيتاه من فوق وأسفل ونا باه وضاحكاه):**

لعلَّ المعنى أنَّه يُولد وأسنانه نابتة، وذكر الرباعية والناب والضاحك كمثال على ذلك، ويحتمل أن تكون هذه هي النابتة دون غيرها، لدخلها في الجمال، وعدم نبات الثنايا لتسهيل عملية الارتضاع، و«الثنايا» جمع ثنيَّة وهي الأسنان التي تقع في الوسط اثنان من فوق واثنان من تحت، وبجنبها «الرباعية»، وبعدها «الناب»، وبعد الناب «الضاحك».

[١٢] **(مثل سبيكة الذهب):**

أي من النُّور ـ الأصفر أو الأحمر ـ.

---

(١) نقله في المرآة: ج٤، ص٢٦٦.

ذَهَباً[١٣]، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ إِذَا وُلِدُوا، وَإِنَّمَا الْأَوْصِيَاءُ أَعْلَاقٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ[١٤].

٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَدِيدٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ دَرَّاجٍ قَالَ: رَوَى غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ قَالَ: لَا تَتَكَلَّمُوا فِي الْإِمَامِ[١]، فَإِنَّ الْإِمَامَ يَسْمَعُ الْكَلَامَ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، فَإِذَا وَضَعَتْهُ كَتَبَ

---

[١٣] **(تسيل يداه ذهباً):**

كناية عن سطوع نور من يديه يشبه إشراق الذهب.

[١٤] **(أعلاق من الأنبياء):**

جمع (عِلق) وهو الشيء النفيس(١)، ولعلَّ المُراد أنَّهم أفضل أبناء الأنبياء، أو أفضل شيء تركوه في أممهم.

والحاصل: أنَّه لا يستبعدنَّ أحدٌ هذه الأمور، لأنَّ الله تعالى اختارهم لهداية النَّاس، فاصطفاهم، وميَّزهم عن الآخرين بأوصاف، وبعد إثبات القرآن التكلُّم لعيسى عليه السلام في المهد وإتيانه الكتاب وجعله نبيّاً في تلك الحال، فلا يستبعد مؤمن بالله وبالقرآن المعاجزَ في خلق الأنبياء وأوصيائهم إذا قام الدليل عليها.

الحديث السادس:

[١] **(لا تتكلّموا في الإمام):**

أي لا تعترضوا على نصب الإمام، أو على وصية الإمام السابق له، أو بمعنى لا تتكلَّموا فيه بآرائكم فإنَّ مقامه أرفع من أن تصله عقولكم بل اتبعوا ما ورد عنَّا في الإمام.

وذلك لأنَّ الإمامة اصطفاء من الله تعالى وقد ميَّز الله سبحانه الإمام بجملة أُمور: كسماعه الكلام وهو جنين، وكتابة الملك بين عينيه، ورفع

---

(١) مقاييس اللغة: ص٦٧١.

الْمَلَكُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾، فَإِذَا قَامَ بِالْأَمْرِ رُفِعَ لَهُ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ مَنَارٌ[٢] يَنْظُرُ مِنْهُ إِلَى أَعْمَالِ الْعِبَادِ.

٧ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: كُنْتُ أَنَا وَابْنُ فَضَّالٍ جُلُوساً إِذْ أَقْبَلَ يُونُسُ فَقَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ فِي الْعَمُودِ[١]، قَالَ: فَقَالَ لِي: يَا

عمود من نور أمامه، وهذه الأُمور الثلاثة كمثال على امتيازه عن غيره، فأحدهما في بداية نشأته وهو جنين، والأُخرى في بداية ولادته، والثالثة في حين إمامته.

[٢] **(في كل بلدة منار. . .) إلخ:**
أي رُفع له عمود من نور وبواسطته ينظر إلى أعمال أهل كل بلدة.
وليس المُراد تعدُّد المنار، بل هو منار واحد ولكن متعلّقه ـ وهو البلاد ـ متعدِّد.
وسيأتي في الحديث الآتي أنَّ هذا العمود من نور هو ملك موكل بكل بلدة يرفع الله به أعمال تلك البلدة، كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(١)، وأمَّا سبب نظره إلى أعمال العباد، فلجهات منها: أنَّه سيشهد على النَّاس يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾(٢) ولا شهادة إلَّا مع العلم ـ كما مرَّ مراراً ـ.

الحديث السابع:

[١] **(في العمود):**
فقد كثرت الروايات بأنَّه يُرفع للإمام عمود يرى به أعمال العباد، وقد كثر

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

يُونُسُ مَا تَرَاهُ؟ أَتَرَاهُ عَمُوداً مِنْ حَدِيدٍ يُرْفَعُ لِصَاحِبِكَ؟! قَالَ: قُلْتُ: مَا أَدْرِي! قَالَ: لَكِنَّهُ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ بِكُلِّ بَلْدَةٍ يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَعْمَالَ تِلْكَ الْبَلْدَةِ، قَالَ: فَقَامَ ابْنُ فَضَّالٍ فَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ[٢]، لَا تَزَالُ تَجِيءُ بِالْحَدِيثِ الْحَقِّ الَّذِي يُفَرِّجُ اللَّهُ بِهِ عَنَّا.

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: لِلإِمَامِ عَشْرُ عَلَامَاتٍ[١]: يُولَدُ

الاختلاف في معناه، ثمَّ إنَّ تسمية الملك عموداً لشباهته به من حيث الارتفاع، أو لاعتماد الإمام عليه.

[٢] (يا أبا محمّد):

وهي كنية يونس بن عبد الرَّحمٰن، و(يفرج الله) كناية عن رفع الاختلاف باتضاح المُراد، لأنَّ عدم فهم معنى الأحاديث والاختلاف فيها موجب للهمّ والغمّ، واتضاح معناه عبر حديث صحيح رافع للهمّ والغم.

الحديث الثامن:

[١] (عشر علامات):

أي اجتماع هذه الصفات علامة إمامته، وإن كان بعضها ـ كولادته مختوناً ـ غير خاصّة به.

ثمَّ اعلم أنَّ هذه العلائم على أصناف:

١ ـ منها: طهارته من القذارة الجسدية، كالتطهير والختان والرائحة الكريهة.

٢ ـ ومنها: طهارته من الحدث، كالجنابة.

٣ ـ ومنها: براءته من الغفلة، كنوم العين، وعدم رؤية مَن خلفه.

٤ ـ ومنها: نزاهته عن الأُمور غير اللائقة، كالتثاؤب والتمطي.

٥ ـ ومنها: إيمانه من لحظة ولادته، فلذا يُولد رافعاً صوته بالشهادتين.

٦ ـ ومنها: علائم من الرسول صلى الله عليه وآله، كاستواء درعه عليه.

مُطَهَّراً[٢]، مَخْتُوناً، وَإِذَا وَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ وَقَعَ عَلَى رَاحَتِهِ رَافِعاً صَوْتَهُ بِالشَّهَادَتَيْنِ[٣]، وَلَا يُجْنِبُ[٤]، وَتَنَامُ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ[٥]، وَلَا يَتَثَاءَبُ، وَلَا

---

٧ ـ ومنها: تحديث الملائكة له.

ثمَّ اعلم أنَّ غالب هذه العلائم غير ظاهرة لعامَّة النَّاس، وإنَّما تُذْكَر ليتبيَّن للمؤمنين رفعة درجة الإمام لكي يتبعوه فيما يأمرهم وينهاهم، وليتبيَّن لهم عظمة الله تعالى حيث خلق أشخاصاً بهذه المواصفات، ولكي يتضح عدم إمكان اختيار النَّاس للإمام لأنَّه يلزم أن يتحلَّى بصفات لا يمكن الناس الوصول إليها لأنَّها اصطفاء منه تعالى.

[٢] **(مطهَّراً):**

من القذارة والدم التي تُصاحب الأطفال حين ولادتهم، أو بمعنى أنَّه يُولد مقطوع السُّرة، ويحتمل أن يكون مطهَّراً بمعنى المختون، فيكونان علامة واحدة.

[٣] **(بالشهادتين):**

أمَّا الشهادة بالتوحيد فقراءته آية: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ الآية، كما مرَّ في الحديث الأوَّل، ويمكن أن يتشهد مرَّة أُخرى مع تلاوته هذه الآية.

[٤] **(لا يجنب):**

أي لا يحتلم، لأنَّ الاحتلام من الشيطان، أو بمعنى أنَّه لا يلحقه حدث الجنابة وخبثها، ولذا سدَّ رسول الله ﷺ الأبواب كلّها إلَّا باب بيت الإمام علي عليه السلام، وعن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «ألا إنَّ هذا المسجد لا يحلّ لجنب إلَّا لمحمَّد وآله»(١).

[٥] **(تنام عينه ولا ينام قلبه):**

أي لا يرى الأشياء في النوم ببصره، لكنَّه يعلم بها، والمعنى أنَّه لا يغفل حالة النوم بل يعلم بالأشياء التي يعلم بها في اليقظة فيكون علمه حاضراً.

---

(١) البحار: ج٣٩، ص٢١ عن الأمالي والعيون.

يَتَمَطَّى[٦]، وَيَرَى مِنْ خَلْفِهِ كَمَا يَرَى مِنْ أَمَامِهِ[٧]، وَنَجْوُهُ كَرَائِحَةِ الْمِسْكِ وَالْأَرْضُ مُوَكَّلَةٌ بِسَتْرِهِ وَابْتِلَاعِهِ، وَإِذَا لَبِسَ دِرْعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله[٨] كَانَتْ عَلَيْهِ

---

[٦] **(ولا يتمطّى):**

وهو تمديد اليدين لدفع التعب، وهو من (المطّ) بمعنى التمديد كقوله: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ﴾(١) أي يمدُّ نفسه تبختراً، وقيل: هو من (المطي).

ثمَّ اعلم أنَّ التثاؤب والتمطّي وإن كانت حالات طبيعيَّة تُصيب عامَّة الناس، لكنَّها أُمور غير لائقة أمام أنظار النَّاس، ولذا يحاول النَّاس منعها في العلن، وإن اضطروا إليها ستروها بأيديهم، وقد نزَّه الله الإمام عنهما.

[٧] **(ويرى من خلفه كما يرى من أمامه):**

(من) إمَّا موصولة أو جارَّة، والمعنى: إمَّا العلم بما خلفه وإمَّا الإبصار ولكن كيفيته مجهولة لنا، وقد ثبت في العلم الحديث أنَّ كل الحواس ومنها الرؤية إنَّما هي للمخ، والجوارح هي أدوات تنقل المحسوسات عبر شبكة الأعصاب إلى الدماغ، وقرأت تقريراً أنَّ هناك محاولة طبية لإعادة الإبصار لمن أُصيبوا بتلف في العين مع سلامة منطقة الإبصار في المخ، وذلك عن طريق صناعة نظارات ترسل الأمواج المرئية إلى المخ.

وقيل: إنَّ الله تعالى خلق له إدراكاً في القفا كما يخلق النطق في اليد والرجل في الآخرة، أو ينعكس إليه شعاع الأشياء الخلفية إليه عبر شيء كالمرآة.

[٨] **(وإذا لبس درع رسول الله....) إلخ:**

قد مرَّ أنَّه كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله درعان:

إحداهما: ذات الفضول، وهي علامة القائم عليه السلام فلا تستوي على أحد من الأئمَّة عليهم السلام غيره، وقد لبسها الإمام الباقر والإمام الصَّادق عليهما السلام فكانت أطول أو أقصر كما مرَّ.

والثانية: درع هي علامة الإمامة، وهي تستوي على أجسام جميع

---

(١) سورة القيامة: الآية ٣٣.

وَفْقاً، وَإِذَا لَبِسَهَا غَيْرُهُ مِنَ النَّاسِ طَوِيلِهِمْ وَقَصِيرِهِمْ زَادَتْ عَلَيْهِ شِبْراً، وَهُوَ مُحَدَّثٌ إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ أَيَّامُه.

الأئمَّة عليهم السلام، ومن خصوصياتها أنَّها وبالإعجاز تكون أطول من أي أحد يلبسها ـ غير الأئمَّة ـ بمقدار شبر، سواء كان قصيراً أم طويلاً.

بَابُ خَلْقِ أَبْدَانِ الْأَئِمَّةِ وَأَرْوَاحِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ عليهم السلام

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِي يَحْيَى الْوَاسِطِيِّ،

اعلم أنَّ الأخبار الدالة على اختلاف طينة المؤمنين عن طينة الكافرين مستفيضة روتها العامَّة أيضاً[1] وسيأتي كثير منها في كتاب الإيمان والكفر.

وتوضيحها بنحو تنتفي شبهة الجبر[2]: هو أنَّ الله علم من الأزل بمن يختار الإيمان عمَّن يختار الكفر، وليس علم الله سبباً لأعمال العباد، نظير علمنا بطلوع الشَّمس غداً مع عدم كون علمنا سبباً لطلوعها، وكعلم المعلِّم بنجاح الطالب المتفوّق وسقوط الكسول في امتحانات آخر السنة مع عدم دخل علم المعلِّم في النجاح والفشل.

ثمَّ إنَّ الله خلق طينة المؤمنين من علِّيين وطينة الكفَّار من سجِّين، وليس لتلك الطينة تأثير في اختيار المؤمن أو اختيار الكافر أصلاً ـ ولو بنحو المقتضي ـ .

---

(١) راجع صحيح ابن حبان: ج٢، ص٥٠؛ ومسند أحمد بن حنبل: ج٥، ص٦٨؛ ومسند البزاز: ج٨، ص٤٦؛ ومختصر تاريخ دمشق: ج١، ص٣٦.

والنصّ في مسند البزاز: عن النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: إنَّ الله تبارك وتعالى لمَّا خلق آدم قبض من طينته قبضة بيمينه، وقبضة أُخرى بيده الأخرى، فقال للذي بيمينه: هؤلاء للجنَّة ولا أُبالي، وقال للذي بيده الأُخرى: هؤلاء للنار ولا أُبالي، ثمَّ ردَّهم في صلب آدم.

والنصّ في مختصر تاريخ دمشق: أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق قال: حدث علي بن نصر بسنده إلى علي بن الحسين عن أبيه رفعه قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق علِّيين وخلق طينتنا منها، وخلق طينة محبِّينا منها، وخلق سجِّين وخلق طينة مبغضينا منها، فارواح محبِّينا تتوق إلى ما خلقت منه، وأرواح مبغضينا تتوق إلى ما خلقت منه.

(٢) للتفصيل راجع البحار: ج٦٤، ص٧٩، فما بعد.

عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١] قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ

بل لعلَّ السبب هو أنَّ الله لمَّا علم بإيمان المؤمن بحسن اختياره خلقه من تلك الطينة لكي تناسب الجنَّة التي سيدخلها، ولو كان الله يخلق المؤمن من طينة سجِّين لاختار المؤمن الإيمان ولدخل الجنَّة، ولكن كان من خلاف الحكمة إدخال طينة سجِّين في الجنَّة، فمقتضى العدل إدخاله الجنَّة، ومقتضى طينة سجِّين عدم إدخالها الجنَّة، فلأجل أن لا تتنافى الحكمة مع العدل خلق الله المؤمن من الطينة التي تناسب الجنَّة.

وكذا الكافر علم الله بأنَّه سيختار الكفر بسوء اختياره ـ سواء خلق من طينة سجِّين أم من طينة عليِّين ـ فلو كان الله يخلقه من طينة عليِّين لاختار الكفر بسوء اختياره، ولكان مصيره إلى النَّار، فكان يتعارض العدل مع الحكمة ـ إذ العدل إدخال الكافر إلى النار، والحكمة عدم إدخال طينة عليِّين إلى النار ـ فلأجل أن تتطابق الحكمة مع العدل خلقه الله من سجِّين مع عدم تأثير تلك الطينة على سوء اختياره، وفي البحار توضيح لهذه الأحاديث قريب بما ذكرناه.

الحديث الأوَّل:

[١] **(عن أبي عبد الله عليه السلام)**:

حاصل الحديث: أنَّ الله خلق أرواح الأئمَّة عليهم السلام من مكان فوق عليِّين، وخلق أبدانهم من عليِّين، وأمَّا الشيعة فخلق أرواحهم من عليِّين وخلق أجسامهم من مكان أدون من العليِّين.

فإنَّ أرواح الأئمة عليهم السلام خُلقت من نور عظمته تعالى، وذلك النُّور أرفع من عليِّين.

ثمَّ إنَّ الظاهر أنَّ (عليِّين) له درجات، فأبدانهم خُلقت من أعلى عليِّين، وأرواح الشيعة خُلقت من أدنى عليِّين، وفي الحديث: طينة الأنبياء والمؤمن من تلك الطينة إلَّا أنَّ الأنبياء هم من صفوتها(١).

---

(١) راجع البحار: ج٦٤، ص٨٢.

عِلِّيِّينَ[٢]، وَخَلَقَ أَرْوَاحَنَا مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ[٣]، وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا مِنْ عِلِّيِّينَ، وَخَلَقَ أَجْسَادَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ[٤]، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ[٥] الْقَرَابَةُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، وَقُلُوبُهُمْ تَحِنُّ إِلَيْنَا[٦].

---

[٢] **(علّيين)**:

«عِلّيّ» على وزن (فِعّيل) مبالغة من العالي، ومعناه في اللغة: ارتفاع بعد ارتفاع إلى ما لا حدّ له(١)، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾(٢)، وبمقتضى أحاديث الشربة التي خلقت منها أبدان الأئمّة فإنَّ علّيّين تكون منطقة تحت العرش، وهي الفردوس، كما دلَّت أحاديث أُخرى بأنَّها عين في الفردوس(٣).

[٣] **(من فوق ذلك)**:

وهو نور عظمته تعالى، كما سيأتي في الحديث اللاحق.

[٤] **(من دون ذلك)**:

أي من منطقة أدنى من علّيّين.

[٥] **(فمن أجل ذلك)**:

أي لأجل كون مادة أبدان الأئمّة ومادة أرواح الشيعة من منطقة علّيّين، فلذلك حصل القرب المعنوي أيضاً بينهم، فإنَّ قلوب الشيعة تهوي إلى الأئمّة عليهم السلام، كما أنَّ الأئمّة يُحبّون شيعتهم.

[٦] **(تحنُّ إلينا)**:

كما قال تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾(٤)، وفي الروايات تفسير الآية بالمحبّة لصفوة الذرّية وهم محمّد وآله عليهم السلام(٥).

---

(١) راجع مقاييس اللغة: ص٦٦٦.

(٢) سورة المطففين: الآية ١٨.

(٣) راجع البحار: ج٦٤، ص٨٣.

(٤) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(٥) راجع تفسير البرهان: ج٥، ص٤١٧ فما بعد.

٢ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ إِسْحَاقَ الزَّعْفَرَانِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ[١]، ثُمَّ صَوَّرَ خَلْقَنَا[٢] مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ مِنْ تَحْتِ

الحديث الثاني:

حاصل الحديث: أنَّ الله تعالى خلق حقيقتهم عليهم السلام من نور عظمته، ولم يخلق أحداً من ذلك النُّور سواهم، ثمَّ خلق أبدانهم من طينة من تحت العرش.

وخلق أرواح الأنبياء والشيعة من تلك الطينة، وأمَّا أبدانهم فخلقها من طينة أُخرى دون طينة أرواحهم.

وأمَّا سائر النَّاس فلم يخلقوا من تلك الطينة، بل من طينة سجِّين ـ كما يأتي في الحديث الرابع ـ، فلذا عاقبتهم تكون إلى النَّار، بسبب سوء اختيارهم.

[١] **(من نور عظمته):**

أي نور مخلوق شرَّفه الله بأن نسبه إلى نفسه، أو بمعنى نور يدلُّ على عظمته تعالى، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام هم أعظم خلق الله سبحانه وتعالى.

[٢] **(ثمَّ صوَّر خلقنا):**

قال العلَّامة المجلسي رضوان الله عليه: الناظرون في الخبر فسَّروا تصوير الخلق بخلق الأبدان الأصلية!! والذي أظنّه أنَّ المُراد به أنَّه خلق لهم أجساداً مثالية شبيهة بالأجساد الأصلية، فهي صور خلقهم ومثالهم، فيدلُّ على أنَّ لهم عليهم السلام أجساداً مثالية قبل تعلُّق أرواحهم المقدَّسة بأجسادهم المطهَّرة، وبعد مفارقتها إيَّاها، بل معها أيضاً، كما أنَّ لنا بعد موتنا أجساداً مثالية تتعلَّق بها أرواحنا كما سيأتي في كتاب الجنائز، وبه تنحلُّ كثير من الشُّبه الواردة على الأخبار(١).

---

(١) المرآة: ج٤، ص٢٧٢.

الْعَرْشِ، فَأَسْكَنَ ذَلِكَ النُّورَ فِيهِ، فَكُنَّا نَحْنُ خَلْقاً وَبَشَراً نُورَانِيِّينَ[٣]، لَمْ يَجْعَلْ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقَنَا مِنْهُ نَصِيباً، وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا مِنْ طِينَتِنَا وَأَبْدَانَهُمْ مِنْ طِينَةٍ مَخْزُونَةٍ مَكْنُونَةٍ أَسْفَلَ مِنْ تِلْكَ الطِّينَةِ، وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْهُ نَصِيباً، إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ[٤]، وَلِذَلِكَ صِرْنَا نَحْنُ وَهُمُ النَّاسَ[٥]، ....

---

[٣] (فكنَّا نحن خلقاً وبشراً نورانيِّين):

فحقيقتهم من نور عظمة الله، وطينتهم من تحت العرش، وكلّها نور لا مكان للظلمة فيها.

ولعلَّ المُراد بيان أنَّهم مخلوقات وليسوا آلهة، وهم بشر، لكن من جوهر أعلى من سائر النَّاس، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(٣)، وقد مرَّ شطر من الكلام حول أنَّ نظام العالم بُني على التفاضل في كلّ شيء.

[٤] (إلَّا للأنبياء):

فأرواحهم عليهم السلام خُلقت من عليِّين وأجسادهم من دون ذلك.

وفي هذا الحديث دلالة على فضل الأئمَّة عليهم السلام على الأنبياء عليهم السلام.

ثمَّ إنَّ خلق الأنبياء والشيعة من طينة واحدة لا يدلُّ على تساويهم بل يدلُّ على اتحاد أصلهم، ولا يُنافي ذلك فضل بعضهم على بعض، كما أنَّ بعض المؤمنين أفضل من بعض.

[٥] (صرنا نحن وهُم الناس):

أمَّا الكفَّار فهم كالأنعام بل هم أضلّ، فمن يستحق اسم الإنسانية هم

---

(١) سورة فصلت: الآية ٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٣.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢١.

وَصَارَ سَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ[٦]، لِلنَّارِ وَإِلَى النَّارِ[٧].

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ وَغَيْرِهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ رِئَابٍ، رَفَعَهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام:

الأنبياء والأئمَّة والمؤمنون، وأمَّا غيرهم فهم من طينة سجِّين لا يستحقون هذا الاسم ـ حتَّى وإن أُطلق عليهم ذلك في العرف واللغة ـ.

[٦] **(همج):**

في المقاييس: (الهمج): البعوض، ويُقال لرُذال النَّاس: الهمج، تشبيهاً(١).

[٧] **(للنار وإلى النار):**

أي عاقبتهم تكون النار، فهم خُلقوا لأجل النار، وسيكون مصيرهم إلى ما خلقوا منه، وذلك بسوء اختيارهم.

الحديث الثالث:

حاصل الحديث:

إنَّ تحت العرش نهراً وتحت ذلك النهر نور خلقه الله تعالى، وفي حافَّتي النهر روحان خلقهما الله تعالى: روح القدس، وروح من أمره، وإنَّ الله خلق الملائكة وأرواح الأنبياء من إحدى هاتين الرُّوحين.

ثمَّ إنَّ الله خلق طينات في الجنَّة وطينات في الأرض ـ ومصدر هذه الطينات من علِّيين كما يظهر من الأحاديث الأُخرى ـ فخلق أجسام الأنبياء من إحداهما.

وأمَّا أهل البيت عليهم السلام ـ وسيِّدهم رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله ـ فقد خلقوا من الرُّوحين ومن الطينات العشر جميعاً.

---

(١) المقاييس: ص١٠٣٥.

إِنَّ لِلَّهِ نَهَراً دُونَ عَرْشِهِ[١]، وَدُونَ النَّهَرِ الَّذِي دُونَ عَرْشِهِ نُورٌ نَوَّرَهُ[٢]، وَإِنَّ فِي حَافَّتَيِ النَّهَرِ رُوحَيْنِ مَخْلُوقَيْنِ[٣]: رُوحُ الْقُدُسِ[٤]، وَرُوحٌ مِنْ أَمْرِهِ[٥]،

---

[١] **(دون عرشه):**
أي تحت عرشه ـ كما مرَّ في أحاديث الشربة من تحت العرش ـ وهذا النهر يقع فوق نور خلقه الله تعالى.

[٢] **(نور نوَّره):**
«نوَّره»: أي خلقه، وكثيراً ما تكون الأفعال بمعنى الإيجاد باعتبار إيجاد متعلقها، كحدث أحدثه، وكتاب كتبه، وعلم علَّمه... وهكذا.

[٣] **(روحين مخلوقين):**
لعلَّ المُراد مادة الرُّوحين، فهي جسم لطيف نوراني خُلقت منها الأرواح، والقول بتجرُّد الأرواح خالٍ عن الدليل، بل الدليل على عكسه حيث دلّت بعض الروايات على أنَّ الرُّوح جسم لطيف، وقد مرَّت الإشارة إليه.
وإنَّما قال مخلوقين ردّاً لزعم النصارى والغلاة حيث توهموا أنَّها أزلية أو أنَّها آلهة.

[٤] **(روح القدس):**
وهي أشرف الرُّوحين، وقد مرَّ في باب أرواح الأئمَّة أنَّهم عليهم السلام مؤيدون بها، فراجع، والمعنى روح قدَّسها الله وطهَّرها، ولا يُراد بروح القدس ـ هنا ـ جبرئيل عليه السلام، ولا الرُّوح التي هي أعظم من الملائكة.

[٥] **(وروح من أمره):**
كما قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١)، وللروح في هذه الآية مصاديق ـ وبعضها من التأويل ـ:
منها: الرُّوح التي تحلّ في أبدان النَّاس، بها حياتهم، فيكون سؤالهم عن

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٥.

وَإِنَّ لِلَّهِ عَشْرَ طِينَاتٍ: خَمْسَةً مِنَ الْجَنَّةِ، وَخَمْسَةً مِنَ الْأَرْضِ ـ فَفَسَّرَ الْجِنَانَ، وَفَسَّرَ الْأَرْضَ[٦] ـ ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْ نَبِيٍّ وَلَا مَلَكٍ مِنْ بَعْدِهِ[٧] جَبَلَهُ[٨] إِلَّا نَفَخَ

حقيقتها، وقد أبهم الله تعالى الجواب لعدم قابليتهم لفهمها، فإنَّ النَّاس يعجزون عن فهم حقائق المحسوسات بل يعرفونها بآثارها، وهم أكثر عجزاً عن فهم حقيقة غير المحسوسات.

ومنها: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله وهو مع الأئمَّة وهو من الملكوت ـ كما عن الإمام الصَّادق عليه السلام ـ.

ومنها: العلم ـ كما عن الإمام الباقر عليه السلام ـ(١).

ومنها: مادة أرواح الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام كما يظهر من هذا الحديث ـ ولا يخفى رجوع هذا المصداق إلى الأوَّل ـ.

وقد مرّت الإشارة إلى هذه في كتاب التوحيد فراجع.

[٦] **(ففسر الجنان وفسر الأرض):**

أي شرح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الطينات الخمس التي هي من الجنَّة ببيان أنَّها من خمس جنان، وكذا شرح المناطق التي أخذت منها الطينات الخمس التي من الأرض، لم يذكرها الراوي اختصاراً، وسيأتي بعد نهاية هذا الحديث شرح أماكن هذه الطينات العشر من حديث آخر.

[٧] **(من بعده):**

أي الملك من بعد النبي في المرتبة، لأنَّ الأنبياء أفضل من الملائكة طراً، أو (من بعده) زماناً فيدلُّ على أنَّ الأنبياء، خلقوا قبل الملائكة.

[٨] **(جبله):**

أي خلقه، والظاهر أنَّه صفة للنبي والملك، أي ما من نبي وملك خلقه الله إلَّا كان خلقه من إحدى الرُّوحين، والظاهر أنَّ روح القدس في

---

(١) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٦، ص١٦٠ ـ ١٦٢، وقد مرَّ بعضها في باب (الأرواح التي في الأئمَّة عليهم السلام) وباب (الرُّوح التي سيرد بها الأئمَّة عليهم السلام).

فِيهِ مِنْ إِحْدَى الرُّوحَيْنِ، وَجَعَلَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله مِنْ إِحْدَى الطِّينَتَيْنِ[٩]. قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ الْأَوَّلِ عليه السلام[١٠]: مَا الْجَبْلُ؟ فَقَالَ: الْخَلْقُ غَيْرَنَا[١١] أَهْلَ الْبَيْتِ، فَإِنَّ

الرُّسل، والرُّوح من أمره في سائر الأنبياء، كما لعلَّه يظهر من بعض الأحاديث(١).

[٩] **(وجعل النبي من إحدى الطينتين):**

أي خلق أبدان الأنبياء، «إحدى الطينتين» أي طينة الجنَّة وطينة الأرض، فخلق الأنبياء من إحداهما فهذه الطينات وإن كانت عشراً إلَّا أنَّها اعتبرت طينتين لأنَّها من الجنَّة ومن الأرض.

وإنَّما لم يذكر هنا الملك، لأنَّ الملائكة لا أبدان لهم، فكانت مادتهم واحدة، عكس الأنبياء حيث لهم روح وجسم فكانت مادتهم متعدِّدة ـ كذا قيل ـ.

[١٠] **(قلت: لأبي الحسن الأوَّل عليه السلام):**

الظاهر أنَّ علي بن رئاب عرض هذا الحديث المرويَّ عن أمير المؤمنين عليه السلام على الإمام الكاظم عليه السلام فسأله عن معنى (الجَبْل) في قول الإمام علي عليه السلام (من بعده جبله...).

[١١] **(الخلق غيرنا):**

الظاهر أنَّ المُراد هو أنَّ (الجَبْل) من إحدى الرُّوحين وإحدى الطينتين هو في غيرهم عليهم السلام، فالمعنى أنَّ خلق غيرنا كان بهذه الكيفية.

وأمَّا العلَّامة المجلسي رضوان الله عليه فاستظهر أنَّ جملة (قلت لأبي الحسن الأوَّل: ما الجبل؟ فقال: الخلق) هي جملة معترضة في وسط كلام أمير المؤمنين عليه السلام، فيكون كلامه عليه السلام هكذا: (... من إحدى الطينتين غيرنا أهل البيت...) فراجع كلامه في المرآة(٢).

---

(١) راجع أحاديث (باب فيه ذكر الأرواح التي في الأئمَّة).

(٢) المرآة: ج٤، ص٢٧٥.

اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَنَا مِنَ الْعَشْرِ طِينَاتٍ، وَنَفَخَ فِينَا مِنَ الرُّوحَيْنِ جَمِيعاً، فَأَطْيِبْ بِهَا طِيباً[١٢].

٤ ـ وَرَوَى غَيْرُهُ[١]، عَنْ أَبِي الصَّامِتِ قَالَ: طِينُ الْجِنَانِ[٢]: جَنَّةُ عَدْنٍ،

---

[١٢] (فأطيب بها طيباً):

«أطيب بها» صيغة فعل التعجُّب، و«طيباً» تمييز أو على الاختصاص.

الحديث الرابع:

[١] (وروى غيره):

أي روى غير علي بن رئاب تفصيل تلك الطينات العشر.

[٢] (طين الجنان. . . .) إلخ:

هذه جنات متعدِّدة سُمِّيت بهذه الأسامي:

فالأولى: جنَّة عدن، بمعنى الإقامة، قال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾(١).

والثانية: جنَّة المأوى، بمعنى إيواء نفوس المؤمنين عندها أي رجوعهم، قال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾(٢).

والثالثة: جنَّة النعيم، لتنعُّم المؤمنين فيها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾(٣).

والرابعة: جنَّة الفردوس، بمعنى البستان الجميل الجامع بين الثمر والزهر وسائر المناظر الحسنة(٤)، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾(٥).

والخامسة: جنَّة الخُلد، وهو دوام البقاء، قال تعالى: ﴿أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٦).

---

(١) سورة الصف: الآية ١٢.

(٢) سورة النجم: الآيتان ١٤ ـ ١٥.

(٣) سورة الحجر: الآية ٤٥.

(٤) تبيين القرآن: ص٣١٦.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ١١.

(٦) سورة الفرقان: الآية ١٥.

وَجَنَّةُ الْمَأْوَى، وَجَنَّةُ النَّعِيمِ، وَالْفِرْدَوْسُ، وَالْخُلْدُ. وَطِينُ الْأَرْضِ[٣]: مَكَّةُ، وَالْمَدِينَةُ، وَالْكُوفَةُ، وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَالْحَائِرُ.

٥ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِي نَهْشَلٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِنَا[١] مِمَّا خَلَقَنَا[٢]، وَخَلَقَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ، فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِي

---

[٣] (وطين الأرض. . .) إلخ:

الظاهر أنَّ هذه الطينات جعلت في هذه الأماكن، فاقتطع الله من عليِّين طينات جعلها فيها، وليس المعنى أنَّ الطينة هي كل تراب هذه المدن، فتأمَّل.

وقوله: (الكوفة)، قيل: المُراد مشهد أمير المؤمنين عليه السلام، والظاهر أنَّ المُراد طينة في مسجد السهلة كما يظهر من بعض الأخبار(١).

وقوله: (الحائر): هو أربعة وعشرون ذراعاً من جميع أطراف قبر الإمام الحسين عليه السلام.

الحديث الخامس:

[١] (وخلق قلوب شيعتنا):

أي أرواحهم.

[٢] (ممَّا خلقنا):

أي من عليِّين، وليس المُراد من أعلى عليِّين فالمادة هي عِلِّيُّون، ولعليِّين درجات ـ كما مرَّت الإشارة إليه ـ.

---

(١) الوسائل: ج٥، ص٢٦٦ عن التهذيب وكامل الزيارات.

إِلَيْنَا[٣]، لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خُلِقْنَا، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ[٤]: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۞ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ١٨-٢١]. وَخَلَقَ عَدُوَّنَا مِنْ سِجِّينٍ[٥]، وَخَلَقَ قُلُوبَ شِيعَتِهِمْ مِمَّا خَلَقَهُمْ مِنْهُ، وَأَبْدَانَهُمْ

---

[٣] **(فقلوبهم تهوي إلينا):**

كما قال: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾(١).

[٤] **(ثم تلا هذه الآية):**

في التقريب: ﴿كَلَّآ﴾ ليس الأمر كما زعمتم أيُّها المكذبون من أنَّكم أهل كرامة الله، إنَّ الكرامة ليست لكم، وإنَّما هي للأبرار ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ أي الكتاب الذي أدرج فيه أسماءهم، وعيَّن فيه مقاماتهم، و«أبرار» جمع (برّ) وهو المحسن عقيدة وعملاً ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ أي مراتب عالية، فإنَّهم مكتوب في سجِّلهم أنَّ مقامهم هناك، ثمَّ جاء السياق لتعظيم مقامهم بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أيُّها الإنسان، أو يا رسول الله ﴿مَا﴾ هي ﴿عِلِّيُّونَ﴾؟ إنَّه ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ قد سُجِّل، فلا يُمحى عنه أسماء الأبرار، ﴿يَشْهَدُهُ﴾ أي يعرفه ويعلم مزاياه ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي الملائكة المقرَّبون، وفي ذلك كرامة أُخرى للأبرار، لأنَّ الإنسان يُحبّ أن يطلع الناس وغيرهم على أعماله الحسنة(٢).

والحاصل: أنَّ الأبرار خلقوا من طينة علّيين، ولذا سُجِّلت أسماؤهم في ضمن العلّيين.

[٥] **(من سجِّين):**

روي أنَّها أسفل سبع أرضين، وأنَّها موضع جنود إبليس، وأنَّها موضع في جهنَّم(٣)، وأصل الكلمة من (السجن) بمعنى الحبس.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٧.

(٢) تقريب القرآن: ج٥، ص٦٣٨.

(٣) راجع البرهان: ج١٠، ص٢١٠ ـ ٢١٢.

مِنْ دُونِ ذَلِكَ[٦]، فَقُلُوبُهُمْ تَهْوِي إِلَيْهِمْ، لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِمَّا خُلِقُوا مِنْهُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ[٧]: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطفّفين: ٧-٩].

---

[٦] (وأبدانهم من دون ذلك):
«دون»: هنا بمعنى الغير، أي أبدانهم خلقت من غير سجِّين، وليس المعنى من تحت سجِّين، لأنَّ سجِّين أسوأ الأماكن.

[٧] (ثمَّ تلا هذه الآية):
في التقريب أيضاً: ﴿كَلَّآ﴾ ليس الأمر كما زعمتم من أنَّه لا حساب ولا جزاء، بل هناك يُجازى كلُّ إنسان بما عمل، فـ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ﴾ جمع فاجر، وهو العاصي لله سبحانه ـ سواء بالكفر أو الإثم ـ، والمُراد بكتابهم: ما أُدرج فيه أسماؤهم وخصوصياتهم ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ وهو السجِّل على جهة التخليد فيه، يعني أنَّه قُرِّر لهم السجن الأبدي، وهكذا سُجّل أسماؤهم بأنَّهم في سجِّين، كما تقول: «كتاب فلان في المجرمين» أي كُتب مجرماً في ضمن سائر المجرمين، ثمَّ جاء السياق لتهويل أمر سجِّين بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ أيُّها الإنسان، أو يا رسول الله ﴿مَا سِجِّينٌ﴾؟ فما أعلمك به؟ بل أنتم لا تدرون، إنَّما هو ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ قد رُقِّم وكُتب وفرغ منه، فلا يمكن تبديله وتغييره، بأن يُمحى اسم الفاجر منه ليدرج في كتاب الأبرار(١).
والحاصل: أنَّ طينة الفجَّار من سجِّين، ولذا سجّلت أسماؤهم ضمن أصحاب السجِّين.

---

(١) تقريب القرآن: ج٥، ص٦٣٦.

بَابُ التَّسْلِيمِ وَفَضْلِ الْمُسَلِّمِينَ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ سَدِيرٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: إِنِّي تَرَكْتُ مَوَالِيَكَ مُخْتَلِفِينَ، يَتَبَرَّأُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ[١] قَالَ: فَقَالَ: وَمَا أَنْتَ وَذَاكَ[٢]، إِنَّمَا كُلِّفَ النَّاسُ ثَلَاثَةً: مَعْرِفَةَ الْأَئِمَّةِ، وَالتَّسْلِيمَ لَهُمْ

التسليم هو الإذعان والانقياد، والمُراد هو قبول الحق الذي أنزله الله تعالى قلباً وعملاً بل والرضا به.

الحديث الأول:

[١] **(يتبرأ بعضهم من بعض):**

لعلَّ سبب ذلك أنَّ ذلك العصر كان بداية الانفتاح، لضعف الدولة الأموية وانشغالها بأعدائها، وكان الموالون قبل ذلك لا يعرفون من الحقّ إلَّا أقلَّه، ففتح الإمام الباقر عليه السلام عليهم أبواب المعرفة، ومن الطبيعي أن يكثر الاختلاف في بداية عهد الانفتاح حيث إنّ المطالب جديدة على النَّاس، فكثير منهم لا يعرف الأخبار أو لم يتعرَّف على معانيها، مضافاً إلى كثرة الكذَّابة، وخاصَّة أنَّ مجتمع الكوفة كان مجتمعاً مضطرباً لكثرة المذاهب والآراء، مع احتمال أن يكون منشأ الاختلاف التقيَّة أحياناً.

[٢] **(ما أنت وذاك):**

أي لا يهمّك ذاك الاختلاف، بل عليك أن تتبع النهج الصحيح لتصل إلى الحقّ، وذلك النهج يتمثَّل في:

فِيمَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ[٣]، وَالرَّدَّ إِلَيْهِمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ[٤].

---

١ ـ معرفة الأئمَّة والاعتقاد بهم، لأنَّ ذلك من أُصول الدِّين.
٢ ـ قبول كل ما صدر عنهم عليهم السلام ـ قولاً وعملاً ـ.
٣ ـ وفي نقاط الاختلاف إرجاع الأمر إليهم لمعرفة كلمة الفصل.

أمَّا في زمن الحضور فالردّ إليهم واضح، وأمَّا في حال الغيبة فعَرض مواطن الاختلاف على القواعد العامَّة التي قرروها في باب التعارض، ومع عدم التوصل إلى النتيجة فردّ علمه إليهم، بمعنى اتهام أفهامنا لا اتهام كلامهم، فإنَّ الحقائق التي نجهلها أكثر من معلوماتنا، فرُبَّ كلام نستنكر ظاهره مع كونه الحقّ الصريح.

وبذلك يتضح أنَّ ردَّ الروايات وإنكارها لمجرَّد عدم فهمها أو عدم تطابق محتوياتها مع موجة الحضارة الغربية، إنَّما هو بسبب ضعف التسليم، أعاذنا الله من التأثُّر بالبهرجة المزيَّفة.

[٣] **(فيما ورد عليهم):**

أي التسليم للأئمَّة فيما ورد على النَّاس من طرف الأئمَّة عليهم السلام.

[٤] **(والردّ إليهم فيما اختلفوا فيه):**

أي إرجاع الكلام إلى الأئمَّة عليهم السلام فيما اختلف النَّاس فيه، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(١)، وقد مرَّ أنَّ الردّ إليهم إنَّما هو ردّ إلى الله وإلى الرسول، أو المعنى إذا تنازعتم في أمر الإمامة وفي تعيين الإمام، فعليكم الرجوع إلى القرآن وإلى الرسول، وهما يرجعانكم إلى الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام.

---

(١) سورة النِّساء: الآية ٥٩.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْكَاهِلِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١]: لَوْ أَنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ[٢]، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ، وَحَجُّوا الْبَيْتَ، وَصَامُوا شَهْرَ رَمَضَانَ، ثُمَّ قَالُوا لِشَيْءٍ صَنَعَهُ اللَّهُ أَوْ صَنَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَلا صَنَعَ[٣] خِلَافَ الَّذِي صَنَعَ، أَوْ وَجَدُوا[٤] ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، لَكَانُوا بِذَلِكَ مُشْرِكِينَ[٥]، ....

الحديث الثاني:

[١] **(قال أبو عبد الله عليه السلام):**

حاصل الحديث: أنَّه لا يكفي مجرَّد عبادة الله وطاعته في أوامره، بل لا بُدَّ من التسليم لله وللرسول، بمعنى الإذعان لما قرره من حكم، والاعتقاد بصحته، والتسليم له، فلو أنَّ إنساناً قال أو خطر على قلبه أنَّ الأفضل هو غير ما قرَّره الله ورسوله فهذا مشرك بالله.

[٢] **(عبدوا الله. . .) إلخ:**

هذا في جانب العقيدة، فخصّوا العبادة به، وقوله: (وأقاموا الصلاة. . .) إلخ في جانب العمل، وذكر الإمام عليه السلام أهل الطاعات العملية.

[٣] **(ألا صنع):**

الهمزة للاستفهام الإنكاري، أي لماذا صنع الله هكذا، سواء في التكوين كالاعتراض على موت عزيز أو قلَّة رزق ونحوهما، أم في التشريع كالاعتراض على الواجبات والمحرَّمات وسائر الأحكام التكليفية أو الوضعيَّة.

[٤] **(أو وجدوا):**

أي لم ينطقوا بذلك بل خطر على قلوبهم.

[٥] **(لكانوا بذلك مشركين):**

١ ـ إن كان تشكيكاً في حكمة الله وعلمه فهو شرك حقيقي، فإذا نطق به

ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ[٦]: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النّساء: ٦٥]، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: عَلَيْكُمْ بِالتَّسْلِيمِ.

فهو شرك جلي، وإلّا كان شركاً خفياً.

وإنَّما كان شركاً لأنَّ هذا الشخص يفترض نفسه أعلم وأكثر حكمة من الله تعالى، فأشرك نفسه مع الله في علمه وحكمته.

٢ ـ وإن لم يكن تشكيكاً فيه تعالى، بل من باب صعوبة الحكم مع الاعتقاد بصحته، فالمُراد الشِّرك هو نقصان الإيمان.

نظير المجرم الذي يحكم عليه بعقوبة، فهو يُذعن باستحقاقه لها وأنَّها مطابقة للعدل، لكنَّها ثقيلة عليه.

[٦] (ثمَّ تلا هذه الآية):

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾(١)، ثمَّ نفى الله تعالى ما زعموه من الإيمان فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ قسماً به، ولم يقل «وربّهم» لأنَّ من لا يرضى بحكم الله وبحكم الرسول مشرك اتخذ أرباباً آخرين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إيماناً كاملاً مرضيّاً يدخلون به الجنَّة ﴿حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ أي يجعلوك حَكَماً ﴿فِيمَا شَجَرَ﴾ من «الشّجار» بمعنى الخصومة ﴿بَيْنَهُمْ﴾ فإنَّه في الخصومات يظهر الإيمان الواقعي من الإيمان اللّساني، لتجمُّع أسباب الانحراف من المصلحة والعناد والهوى... إلخ، فدفعها أجمع دليل على حقيقة الإيمان، وأظهر مصاديق الشجار هو خصومتهم في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ أي ضيقاً ﴿مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ وهذا في الجانب النفسي، وأمّا في الجانب العملي ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ أي ينقادوا لحكمك ﴿تَسْلِيمًا﴾.

---

(١) سورة النّساء: الآية ٦٠.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ عِنْدَنَا رَجُلًا يُقَالُ لَهُ كُلَيْبٌ، فَلَا يَجِيءُ عَنْكُمْ شَيْءٌ إِلَّا قَالَ: أَنَا أُسَلِّمُ، فَسَمَّيْنَاهُ كُلَيْبَ تَسْلِيمٍ، قَالَ: فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا التَّسْلِيمُ؟ فَسَكَتْنَا، فَقَالَ: هُوَ وَاللَّهِ الْإِخْبَاتُ[١]، قَوْلُ اللَّهِ[٢]

والحاصل: علامة الإيمان الحق هي الرجوع إلى الرسول صلى الله عليه وآله ثمَّ الإذعان النفسي والانقياد العملي لما يحكم به حتَّى وإن كان على خلاف الرغبة.

وقيل: (الحرج) هو الشَّكّ هنا لأنَّ الشَّاكَّ في ضيق من أمره، وقيل: ﴿لَا يَجِدُواْ﴾ مرتبة الرِّضا، ﴿وَيُسَلِّمُواْ﴾ مرتبة فوق الرِّضا.

الحديث الثالث:

[١] **(هو والله الإخبات):**

أصل (الخبت): الأرض المسطحة، لا ارتفاع فيها، ولذا يُقال: للمفازة لا نبات بها(١)، ثمَّ استعمل في الخشوع والتواضع.

فحاصل المعنى: أنَّ التسليم هو التواضع لله قلباً وعملاً، أمَّا قلباً فالإذعان بعلمه وحكمته تعالى وأنَّه لا يقضي إلَّا الحقّ، وقضائه بصالح المؤمنين، وهذا ينتج الرِّضا بمكروه القضاء والتسليم لله في كلّ شيء، وأمَّا عملاً فالإطاعة دائماً في كل صغيرة وكبيرة.

[٢] **(قول الله):**

أي هو قول الله... إلخ، وتتمة الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾، وترتيب الأوصاف في الآية: أنَّ الإيمان يبدأ باللِّسان، ثمَّ يظهر على العمل، ثمَّ يتجذَّر بحيث يصل الإنسان إلى درجة الإخبات.

ولا يخفى أنَّ الإخبات إنَّما هو في القلب، وتزكية النفس بالأعمال

---

(١) راجع مقاييس اللغة: ص٣٢١.

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ٢٣].

٤ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[١]:

الصالحة طريق للوصول إليه، وكلَّما كان حبّ الله أكثر كان الإخبات أشدّ، وفي زيارة أمين الله: (اللَّهمَّ إنَّ قلوب المخبتين إليك والهة).

الحديث الرابع:

[١] **(في قول الله تبارك وتعالى):**

استفاضت الأخبار بأنَّ (الحسنة) هنا هي مودَّة آل محمَّد عليهم السلام(١)، وصدر الآية ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً﴾ الآية.

ولا يخفى أنَّ هذه الأُمور الثلاثة ـ ببعض درجاتها ـ هي سبب للمودَّة، كما أنَّ درجاتها العليا تكون بسبب المودَّة، فالتسليم والصدق وترك الكذب سبب لحصول مودَّتهم في القلب، ثمَّ إنَّ هذه المودَّة تكون سبباً لحصول الدرجات العالية لهذه الثلاثة.

والحاصل: كلَّما كانت هذه الثلاثة أقوى كانت المودَّة أشدّ، وكلَّما اشتدَّت المودَّة تحقَّقت درجات عالية من هذه الثلاثة، فتأمَّل.

وعلى كلِّ حال فتفسير (الحسنة) بهذه الثلاثة تفسير ببيان السبب أو المُسبّب.

ومعنى الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على أداء الرِّسالة ﴿أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ﴾ إظهار المحبَّة ﴿فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ أقرباء الرسول صلى الله عليه وآله، ونفع هذا عائد إليكم أيضاً، لأنَّ القربى شارحون للقرآن هادون للصواب، ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ﴾ أي يكتسب ﴿حَسَنَةً﴾ العمل الحسن وهو المودَّة ﴿نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ وذلك لتضاعف الثواب، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للسيِّئات، ﴿شَكُورٌ﴾ للحسنات، فمَنْ ودَّهم غفر الله له وتقبّل عمله.

---

(١) راجع البرهان: ج٨، ص٥٠٢ فما بعد.

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣]، قَالَ: الِاقْتِرَافُ: التَّسْلِيمُ لَنَا، وَالصِّدْقُ عَلَيْنَا، وَأَلَّا يَكْذِبَ عَلَيْنَا[٢].

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ بَشِيرٍ الدَّهَّانِ، عَنْ كَامِلٍ التَّمَّارِ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] أَتَدْرِي مَنْ هُمْ؟ قُلْتُ: أَنْتَ أَعْلَمُ، قَالَ: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الْمُسَلِّمُونَ[١]، إِنَّ الْمُسَلِّمِينَ هُمُ النُّجَبَاءُ[٢]، فَالْمُؤْمِنُ غَرِيبٌ[٣]، ....

---

[٢] (الصدق علينا وألّا يكذب علينا):
في المرآة: ولا يتوهم التكرار في الثاني والثالث، لأنَّ الصدق عليهم لا يُنافي الكذب عليهم، فالثاني رواية الأحاديث الصادقة عنهم، والثالث ترك رواية الأخبار الكاذبة عليهم، ولا يغني شيء منهما عن الآخر(١).

الحديث الخامس:

[١] (المؤمنون المسلمون):
فسَّر المؤمن بالمسلِّم، لقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الآية.
ولا يخفى أنَّ للإيمان درجات، ولكن المُراد هنا الدرجة العليا، لأنَّ الفلاح إنَّما هو للمؤمن المُسلِّم، كما أنَّ الصفات المذكورة في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾... الآيات، هي صفات كاملي الإيمان، فبقرينة الفلاح وهذه الصفات فُسِّرت الآية بالمؤمن المُسلِّم.

[٢] (هم النُّجباء):
جمع نجيب وهو الكريم الأصل، يُقال: انتجب فلاناً: أي استخلصه واصطفاه.

[٣] (فالمؤمن غريب):
أي حيث إنَّ المؤمن هو المُسلِّم، فلذا كان المؤمنون أقليّة، وذلك لأنَّ

---

(١) المرآة: ج٤، ص٢٨٢.

فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ[٤].

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنِ الْخَشَّابِ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ رَبِيعٍ الْمُسْلِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَكْمِلَ الْإِيمَانَ كُلَّهُ[١]

غالب من أظهر الإيمان غير مُسلِّم.

وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «المؤمن غريب وطوبى للغرباء»؛ ولعلَّ الإمام عليه السلام في صدد بيان معنى هذا الحديث.

فظهر سبب وصف المؤمن بأنَّه غريب، لأنَّ (الغريب) هو الذي لا يأنس بمن حوله، كالمسافر وحده لا يعرف الناس ليأنس بهم، وكذا المؤمن في خِضِمِّ مجتمع ضعيف الإيمان لا يتمكن من الأُنس بأحدٍ من النَّاس لئلّا يقع في معاصيهم، ولاختلاف طريقه عن طريق سائر النَّاس فهو غريب، حتَّى وإن كان بين أهله وفي وطنه.

[٤] **(فطوبى للغرباء):**

«طوبى» مؤنث أطيب، فالمعنى فهنيئاً له، وهناك شجرة في الجنَّة أصلها في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، ويكون في كلّ بيت من بيوت أهل الجنَّة غصن من أغصانها، وتُسمَّى شجرة طوبى، ولعلَّ المُراد في هذا الحديث وأشباهه هذه الشجرة.

الحديث السادس:

[١] **(يستكمل الإيمان كلّه):**

لأنَّ الإمامة من أركان الإيمان، فالاعتقاد الناقص بها نقص في الإيمان، وتكميلها بأن يعتقد الإنسان بصحة كل ما قاله الأئمّة عليهم السلام مُسلِّماً لهم في ذلك كله، سواء جهروا به أم أخفوه، وسواء بلغه أم لم يبلغه، فبذلك تكون عقيدته في الإمامة كاملة، فيكون كامل الإيمان ـ بعد عقيدته الصحيحة في التوحيد والنُّبوَّة والمعاد ـ.

فَلْيَقُلِ: «الْقَوْلُ مِنِّي[٢] فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ قَوْلُ آلِ مُحَمَّدٍ، فِيمَا أَسَرُّوا[٣] وَمَا أَعْلَنُوا، وَفِيمَا بَلَغَنِي عَنْهُمْ وَفِيمَا لَمْ يَبْلُغْنِي».

٧ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ زُرَارَةَ أَوْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ: لَقَدْ خَاطَبَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[١] فِي كِتَابِهِ، قَالَ: قُلْتُ: فِي أَيِّ مَوْضِعٍ؟ قَالَ: فِي قَوْلِهِ:

---

[٢] (القول منّي):
أي ما اعتقد به في الأُصول والفروع بل وغيرهما.

[٣] (فيما أسرُّوا):
لعدم مصلحة في الإجهار كالتقيَّة أو غيرها.

الحديث السابع:

[١] (خاطب الله تعالى أمير المؤمنين عليه السلام):
قيل: المعنى أنه تعالى وجَّه الخطاب له عليه السلام، فضمائر المُخاطب في ﴿جَآءُوكَ﴾ و﴿وَرَبِّكَ﴾ و﴿يُحَكِّمُوكَ﴾ ترجع إليه عليه السلام، وقد وردت به روايات مستفيضة(١)، وقيل: لو كان الخطاب إلى الرسول صلى الله عليه وآله لقال: «واستغفرت لهم»، فإنَّ الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ثمَّ العود إلى الخطاب نادر جداً، وفي الحديث: عنى بهذا علياً عليه السلام وتصديق ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ﴾ يعني علياً ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ يعني النبي صلى الله عليه وآله(٢).
أقول: الظاهر أنَّ هذا من بطون القرآن الكريم، وهو تأويل للآية، ولعلّه باعتبار أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام هو نفس الرسول صلى الله عليه وآله، كما دلَّت عليه آية المباهلة، أو إن شأن نزولها في رسول الله محمد صلى الله عليه وآله ولكن حكمها يشمل أمير المؤمنين علياً عليه السلام أيضاً، لأنّ شأن النزول لا يخصص عموم الحكم غالباً، فتأمّل.

---

(١) راجع البرهان: ج٣، ص١٥٦، فما بعد.
(٢) المصدر نفسه: ج١، ص١٥٨.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، فِيمَا تَعَاقَدُوا عَلَيْهِ[٢]: لَئِنْ أَمَاتَ اللَّهُ مُحَمَّداً أَلَّا يَرُدُّوا هَذَا

وأمّا تفسير الآية: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فليس الرسول صلى الله عليه وآله لمجرَّد الوعظ حتَّى يراجعه النَّاس متى ما شاؤوا ويُراجعوا غيره إذا لم يشاؤوا مراجعته، بل إنَّ الرسول أرسل لإطاعة النَّاس له في جميع شؤونهم، فهو المأذون من قِبل الله سبحانه في أن يُطاع(١) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ المنافقون والعُصاة ﴿إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ بالنِّفاق والمعصية، ومن أظهر مصاديق الظلم: ما تعاقدوا ووقعوا عليه في الصحيفة الملعونة، بمنع خلافة الإمام عليّ عليه السلام، لكن الله فتح لهم باب التوبة فلو ﴿جَآءُوكَ﴾ تائبين معتذرين، ﴿فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ﴾ طلبوا غفرانه، ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ بأن وجدهم أهلاً لطلب المغفرة من الله لهم، ﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ﴾ بإخبار الرسول صلى الله عليه وآله لهم ﴿تَوَّابًا﴾ يرجع إليهم بلطفه ﴿رَّحِيمًا﴾ فليس مجرَّد قبول التوبة بل ويفيض الرَّحمة عليهم، ولكن الله علم عدم توبتهم ولذا جاء بحرف «لو» الذي هو حرف امتناع، وأمَّا الآية التالية فقد ذكرنا تفسيرها في الحديث الثاني من هذا الباب.

[٢] **(فيما تعاقدوا عليه. . .) إلخ:**

هذا إمَّا شأن نزول الآية، وإمَّا تفسير بالمصداق الأبرز.

ثمَّ إنَّ تشاجرهم فيما تعاقدوا، إمَّا لأجل أنَّهم في البداية اختلفوا وتخاصموا بينهم، ثمَّ اتفقوا فتعاقدوا، وإمَّا فيما وقع بينهم من النزاع مع الله ورسوله والمؤمنين بهذا التعاقد، فإنَّ الله تعالى كان معهم وفيما بينهم، كما قال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾(٢)، والرسول صلى الله عليه وآله أيضاً كان عالماً بما أسرّوا من

---

(١) التقريب: ج١، ص٥٠٠.

(٢) سورة النِّساء: الآية ١٠٨.

الْأَمْرَ[٣] فِي بَنِي هَاشِمٍ، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ عَلَيْهِمْ مِنَ الْقَتْلِ أَوِ الْعَفْوِ[٤]، ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النّساء: ٦٤-٦٥].

٨ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ عُقْبَةَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ أَيْمَنَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزُّمَر: ١٨] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، قَالَ: هُمُ الْمُسَلِّمُونَ لِآلِ

مخالفته، فكأنّه كان فيهم شاهداً على منازعتهم إيّاه ـ كذا في الوافي(١) ـ.

[٣] (ألّا يردّوا هذا الأمر):

أي الإمارة، والمعنى: أن لا تبقى في بني هاشم بل يغصبوها، وإنّما قال: (لا يردوا)، لأنّه بوفاة الرسول كأنّها خرجت من بني هاشم، وبتسلّم أمير المؤمنين لها كأنّها رجعت إلى بني هاشم.

[٤] (عليهم من القتل أو العفو):

الذي أشارت إليه الآية اللاحقة، قال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾(٢).

الحديث الثامن:

[١] (عن قول الله عزّ وجلّ):

قد مرَّ تفسير الآية، وذكرنا أنَّ ضميره ﴿أَحْسَنَهُ﴾ إمّا يرجع إلى القول فالمعنى يستمعون الأقوال المختلفة ثمّ يختارون أحسنها فيتبعونها، وإمّا

---

(١) الوافي: ج٢، ص١١٣.

(٢) سورة النّساء: الآية ٦٦.

مُحَمَّدٍ، الَّذِينَ إِذَا سَمِعُوا الْحَدِيثَ لَمْ يَزِيدُوا فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصُوا مِنْهُ، جَاؤوا بِهِ كَمَا سَمِعُوه[٢].

يرجع إلى «الاتباع» المصطيد من فعل (يتبعون)، فالقول هو القرآن يستمعونه ثمَّ يتبعونه بأحسن الاتباع.

وظاهر هذا الحديث هو حسب التفسير الثاني.

[٢] **(جاؤوا به كما سمعوه):**

عطف بيان لقوله تعالى: (لم يزيدوا فيه ولم ينقصوا منه)، والمُراد أنَّهم لم يغيِّروا المعنى، وأمَّا النقل بالمعنى مع حفظ المضمون بلا زيادة ولا نقيصة فلا بأس به، كما مرّ.

بَابُ أَنَّ الْوَاجِبَ عَلَى النَّاسِ بَعْدَ مَا يَقْضُونَ مَنَاسِكَهُمْ أَنْ يَأْتُوا الْإِمَامَ فَيَسْأَلُونَهُ[١] عَنْ مَعَالِمِ دِينِهِمْ وَيُعْلِمُونَهُمْ وَلَايَتَهُمْ وَمَوَدَّتَهُمْ لَهُ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: نَظَرَ إِلَى النَّاسِ يَطُوفُونَ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: هَكَذَا كَانُوا يَطُوفُونَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ[١]، إِنَّمَا أُمِرُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهَا، ثُمَّ

---

[١] الفاء في قوله: (فيسألونه) للاستئناف، والتقدير فهم يسألونه ـ كما في المرآة ـ، ولو كانت الفاء عاطفة لوجب حذف النون لكونها معطوفة حينئذٍ على (أن يأتوا).

الحديث الأوّل:

حاصل الحديث: أنَّ العبادات من غير معرفتهم غير صحيحة، إذ شرط صحتها وقبولها ولايتهم، كما مرَّ تفصيله سابقاً.

وقد استفاضت الأخبار ـ من العامَّة والخاصَّة وبمضامين متقاربة ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية»(١)، وقد مرّ تفصيل القول فيه، فالحاج الذي لا يعرف إمام زمانه عمله كعمل أهل الجاهلية وميتته كميتتهم.

[١] **(هكذا كانوا يطوفون في الجاهلية):**

لأنَّ مناسك الحجّ لم تتعرَّض إلى تحريف كبير في الجاهلية، بل بقي

---

(١) البحار: ج٢٣، ص٧٦، والروايات متواترة راجعها في المصدر: ص٧٦ ـ ٩٥.

يَنْفِرُوا إِلَيْنَا، فَيُعْلِمُونَا وَلَايَتَهُمْ وَمَوَدَّتَهُمْ، وَيَعْرِضُوا عَلَيْنَا نُصْرَتَهُمْ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ دَاوُدَ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام ـ وَرَأَى النَّاسَ بِمَكَّةَ وَمَا يَعْمَلُونَ[١] ـ قَالَ: فَقَالَ: فِعَالٌ كَفِعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، أَمَا وَاللَّهِ

غالب شعائرها كما بيَّنها نبيّ الله إبراهيم عليه السلام، فكانوا يطوفون من غير معرفة بأُصول الدِّين، وهكذا هؤلاء الطائفون طوافهم من غير معرفة بالإمام ـ الذي معرفته من أُصول الدِّين ـ، فعملهم كأولئك.

وفي الوافي: هكذا كانوا يطوفون يعني من دون معرفة بالمقصود الأصلي من الأمر بالإتيان إلى الكعبة والطواف، فإنَّ إبراهيم (على نبيّنا وآله وعليه السَّلام) حين بنى الكعبة وجعل لذرِّيَّته عندها مسكناً قال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾، فاستجاب الله تعالى دعاءه، وأمر النَّاس بالإتيان إلى الحجّ من كلّ فجٍّ عميق، ليتحبَّبوا إلى ذرِّيَّته، ويعرضوا عليهم نصرتهم وولايتهم، ليصير ذلك سبباً لنجاتهم، ووسيلة إلى رفع درجاتهم، وذريعة إلى تعرُّف أحكام دينهم، وتقوية إيمانهم ويقينهم، وعرض النصرة أن يقولوا لهم: هل لكم من حاجة في نصرتنا لكم في أمر من الأمور(١).

الحديث الثاني:

[١] (وما يعملون):

كالازدحام على الحجر الأسود والتنازع عليه ونحو ذلك.

---

(١) الوافي: ج٢، ص١١٥.

مَا أُمِرُوا بِهَذَا، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا أَنْ يَقْضُوا تَفَثَهُمْ، وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ[٢]، فَيَمُرُّوا بِنَا[٣]، فَيُخْبِرُونَا بِوَلَايَتِهِمْ، وَيَعْرِضُوا عَلَيْنَا نُصْرَتَهُمْ.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ السِّنْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ ـ جَمِيعاً ـ، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ سَدِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام ـ وَهُوَ دَاخِلٌ وَأَنَا خَارِجٌ[١] وَأَخَذَ بِيَدِي ....

---

[٢] (يقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم):

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾(١).

و«التفث»: الوسخ، والمعنى: ليزيلوا أوساخهم من حلق الشعر وقصّ الظفر واستعمال طيب ونحوها من محرَّمات الإحرام التي تحلّ بعد أداء مناسك منى، وقيل: هو كناية عن الخروج من الإحرام إلى الإحلال.

و«وفاء النذر»: ذبح أو نحر ما نذروه لله سبحانه، إضافة إلى الهدى.

و«الطواف بالبيت العتيق»: يُراد به طواف النِّساء ـ كما في بعض الأحاديث(٢) ـ، فإنَّه واجب مستقلّ ظرفه بعد أعمال الحجّ.

[٣] (فيمرّوا بنا):

لعلَّه بيان لتأويل قضاء التفث، ففي بعض الأحاديث تأويل: (قضاء التفث) بلقاء الإمام عليه السلام(٣)، لأنَّه بلقائه يزيل الإنسان من نفسه الأوساخ المعنوية من العقائد الباطلة، والآراء الكاسدة، والجهل، والضلال... إلخ.

الحديث الثالث:

[١] (وهو داخل وأنا خارج):

أي إلى ومن المسجد الحرام.

---

(١) سورة الحج: الآية ٢٩.

(٢) راجع البرهان: ج٦، ص٥٤٨.

(٣) المصدر نفسه: ج٦، ص٥٥٠.

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْبَيْتَ[٢] - فَقَالَ: يَا سَدِيرُ، إِنَّمَا أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَأْتُوا هَذِهِ الْأَحْجَارَ[٣] فَيَطُوفُوا بِهَا، ثُمَّ يَأْتُونَا فَيُعْلِمُونَا وَلَايَتَهُمْ لَنَا، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] - ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ - إِلَى وَلَايَتِنَا[٤]. ....

---

[٢] (وأخذ بيدي ثمَّ استقبل البيت):

لعلَّ ذلك ليكون للكلام وقع أكثر، فإنَّ السماع لو اقترن بالرؤية كان أكثر تأثيراً.

[٣] (أن يأتوا هذه الأحجار):

لعلَّ التعبير بالأحجار، للدلالة على أنَّها ليست المقصودة بالذات، إذ هي أحجار لا تضرُّ ولا تنفع، فلا بُدَّ أن يكون الغرض أمراً أهم، وهو روح الحجّ والمنفعة الأساسية منه، وفي المرآة: كأنَّ التعبير بهذه العبارة للتنبيه على أنَّ في أمر الحكيم العليم بإتيان هذه الأحجار لا بُدَّ من سِّر عظيم وحكمة جليلة هي إتيان الإمام وعرض الولاية عليهم، فظاهره أحجار وباطنه موالاة الأئمَّة الأبرار(١).

[٤] (إلى ولايتنا):

أي ثم اهتدى إلى ولايتنا، فلا يكفي مجرَّد التوبة والإيمان بالله والعمل الصالح، بل لا بُدَّ من اكتمال العقيدة بولايتهم، فإنَّ العقيدة الناقصة لا تُغني شيئاً، وفي بعض الأحاديث إنَّ الله يؤاخذ من لم يُوالِهِم حتَّى بذنوبه التي ارتكبها في الجاهلية(٢)، وذلك لأنَّ بعض الذُّنوب يدرك العقل قبحها، مضافاً إلى وجود شريعة كان يلزمهم اتباعها، فكلّ ذنوبهم تسجّل عليهم، فإن آمن وعمل صالحاً واهتدى إلى ولايتهم غفر الله تلك الذُّنوب كلّها، تفضُّلاً منه ورحمة.

---

(١) المرآة: ج٤، ص٢٨٧.

(٢) راجع بحار الأنوار: ج٢٧، ص٢١٨ فما بعد، باب ذمّ مبغضيهم.

ثُمَّ قَالَ: يَا سَدِيرُ، فَأُرِيكَ الصَّادِّينَ عَنْ دِينِ اللَّهِ[٥]؟ ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ[٦]، فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ[٧]، وَهُمْ حَلَقٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ الصَّادُّونَ عَنْ دِينِ اللَّهِ بِلَا هُدًى مِنَ اللَّهِ وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ[٨]، إِنَّ هَؤُلَاءِ

---

[٥] **(الصَّادِّين عن دين الله):**

أي المانعين النَّاس عن دينه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾(٢).

[٦] **(إلى أبي حنيفة وسفيان الثوري):**

أحدهما مفتٍ يصدُّ من يريد معرفة أحكامه الشرعية، والآخر صوفي يصدُّ من يحتاج إلى المعنويات، وذلك لأنَّ الله تعالى جعل أهل البيت عليهم السلام ملجأً للنَّاس في أمورهم كلّها، فبمراجعتهم تنحلّ مشاكلهم على حسب ما يريد الله تعالى، لكن الصَّادين يستغلون جهل النَّاس وحاجتهم إلى الفتوى والمعنويات بأكاذيب لفَّقوها من عند أنفسهم.

[٧] **(في ذلك الزَّمان):**

أي ذلك الوقت الذي كان الإمام عليه السلام يُكلِّم سديراً، ويبدو أنَّ تلك الحلقات كانت كثيرة، لكن في ذلك الوقت كانت تلك الحلقتان منعقدتين.

[٨] **(بلا هدى من الله ولا كتاب مبين):**

هذا تأكيد لصدِّهم عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾(٣).

---

(١) سورة الزخرف: الآيتان ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) سورة النِّساء: الآية ٦١.

(٣) سورة لقمان: الآية ٢٠.

الْأَخَابِثَ لَوْ جَلَسُوا[٩] فِي بُيُوتِهِمْ، فَجَالَ النَّاسُ فَلَمْ يَجِدُوا أَحَداً يُخْبِرُهُمْ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ، حَتَّى يَأْتُونَا فَنُخْبِرَهُمْ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ.

---

[٩] **(لو جلسوا. . . .) إلخ:**

إنَّ صاحب الحاجة يبحث حتَّى يصل إلى مقصوده، فإن لم يكن شياطين الإنس يخدعونهم لوصلوا إلى الحقّ ببحثهم، نظير من يحتاج إلى طبيب متخصّص، فلو كثر أدعياء الطب لاحتار بينهم ولانخدع أكثر النَّاس بالأدعياء، لكن لو لم يكن إلَّا الطبيب الحقيقي لوصلوا إليه حتَّى وإن كان في مكان مغمور.

و«لو»: في (لو جلسوا) إمَّا للتمني، أو شرطية مع حذف الجزاء أي لكان خيراً لهم.

بَابُ أَنَّ الْأَئِمَّةَ تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بُيُوتَهُمْ وَتَطَأُ بُسُطَهُمْ وَتَأْتِيهِمْ بِالْأَخْبَارِ عليهم السلام

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ، عَنْ مِسْمَعٍ كِرْدِينٍ الْبَصْرِيِّ قَالَ: كُنْتُ لَا أَزِيدُ عَلَى أَكْلَةٍ[١] بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَرُبَّمَا اسْتَأْذَنْتُ عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَأَجِدُ الْمَائِدَةَ قَدْ رُفِعَتْ[٢]، لَعَلِّي لَا أَرَاهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا دَخَلْتُ دَعَا بِهَا فَأُصِيبَ مَعَهُ

الحديث الأوّل:

[١] (لا أزيد على أكلة):

أي واحدة، لأنَّه كان يشكو من بطنه، وكان الطعام يؤذيه، فلذا كان يأكل بمقدار الضرورة، لا يزيد عليها، ولذا كان يتحرَّى الوقت الذي ليس وقت الطعام عادة، فكان يأتي الإمام عليه السلام في ذلك الوقت، لئلّا يدعوه الإمام عليه السلام إلى الأكل فيضطر إلى الاستجابة حياءً منه عليه السلام، لكن مع ذلك كان الإمام عليه السلام يأمر بإعادة المائدة ويدعوه إلى الأكل ويأكل معه لئلّا يحتشم، ولم يكن سدير يُصيبه ضرر ذلك الطعام ببركة الإمام عليه السلام.

[٢] (وأجد المائدة قد رُفعت):

جملة حالية، يعني استأذنت عليه والحال أنّي أجد في نفسي أنَّ المائدة قد رُفعت. والمعنى: أنّي كنت أتعمَّد الاستئذان عليه بعد رفع المائدة لئلّا يدعوني إلى الأكل.

مِنَ الطَّعَامِ وَلَا أَتَأَذَّى بِذَلِكَ، وَإِذَا عَقَّبْتُ بِالطَّعَامِ عِنْدَ غَيْرِهِ[٣]، لَمْ أَقْدِرْ عَلَى أَنْ أَقِرَّ، وَلَمْ أَنَمْ مِنَ النَّفْخَةِ، فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ بِأَنِّي إِذَا أَكَلْتُ عِنْدَهُ لَمْ أَتَأَذَّ بِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا سَيَّارٍ: إِنَّكَ تَأْكُلُ[٤] طَعَامَ قَوْمٍ صَالِحِينَ، تُصَافِحُهُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِهِمْ، قَالَ: قُلْتُ: وَيَظْهَرُونَ لَكُمْ[٥]؟ قَالَ: فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى بَعْضِ صِبْيَانِهِ، فَقَالَ: هُمْ أَلْطَفُ بِصِبْيَانِنَا مِنَّا بِهِمْ[٦].

---

[٣] (عقبت بالطعام عند غيره):

أي أكلت الطعام عند سائر النَّاس، وإنَّما قال: (عقبت) لأجل أنَّ الطعام يكون بعد الزيارة واللِّقاء.

[٤] (إنَّك تأكل....) إلخ:

المقصود إنَّهم مباركون، ومن بركتهم عدم التأذِّي بطعامهم، فإنَّ الله سبحانه جعلهم سبباً للخير في كلّ الأُمور ـ معنويةً ومادِّيَّة ـ، قال تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾(١).

وأمَّا قوله: «تصافحهم الملائكة» فهو لبيان شدَّة صلاحهم بحيث إنَّ الملائكة تصافحهم، وليس المُراد أنَّ سبب عدم التأذِّي هو وجود الملائكة، بل سببه هو بركتهم وشدَّة صلاحهم، ومن علائم الصلاح مصافحة الملائكة.

[٥] (ويظهرون لكم):

قد مرَّ أنَّهم لا يرون الملائكة حين تحديثهم، ويرونهم في سائر الأحوال.

والظاهر أنَّ الإمام عليه السلام أعرض عن جوابه، ببيان أنَّ الملائكة يلطفون بصبيانهم كرامة لهم عليهم السلام، فكرامتهم عليهم السلام عند الملائكة أهم من رؤيتهم عليهم السلام لهم.

وقيل: المعنى يظهرون لنا لخدمة صبياننا.

[٦] (هم ألطف بصبياننا منَّا بهم):

لأنَّ التربية قد تقتضي الشِّدَّة أحياناً، لكن الملائكة يلطفون بهم دائماً.

---

(١) سورة مريم: الآية ٣١.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَا حُسَيْنُ ـ وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى مَسَاوِرَ[١] فِي الْبَيْتِ ـ مَسَاوِرُ طَالَمَا اتَّكَتْ[٢] عَلَيْهَا الْمَلَائِكَةُ، وَرُبَّمَا الْتَقَطْنَا مِنْ زَغَبِهَا[٣].

نظير الأب الذي قد يتعامل مع أبنائه بشدَّة أحياناً لتربيتهم، في حين أنَّ سائر الأقرباء يلطفون بهم دائماً ويتركون الشِّدَّة للأبوين، فتأمَّل.
أو المعنى أنّ الملائكة يخدمونهم دائماً في حين أنّ الأئمّة ﷺ قد يراعونهم وقد يتركون الرعاية لغيرهم، فتأمّل.

الحديث الثاني:

[١] **(مساور):**
جمع (مِسْوَر) أو (مِسْوَرة) وهي وِسادة يتَّكأ عليها، قيل هي من جلود.

[٢] **(طالما اتكت. . . .) إلخ:**
قال العلَّامة المجلسي رضوان الله عليه: والخبر يدلُّ صريحاً على تجسم الملائكة، وأنَّهم أولو أجنحة، كما عليه إجماع المسلمين ردّاً على الفلاسفة ومن يتبعه(١).
وذكرنا فيما مضى أنَّه لا مجرَّد سوى الله تعالى، وكل المخلوقات أجسام، دلَّت على ذلك الأخبار، وأمَّا ادعاء التجرُّد فخالٍ عن الدليل، فلا يصح تأويل الآيات والروايات، فقوله تعالى: ﴿أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾(٢)، يدلُّ على أعضاء للملائكة، مع أنَّهم يقولون بأنَّ المجرَّدات بسيطة فيؤوّلون هذه الآية من غير دليل.

[٣] **(زغبها):**
«الزغب»: أوّل ما ينبت من الريش فيكون صغيراً ليناً.

---

(١) المرآة: ج٤، ص٢٨٩.
(٢) سورة فاطر: الآية ١.

٣ ـ مُحَمَّدٌ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ عَطِيَّةَ الْأَحْمَسِيُّ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَاحْتُبِسْتُ[١] فِي الدَّارِ سَاعَةً، ثُمَّ دَخَلْتُ الْبَيْتَ وَهُوَ يَلْتَقِطُ شَيْئاً، وَأَدْخَلَ يَدَهُ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ، فَنَاوَلَهُ مَنْ كَانَ فِي الْبَيْتِ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ: هَذَا الَّذِي أَرَاكَ تَلْتَقِطُهُ أَيُّ شَيْءٍ هُوَ؟ فَقَالَ: فَضْلَةٌ مِنْ زَغَبِ الْمَلَائِكَةِ نَجْمَعُهُ إِذَا خَلَّوْنَا[٢]، نَجْعَلُهُ سَيْحاً[٣] لِأَوْلَادِنَا، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ وَإِنَّهُمْ لَيَأْتُونَكُمْ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّهُمْ لَيُزَاحِمُونَّا عَلَى تُكَأَتِنَا[٤].

الحديث الثالث:

[١] **(فاحتبست):**

أي تأخّروا في الإذن لي، والظاهر أنَّ تأخيره لأجل وجود الملائكة ذلك الوقت، ثم بعد ذهابهم أذنوا له، فوجد الإمام يلتقط زغب الملائكة.

[٢] **(خلّونا):**

من (التخلية) أي إذا ذهبوا بعد لقائهم إيّانا، أو من (الخلوة) أي إذا خلونا بهم وسقط زغب منهم.

[٣] **(سيحاً):**

هو الكساء المخطط، وفي بعض النسخ (سُبحاً) وهو جمع سُبحة أي الخرزات التي يُسبَّح بها، وفي نسخة أُخرى (سنحاً) وهو اليمن والبركة(١).

[٤] **(تكأتنا):**

«التُّكَأة»: ـ على وزن همزة ـ هي ما يعتمد عليه في الجلوس، و«المزاحمة»: هو الانضمام بشدَّة، ولعلَّه كناية عن شدَّة قربهم وكثرتهم.

---

(١) راجع الوافي: ج١، ص٦٣٥.

٤ ـ مُحَمَّدٌ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مَا مِنْ مَلَكٍ يُهْبِطُهُ اللَّهُ فِي أَمْرٍ مَا[١] يُهْبِطُهُ إِلَّا بَدَأَ بِالْإِمَامِ، فَعَرَضَ ذَلِكَ عَلَيْهِ،

ثمَّ اعلم أنَّ زغب الملائكة أيضاً جسم لطيف كأجسامهم، لكنَّه بانفصاله عنهم قد يتحوَّل إلى جسم كثيف ـ أي له جِرم ـ لذا أمكن للرواة مشاهدته، وليس ذلك بمستغرب، بل واقع في عالم الماديات كثيراً، فهناك بعض أنواع الغازات تتحوَّل إلى مائع، فجرمها المادي كان لطيفاً ثم تحوَّل إلى جسم كثيف، وكذا العكس.

كما أنَّ جبرئيل عليه السلام كان يتصوَّر بصورة دحية الكلبي فكان يراه المسلمون، كما ورد ذلك في أخبار الخاصَّة والعامَّة(١)، وكما في تمثّل هاروت وماروت بصورة بشر كما أخبر به القرآن الكريم.

ثمَّ إنَّ انفصال ذلك الزغب هو كرامة للأئمة عليهم السلام في أولادهم، وقد أكرمهم الله تعالى به، فلا وجه لاستبعاد هذه الأمور أبداً.

الحديث الرابع:

[١] (في أمر ما):

«ما»: إمَّا للإبهام فيكون المعنى التعميم، وإمَّا نافية أي (لا يهبطه) فيكون تأكيداً للنفي الأوَّل في (ما من ملك يهبطه).

والمعنى: أنَّ الملائكة يخبرون الأئمَّة عليهم السلام بمهامهم، ولعلَّ سبب ذلك إرادة الله تعالى بيان منزلتهم ومكانتهم، أو لأنَّ الله سبحانه أوكل إليهم تلك الأمور فلذا جعل تنفيذ إرادته عن طريقهم، وفي الزيارة: (إرادة الرَّبّ في مقادير أموره تهبط إليكم والصادر عمَّا فصَّل من أمر العباد)(٢).

---

(١) راجع البحار: ج٢٢، ص٣٣٢.

(٢) الدعاء والزيارة: ص٧١٠.

وَإِنَّ مُخْتَلَفَ[٢] الْمَلَائِكَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى صَاحِبِ هَذَا الْأَمْرِ[٣].

---

[٢] (مختلف):
اسم مكان أو مصدر ميمي، أي محل ذهابهم وإيابهم.

[٣] (صاحب هذا الأمر):
أي صاحب الإمامة.

بَابُ أَنَّ الْجِنَّ يَأْتِيهِمْ فَيَسْأَلُونَهُمْ عَنْ مَعَالِمِ دِينِهِمْ وَيَتَوَجَّهُونَ فِي أُمُورِهِمْ

١ ـ بَعْضُ أَصْحَابِنَا، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ مُسَاوِرٍ، عَنْ

لا يخفى أنَّ القرآن الكريم دلَّ على لقاء الأنبياء عليهم السلام مع الجنّ وتحدثهم معهم، فليس التقاؤهم بالأوصياء بمستغرب بعد قيام الأدلة الكثيرة من الأخبار على ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾(١).

كما دلَّت الآيات على إمكان استخدام الجنّ لبعض الأعمال بل وقوعه قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾(٢)، وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾(٣).

ثمَّ إنَّ الجنّ أجسام لطيفة لا تُرى بالعين في الحالات العادية، ولكن قد يتصورون بالصورة الكثيفة فيمكن مشاهدتهم، فقد يتصورون بصورة إنسان أو حيوان أو غير ذلك، كما دلَّت عليه أخبار كثيرة، منها أخبار هذا الباب، ويمكن أن يكون الله تعالى يرفع الغطاء عن الأبصار ليشاهدوهم إثباتاً لفضل أوليائه عليهم السلام.

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٢٩.

(٢) سورة النمل: الآية ١٧.

(٣) سورة سبأ: الآيتان ١٢ ـ ١٣.

سَعْدٍ الْإِسْكَافِ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فِي بَعْضِ مَا أَتَيْتُهُ[١]، فَجَعَلَ يَقُولُ[٢]: لَا تَعْجَلْ! حَتَّى حَمِيَتِ الشَّمْسُ عَلَيَّ[٣]، وَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ الْأَفْيَاءَ[٤]، فَمَا لَبِثَ أَنْ خَرَجَ عَلَيَّ قَوْمٌ كَأَنَّهُمُ الْجَرَادُ الصُّفْرُ[٥]، عَلَيْهِمُ الْبُتُوتُ[٦]، قَدِ انْتَهَكَتْهُمُ الْعِبَادَةُ[٧]، ....

الحديث الأوّل:

[١] **(في بعض ما أتيته):**
«ما»: مصدرية، أي في بعض المرَّات التي قصدته لأدخل عليه.

[٢] **(فجعل يقول):**
أي كلَّما استأذنت عليه، طلب منِّي الصبر، والظاهر أنَّه كان يُخاطب الإمام من وراء الجدار، أو كان القول هذا عبر خادم أو بوَّاب.

[٣] **(حميت الشَّمس عليَّ):**
أي ارتفعت فاشتدَّ حرّها.

[٤] **(أتتبع الأفياء):**
جمع (فيء)، وهذا عبارة عن طول انتظاره، بحيث كانت تنسخ الشَّمس الظِّلال، فيلتجىء إلى ظل آخر.

[٥] **(كأنَّهم الجراد الصفر):**
أي في ألوانهم، كما سيأتي التصريح به.

[٦] **(البتوت):**
جمع (بَتّ) وهو نوع من الثياب، قيل: هو الطيلسان من الخز ونحوه ـ وهو ثوب طويل يغطي الجسد كلّه ـ.

[٧] **(قد انتهكتهم العبادة):**
أي أتعبتهم، كأنَّه كان في سيماهم أثر العبادة مع تعب وضعف، أو كان ظاهرهم كظاهر العُبّاد الذين يكثرون من العبادة.

قَالَ: فَوَاللَّهِ لَأَنْسَانِي[٨] مَا كُنْتُ فِيهِ مِنْ حُسْنِ هَيْئَةِ الْقَوْمِ، فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَالَ لِي: أَرَانِي قَدْ شَقَقْتُ عَلَيْكَ[٩]، قُلْتُ: أَجَلْ وَاللَّهِ لَقَدْ أَنْسَانِي مَا كُنْتُ فِيهِ قَوْمٌ مَرُّوا بِي لَمْ أَرَ قَوْماً أَحْسَنَ هَيْئَةً مِنْهُمْ، فِي زِيٍّ رَجُلٍ وَاحِدٍ[١٠]، كَأَنَّ أَلْوَانَهُمُ الْجَرَادُ الصُّفْرُ، قَدِ انْتَهَكَتْهُمُ الْعِبَادَةُ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ رَأَيْتَهُمْ[١١]؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أُولَئِكَ إِخْوَانُكَ مِنَ الْجِنِّ[١٢]، قَالَ: فَقُلْتُ: يَأْتُونَكَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَأْتُونَنَا يَسْأَلُونَنَا عَنْ مَعَالِمِ دِينِهِمْ وَحَلَالِهِمْ وَحَرَامِهِمْ.

---

[٨] **(لأنساني):**

فاعل (أنساني) إمَّا الضمير الراجع إلى الخروج، أي خروجهم أنساني المشقة التي كنت فيها جرَّاء الانتظار والحرّ، وإمَّا الفاعل محذوف أي أنساني شيء من حسن الهيئة، و«من»: على التقديرين ابتدائية نشوية.

[٩] **(شققت عليك):**

أي أوقعتك في المشقة.

[١٠] **(زِيِّ رجل واحد):**

أي كان جميعهم على هيئة واحدة من حيث الأشكال والملابس.

[١١] **(يا سعد رأيتهم؟):**

استفهام تقريري، ويبدو أنَّ الله تعالى كشف الغطاء عن بصر سعد الإسكاف ليشاهد هذا الأمر، ليعلم النَّاس فضلهم عليهم السلام.

[١٢] **(إخوانك من الجنّ):**

إخوانك في الدِّين.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ ابْنِ جَبَلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: كُنَّا بِبَابِهِ فَخَرَجَ عَلَيْنَا قَوْمٌ أَشْبَاهُ الزُّطِّ[١]، عَلَيْهِمْ أُزُرٌ وَأَكْسِيَةٌ[٢]، فَسَأَلْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْهُمْ؟ فَقَالَ: هَؤُلَاءِ إِخْوَانُكُمْ مِنَ الْجِنِّ.

٣ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ سَعْدٍ الْإِسْكَافِ قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام أُرِيدُ الْإِذْنَ عَلَيْهِ، فَإِذَا رِحَالُ إِبِلٍ[١] عَلَى الْبَابِ

الحديث الثاني:

[١] **(أشباه الزطّ):**

وهم قوم من الهنود، وفي الوافي: معرَّب جت(١)، ولعلَّ ألوانهم صُفر، كما يظهر من ضمّ الحديث الأوّل مع الثالث.

[٢] **(أُزُر وأكْسِية):**

جمع إزار وكساء.

الحديث الثالث:

وهو الحديث الأوّل نفسه، بسند آخر إلى سعد الإسكاف مع زيادة بعض التفاصيل وترك بعض التفاصيل المذكورة في الحديث الأوّل، ولعلَّ سعداً نقل القصة تارة بهذه الكيفية وتارة بالكيفية السابقة، ولا منافاة إذ قد ينقل الإنسان قصة مرّات متعدِّدة في كلّ مرة يذكر بعض التفاصيل لا كلّها.

[١] **(رحال إبل):**

جمع رحل، وهو الجهاز الذي يُوضع على الإبل لركوبه، ولعلَّ المُراد الإبل نفسها الّتي عليها رحالها، وقد تُسمّى الإبل: الراحلة.

---

(١) الوافي: ج٢، ص٦٣٨.

مَصْفُوفَةٌ، وَإِذَا الْأَصْوَاتُ قَدِ ارْتَفَعَتْ[٢]، ثُمَّ خَرَجَ قَوْمٌ مُعْتَمِّينَ بِالْعَمَائِمِ يُشْبِهُونَ الزُّطَّ، قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَبْطَأَ إِذْنُكَ عَلَيَّ الْيَوْمَ، وَرَأَيْتُ قَوْماً خَرَجُوا عَلَيَّ مُعْتَمِّينَ بِالْعَمَائِمِ فَأَنْكَرْتُهُمْ[٣]، فَقَالَ: أَوَتَدْرِي مَنْ أُولَئِكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَقَالَ: أُولَئِكَ إِخْوَانُكُمْ مِنَ الْجِنِّ، يَأْتُونَنَا فَيَسْأَلُونَنَا عَنْ حَلَالِهِمْ وَحَرَامِهِمْ وَمَعَالِمِ دِينِهِمْ.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَبِي الْبِلَادِ، عَنْ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: أَوْصَانِي أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام بِحَوَائِجَ لَهُ بِالْمَدِينَةِ[١]، فَخَرَجْتُ، فَبَيْنَا أَنَا بَيْنَ فَجِّ الرَّوْحَاءِ[٢] عَلَى رَاحِلَتِي، إِذَا

---

[٢] (وإذا بالأصوات ارتفعت):

في المرآة: وارتفاع الأصوات إمَّا عند السؤال أو عند الدُّعاء للخروج(١).

[٣] (فأنكرتهم):

أي لم أعرفهم.

الحديث الرابع:

[١] (بحوائج له بالمدينة):

يبدو أنَّ الإمام عليه السلام كان بمكَّة فأرسل سديراً إلى المدينة قبل خروجه عليه السلام من مكَّة لبعض حوائجه.

[٢] (فجّ الروحاء):

«الفجّ»: شُقَّة يكتنفها جبلان، ويُستعمل في الطريق الواسع(٢) و«الروحاء»: موضع بين مكَّة والمدينة على بعد ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة.

---

(١) المرآة: ج٤، ص٢٩٤.

(٢) مفردات الراغب: ص٦٢٥.

إِنْسَانٌ يَلْوِي ثَوْبَه[٣]، قَالَ: فَمِلْتُ إِلَيْهِ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ عَطْشَانُ، فَنَاوَلْتُهُ الْإِدَاوَةَ[٤]، فَقَالَ لِي: لَا حَاجَةَ لِي بِهَا، وَنَاوَلَنِي كِتَاباً طِينُهُ رَطْبٌ[٥]، قَالَ: فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى الْخَاتَمِ إِذَا خَاتَمُ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فَقُلْتُ: مَتَى عَهْدُكَ بِصَاحِبِ الْكِتَابِ؟ قَالَ: السَّاعَةَ، وَإِذَا فِي الْكِتَابِ أَشْيَاءُ يَأْمُرُنِي بِهَا، ثُمَّ الْتَفَتُّ فَإِذَا لَيْسَ عِنْدِي أَحَدٌ، قَالَ: ثُمَّ قَدِمَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام فَلَقِيتُهُ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ رَجُلٌ أَتَانِي بِكِتَابِكَ وَطِينُهُ رَطْبٌ، فَقَالَ: يَا سَدِيرُ إِنَّ لَنَا خَدَماً مِنَ الْجِنِّ فَإِذَا أَرَدْنَا السُّرْعَةَ بَعَثْنَاهُمْ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ: إِنَّ لَنَا أَتْبَاعاً مِنَ الْجِنِّ، كَمَا أَنَّ لَنَا أَتْبَاعاً مِنَ الْإِنْسِ، فَإِذَا أَرَدْنَا أَمْراً بَعَثْنَاهُمْ.

---

[٣] (إنسان يلوي بثوبه):

أي يشير إليَّ عبر تحريك ثوبه، وكان في صورة إنسان.

[٤] (الإداوة):

الإناء الذي يُسقى منه.

[٥] (طينه رطب):

أي خاتمه رطب كأنَّه وضع الطين وختم حالاً، ولا يخفى أنَّ الطريق من مكَّة إلى الروحاء يستغرق أكثر من أسبوع للمُسرِع في السير، فوصول هذا الكتاب كان بحاجة إلى أيَّام عديدة، لكن الجنِّي أوصلها خلال لحظات بعد ختم الرِّسالة، إذ الجنّ كما ذكرنا أوَّل الباب أجسام لطيفة وتَنَقُّلها سريع جداً، كعفريت الجنّ الذي كان قادراً على الإتيان بعرش بلقيس قبل أن يقوم سليمان من مقامه والمسافة بين فلسطين وسبأ آلاف الكيلومترات.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَحْرَشٍ قَالَ: حَدَّثَتْنِي حَكِيمَةُ بِنْتُ مُوسَى قَالَتْ: رَأَيْتُ الرِّضَا عليه السلام وَاقِفاً عَلَى بَابِ بَيْتِ الْحَطَبِ وَهُوَ يُنَاجِي، وَلَسْتُ أَرَى أَحَداً، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي لِمَنْ تُنَاجِي؟ فَقَالَ: هَذَا عَامِرٌ الزَّهْرَائِيُّ أَتَانِي، يَسْأَلُنِي، وَيَشْكُو إِلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ كَلَامَهُ، فَقَالَ لِي: إِنَّكِ إِنْ سَمِعْتِ بِهِ حُمِمْتِ سَنَةً، فَقُلْتُ: يَا سَيِّدِي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ، فَقَالَ لِيَ: اسْمَعِي[١]، فَاسْتَمَعْتُ، فَسَمِعْتُ شِبْهَ الصَّفِيرِ، وَرَكِبَتْنِيَ الْحُمَّى فَحُمِمْتُ سَنَةً.

الحديث الخامس:

[١] (فقال: لي اسمعي):

قد يُقال: كيف أسمعها الإمام الصوت مع علمه بأنّها ستُصاب بالحمّى سنة كاملة، وذلك ضرر بالغ.

والجواب: إمّا لدفع شكّها لكي لا تشكّ في إمامها عليه السلام، وفائدة يقينها أعظم من ضرر حمّى سنة، وإمّا لكي تنقل هذا الأمر فيزداد الأقارب والنّاس يقيناً بإمامهم وإظهاراً لفضيلة من فضائله عليه السلام، وذلك أهم من مرضها، وإمّا استجابة لطلبها مع جواز تحمُّل هذا النوع من الضرر، والله العالم.

ثمّ إنّ سماع شبه الصفير إمّا لأجل عدم قابلية الأُذن البشرية لسماع أصواتهم إلّا بتلك الكيفية، وإمّا بسبب أنّ صوتهم بنفسه كالصفير لعدم كون كيفية نطقهم كنطق البشر ـ الذي يكون عبر الحنجرة والأوتار الصوتية وتقطيع الهواء عبر اللّسان والفم ـ فلكل موجود ناطق كيفية خاصّة من الأصوات، وللطير نطق نسمعه نحن بشكل هدير أو نحوه، قال تعالى: ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾(١).

وقد مرَّ أنّ صوت تحديث الملائكة كوقوع السلسلة في الطشت.

---

(١) سورة النمل: الآية ١٦.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى؛ وَأَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: بَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى الْمِنْبَرِ، إِذْ أَقْبَلَ ثُعْبَانٌ مِنْ نَاحِيَةِ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ[١]، فَهَمَّ النَّاسُ أَنْ يَقْتُلُوهُ، فَأَرْسَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنْ كُفُّوا، فَكَفُّوا، وَأَقْبَلَ الثُّعْبَانُ يَنْسَابُ[٢] حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْمِنْبَرِ، فَتَطَاوَلَ، فَسَلَّمَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام

وفي البحار: لعلَّ لخصوص المُتكلِّم أو السامع ـ صنفاً أو شخصاً ـ مدخلاً في الحمى(١).

الحديث السادس:

مضمون هذا الحديث ورد في روايات مستفيضة، وقد قال العلّامة المجلسي: بأنّها متواترة(٢).

[١] **(باب من أبواب المسجد):**

يقع الباب في الجهة الشمالية للمسجد ـ عكس القبلة ـ، وقد اشتهر الباب باسم (باب الثعبان)، ثم إنَّ بني أُميَّة لعنهم الله ربطوا على هذا الباب فيلاً لمحوِ هذا الاسم عن الخواطر(٣) لتُنسى هذه الفضيلة، فاشتهر بباب الفيل بعد ذلك.

[٢] **(ينساب):**

أي يجري بسهولة ومن غير مانع، وفي المقاييس: سَيْب الماء: مجراه، وانسابت الحيَّة انسياباً(٤).

---

(١) البحار: ج٦٠، ص٦٧.

(٢) المرآة: ج٤، ص٢٩٥.

(٣) راجع المصدر.

(٤) مقاييس اللغة: ص٤٧٧.

فَأَشَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَيْهِ أَنْ يَقِفَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ خُطْبَتِهِ، وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ خَلِيفَتِكَ[٣] عَلَى الْجِنِّ، وَإِنَّ أَبِي مَاتَ، وَأَوْصَانِي أَنْ آتِيَكَ فَأَسْتَطْلِعَ رَأْيَكَ[٤]، وَقَدْ أَتَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا تَأْمُرُنِي بِهِ، وَمَا تَرَى[٥]؟ فَقَالَ: لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَنْ تَنْصَرِفَ فَتَقُومَ مَقَامَ أَبِيكَ فِي الْجِنِّ، فَإِنَّكَ خَلِيفَتِي عَلَيْهِمْ، قَالَ: فَوَدَّعَ عَمْرٌو أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَانْصَرَفَ، فَهُوَ خَلِيفَتُهُ عَلَى الْجِنِّ، فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ فَيَأْتِيكَ عَمْرٌو، وَذَاكَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ[٦].

٧ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَمَّادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ،

---

[٣] **(خليفتك):**

صفة للأب، أي عثمان كان خليفتك على الجنّ، والآن قد مات وقد أوصاني بأن آتي إليك لأسألك الوظيفة من بعده.

[٤] **(فأستطلع رأيك):**

فيمن يخلفه على الجنّ.

[٥] **(فما تأمرني به وما ترى):**

وهذا من كمال تأدُّب الجنّي، فأوصل الرِّسالة أوّلاً، ثمَّ عرض خدماته وأنَّه مستعد لما يأمره الإمام به ثانياً، ثمَّ طلب جواب سؤاله لكي يرى الإمام رأيه في الخليفة ثالثاً.

[٦] **(قال: نعم):**

أي وظيفته هي مراجعتي، لأنَّه كان يُراجع أمير المؤمنين عليه السلام في حياته لأنَّه كان خليفته، وبعد أمير المؤمنين عليه السلام عليه مراجعة الأوصياء، وكان الإمام في ذلك الوقت الإمام الباقر عليه السلام.

الحديث السابع:

إنَّ جابر بن يزيد الجعفي كان من أكابر الرواة والعلماء، وقد كان حفظ عشرات الآلاف من الأحاديث ـ وقد رُوِيَ أنَّها سبعون ألف حديث ـ عن

عَنْ أَحْمَدَ بْنِ النَّضْرِ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: كُنْتُ مُزَامِلاً[١] لِجَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ، فَلَمَّا أَنْ كُنَّا بِالْمَدِينَةِ، دَخَلَ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فَوَدَّعَهُ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ مَسْرُورٌ، حَتَّى وَرَدْنَا الْأُخَيْرِجَةَ ـ أَوَّلَ مَنْزِلٍ نَعْدِلُ مِنْ فَيْدَ إِلَى الْمَدِينَةِ[٢] ـ يَوْمَ جُمُعَةٍ، فَصَلَّيْنَا الزَّوَالَ، فَلَمَّا نَهَضَ بِنَا الْبَعِيرُ إِذَا أَنَا

الإمام الباقر عليه السلام، وفي تلك الظروف العصيبة كان بقاؤه حيّاً مهمّاً جدّاً، لأنَّه كان من أركان حفظة آثار الصادقين عليهما السلام.

ولمَّا علم الإمام الباقر عليه السلام بأنَّ هشام بن عبد الملك ـ وكان من أطغى طُغاة بني أُميَّة ـ يريد قتله، لم يكن طريقة لنجاته إلَّا بإظهاره الجنون، مع جعل علامة لكي يعلم النَّاس بعد ذلك أنَّه كان يتظاهر بالجنون حفظاً لنفسه، وكانت العَلامة أن يُردِّد كلاماً ظاهره لا معنى له، لكن سوف يتبيَّن أنَّه كان يُشير إلى ما سيكون في المستقبل، وهو أنَّه سيتولى (منصور بن جمهور) الكوفة ولا أمر عليه بقتل جابر، في وقت لم يكن أحد يعرف منصور بن جمهور، واستمرّ الأمر لنحو حدود اثني عشر عاماً، وهي الفترة بين شهادة الإمام الباقر عليه السلام وبين هلاك هشام بن عبد الملك وولاية منصور بن جمهور على الكوفة من طرف يزيد بن الوليد.

والأقرب أنَّ جابر بن يزيد كان من ثقاة الرواة بل من أجلّائهم، وما قيل: من أنَّه كان مخلطاً فإنَّما هو بسبب ما اشتهر عنه في هذه الفترة.

وفي بصائر الدرجات بسند صحيح عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّه قال: «رحم الله جابر بن يزيد الجعفي كان يصدق علينا»(١).

[١] **(مزاملاً):**

أي مرادفاً له في المحمل، ثمَّ استعمل لكلّ قرين مع الآخر.

[٢] **(أوَّل منزل نعدل من فيد إلى المدينة):**

الظاهر أنَّ المعنى أنَّ طريق العراق إلى الحجاز طريق مشترك إلى منطقة

---

(١) البحار: ج٤٦، ص٣٢٧ عن بصائر الدرجات.

بِرَجُلٍ طُوَالٍ آدَمَ[٣] مَعَهُ كِتَابٌ، فَنَاوَلَهُ جَابِراً، فَتَنَاوَلَهُ، فَقَبَّلَهُ، وَوَضَعَهُ عَلَى عَيْنَيْهِ، وَإِذَا هُوَ: مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ، وَعَلَيْهِ طِينٌ أَسْوَدُ رَطْبٌ[٤]، فَقَالَ لَهُ: مَتَى عَهْدُكَ بِسَيِّدِي؟ فَقَالَ: السَّاعَةَ، فَقَالَ لَهُ: قَبْلَ الصَّلَاةِ أَوْ بَعْدَ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَفَكَّ الْخَاتَمَ، وَأَقْبَلَ يَقْرَؤُهُ، وَيَقْبِضُ وَجْهَهُ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِ، ثُمَّ أَمْسَكَ الْكِتَابَ، فَمَا رَأَيْتُهُ ضَاحِكاً وَلَا مَسْرُوراً، حَتَّى وَافَى الْكُوفَةَ، فَلَمَّا وَافَيْنَا الْكُوفَةَ لَيْلاً بِتُّ لَيْلَتِي، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ أَتَيْتُهُ إِعْظَاماً لَهُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ خَرَجَ عَلَيَّ وَفِي عُنُقِهِ كِعَابٌ[٥] قَدْ

(فيد)، وهنالك يفترق طريق مكّة عن طريق المدينة، وتكون (الأخيرجة) أوّل منزل إلى المدينة بعد الافتراق.

و(فيد) تقع في منتصف الطريق بين مكّة والكوفة، فتكون المسافة بينها وبين المدينة أكثر من أسبوع.

[٣] (برجل طوال آدم):

أي في صورة رجل ـ وكان من الجنّ ـ «طُوال»: على وزن غُراب بمعنى الطويل، و«آدم» هو من لون بشرته تميل إلى السمرة، ويعبَّر عنه حالاً (باللون الحنطي).

[٤] (طين أسود رطب):

أي لم يَجِفّ طين الختم، مع بُعد المسافة بين (الأخيرجة) وبين المدينة.

[٥] (وفي عنقه كعاب):

في المقاييس: والكَعب من القصب أنبوت ما بين العقدتين(١) فكان قد علّق على عنقه هذه القطع من القصب كالقلادة، تشبُّهاً بالمجانين، كما أنّ من دأبهم وضع قصبة بين الرجلين كأنّها فرس أو مركب.

---

(١) مقاييس اللغة: ص٨٩٥.

عَلَّقَهَا، وَقَدْ رَكِبَ قَصَبَةً، وَهُوَ يَقُولُ: «أَجِدُ مَنْصُورَ بْنَ جُمْهُورٍ، أَمِيراً غَيْرَ مَأْمُورٍ»[٦] وَأَبْيَاتاً مِنْ نَحْوِ هَذَا، فَنَظَرَ فِي وَجْهِي، وَنَظَرْتُ فِي وَجْهِهِ، فَلَمْ يَقُلْ لِي شَيْئاً، وَلَمْ أَقُلْ لَهُ، وَأَقْبَلْتُ أَبْكِي لِمَا رَأَيْتُهُ، وَاجْتَمَعَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِ الصِّبْيَانُ وَالنَّاسُ، وَجَاءَ حَتَّى دَخَلَ الرَّحَبَةَ[٧]، وَأَقْبَلَ يَدُورُ مَعَ الصِّبْيَانِ، وَالنَّاسُ يَقُولُونَ: جُنَّ جَابِرُ بْنُ يَزِيدَ، جُنَّ!! فَوَاللَّهِ مَا مَضَتِ الْأَيَّامُ، حَتَّى وَرَدَ كِتَابُ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى وَالِيهِ: أَنِ انْظُرْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ: جَابِرُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ، فَاضْرِبْ عُنُقَهُ، وَابْعَثْ إِلَيَّ بِرَأْسِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ لَهُمْ: مَنْ جَابِرُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ؟ قَالُوا: أَصْلَحَكَ اللَّهُ كَانَ رَجُلًا لَهُ عِلْمٌ وَفَضْلٌ وَحَدِيثٌ، وَحَجَّ فَجُنَّ، وَهُوَ ذَا فِي الرَّحَبَةِ، مَعَ الصِّبْيَانِ عَلَى الْقَصَبِ، يَلْعَبُ مَعَهُمْ. قَالَ: فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مَعَ الصِّبْيَانِ يَلْعَبُ عَلَى الْقَصَبِ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِنْ قَتْلِهِ[٨].

---

[٦] **(أميراً غير مأمور):**

أي غير مأمور بقتلي، والظاهر أنَّ هذا الاسم كان في رسالة الإمام عليه السلام له، يأمره بأن يلهج باسمه ليعلم الناس ـ بعد ولايته ـ أنَّ فعل جابر كان تظاهراً بالجنون حفظاً للنفس.

[٧] **(الرحبة):**

وهي الساحة التي كانت بجوار مسجد الكوفة ـ كالصحن للمسجد ـ.

[٨] **(الحمد لله الَّذي عافاني من قتله):**

أعوان الظلمة يعلمون عادة بظلم حكّامهم وبطلان أوامرهم، لكنّهم مع ذلك ينفذونها ترجيحاً للحطام على الآخرة، فإذا صارت الظروف بحيث لا يرتكبون ظلماً من قتل أو نحوه ـ مع عدم مصلحة لهم في ذلك ـ شعروا بالراحة، لكن أنّى لهم الفرار من عذاب الله، وأصل عملهم حرام، وهم يرتكبون كلّ يوم ما لا يُعدُّ ولا يُحصى من المحرَّمات!!

قَالَ: وَلَمْ تَمْضِ الْأَيَّامُ حَتَّى دَخَلَ مَنْصُورُ بْنُ جُمْهُورٍ الْكُوفَةَ، وَصَنَعَ مَا كَانَ يَقُولُ جَابِرٌ[٩].

---

[٩] **(وصنع ما كان يقول جابر):**

أي من عدم التعرُّض لجابر لأنَّه لم يكن مأموراً بقتله، ولذا عاد جابر إلى ما كان عليه من رواية أخبار الرسول ﷺ والأئمَّة عليهم السلام.

بَابٌ فِي الأَئِمَّةِ عليهم السلام أَنَّهُمْ إِذَا ظَهَرَ أَمْرُهُمْ حَكَمُوا بِحُكْمِ دَاوُدَ وَآلِ دَاوُدَ وَلَا يَسْأَلُونَ الْبَيِّنَةَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ وَالرَّحْمَةُ وَالرِّضْوَانُ

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ فَضْلِ الْأَعْوَرِ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ قَالَ: كُنَّا زَمَانَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام

---

١ ـ اعلم أنَّه صحَّت الأخبار الدالة على أنَّ القائم عليه السلام إذا ظهر سار بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، منها: ما في التهذيب بسند صحيح عن محمَّد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن القائم إذا قام بأيِّ سيرة يسير؟ فقال: «بسيرة ما سار به رسول الله صلى الله عليه وآله حتَّى يظهر الإسلام»(١).

٢ ـ وكان من سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام الحكم بالظاهر وحسب البيِّنات والأيمان، ولم يكونوا يعملون بعلمهم الواقعي إلَّا في موارد قليلة(٢).

٣ ـ وأمَّا داود عليه السلام فقد خاطبه الله تعالى فقال: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ۞ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾(٤).

وداود عليه السلام لم يحكم بعلمه الواقعي إلَّا في مرَّات قليلة:

منها: ما عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إنَّ داود عليه السلام سأل ربَّه أن يريه

---

(١) البحار: ج٥٢، ص٣٨١ عن التهذيب.

(٢) راجع الوسائل: ج٢٧، ص٢٧٤ فما بعد.

(٣) سورة ص: الآية ٣٦.

(٤) سورة الأنبياء: الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.

قضية من قضايا الآخرة ـ إلى أن قال ـ: فأتاه جبرئيل فقال له: يا داود لقد سألت ربّك شيئاً لم يسأله قبلك نبي، يا داود إنَّ الذي سألت لم يطّلع عليه أحد من خلقه، ولا ينبغي لأحد أن يقضي به غيرك، قد أجاب الله دعوتك، وأعطاك ما سألت، يا داود إنَّ أوّل خصمين يردان عليك غداً القضية فيهما من قضايا الآخرة.

قال: فلما أصبح داود عليه السلام فجلس في مجلس القضاء أتاه شيخ متعلّق بشاب، ومع الشاب عنقود عنب، فقال له الشيخ: يا نبيَّ الله إنَّ هذا الشاب دخل بستاني وخرَّب كرمي وأكل منه بغير إذني، وهذا العنقود أخذه بغير علمي. فقال داود للشاب: ما تقول؟ فأقرَّ الشاب أنَّه فعل ذلك.

فأوحى الله تعالى إليه: يا داود إنّي إن كشفت لك عن قضايا الآخرة فقضيت بها بين الشيخ والغلام لم يحتملها قلبك ولم يرض بها قومك، يا داود إنَّ هذا الشيخ اقتحم على أبي هذا الغلام في بستانه فقتله وغصبه بستانه وأخذ منه أربعين ألف درهم فدفنها بجانب بستانه، فادفع إلى الشاب سيفاً ومُره أن يضرب عنق الشيخ، وادفع إليه البستان، ومُره أن يحفر في مكان كذا وكذا ويأخذ ماله.

فقال: ففزع من ذلك داود وجمع إليه علماء أصحابه، فأخبرهم الخبر وأمضى القضية على ما أوحى الله إليه»[1].

ورويت هذه القضية بشكل مختصر في حديث آخر عن الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّه قال: «إنَّ داود عليه السلام قال: يا ربِّ أرني الحقّ كما هو عندك، حتَّى أقضي به، قال: إنَّك لا تطيق ذلك، فألحَّ على ربّه، حتَّى فعل، فجاء رجل يستدعي على رجل، فقال: إنَّ هذا أخذ مالي، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى داود أنَّ هذا المستعدي قتل أبا هذا وأخذ ماله، فأمر داود بالمستعدي فقُتل، وأخذ ماله ودفعه إلى المُستعدىٰ عليه، قال: فعجب الناس وتحدَّثوا، حتَّى بلغ داود عليه السلام، ودخل عليه من ذلك ما كره، فدعا

(١) الوافي: ج٩، ص١٠٧٩ عن الكافي.

ربّه أن يرفع ذلك، ففعل، ثمَّ أوحى الله عزَّ وجلَّ إليه أن احكم بينهم بالبيِّنات، وأضفهم إلى اسمي يحلفون»[١].

ومن ذلك كله يتبيَّن أنَّ القائم عليه السلام يحكم حسب سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام بالعمل بالبيِّنات والأيمان، وأنَّه يعمل أحياناً قليلة بعلمه الواقعي كما صنع داود عليه السلام ذلك في مرَّات قليلة، وهذا هو مقتضى الجمع بين الأخبار.

ثمَّ على فرض حمل هذه الأخبار على ظاهرها وأنَّ دأبه عليه السلام هو الحكم بالواقع في كل القضايا، فيمكن القول بأحد الوجوه التالية:

الأوَّل: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام مخيرون بين الحكم بعلمهم الواقعي - ولو كان من أسبابه الخاصَّة بهم - وبين الحكم حسب الظاهر، فلذا حكموا بالظاهر والواقع، لكن حكمهم بالظاهر كان الغالب لأنَّهم كانوا الأسوة لكي يعلِّموا الناس طريقة الحكم، وكذا لعدم تحمُّل النَّاس الحكم بالواقع.

وأمَّا في زمان الإمام القائم عليه السلام فإنَّ عقول النَّاس تكمل كما مرَّ في الحديث: (وضع الله يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم، وكملت به أحلامهم)[٢]، مع اتضاح كيفية الحكم لقضاته عليه السلام.

ويظهر من جملة الروايات أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يجمع بين الأمرين، فيعمل حسب علمه الواقعي، ولكن مع استخراج الحقّ بالأساليب المقبولة لدى عامَّة النَّاس.

وعن الشيخ المفيد في كتاب المسائل أنَّه قال: للإمام عليه السلام أن يحكم بظاهر الشهادات، ومتى عرف من المشهود عليه ضدّ ما تضمنته الشهادة أبطل بذلك شهادة من شهد عليه، وحكم فيه بما أعلمه الله تعالى[٣].

---

(١) الوسائل: ج٢٧، ص٢٣٠، وقد جمع في الوافي عدَّة روايات في أمثال هذه القضايا وخاصَّة من قضايا أمير المؤمنين عليه السلام فراجع الوافي: ج٩، ص١٠٧٩ فما بعد.

(٢) راجع الكافي: كتاب العقل، الحديث رقم ٢١.

(٣) نقله عنه في المرآة: ج٤، ص٣٠١.

حِينَ قُبِضَ[١]، نَتَرَدَّدُ كَالْغَنَمِ لَا رَاعِيَ لَهَا، فَلَقِينَا سَالِمَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا عُبَيْدَةَ مَنْ إِمَامُكَ؟ فَقُلْتُ: أَئِمَّتِي آلُ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ: هَلَكْتَ وَأَهْلَكْتَ[٢]، أَمَا سَمِعْتُ أَنَا وَأَنْتَ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِمَامٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً؟ فَقُلْتُ: بَلَى لَعَمْرِي، وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ

الثاني: أنَّ الحقائق تظهر في زمانه بحيث لا يحتاج في إثباتها إلى الطرق القضائية المعروفة من البيِّنات والأيمان.

الثالث: أن يُقال: إنَّ هذه الروايات ليست في القضاء، بل المعنى: أنَّه في زمان حكمه يصل كل ذي حقّ إلى حقِّه بلا حاجة إلى أن يأتي بالدليل على أنَّ ذلك حقّه، بل يُوصل الإمام عليه السلام حقَّه إليه من غير اعتراض من الآخرين.

بل لعلَّه يظهر من بعض الروايات أنَّه لا منازعات بعد استقرار حكمه، لأنَّ منشأ الخلافات، إمَّا الجهل بالواقع، وإمَّا الطمع والجشع للاستيلاء على حقوق الآخرين، وإمَّا الحاجة، وكلّها ترتفع في زمان حكمه عليه السلام، فلا يُوجد محتاج، وتكمل عقول النَّاس، وتظهر الحقائق، فتأمَّل.

الحديث الأوَّل:

[١] **(زمان أبي جعفر حين قبض):**

أي الزَّمان المتصل بزمانه، وحينذاك لم يكن بعض الشيعة يعرفون الإمام بعد الإمام الباقر عليه السلام، فافترق بعضهم إلى المذاهب الأُخرى كسالم بن أبي حفصة حيث صار زيدياً، ثم تبيَّن الحقّ للأكثر فرجعوا إلى إمامة الإمام الصَّادق عليه السلام.

[٢] **(هلكت وأهلكت):**

لأنَّه لا يكفي الاعتقاد بإمام مجهول من طائفة أو مجموعة، بل لا بُدَّ من المعرفة التفصيلية.

ذَلِكَ بِثَلَاثٍ أَوْ نَحْوِهَا[٣]. دَخَلْتُ[٤] عَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ فَرَزَقَ اللَّهُ الْمَعْرِفَةَ، فَقُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ سَالِماً قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَقَالَ: يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، إِنَّهُ لَا يَمُوتُ مِنَّا مَيِّتٌ حَتَّى يُخَلِّفَ مِنْ بَعْدِهِ مَنْ يَعْمَلُ بِمِثْلِ عَمَلِهِ[٥]، وَيَسِيرُ بِسِيرَتِهِ، وَيَدْعُو إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ، يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، إِنَّهُ[٦] لَمْ يَمْنَعْ مَا أُعْطِيَ دَاوُدَ أَنْ أُعْطِيَ سُلَيْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، إِذَا قَامَ قَائِمُ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ حَكَمَ بِحُكْمِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، لَا يَسْأَلُ بَيِّنَةً.

---

[٣] **(ولقد كان قبل ذلك بثلاث أو نحوها):**

لعلَّ المعنى أنَّ سماعي لهذا الحديث كان قبل هذا الحوار مع سالم بن أبي حفصة بحدود ثلاث سنوات.

[٤] **(دخلت. . . .) إلخ:**

«دخلت»: استئناف، أو بمعنى (ثمَّ دخلت).

[٥] **(يعمل بمثل عمله. . .) إلخ:**

الظاهر أنَّ هنالك ثلاث مراحل:

١ ـ فيما يرتبط بالإمام ﷺ من مهام أُوكلت إليه، وهي (يعمل بمثل عمله).

٢ ـ وفي أسلوب تعامله مع النَّاس، وهي سيرته.

٣ ـ وفي كلامه وهدايته النَّاس بالقول، وهي دعوته.

[٦] **(يا أبا عبيدة إنَّه. . . .) إلخ:**

هذا الكلام لدفع استبعاد أنَّه كيف يكون أحد مثل الإمام المتوفَّى الماضي؟

والجواب: إنَّ الله كما أعطى تلك المنزلة للإمام الماضي، كذلك يعطي تلك المنزلة للإمام اللاحق، بل قد يُعطي اللاحق ما لم يُعط السابق، كسليمان ﷺ الَّذي خصَّه الله بأمور لم تكن لأبيه داود ﷺ، كتسخير الريح له، وكعمل الشياطين له. . . إلخ، وهكذا في الأئمَّة ﷺ قد يخصُّ الله اللاحق بما لم يُعطه للسابقين، فقائم آل محمَّد ﷺ يبسط الله يده على الأرض كلّها فيحكم بعلمه كما كان يحكم داود وسليمان ﷺ.

ولا يخفى أنَّ الخصائص ليست دليلاً على الأفضلية، وقد مرَّ أنَّ الأئمَّة

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبَانٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنِّي[١]، يَحْكُمُ بِحُكُومَةِ آلِ دَاوُدَ[٢]، وَلَا يَسْأَلُ بَيِّنَةً، يُعْطِي كُلَّ نَفْسٍ حَقَّهَا.

من أصحاب الكساء عليهم السلام أفضل من سائر الأئمَّة عليهم السلام ومن القائم عليه السلام.

ثمَّ إنَّ هذا الخبر أكثر تفصيلاً، وقد روى الكليني رضوان الله عليه هنا قطعة منه، ففي بصائر الدرجات: ثمَّ بعد ذلك ونحوها دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فرزق الله المعرفة، فدخلت عليه فقلت له: لقيت سالماً فقال لي كذا وكذا، وقلت له كذا وكذا، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: «يا ويل سالم ـ ثلاث مرَّات ـ أما يدري سالم ما منزلة الإمام؟! الإمام أعظم ممَّا يذهب إليه سالم والنَّاس أجمعون، يا أبا عبيدة إنَّه لم يمت منَّا ميِّت حتَّى يخلف من بعده من يعمل بمثل عمله، ويسير بمثل سيرته، ويدعو إلى مثل الذي دعا إليه، يا أبا عبيدة إنَّه لم يمنع الله ما أعطى داود أن أعطى سليمان أفضل مما أعطى داود، ثمَّ قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١)، قال: قلت: ما أعطاه الله ـ جعلت فداك ـ؟ قال: نعم يا أبا عبيدة إنَّه إذا قام قائم آل محمَّد حكم بحكم داود وسليمان، لا يسأل النَّاس بيِّنة»(٢).

الحديث الثاني:

[١] **(يخرج رجل منِّي):**

أي من ذرِّيَّتي.

[٢] **(آل داود):**

أي داود وآله كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾(٣) أي إبراهيم وآله، وعمران وآله، وكقوله تعالى: ﴿أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ

---

(١) سورة ص: ص٣٩.

(٢) البحار: ج٢٣، ص٨٦ عن بصائر الدرجات.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٣.

٣ ـ مُحَمَّدٌ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام بِمَا تَحْكُمُونَ إِذَا حَكَمْتُمْ؟ قَالَ: بِحُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ دَاوُدَ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْنَا الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَنَا[١]، تَلَقَّانَا بِهِ رُوحُ الْقُدُسِ.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ أَعْيَنَ، عَنْ جُعَيْدٍ الْهَمْدَانِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ بِأَيِّ حُكْمٍ تَحْكُمُونَ؟ قَالَ: حُكْمُ آلِ دَاوُدَ، فَإِنْ أَعْيَانَا شَيْءٌ[١] تَلَقَّانَا بِهِ رُوحُ الْقُدُسِ.

﴿ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾(١) أي فرعون وآله.

والمُراد هنا داود وسليمان فقط.

الحديث الثالث:

[١] (الشيء الذي ليس عندنا....) إلخ:

قد مرَّ أنَّ علومهم عليهم السلام من الله وطريق وصولها إليهم إمَّا عبر رسول الله صلى الله عليه وآله، أو ازديادهم في كل ليلة جمعة، أو عن عمود النُّور، أو عن طريق روح القدس، وغير ذلك من الطرق، فلعلَّ المُراد هنا أنَّه حينما تحدث واقعة في العالم فإنَّ الله سبحانه يفيض علينا علمها بواسطة روح القدس، فمعنى: (الذي ليس عندنا) أي الحادثة الواقعة الجديدة، وهذا لا يُنافي علمهم عليهم السلام بالواقعة قبل وقوعها، وذلك لاحتمال البداء فيها فإذا وقعت أخبرهم بها روح القدس.

الحديث الرابع:

[١] (فإن أعيانا شيء):

في المقاييس: الإعياء: عجز يلحق البدن من المشي. فالمُراد إمَّا ما ذكر

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤١.

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا مَنْزِلَةُ الْأَئِمَّةِ؟ قَالَ: كَمَنْزِلَةِ[١] ذِي الْقَرْنَيْنِ، وَكَمَنْزِلَةِ يُوشَعَ، وَكَمَنْزِلَةِ آصَفَ صَاحِبِ سُلَيْمَانَ، قَالَ: فَبِمَا تَحْكُمُونَ؟ قَالَ: بِحُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ آلِ دَاوُدَ وَحُكْمِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله[٢]، وَيَتَلَقَّانَا بِهِ رُوحُ الْقُدُسِ.

في الحديث السابق نفسه، وإمَّا التعب الذي يلحق القاضي في الوقائع الكبيرة المتشعبة، فهنا يفيض الله تعالى القوَّة على الحكم عبر روح القدس، فتأمَّل.

الحديث الخامس:

[١] **(قال: كمنزلة...) إلخ:**

قد مرَّ معنى الحديث، والظاهر أنَّ التشبيه في العلم والوصاية والمعجزة، وليس التشبيه من كلِّ الجهات كي يُقال: إنَّ يوشع وآصف كانا نبيَّين، والأئمَّة عليهم السلام ليسوا بأنبياء.

على أنَّه قد يستظهر من الأخبار عدم نبوَّتهما أيضاً، وفي المرآة: والحق أنَّه لم تثبت نبوَّتهما، بل ظاهر أكثر الأخبار وصريح بعضها عدم نبوَّتهما، إذ ورد في الأخبار الكثيرة الواردة في عدد الأنبياء وعدد الأوصياء مقابلتهما، وظاهر المقابلة المغايرة، وروي في البصائر بسند صحيح عن بريد عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: «كصاحب موسى وذي القرنين، كانا عالمين ولم يكونا نبيَّين»(١).

[٢] **(وحكم محمَّد صلى الله عليه وآله):**

أي حكم آل داود عليه السلام لم يُنسخ في الشريعة الإسلامية، فهو حكم الله تعالى عمل به آل داود، ثمَّ لم ينسخ فحكم به رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله.

---

(١) مرآة العقول: ج٤، ص٣٠٤.

بَابُ أَنَّ مُسْتَقَى الْعِلْمِ مِنْ بَيْتِ آلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي الْحَسَنِ صَاحِبُ الدَّيْلَمِ قَالَ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ عليه السلام يَقُولُ ـ وَعِنْدَهُ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ـ: عَجَباً لِلنَّاسِ! أَنَّهُمْ

«المستقى»: مصدر و«العلم» مفعوله، أي سَقْي العلم منهم، شُبِّه العلم بالماء لأنَّ فيه حياة الأرواح كما أنَّ الماء حياة للأبدان.

وحاصل أخبار الباب: أنَّ كل حقّ في أُمور الدِّين خرج إلى النَّاس فإنَّما مصدره أهل البيت عليهم السلام، وأمَّا الباطل الذي عند النَّاس فهو ما استخرجوه بآرائهم الباطلة.

وذلك لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنال وأنال العلم، وبثَّه بين النَّاس، إلَّا أن منع تدوين الحديث بحدود التسعين عاماً، مضافاً إلى التبديل والتحريف الذي صنعته السلطات الجائرة، وخاصَّة في عصر بني أُميَّة، سبَّب ضياع أكثر ذلك العلم، حتَّى أنَّ مالك بن أنس ـ وهو أحد الصحابة ـ قال: لا أعرف شيئاً ممَّا أدركت إلَّا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيِّعت[1]، فإذا كان ذلك شأن زمان الصحابة ففي العهود التي تلتهم الأمر أشدّ.

ولكن بقي علم الرسول صلى الله عليه وآله عند أهل بيته عليهم السلام، إلى أن حانت الفرصة للإمام الباقر عليه السلام فأذاعه بين النَّاس، فحتّى الشيعة لم يكونوا يعرفون صلاتهم وصومهم وحجّهم حتَّى بيَّنه لهم الإمام الباقر عليه السلام، فإذا كان ذلك شأن الشيعة فحال المخالفين أسوأ، ثم جاء الإمام الصَّادق عليه السلام فكمَّل طريق أبيه، فكانا عليهما السلام يُدرِّسان النَّاس، وكان يحضر أئمَّة المخالفين، بل

---

(١) راجع البخاري ـ في الصحيح عندهم ـ ج٢، ص٤٠١، الحديث رقم ٥٣٠.

أَخَذُوا عِلْمَهُمْ كُلَّهُ[١] عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَمِلُوا بِهِ وَاهْتَدَوْا، وَيَرَوْنَ أَنَّ

أئمَّة المذاهب الأربعة أخذوا العلم عن الإمام الصَّادق عليه السلام مباشرة أو بالواسطة، فما أفتَوا من حق فإنَّما أخذوه عنهم، وما كان من باطل فمن آراء أنفسهم، أو اتبعوا فيه سيرة أئمَّة الجور.

وروي أنَّ ابن أبي ليلى عُرضت عليه قضية في بيع جارية فلم يدرِ بما يقضي، فجاء إلى محمَّد بن مسلم سائلاً، فبيَّن له القاعدة التي تعلَّمها من الإمام الصَّادق عليه السلام وسيأتي ذكر الحديث قريباً(١).

ثمَّ إنَّ أحد أهل الاطلاع احتمل بأن تكون الروايات الحق التي تُوجد في كتب المخالفين والتي رووها بإسنادهم عن رسول الله ﷺ إنَّما سمعها رُواتها عن الأئمَّة عليهم السلام ثمَّ ابتدعوا لها أسناداً عالية إلى الرسول ﷺ، لئلَّا يتبيَّن للناس فضل الأئمَّة عليهم السلام، أو للخوف من خلفاء الجور.

وهذا غير مستبعد لكثرة التدليس عندهم في الأسناد، ولانقطاع سلسلة الأحاديث عن الرسول ﷺ بسبب منع تدوين الحديث وأجواء الإرهاب والقتل الأموي، فلم يبقَ إلَّا ما رواه الأئمَّة عليهم السلام عن آبائهم عن رسول الله ﷺ، والله العالم.

الحديث الأول:

[١] (أخذوا علمهم كلّه):

أي يزعمون أنَّهم أخذوا علمهم كلّه عن الرسول ﷺ. أو في الكلام تورية، فالمعنى أنَّ ما كان علماً حقاً عندهم إنما أخذوه عن الرسول ﷺ، وأما الباطل الذي عندهم ـ وما أكثره ـ فليس بعلم بل هو جهل مركب، ومن المعلوم أن العمل بالعلم الحقّ هو هداية، نعم ضلالهم أكثر من هدايتهم، فتأمّل.

---

(١) راجع الوافي: ج١٠، ص٧٥٢.

أَهْلَ بَيْتِهِ لَمْ يَأْخُذُوا عِلْمَهُ، وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتُهُ[٢]، فِي مَنَازِلِنَا نَزَلَ

---

[٢] (ونحن أهل بيته وذرّيّته...) إلخ:

هنا الإمام عليه السلام يُبيِّن عدَّة أُمور هي أدلَّة على أنَّ أهل البيت عليهم السلام يعلمون علم الرسول ﷺ:

١ ـ إنَّهم أهل بيته، وقد قرنهم الله تعالى بالقرآن في حديث الثقلين المتواتر، وبيَّن عدم افتراقهم عن القرآن، وفي القرآن تبيان كلّ شيء، فعلمه عندهم.

٢ ـ إنَّهم عليهم السلام ذرّيّته ﷺ، وعلم الآباء عند الأبناء، إذا كانوا حريصين على ذلك العلم.

٣ ـ إنَّ الوحي نزل في منازلهم، لأنَّ الوحي كان ينزل على الرسول ﷺ، وكان يقضي كثيراً من وقته في بيت فاطمة عليها السلام، فهم أعرف بذلك الوحي من غيرهم.

٤ ـ إنَّ فقهاء العامَّة درسوا عندهم، فلذا خرج العلم من الأئمَّة إليهم.

ولذا قال بعض أئمَّة المخالفين: إنَّ عليّاً كان في أصل الخلقة في غاية الذكاء والفطنة والاستعداد للعلم، وكان محمَّد ﷺ أفضل الفضلاء وأعلم العلماء، وكان عليّ عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم، وكان محمَّد ﷺ في غاية الحرص في تربيته وإرشاده إلى اكتساب الفضائل، ثمَّ إنَّ عليّاً عليه السلام رُبّي في صغره في حجر محمَّد ﷺ وفي كبره صار ختناً له، وكان يدخل إليه في كلّ الأوقات، ومن المعلوم أنَّ التلميذ إذا كان في غاية الذكاء والحرص في التعلُّم وكان الأُستاذ في غاية الفضل وغاية الحرص على التعليم، ثمَّ اتفق لمثل هذا التلميذ أن يتصل بخدمة هذا الأُستاذ من زمان الصغر، وكان ذلك الاتصال بخدمته حاصلاً في كلّ الأوقات، فإنَّه يبلغ ذلك التلميذ مبلغاً عظيماً... إلخ[١].

---

(١) نقله في المرآة: ج٤، ص٣٠٦ عن كتاب الطرائف لابن طاوس، عن كتاب الاربعين لابن الخطيب وهو أعلم علماء الأشعرية.

الْوَحْيُ، وَمِنْ عِنْدِنَا خَرَجَ الْعِلْمُ إِلَيْهِمْ، أَفَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ عَلِمُوا وَاهْتَدَوْا، وَجَهِلْنَا نَحْنُ وَضَلَلْنَا!! إِنَّ هَذَا لَمُحَالٌ.

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْحَاقَ الْأَحْمَرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَمَّادٍ، عَنْ صَبَّاحٍ الْمُزَنِيِّ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ حُصِيرَةَ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ قَالَ: لَقِيَ رَجُلٌ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عليه السلام بِالثَّعْلَبِيَّةِ[١]، وَهُوَ يُرِيدُ كَرْبَلَاءَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام: مِنْ أَيِّ الْبِلَادِ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ[٢] يَا أَخَا أَهْلِ الْكُوفَةِ، لَوْ

الحديث الثاني:

[١] **(بالثعلبية):**

وهي بين الكوفة والحجاز، وهي قريبة إلى الحدود العراقية ـ بخرائط الآن ـ(١) قيل: وفيها بلغ الإمام نبأ استشهاد مسلم بن عقيل، ولعلَّ كلامه عليه السلام كان على أثر هذا النبأ.

[٢] **(قال: أما والله....) إلخ:**

لا يخفى أنَّ الكوفة تأسَّست كمدينة في عهد عمر بن الخطاب، كتب

---

(١) والمنازل بين مكّة والكوفة، وهي مسير الإمام الحسين عليه السلام إلى كربلاء، كالتالي ـ كما في بعض الخرائط ـ:

مكّة، مجمع النخلتين، التنعيم، الصفاح ـ وبها التقى الإمام عليه السلام فرزدق ـ، ذات عرق، وادي العقيق ـ ميقات أهل العراق ـ، غمرة، أُمّ خرمان ـ محل التقاء حجّاج البصرة والكوفة ـ، مسلح، الأفيعية، معدن قران، العُمق، السليلية، مغيثة الماوان، النقرة، الحاجز ـ منها أرسل الإمام عليه السلام قيس بن مسهّر ـ، سميرة، توز، فيد ـ مفرق طريق مكّة والمدينة ـ، الأجفر، الخزيميّة، زرود، الثعلبيّة، بطان، الشقوق، زبالة، بطن العقبة ـ وهي متاخمة للحدود العراقية ـ، العمية، واقصة، مغيثة، شراف، ذي حسم، البيضة، مسيجد، الحمام، المغيثة ـ وهي قريبة للكوفة ولعلّه منها أجبر الإمام عليه السلام على تغيير المسير إلى كربلاء ـ وأمّا سائر المنازل إلى كربلاء فهي أُمّ القرون، عذيب الهجانات، رحيمة، قصر بني مقاتل، قطقطانة، كربلاء، فهذه حدود أربعين منزلاً قطعها الإمام عليه السلام في حدود ٢٤ يوماً.

لَقِيتُكَ بِالْمَدِينَةِ لَأَرَيْتُكَ أَثَرَ جَبْرَئِيلَ عليه السلام[٣] مِنْ دَارِنَا، وَنُزُولِهِ بِالْوَحْيِ عَلَى

إلى سعد بن وقاص أن يبني مدينة لا يحجز بينه وبينها بحر أو نهر، فاختار سعد الأنبار لكن أعرض عنها لكثرة ذبابها، فاختار الكوفة، فقسمت أراضيها بين مختلف قبائل العرب، فكان سكّان الكوفة خلاصة الاتجاهات الفكرية والقبلية العربية مضافاً إلى سكن الموالي الفرس فيها، فكانت مدينة فيها الخليط غير المتجانس، نظير العواصم التي تنمو فجأة فيهاجر فيها النَّاس من مختلف المدن والأرياف.

ثمَّ إنَّ الولاة عليها قَبْل أمير المؤمنين عليه السلام كانوا من قِبَل عمر وعثمان، وكانوا يلهجون بهما وبنهجهما، ولذا في عهد أمير المؤمنين ظهر فيها الخوارج والنواصب وغيرهم من التيارات الفكرية مضافاً إلى الشيعة، وهؤلاء كانوا في جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لا باعتبار تشيُّعهم، بل لأنَّه عليه السلام كان الحاكم، ومن الطبيعي أن يكون الجنود الذين يمثلون مختلف شرائح المجتمع من ضمن ذلك الجيش، نظير العصر الحاضر الذي يتشكل جنود جيوش الدول من المواطنين بمختلف انتماءاتهم الدِّينيَّة والعقدية والقومية.

وهذا الحديث يكشف أنَّ أكثر أهل الكوفة حيث كتبوا للإمام الحسين عليه السلام وبايعوا سفيره مسلم بن عقيل رضوان الله عليه لم يكن فعلهم عن عقيدة، بل لأنَّهم لاقوا جوراً من عمَّال معاوية فحنُّوا إلى عدل الإمام علي عليه السلام، مضافاً إلى أنَّ الذين كتبوا الرسائل وبايعوا كانوا ثمانية عشر ألفاً، وأهل الكوفة كانوا أضعاف هذا العدد.

على كلِّ حال يظهر من هذا الحديث أنَّ الكثير من أهل الكوفة كانوا من المخالفين الذين لا يعتقدون بعلم الأئمَّة عليهم السلام.

[٣] **(لأريتك أثر جبرئيل عليه السلام)**:

في المرآة: أي الموضع الذي كان يقف فيه جبرئيل ويستأذن على رسول الله ﷺ وهو معروف الآن ـ ويُقال للباب القريب منه: باب

جَدِّي، يَا أَخَا أَهْلِ الْكُوفَةِ، أَفَمُسْتَقَى النَّاسِ الْعِلْمَ مِنْ عِنْدِنَا فَعَلِمُوا وَجَهِلْنَا؟! هَذَا مَا لَا يَكُونُ.

جبرئيل ـ، أو كان في أصل الدار موضع معروف بأنَّه موضع جبرائيل، أو كان بقي أثر منه كمقام إبراهيم[1].

---

(١) المرآة: ج٤، ص٣٠٧.

بَابُ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ فِي يَدِ النَّاسِ إِلَّا مَا خَرَجَ مِنْ عِنْدِ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ عِنْدِهِمْ فَهُوَ بَاطِلٌ[١]

١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: لَيْسَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ حَقٌّ وَلَا صَوَابٌ[١]، وَلَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يَقْضِي بِقَضَاءِ

---

[١] أي كل شيء من أُمور الدِّين، إذا لم يخرج من عند الأئمَّة فهو باطل.
وذلك لأنَّهم عليهم السلام بيَّنوا كلّ حق، فإذا كان شيء حقّاً قالوه، لأنَّهم طبقوا هذه الآيات ونحوها، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾(٢)، وهذا لا يُنافي التقيَّة، لأنَّ التقيَّة كانت أحياناً، ومن بعض الناس، وإلَّا فهم عليهم السلام بيَّنوا كلّ شيء لخواص الأصحاب، وعن طريقهم انتشر، وكذا بيَّنوا كلّ شيء في ظروف غير التقيَّة.
فتبيَّن أنَّهم بيَّنوا كلّ حق في الأمور الدينية، فما لم يقولوه لا يكون من الدين، بل من الباطل الذي نُسب إلى الدِّين زوراً وبهتاناً.

الحديث الأول:

[١] (من الناس حقّ ولا صواب...) إلخ:
لأنَّ ما يرتبط بالنَّاس أحد ثلاثة:

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٩.

حَقٌّ، إِلَّا مَا خَرَجَ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ[٢]، وَإِذَا تَشَعَّبَتْ بِهِمُ الْأُمُورُ[٣]، كَانَ الْخَطَأُ مِنْهُمْ، وَالصَّوَابُ مِنْ عَلِيٍّ عليه السلام.

---

١ ـ ما يعتقدونه، وعبَّر عنه بالحقّ.

٢ ـ ما يقولونه أو يفعلونه، وعبَّر عنه بالصواب.

٣ ـ منازعاتهم التي تحتاج إلى قضاء، فقال: «ولا أحد من النَّاس...».

ثمَّ إنَّ الفرق لغة بين الحقّ والصواب هو: أنَّ (الحقّ): هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره(١)، وقد يعبّر عنه بالمطابق للواقع، و(الصواب) الفعل والقول الحسن المحمود إذا أصاب الواقع(٢).

[٢] **(إلَّا ما خرج منَّا أهل البيت):**

وكمثال على ذلك ما روي أنَّ ابن أبي ليلى قدم إليه رجل خصمٌ له فقال: إنَّ هذا باعني هذه الجارية، فلم أجد على ركبها حين كشفتها شعراً، وزعمت أنَّه لم يكن لها قط، قال: فقال له ابن أبي ليلى: إنَّ النَّاس يحتالون لهذا بالحيل، حتَّى يذهبوا به، فما الذي كرهت؟ فقال: أيُّها القاضي إن كان عيباً فاقض لي به!! فقال: اصبر حتَّى أخرج إليك، فإنِّي أجد أذى في بطني، ثم دخل، وخرج من باب آخر، حتَّى أتى محمَّد بن مسلم الثقفي، فقال له: أي شيء تروون عن أبي جعفر عليه السلام في المرأة لا يكون على ركبها شعر، أيكون ذلك عيباً؟ فقال له محمَّد بن مسلم: أمَّا هذا نصّاً فلا أعرفه، ولكن حدَّثني أبو جعفر عن أبيه عن آبائه عن النَّبي صلوات الله عليهم أنَّه قال: «كلَّما كان في أصل الخلقة، فزاد، أو نقص، فهو عيب»، فقال له ابن أبي ليلى: حسبك، ثم رجع إلى القوم فقضى لهم بالعيب(٣).

[٣] **(وإذا تشعَّبت بهم الأمور...):**

إنَّ من أهم أسباب الاختلاف هو اختلاف عمل الصحابة، والمخالفون

---

(١) معجم الفروق اللغوية: ص١٩٣.

(٢) للتفصيل راجع المفردات: ص٤٩٤؛ والمعجم: ص١٩٣.

(٣) الوافي: ج١٠، ص٧٥٢ عن الكافي: ج٥، ص٢١٥.

٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ

اتخذوا عملهم سُنَّة يتبعونها، فالإمام عليه السلام يُبيِّن أنَّ الحقَّ هو ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما قال الرسول صلى الله عليه وآله: «عليٌّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ ولن يفترقا»[(١)].

و«بهم»: أي بالنَّاس، وسبب التشعُّب هو اختلاف الصحابة وأتباعهم.

الحديث الثاني:

اشتهرت كلمة «سلوني قبل أن تفقدوني»[(٢)] عن أمير المؤمنين عليه السلام، وكان يقولها على المنبر في الكوفة، ولم يقلها أحد من الصحابة، روت العامة عن سعيد قال: لم يكن أحد من أصحاب النبي صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم يقول: (سلوني) إلَّا علي بن أبي طالب[(٣)].

وبعد أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل أحد هذه الكلمة إلَّا افتضح، ورُوي أنه قالها رجل من العامة فوق المنبر، فسألته امرأة سؤالاً عجز عن جوابه، فقال لها: ـ درءاً لإحراجه ـ إن خرجت من بيتك بغير إذن من زوجك فعليك لعنة الله، وإن خرجت بإذنه فعليه لعنة الله!! فقالت: هل عائشة خرجت بإذن رسول الله صلى الله عليه وآله إلى البصرة أم بدون إذنه؟ فلم يحر جواباً[(٤)].

ولا يخفى أنَّ الإمام عليه السلام كان يجيب على الأسئلة التي تُسأل استفهاماً، أما من كان يسأل تعنتاً فكان الإمام عليه السلام يجيبه بمقتضى حاله، لأنَّ المتعنِّت لا جواب له إلَّا بما يناسبه.

روى ابن أبي الحديد: أنَّه عليه السلام لما قال هذه الكلمة، اعترضه تميم بن أسامة، فقال له: فكم في رأسي طاقة شعر؟ فقال له: «أما والله إنِّي لأعلم ذلك، ولكن أين برهانه لو أخبرتك به؟ ولقد أخبرت بقيامك

---

(١) راجع البحار: ج٣٨، ص٢٦ فما بعد.

(٢) المصدر نفسه: ج٤٠، ص١٩٠.

(٣) المصنَّف:ج٦، ص٢٢٧، ونقله عن مسند أحمد في البحار: ج٤٠، ص١٩٠.

(٤) راجع بحار الأنوار: ج٢٩، ص٦٤٧.

مُثَنًّى، عَنْ زُرَارَةَ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، يَسْأَلُهُ عَنْ قَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، فَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ»؟ قَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ عِنْدَهُ عِلْمُ شَيْءٍ إِلَّا خَرَجَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[١]، فَلْيَذْهَبِ النَّاسُ حَيْثُ شَاؤُوا، فَوَاللَّهِ لَيْسَ الْأَمْرُ إِلَّا مِنْ هَاهُنَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى بَيْتِهِ.

ومقالك، وقيل لي: إنَّ على كل شعرة من شعر رأسك ملكاً يلعنك وشيطاناً يستفزّك، وآية ذلك أنَّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أو يحضُّ على قتله، فكان الأمر بموجب ما أخبر به عليه السلام، كان ابنه حصين ـ بالصاد المهملة ـ يومئذٍ طفلاً صغيراً يرضع، ثمَّ عاش إلى أن صار على شرطة عبيد الله بن زياد، وأخرجه عبيد الله إلى عمر بن سعد يأمره بمناجزة الحسين عليه السلام، ويتوعده على لسانه أن أرجىء ذلك، فقُتل الحسين عليه السلام صبيحة اليوم الذي ورد فيه الحصين بالرِّسالة في ليلته(١).

فهنا كان السائل متعنتاً، ولو كان الإمام عليه السلام يجيبه بالعدد الواقعي لعلَّه كان يذهب ويحلق شعره ثمَّ يدَّعي زوراً أنَّه عدَّه فلم يكن كما قال، فكان يثير لغطاً بين المنافقين وضِعاف الإيمان، لذا أجابه الإمام عليه السلام بجواب بمقتضى حاله، ومع ذلك أردف الجواب بكلام ممَّا أخبره به رسول الله صلى الله عليه وآله كي يتبيَّن للنَّاس ـ ولو بعد حين ـ صدق مقولته عليه السلام ونفاق السائل.

[١] **(إلَّا ما خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام):**

لأنَّه عليه السلام كان يُكثر من الخطب إبان حكومته الظاهرية، وكان يقضي ويجيب عن الأسئلة بنفسه، وفي فترة التقيَّة بعد زمانه وإن خفيَ كثير منها لكنَّها بقيت عند الخُلَّص من أصحابه نقلوها جيلاً بعد جيل، وكذا بقيت علومه عند أهل بيته عليهم السلام إلى أن بثَّها الإمام الباقر عليه السلام وبعده الإمام الصَّادق عليه السلام بين النَّاس.

---

(١) البحار: ج٤٠، ص١٩٢ عن شرح نهج البلاغة: ج٢، ص٧٧٤.

٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام لِسَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، وَالْحَكَمِ بْنِ عُتَيْبَةَ[١]: شَرِّقَا وَغَرِّبَا[٢]، فَلَا تَجِدَانِ عِلْماً صَحِيحاً إِلَّا شَيْئاً خَرَجَ مِنْ عِنْدِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنْ يَحْيَى الْحَلَبِيِّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ لِي[١]: ....

الحديث الثالث:

[١] (لسلمة بن كهيل والحكم بن عتيبة):
كانا من البترية، وهم الذين خلطوا بولاية علي عليه السلام ولاية أبي بكر وعمر، ويثبتون لهما الإمامة، ويرون الخروج مع ولد علي عليه السلام، ولذا صارا من الزيدية مع كونهما من فقهاء العامَّة.
ثمَّ اعلم أنَّ أكثر الزيدية منقسمون: بين البترية الذين يوالون أبا بكر وعمر، وبين الجاوردية الذين يتبرأون منهما.

[٢] (شرّقا وغرّبا):
أي اذهبا حيث شئتم، وفيه إلفات أنَّ الطريق المستقيمة هي طريق آل محمَّد صلى الله عليه وآله، وأمَّا غيرها فهي انحراف عن الصِّراط المستقيم إلى الشرق أو الغرب.

الحديث الرابع:

[١] (قال لي):
القائل هو الإمام الباقر عليه السلام، والظاهر أنَّ هذا الحديث الرابع عُلِّق على الحديث الثالث، وذلك بإرجاع الضمير إلى أبي جعفر عليه السلام

إِنَّ الْحَكَمَ بْنَ عُتَيْبَةَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ[٢]: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ٨]، فَلْيُشَرِّقِ الْحَكَمُ وَلْيُغَرِّبْ، أَمَا وَاللَّهِ لَا يُصِيبُ الْعِلْمَ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ نَزَلَ عَلَيْهِمْ جَبْرَئِيلُ.

٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ السِّنْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ شَهَادَةِ وَلَدِ الزِّنَا تَجُوزُ؟ فَقَالَ: لَا[١]. فَقُلْتُ: إِنَّ الْحَكَمَ بْنَ عُتَيْبَةَ يَزْعُمُ أَنَّهَا تَجُوزُ.

في الحديث السابق. ويدلُّ عليه أنَّ الكشي روى نحو هذا الحديث عن أبي بصير عن الإمام الباقر عليه السلام مع إضافة أسماء آخرين من البترية.

[٢] **(ممَّن قال الله):**
أي هو منافق، لأنَّ هذه الآية في وصف المنافقين.

الحديث الخامس:

[١] **(عن شهادة ولد الزنا هل تجوز؟ فقال: لا):**
قال الوالد رضوان الله عليه في الفقه: من شرائط الشاهد طهارة المولد ـ أي لا يكون ولد زنا ـ بلا إشكال ولا خلاف إلَّا من نادر، بل عن السيِّد والشيخ وابن زهرة: الإجماع عليه، وذلك للنصوص المتواترة(١).
وقال أيضاً: لأنَّ الشارع أراد استبشاع جريمة الزنا، ولذا جعل حوله سياجاً شديداً من الأحكام، أحكاماً مرتبة على الزانيين، وأحكاماً مرتبة على ولدهما، وهو وإن لم يذنب، إلَّا أنَّ المصلحة الأهم اقتضت إسقاط المصلحة المهمة لأجلها، كما في كلِّ أهم ومهم، فلا يُقال: أيُّ ذنب لولد الزنا وقد عصى أبواه؟

---

(١) الفقه: ج٨٦، ص١٩٩.

فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَغْفِرْ ذَنْبَهُ[٢]، مَا قَالَ اللَّهُ لِلْحَكَمِ[٣] ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[الزخرف:٤٤]، فَلْيَذْهَبِ الْحَكَمُ يَمِيناً وَشِمَالًا، فَوَاللَّهِ لَا يُؤْخَذُ الْعِلْمُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ نَزَلَ عَلَيْهِمْ جَبْرَئِيلُ عليه السلام.

وليس هذا من باب ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(١) حتَّى يُقال: إنَّه وزر أُخرى!!، بل هو مثل قتل المسلم المتترس به الكفَّار(٢).

والحاصل: أنَّ الشرع الأقدس أراد تضييق الأمر على العصاة فلذا جعل لبعض المعاصي تضييقات خاصَّة ليرتدع النَّاس عنها، فلذا منع ولد الزنا عن القضاء والمرجعيَّة والشهادة وإمامة الجماعة والولاية ونحوها، فإنَّ النَّاس لو رأوا القاضي أو المرجع أو الشاهد أو الحاكم أو إمام الجماعة ولد زنا وهو فوقهم في الرتبة لذهب عن نفوسهم قبح جريمة الزنا فيكون ذلك سبباً لاستهانتهم بارتكابها.

هذا مضافاً إلى قوَّة اقتضاء الانحراف في ولد الزنا ـ من جهة تكوينية في انعقاد نطفته، ومن جهة اجتماعية بعدم تربيته في ظلِّ أُسرة واستحقار النَّاس له ـ، ولكن ذلك لا يسلبه الاختيار، فإن اختار الإيمان وعمل صالحاً فإنَّ الله لا يضيع أجره.

[٢] (اللَّهمَّ لا تغفر ذنبه):

لأنَّ الفتوى بغير ما أنزل الله تعالى من أكبر المحرَّمات، وخاصَّة إذا كانت من ضال يصدُّ عن سبيل الله سبحانه وتعالى.

[٣] (ما قال الله للحكم):

أي لم تنزل هذه الآية في شأنه، فهو بعيد كلّ البعد عن القرآن وأحكامه، وإنَّما الآية تعني الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام، وقد مرَّت مفصَّلةً الروايات الواردة في تفسير هذه الآية.

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٨.

(٢) المصدر: ص٢٠٠.

٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ بَدْرٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: حَدَّثَنِي سَلَّامٌ أَبُو عَلِيٍّ الْخُرَاسَانِيُّ، عَنْ سَلَّامِ بْنِ سَعِيدٍ الْمَخْزُومِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ عَابِدُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَابْنُ شُرَيْحٍ فَقِيهُ أَهْلِ مَكَّةَ، وَعِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام مَيْمُونٌ الْقَدَّاحُ مَوْلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فَسَأَلَهُ عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ فِي كَمْ ثَوْبٍ كُفِّنَ[١] رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله؟ قَالَ: فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ[٢]: ثَوْبَيْنِ صُحَارِيَّيْنِ، وَثَوْبِ حِبَرَةٍ، وَكَانَ فِي الْبُرُدِ قِلَّةٌ، فَكَأَنَّمَا ازْوَرَّ[٣] عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ، مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: إِنَّ نَخْلَةَ مَرْيَمَ عليها السلام[٤] إِنَّمَا كَانَتْ عَجْوَةً

الحديث السادس:

[١] (في كم ثوب كفن):

سؤال عن عدد قطع القماش التي كانت كفناً لرسول الله صلى الله عليه وآله.

[٢] (قال في ثلاثة أثواب. . . .) إلخ:

يُستحب أن يكون الكفن كلّه من البُرد اليماني، و«البُردة»: قماش فاخر كان يُحاك في اليمن، ومن أجودها «الحبرة»، وأمّا القماش الصُّحاريّ فهو منسوب إلى منطقة (صحار) وهي في شرق اليمن ـ وتقع الآن في سلطنة عُمان ـ.

وحين كفن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يحضرهم إلّا القليل من البُرد اليماني فكان أحد قطع الكفن، والقطعتان الأخريان كانتا من القماش الصحاريّ.

[٣] (ازْوَرَّ):

من «الزور» الانحراف عن الشيء، والازورار الميل عن الشيء، والظاهر أنَّ عبّاداً لم يعجبه هذا الكلام فبان الانقباض في وجهه.

[٤] (إنَّ نخلة مريم. . . . .) إلخ:

قال تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ

وَنَزَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَا نَبَتَ مِنْ أَصْلِهَا كَانَ عَجْوَةً[٥]، وَمَا كَانَ مِنْ لُقَاطٍ فَهُوَ لَوْنٌ[٦]، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَبَّادُ بْنُ كَثِيرٍ لِابْنِ شُرَيْحٍ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي

إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾(١). وفي تفسير القمّي: وكانت النخلة قد يبست منذ دهر طويل، فمدَّت يدها إلى النخلة فأورقت وأثمرت وسقط عليها الرطب الطريّ(٢).

ثمَّ اعلم أنَّه دلَّت الروايات على أنَّ النخلة خلقت من فاضل طين آدم عليه السلام ونزلت معه من الجنَّة، فعن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى لما خلق آدم من الطينة التي خلقه منها، فضل منها فضلة فخلق الله منها نخلتين ذكراً وأنثى ـ إلى أن قال ـ: إنَّها كانت عجوة فأمر الله تعالى آدم عليه السلام أن ينزل بها معه حين أخرج من الجنَّة، فغرسها بمكَّة، فما كان من نسلها فهي العجوة، وما كان من نواها فهو سائر النخل الذي في مشارق الأرض ومغاربها»(٣).

[٥] (فما نبت من أصلها كان عجوة):

في البحار: إنَّ العجوة لا تنبت من النواة، وإذا نبتت منها لا تكون عجوة، وإنَّما تكون عجوة إذا نبتت من بعض عذوقها(٤).

و«العجوة»: نوع من أجود أنواع التمور تكثر في المدينة المنوَّرة، ويُقال لنخلتها: (لينة)، قال تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾(٥).

[٦] (وما كان من لقاط فهو لون):

الظاهر أنَّ المُراد أنَّ النخلة التي نبتت من النواة يكون تمرها رديئاً،

---

(١) سورة مريم: الآيات ٢٣ ـ ٢٥.

(٢) البحار: ج١٤، ص٢٠٩ عن تفسير القمّي.

(٣) المصدر نفسه: ج٦٣، ص١٢٩، وتجد سائر الروايات هناك.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) سورة الحشر: الآية ٥.

مَا هَذَا الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَهُ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ ابْنُ شُرَيْحٍ: هَذَا الْغُلَامُ يُخْبِرُكَ، فَإِنَّهُ مِنْهُمْ - يَعْنِي مَيْمُونٌ - فَسَأَلَهُ، فَقَالَ مَيْمُونٌ: أَمَا تَعْلَمُ مَا قَالَ لَكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: إِنَّهُ ضَرَبَ لَكَ مَثَلَ نَفْسِهِ[٧]، فَأَخْبَرَكَ أَنَّهُ وَلَدٌ مِنْ وُلْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعِلْمُ رَسُولِ اللَّهِ عِنْدَهُمْ، فَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِمْ فَهُوَ صَوَابٌ، وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِمْ فَهُوَ لُقَاطٌ.

و«اللقاط»: بالكسر: ما يلتقط من هنا وهناك من النوى ونحوه، وبالضم: الساقط الرديء، و«اللون»: هو من أردأ أنواع التمور.

[٧] **(إنّه ضرب لك مثل نفسه):**
أي كما أنَّ العجوة عذقها من النخل فلذا يكون فيها الجودة كأصلها، كذلك أهل البيت عليهم السلام علمهم من رسول الله ﷺ لأنَّهم منه، وأمّا غيرهم فهم كاللقاط الذي لا أصل له.

بَابٌ فِيمَا جَاءَ أَنَّ حَدِيثَهُمْ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: قَالَ

اعلم أن العقول متفاوتة والنفسيات مختلفة، والمعرفة درجات، ولذا قد لا يتحمَّل الإنسان بعض العلوم لارتفاعها ولقصوره، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «النَّاس أعداء ما جهلوا»[1].

وهذا يشاهد حتَّى في المتعارف بين النَّاس، فبعض المواقف يستوعبها بعض النَّاس لكبر نفسياتهم وعقولهم، وفي الوقت نفسه لا يستوعبها آخرون، قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾[2] وهذا نبيّ الله موسى عليه السلام لم يصبر على بعض أعمال الخضر عليه السلام، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾[3].

وهؤلاء الملائكة ـ وفيهم المقرَّبون ـ حينما قال لهم الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[4] لم يتحمَّلوا ذلك العلم.

فعن ميثم التمَّار قال: بينا أنا في السوق إذ أتاني أصبغ بن نباتة، فقال: ويحك يا ميثم! لقد سمعت من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حديثاً صعباً شديداً، فأيُّنا نكون كذلك؟ قلت: ما هو؟ قال: سمعته يقول: «إنَّ حديثنا أهل البيت صعب مستصعب لا يحتمله إلَّا ملك

---

(١) نهج البلاغة: الحكمة رقم ١٧٢.

(٢) سورة يونس: الآية ٣٩.

(٣) سورة الكهف: الآيتان ٦٧ ـ ٦٨.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٠.

مقرَّب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان».
فقمت من فوري فأتيت علياً عليه السلام، فقلت: يا أمير المؤمنين حديث أخبرني به الأصبغ عنك قد ضقت به ذرعاً، قال: ما هو؟ فأخبرته، قال: فتبسَّم، ثم قال: اجلس يا ميثم، أوَكُلُّ علم يحتمله عالم؟
إنَّ الله تعالى قال لملائكته: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فهل رأيت الملائكة احتملوا العلم؟ قال: قلت: هذه والله أعظم من ذلك.
قال: والأُخرى أنَّ موسى عليه السلام أنزل الله عزَّ وجلَّ عليه التوراة، فظنَّ أنَّ لا أحد أعلم منه، فأخبره الله عزَّ وجلَّ أنَّ في خلقي من هو أعلم منك، وذاك إذ خاف على نبيّه العُجب، فدعا ربّه أن يرشده إلى العالم، قال: فجمع الله بينه وبين الخضر، فخرق السفينة فلم يحتمل ذلك موسى، وقتل الغلام فلم يحتمله، وأقام الجدار فلم يحتمله.
وأمَّا المؤمنون فإنَّ نبيّنا صلى الله عليه وآله أخذ يوم غدير خم بيدي فقال: «اللَّهمَّ من كنت مولاه فإنَّ علياً مولاه» فهل رأيت احتملوا ذلك إلَّا من عصمه الله منهم؟». . . الحديث[1].
وقد عانى رسول الله صلى الله عليه وآله من المنافقين ومن ضِعاف العقول معاناة كبيرة، لرفض قلوبهم بعض الأحكام والمواقف، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[2]، وقال: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾[3].
وعلوم رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام وكذا حالاتهم منها ما يتحمَّله النَّاس، ومنها ما يتحمَّله بعضهم ولا يتحمَّلها البعض الآخر، وتختلف درجة

(١) البحار: ج٢، ص٢١٠ عن بشارة المصطفى.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٢.
(٣) سورة الأحزاب: الآية ١٢.

التحمُّل باختلاف قابليات النَّاس ودرجاتهم، لكن المؤمنين يسلِّمون لهم في ذلك كلّه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾[2].

وقد مرَّ قريباً باب (التسليم وفضل المسلّمين) فراجع.

وحيث إنَّ الله سبحانه فضَّلهم على جميع الخلق ـ من الملائكة والأنبياء والمؤمنين ـ، والعلم من أسباب التفضيل كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ﴾[3]، لذا كان لهم من العلوم ما ليس لغيرهم، ونتيجة ذلك ونتيجة الاصطفاء فإنَّ لهم حالات مع ربّهم تبارك وتعالى من المعرفة والخضوع ما ليس لغيرهم.

بعد اتضاح ذلك، يتضح أنَّ بعض علومهم وحالاتهم لا يتحمَّلها إلَّا الكاملون من الأنبياء المرسلين والملائكة المقرَّبين والمؤمنين الممتحنين، ولا يتحمَّلها سائر النَّاس لقصورهم.

كما أنَّ لهم علوماً وحالات فوق مستوى الملائكة والأنبياء والمؤمنين فلذا لا يتحمَّلها حتَّى هؤلاء ـ ليس بمعنى عدم التسليم بل بمعنى عدم قابلية إدراكها ومعرفتها ـ.

وبما ذكرناه يتمّ الجمع بين الروايات الدالة على تحمُّل هؤلاء، والروايات الدالة على عدم تحمُّلهم، وكلا الطائفتين من الروايات مُستفيضة بل لعلَّها متواترة[4]، وأمَّا ما ورد في الحديث الرابع من هذا الباب فسيأتي توضيحه إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة النُّور: الآية ٥١.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٢.

(٣) سورة الزمر: الآية ٩.

(٤) راجع بحار الأنوار: ج٢، ص١٨٢ ـ ٢١٢.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ حَدِيثَ آلِ مُحَمَّدٍ صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ[١]، لَا يُؤْمِنُ بِهِ إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ[٢]، فَمَا وَرَدَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَدِيثِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَلَانَتْ لَهُ قُلُوبُكُمْ[٣] وَعَرَفْتُمُوهُ فَاقْبَلُوهُ، وَمَا

الحديث الأوّل:

[١] **(صعب مستصعب):**

الفرق بينهما أنَّ «الصعب»: ما يكون صعباً في نفسه وهو بمعنى الامتناع عن الإدراك والفهم، و«المستصعب»: ما يعدُّه النَّاس صعباً، ويحتمل أن يكون «المستصعب» مبالغة في الصعب.

وفي البحار: من أحاط بكنه علم رجل وجميع كمالاته فلا محالة يكون متصفاً بجميع ذلك على وجه الكمال، إذ ظاهر أنَّ من لم يتصف بكمال على وجه الكمال لا يمكنه معرفة ذلك الكمال على هذا الوجه، ولا بُدَّ في الاطلاع على كنه أحوال الغير من مزيَّة، كما يحكم به الوجدان، فلا استبعاد في قصور الملائكة وسائر الأنبياء الذين هم دونهم في الكمال عن الإحاطة بكنه كمالاتهم وغرائب حالاتهم(١).

[٢] **(أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان):**

لعلَّ المُراد الأوصياء والأولياء الذين ليسوا بأنبياء، لكنهم يتلون تلوهم أو فوق بعضهم.

[٣] **(فلانت له قلوبكم):**

وهو علامة الإيمان، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(٢)

---

(١) البحار: ج٢، ص١٩٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ٢٣.

اشْمَأَزَّتْ مِنْهُ قُلُوبُكُمْ وَأَنْكَرْتُمُوهُ فَرُدُّوهُ[٤] إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى الْعَالِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، وَإِنَّمَا الْهَالِكُ أَنْ يُحَدِّثَ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْهُ لَا يَحْتَمِلُهُ، فَيَقُولَ: وَاللَّهِ مَا كَانَ هَذَا! وَاللَّهِ مَا كَانَ هَذَا[٥]! ....

---

[٤] **(فردّوه):**

أي أرجعوه إلى الله وإلى الرسول ﷺ وإلى الأئمَّة ﷺ لكي يبيِّنوا لكم، أمَّا الإرجاع إلى الله فهو إرجاعه إلى محكمات القرآن فلعلَّه يظهر وجهه، وأمَّا الإرجاع إلى الرسول وإلى الأئمَّة فبالسؤال عنهم، وفي عهد الغيبة إرجاعه إلى السُّنَّة الثابتة عنهم ليتبيّن وجهه، ومع عدم تبيّنه عليكم أن تقولوا: الله ورسوله والأئمَّة يعلمون معناه ولا يبلغ فهمنا له، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾(٢).

[٥] **(فيقول: والله ما كان هذا، والله ما كان هذا):**

لعلَّ تكرار (ما كان هذا) بمعنى إصراره على الإنكار، فإنَّ الإنسان قد يسمع شيئاً غريباً فينكره للوهلة الأُولى ثمَّ يتراجع عن إنكاره، وهذا كثيراً ما يحدث للنَّاس فيما يسمعونه من أخبار وقضايا، وهذا المقدار وإن كان نقصاً في الإيمان لكنَّه لا يؤدِّي إلى الهلاك وذلك للرجوع والتوبة عنه، لكن الهلاك هو الإصرار على تكذيب الأئمَّة ﷺ.

مع أنَّ العاقل إذا لم يفهم معنى كلام سمعه من حكيم أعلم وأعقل منه، فإنَّه لا يتهم ذلك الحكيم ولا يكذب كلامه، بل يتهم فهم نفسه.

قال الإمام الباقر ﷺ: «اعرف منازل الشيعة على قدر روايتهم ومعرفتهم، فإنَّ المعرفة هي الدراية للرواية، وبالدرايات للروايات يعلو المؤمن إلى أقصى درجات الإيمان»(٣).

---

(١) سورة النِّساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة النِّساء: الآية ٨٣.

(٣) البحار: ج٢، ص١٨٤ عن معاني الأخبار.

وَالْإِنْكَارُ هُوَ الْكُفْرُ[٦].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «ولا يكون الرجل منكم فقيهاً حتَّى يعرف معاريض كلامنا، وإنَّ الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهاً لنا من جميعها المخرج»(١).

وعن الإمام الرِّضا عليه السلام: «إنَّ في أخبارنا متشابهاً كمتشابه القرآن، ومحكماً كمحكم القرآن، فردوا متشابهها إلى محكمها»(٢).

وعن الإمامين الباقر والصَّادق عليهما السلام: «لا تكذبوا بحديث آتاكم أحد، فإنَّكم لا تدرون لعلَّه من الحقّ، فتكذبوا الله فوق عرشه»(٣).

وعن الإمام أبي الحسن عليه السلام: «ولا تقل لما بلغك عنَّا أو نسب إلينا: هذا باطل، وإن كنت تعرف خلافه، فإنَّك لا تدري لِمَا قلنا، وعلى أيّ وجه وصفه؟»(٤).

[٦] **(والإنكار هو الكفر):**

أي إنكار حديث ثابت عن الأئمَّة عليهم السلام هو تكذيب لهم عليهم السلام، وتكذيبهم كفر.

أو بمعنى أنَّ ذلك يؤدِّي إلى الكفر، فمن دأب على إنكار ما لا يفهمه، تؤدِّي هذه الحالة إلى تكذيب القرآن والرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام.

أو بمعنى كفران النِّعمة، فمن أنكر حديثاً لا يفهمه، فقد أنكر نعمة، فعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «الرجل يحمل الحديث إلى صاحبه فلا يعرفه فيردّه عليه، فهي نعمة كفرها ولم يبلغ الشِّرك»(٥).

---

(١) البحار: ج٢، ص١٨٤ عن معاني الأخبار.

(٢) المصدر نفسه: ج٢، ص١٨٥ عن العيون.

(٣) المصدر نفسه: ج٢، ص١٨٦ عن بصائر الدرجات.

(٤) المصدر عن البصائر.

(٥) راجع البحار: ج٢، ص١٨٨.

٢ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ مُوسَى، عَنْ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: ذُكِرَتِ التَّقِيَّةُ يَوْماً عِنْدَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام فَقَالَ: وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ أَبُو ذَرٍّ مَا فِي قَلْبِ سَلْمَانَ[١] لَقَتَلَهُ، وَلَقَدْ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بَيْنَهُمَا[٢]، فَمَا ظَنُّكُمْ بِسَائِرِ الْخَلْقِ، إِنَّ عِلْمَ الْعُلَمَاءِ[٣] صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ، لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، أَوْ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، أَوْ

الحديث الثاني:

[١] **(لو علم أبو ذرّ ما في قلب سلمان. . . .) إلخ:**

أي ما في قلبه من مراتب معرفة الله ومعرفة النَّبي والأئمَّة صلوات الله عليهم، وأمثال ذلك.

ثمَّ إنَّ في معنى الحديث احتمالات(١) منها:

١ ـ لو كان سلمان يُظْهِرُ له شيئاً من ذلك كان لا يحتمله، ويحمله على الكذب والارتداد، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال لأبي ذرّ: «يا أبا ذرّ إنَّ سلمان لو حدَّثك بما يعلم لقلت: رحم الله قاتل سلمان».

٢ ـ أو المعنى لقتل ذلك العلمُ أبا ذرّ، بمعنى لو أُلقيت إليه تلك الأسرار وأُمِرَ بكتمانها لمات من شدَّة الصبر عليها.

[٢] **(ولقد آخى رسول الله بينهما):**

أي مع كونهما أخوين ومتشاركين في الدِّين والعلم، مع ذلك فإنَّ قابلية سلمان كانت أكبر، ولذا أُعطي من العلم والكرامات ما يتناسب مع قابليته ممَّا لم يكن أبو ذرّ يتحمَّلها.

[٣] **(علم العلماء):**

أي آل محمَّد عليهم السلام كما تدلُّ عليه نهاية الحديث.

(١) راجع المرآة: ج٤، ص٣١٥.

عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، فَقَالَ: وَإِنَّمَا صَارَ سَلْمَانُ مِنَ الْعُلَمَاءِ[٤] لِأَنَّهُ امْرُؤٌ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ[٥]، فَلِذَلِكَ نَسَبْتُهُ إِلَى الْعُلَمَاءِ.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْبَرْقِيِّ، عَنِ ابْنِ سِنَانٍ أَوْ غَيْرِهِ، رَفَعَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ حَدِيثَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلَّا صُدُورٌ مُنِيرَةٌ، أَوْ قُلُوبٌ سَلِيمَةٌ، أَوْ أَخْلَاقٌ حَسَنَةٌ[١]، إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِنْ شِيعَتِنَا

---

[٤] **(وإنَّما صار سلمان من العلماء):**

لعلَّ المعنى: إنَّ سلمان بلغ مرتبة سامية من العلم، ولذا لم يتحمَّل علمه حتَّى مثل أبي ذرّ ـ وهو أخوه ـ، فكما أنَّ علومهم لا يتحمَّلها إلَّا الملك المقرَّب والنَّبي المرسل والأوصياء، كذلك لسلمان بعضٌ من تلك العلوم فلا يتحمّلها إلَّا هؤلاء، وأبو ذرّ رضوان الله عليه رغم سموّ درجته إلَّا أنَّه لم يبلغ تلك الدرجة، فتأمَّل.

[٥] **(لأنَّه امرؤ منَّا أهل البيت):**

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «سلمانِ منَّا أهل البيت»(١)، وإنَّما صار منهم لسعة قابليته وشدَّة ملازمته لهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢). وحيث كان ملازماً لهم وتابعاً فصار منهم، ولذا نُسب إلى العلماء عليهم السلام.

الحديث الثالث:

[١] **(صدور منيرة أو قلوب سليمة أو أخلاق حسنة):**

لعلَّ الأوَّل: الملائكة المقرَّبون، والثاني: الأنبياء المرسلون، والثالث: المؤمنون الممتحنون ـ على سياق سائر الأخبار ـ.

ويحتمل أن تكون (أو) بمعنى (الواو) ـ كما في بعض الأخبار ـ، أي من

---

(١) راجع البحار: ج٢٠، ص١٨٩.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

الْمِيثَاقَ[٢] كَمَا أَخَذَ عَلَى بَنِي آدَمَ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فَمَنْ وَفَى

جمع هذه الثلاثة، وكلّها موجودة في الملائكة المقرَّبين والأنبياء المرسلين والمؤمنين الممتحنين، فيكون هذا التوصيف لبيان علَّة تحمُّلهم.

و«الصدور المنيرة»: بأن تكون بها القابلية، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾.

و«القلوب السليمة»: من الشّكّ والشِّرك والنِّفاق ونحوها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾(١).

و«الأخلاق الحسنة»: أي ذوو الأخلاق الحسنة، فإنَّ منشأ حسن الخلق هو البراءة عن جنود الشيطان، والتحلي بجنود العقل، وذلك يُسبِّب سعة القابلية والتحمُّل بعدم الشّكّ والحسد ونحوهما قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾(٢).

[٢] (إنَّ الله أخذ من شيعتنا الميثاق):

إمّا بمعنى أن أخذ الميثاق للأئمّة كان خاصّاً بمن علم الله أنهم سيكونون من الشيعة، وأمّا سائر الناس فلم يأخذ منهم ذلك الميثاق وإنما كلّفهم في هذه الدنيا بموالاتهم، فعصوا، فاستحقوا الخلود في النار.

وإمّا بمعنى أنه تعالى أخذ الميثاق من الجميع، وإنَّما خصَّ الإمام عليه السلام الشيعة بالذِّكر، لأنّهم هم المنتفعون من هذا الأخذ.

وقد يُستظهَر من الروايات أنَّ الله تعالى أخذ الميثاق من الجميع في عالم الذَّرّ بالتوحيد والنُّبوّة والولاية(٣)، ثمَّ جعل ذلك كلّه في فطرة الإنسان، لتكون عليه الحجّة في يوم القيامة، وقد ذكرنا في ما سبق بعض التفصيل حول عالم الذَّرّ، فراجع.

---

(١) سورة الصافات: الآيتان ٨٣ ـ ٨٤.

(٢) سورة فصلت: الآية ٣٥.

(٣) راجع الروايات في البحار: ج٥، ص٢٣٤ فما بعد.

لَنا[٣] وَفَى اللّٰهُ لَهُ بِالْجَنَّةِ، وَمَنْ أَبْغَضَنا وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْنا حَقَّنا[٤] فَفِي النّارِ خالِداً مُخَلَّداً[٥].

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى وَغَيْرُهُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ بَعْضِ أَصْحابِنا قالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ صاحِبِ الْعَسْكَرِ عليه السلام: جُعِلْتُ فِداكَ ما مَعْنَى قَوْلِ الصّادِقِ عليه السلام: «حَدِيثُنا لا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلا مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللّٰهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمانِ»؟ فَجاءَ الْجَوابُ: إِنَّما مَعْنَى قَوْلِ الصّادِقِ عليه السلام ـ أَيْ: لا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ وَلا نَبِيٌّ وَلا مُؤْمِنٌ ـ أَنَّ الْمَلَكَ لا يَحْتَمِلُهُ حَتّى يُخْرِجَهُ[١]

---

[٣] **(فمن وفى لنا):**

أي عمل حسب الإقرار الذي أقرَّه في عالم الذَّرّ، فهذا وفاء منه بالميثاق، «وفى الله له بالجنَّة» لأنَّ الله وعدهم بالجنَّة فلذا يفي بما وعد لمَّا وفوا بما أقرّوا.

[٤] **(لم يؤدِّ إلينا حقّنا):**

البغض في القلب، وعدم أداء الحقّ بالعمل، ويحتمل أن يكون عطف تفسير لأنَّ من حقّهم ولايتهم فمن أبغضهم لم يفِ بحقّهم عليهم السلام.

[٥] **(خالداً مخلّداً):**

مخلَّد تأكيد لخالد.

الحديث الرابع:

[١] **(إنَّ الملك لا يحتمله حتَّى يخرجه...) إلخ:**

وفي حديث آخر عن الإمام العسكري عليه السلام: «إنَّما معناه أن لا يحتمله في قلبه من حلاوة ما هو في صدره حتَّى يخرجه إلى غيره»(١).

ولعلَّ هذا الجواب تقيَّة منه عليه السلام، وخاصَّة أنَّ الجواب جاء مكتوباً، واحتمال التقيَّة في المكتوب أكثر لاحتمال وقوعه بيد الأعداء.

---

(١) البحار: ج٢، ص١٨٤ عن معاني الأخبار.

إِلَى مَلَكٍ غَيْرِهِ، وَالنَّبِيُّ لَا يَحْتَمِلُهُ حَتَّى يُخْرِجَهُ إِلَى نَبِيٍّ غَيْرِهِ، وَالْمُؤْمِنُ لَا يَحْتَمِلُهُ حَتَّى يُخْرِجَهُ إِلَى مُؤْمِنٍ غَيْرِهِ، فَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ جَدِّي عليه السلام.

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْكَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْخَالِقِ

أو المُراد أنَّ الأحاديث التي صدرت عنهم تكون بهذه الكيفية حيث يجد الأنبياء والملائكة والمؤمنون حلاوته في قلوبهم فيرغبون أن يجد تلك الحلاوة نظراؤهم، وأمَّا ما كتموه ولم يُبيِّنوه فذلك الَّذي لا يستوعبه حتَّى هؤلاء لأنَّه فوق مستواهم.

وبعبارة أُخرى: إنَّ أحاديثهم أنواع، فمنها: ما صدر إلى غيرهم، وهذا النوع يستوعبه هؤلاء فيبثّونه إلى غيرهم لحلاوته المعنوية، ومنها: ما لم يصدر إلى غيرهم لعدم وجود أحد يتحمَّله.

الحديث الخامس:

خلاصة الحديث:

١ ـ إنَّ علمهم على قسمين:

فقسم لا يحتمله غيرهم، ولذا فإنَّ الله تعالى لم يُكلِّف غيرهم به، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، وهم عليهم السلام مُكلَّفون بذلك العلم، ويتعبَّدون به ـ أي بتحمُّله وبالعمل بلوازمه ـ.

والقسم الآخر: العلوم الَّتي أُمروا بتبليغها.

٢ ـ والَّذي أُمروا بتبليغه أيضاً صعب وثقيل فلذا رفضه النَّاس ـ مع تمكنهم من قبوله ـ، إلَّا شيعتهم فإنَّهم قبلوه واحتملوه.

٣ ـ وإنَّ الله سهَّل الأمر على المؤمنين بأن خلقهم من طينة الأئمَّة عليهم السلام ـ كما مرَّ أنَّ أبدان الأئمَّة خُلقت من أعلى علّيين وأرواح المؤمنين خُلقت من علّيين ـ فحصل هناك انسجام بين هؤلاء المؤمنين وبين الأئمَّة عليهم السلام،

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

وَأَبِي بَصِيرٍ قَالَ: قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: يَا أَبَا مُحَمَّدٍ: إِنَّ عِنْدَنَا وَاللَّهِ سِرّاً مِنْ سِرِّ اللَّهِ، وَعِلْماً مِنْ عِلْمِ اللَّهِ[١]، وَاللَّهِ مَا يَحْتَمِلُهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، وَاللَّهِ مَا كَلَّفَ اللَّهُ[٢] ذَلِكَ أَحَداً

ولذا لانت قلوبهم لذكرهم عليهم السلام.

وأمَّا من اختاروا الكفر والنِّفاق بسوء اختيارهم، فإنَّ الله لعلمه بذلك خلقهم من سجِّين ـ كما دلَّت عليه روايات أُخرى ـ فهؤلاء عاقبتهم النار بسوء اختيارهم، ولذا نفروا من حديث الأئمَّة عليهم السلام واشمأزَّت قلوبهم منه، فلذلك طبع الله على قلوبهم.

٤ ـ وحيث إنَّ الله أراد إكمال حجَّته فإنَّه أنطق ألسن هؤلاء ببعض الحقّ، وهم غافلون عن أنَّ ذلك حجَّة عليهم، ولكنَّه سبحانه وعن هذا الطريق أراد هداية بعض مَن هو قابل للهداية.

٥ ـ ولولا أنَّ الله خلق أقواماً لهم القابلية، ولولا أنَّ الله أنطق أولئك المبغضين ببعض الحقّ، لما عُبِدَ الله تعالى في أرضه، وحيث إنَّ الغرض من الخلقة الرَّحمة وطريقها العبادة، لذا فإنَّ الحكمة اقتضت ذلك لئلَّا يكون الخلق عبثاً، تعالى الله عن ذلك.

٦ ـ ثمَّ إنَّ هؤلاء المبغضين يلزم كتمان بعض الأُمور عنهم، إمَّا تقيَّةً أو لجهة أُخرى لئلَّا يضيع الحقّ، لذا أُمروا بكتمان الأسرار عنهم.

[١] **(وعلماً من علم الله):**

عطف تفسيري لبيان أنَّ ذلك السِّرّ هو من سنخ العلوم، ويحتمل التغاير ـ لأنَّ الأصل في العطف هو التأسيس ـ فلعلَّ السِّرّ هو مقامات منحها الله تعالى إيَّاهم عليهم السلام أو شيء من هذا القبيل.

[٢] **(والله ما كلّف الله. . . .) إلخ:**

حسب مقتضى ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(١)، ومقتضى ﴿لَا يُكَلِّفُ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

غَيْرَنَا، وَلَا اسْتَعْبَدَ بِذَلِكَ أَحَداً غَيْرَنَا، وَإِنَّ عِنْدَنَا[٣] سِرّاً مِنْ سِرِّ اللَّهِ وَعِلْماً مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، أَمَرَنَا اللَّهُ بِتَبْلِيغِهِ، فَبَلَّغْنَا عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَمَرَنَا بِتَبْلِيغِهِ، فَلَمْ نَجِدْ لَهُ مَوْضِعاً وَلَا أَهْلاً وَلَا حَمَّالَةً[٤] يَحْتَمِلُونَهُ، حَتَّى خَلَقَ اللَّهُ[٥] لِذَلِكَ أَقْوَاماً، خُلِقُوا مِنْ طِينَةٍ[٦] ....

ﵟاللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاﵞ(١)، فإنَّ الله خصَّ تلك الأسرار والعلوم بهم عليهم السلام لقابليتهم لها، ونتيجة تحمُّلهم عليهم السلام لتلك العلوم فإنَّ الله كلَّفهم بتكاليف تتناسب مع ما تحمَّلوا، ولم يُكلِّف غيرهم بتلك التكاليف لعدم قدرتهم.

[٣] **(وإنَّ عندنا....) إلخ:**

هذا القسم الثاني من علومهم وهو ما أمروا بتبليغه، وهي العلوم الَّتي يتمكَّن النَّاس من تحمُّلها، ولكن الأكثر لم يقبلوها بسوء اختيارهم.

[٤] **(موضعاً ولا أهلاً ولا حمالة):**

تغاير هذه الكلمات الثلاث بالاعتبار، فـ«الموضع»: هو من له القابلية، و«الأهل»: من يستحقّها ويكون جديراً بها، و«الحمالة»: هو من يحمل ذلك العلم لينقله إلى غيره.

و«الحمّالة»: إمَّا جمع حامل، أو مفرد والتاء للمبالغة كعلامة.

[٥] **(حتَّى خلق الله....) إلخ:**

في العبارة احتمالان:

١ ـ إنَّنا لم نكن نجد موضعاً وأهلاً وحمالة لولا خلق هؤلاء.

٢ ـ إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يجد أحداً يبلّغه ذلك إلَّا النادر، ثمَّ خلق الله أقواماً بعد ذلك فحملوا ذلك العلم، فكان عامَّة شيعته والمخلصون من أصحابه من الَّذين ولدوا بعد السقيفة.

[٦] **(خلقوا من طينة....) إلخ:**

قد مرَّ مراراً أنَّ الطينة ليست علَّة في السعادة والشقاء، لكن لمَّا علم الله

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٧.

خُلِقَ مِنْهَا مُحَمَّدٌ وَآلُهُ وَذُرِّيَّتُهُ عليهم السلام[٧]، وَمِنْ نُورٍ خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُ مُحَمَّداً وَذُرِّيَّتَهُ[٨]، وَصَنَعَهُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ[٩] الَّتِي صَنَعَ مِنْهَا مُحَمَّداً وَذُرِّيَّتَهُ، فَبَلَّغْنَا

أنَّ المؤمنين سيختارون الإيمان بحُسن اختيارهم لذلك خلق أرواحهم من طينة عليِّين، ولمَّا علم أنَّ الكفَّار والمنافقين سيختارون الكفر والنِّفاق بسوء اختيارهم لذلك خلقهم من طينة سجِّين.

وحيث إنَّ أرواح المؤمنين خُلقت من طينة عليِّين، وهي الطينة الَّتي خُلقت أبدان الأئمَّة من أعلاها، لذلك كان انسجام بين المؤمنين وبين الأئمَّة عليهم السلام، فيتلقَّون تعاليمهم بكلِّ يُسر، ويقبلونها بكلِّ سهولة.

[٧] **(وآله وذرِّيَّته عليهم السلام)**:

عطف الذرِّيَّة على الآل عطف تفسيري، فليس المُراد من آل محمَّد إلَّا الذرِّيَّة فلا يشمل الزوجات وسائر القرابات، ولذا اكتفى بذكر لفظ (الذرِّيَّة) دون (الآل) في المقطعين اللاحقين، نعم الإمام علي عليه السلام هو سيِّد الآل عليهم السلام.

[٨] **(ومن نور خلق الله منه محمَّد وذرِّيَّته)**:

عطف تفسيري، لأنَّ النُّور هو الطينة نفسها، وهذا ما تقتضيه سائر الأخبار، لأنَّ أرواح الأئمَّة خلقت من نور عظمة الله تعالى، وأبدانهم خلقت من أعلى عليِّين، وأمَّا أرواح المؤمنين فخلقت من عليِّين وأبدانهم ممَّا دون ذلك، فانظر (باب خلق أبدان الأئمَّة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام).

[٩] **(وصنعهم بفضل صنع رحمته....) إلخ**:

أي سببُ خلق هؤلاء المؤمنين هو رحمته تعالى، فإنَّ الرَّحمة أوَّلاً وبالذات هي خلق رسول الله محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام، ومن تلك الرَّحمة خلق الله المؤمنين.

فإنَّ الله تعالى خلق الخلق ليرحمهم ـ وهذه هي الغاية من الخلق ـ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(١)، وأمَّا طريق الوصول إلى

---

(١) سورة هود: الآية ١١٩.

عَنِ اللَّهِ مَا أَمَرَنَا بِتَبْلِيغِهِ، فَقَبِلُوهُ وَاحْتَمَلُوا ذَلِكَ[١٠]، فَبَلَغَهُمْ ذَلِكَ عَنَّا فَقَبِلُوهُ وَاحْتَمِلُوا ذَلِك، وَبَلَغَهُمْ ذِكْرُنَا[١١] فَمَالَتْ قُلُوبُهُمْ إِلَى مَعْرِفَتِنَا وَحَدِيثِنَا، فَلَوْلَا أَنَّهُمْ خُلِقُوا مِنْ هَذَا لَمَا كَانُوا كَذَلِكَ[١٢]، لَا وَاللَّهِ مَا احْتَمَلُوهُ. ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ أَقْوَاماً لِجَهَنَّمَ وَالنَّارِ[١٣]، ....

هذه الرَّحمة فهي العبادة قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾(١).

والحاصل: أنَّ العلَّة الغائية للخلق هم الرسول والعترة ﷺ فلذا خلقهم الله تعالى برحمته، ومن فضل تلك الرَّحمة خلق الله سائر المؤمنين.

وفي هذا المقطع إشارة إلى أنَّه لولاهم ﷺ لما خلق الله سائر الخلق.

[١٠] **(فقبلوه واحتملوا ذلك)**:

وفي بعض النسخ: «فبلغهم ذلك عنَّا فقبلوه واحتملوه» فعلى النسخة الأولى إشارة إلى المشافهين لهم، وعلى الثانية إشارة إلى الوصول إليهم بواسطة الثقات كعصرنا الحاضر حيث وصلنا كلامهم عبر الكتب المعتبرة.

[١١] **(وبلغهم ذكرنا)**:

أي لم يشاهدونا، ولكنَّهم وصلتهم أخبارنا وفضائلنا ونحو ذلك.

[١٢] **(من هذا لما كانوا كذلك)**:

أي لو لم يخلقوا من طينتنا لما كانت قلوبهم تميل إلى معرفتنا وحديثنا.

[١٣] **(خلق أقواماً لجهنَّم والنار)**:

اللام للعاقبة، فإنَّه تعالى خلقهم ليرحمهم وبدأهم بالرَّحمة، لكنَّهم عتَوْا عتوّاً كبيراً فكانت عاقبتهم إلى النار، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

فَأَمَرَنَا أَنْ نُبَلِّغَهُمْ كَمَا بَلَّغْنَاهُمْ[١٤]، وَاشْمَأَزُّوا مِنْ ذَلِكَ، وَنَفَرَتْ قُلُوبُهُمْ، وَرَدُّوهُ عَلَيْنَا[١٥]، وَلَمْ يَحْتَمِلُوهُ، وَكَذَّبُوا بِهِ، وَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ، فَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ[١٦]، ....

ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾(١)، فالله تعالى أعطى لهؤلاء وسائل المعرفة من القلوب والحواس، لكنَّهم بسوء اختيارهم أغلقوا عقولهم ومشاعرهم، فكان مآلهم إلى جهنَّم.

[١٤] (كما بلَّغناهم):

أي كما بلَّغنا أولئك المؤمنين فقد بلَّغنا هؤلاء، لكنَّهم لسوء اختيارهم رفضوا، ولذا اضطررنا لاستعمال التقيَّة معهم في سائر الأُمور.

أو كما بلَّغنا أهل جهنَّم، فالمعنى: أنَّ ما فعلناه من التبليغ كان بالكيفية نفسها التي أمرنا الله بها.

[١٥] (وردُّوه علينا):

«الردّ»: هنا بمعنى الرفض والإنكار ولذا تعدَّى بـ(على)، وليس بمعنى الإرجاع إليهم عليه السلام لفهم المعنى، فإنَّ ذلك يتعدَّى بـ(إلى).

[١٦] (فطبع الله على قلوبهم):

أي بسبب سوء اختيارهم، بالنفرة والرد وعدم الاحتمال والتكذيب، فإنَّ الله طبع على قلوبهم، كما قال: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٤).

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(٢) سورة النِّساء: الآية ١٥٥.

(٣) سورة يونس: الآية ٧٤.

(٤) سورة غافر: الآية ٣٥.

وَأَنْسَاهُمْ ذَلِكَ[١٧]، ثُمَّ أَطْلَقَ اللَّهُ لِسَانَهُمْ بِبَعْضِ الْحَقِّ، فَهُمْ يَنْطِقُونَ بِهِ وَقُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ، لِيَكُونَ ذَلِكَ دَفْعاً عَنْ أَوْلِيَائِهِ[١٨] وَأَهْلِ طَاعَتِهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ[١٩] ....

---

[١٧] (وأنساهم الله ذلك):

جملة مستأنفة، أي هؤلاء سمعوا منّا ما أُمرنا بتبليغه فأنكروه، لكنَّ الله تعالى أنساهم تكذيبهم فأنطق لسانهم ببعض ذلك الحقّ الَّذي أنكرته قلوبهم، غافلين عن أنَّ ذلك سيكون حجَّة عليهم، كما نشاهد في أنَّ الحجَّة تامَّة على العامَّة حيث ورد في صحاحهم وبأسناد صحيحة عندهم غالب عقائد الشيعة ـ من البراءة والولاية ـ بحيث لو نظر إليها الفاحص عن الحقّ لوصل إليه، وخاصَّة في العصر الحاضر حيث إنَّ التقنية الحديثة أوصلت جميع البراهين إلى جميع البيوت، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾(١)، والحمد لله ربّ العالمين.

وكمثال على ذلك روى الطبري في تاريخه هذا الحديث عن رسول الله ﷺ أنَّه قال لعلي عليه السلام: «إنَّ هذا أخي ووصيِّي ووارثي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا» وكان غافلاً عن دلالة الحديث لذا رواه بتمامه من غير تبديل(٢)، لكنَّه التفت إلى الدلالة في تفسيره فبدّل الحديث إلى (إنَّ هذا أخي وكذا وكذا)(٣)!!

[١٨] (ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه):

لأنَّه لا يتمكن أحد من أذى الأولياء بسبب روايتهم واعتقادهم بتلك الأمور، لأنَّ الأولياء يحتجّون بوجود هذه الروايات في كتب القوم.

[١٩] (ولولا ذلك):

أي لولا الدفع عن الأولياء عبر نطق هؤلاء المخالفين ببعض الحقّ لانقرض الأولياء فلم يبقَ أحد يعبد الله.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٩.

(٢) تاريخ الطبري: ج٢، ص٦٣.

(٣) تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): ج١٩، ص١٤٨ ـ ١٤٩.

مَا عُبِدَ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ[٢٠]، فَأَمَرَنَا بِالْكَفِّ عَنْهُمْ[٢١] وَالسَّتْرِ وَالْكِتْمَانِ، فَاكْتُمُوا عَمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ بِالْكَفِّ عَنْهُ، وَاسْتُرُوا عَمَّنْ أَمَرَ اللَّهُ بِالسَّتْرِ وَالْكِتْمَانِ عَنْهُ[٢٢]. قَالَ: ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ وَبَكَى وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ[٢٣]،

والمُراد: أنَّ المخالفين يكفّون عن إبادة الأولياء لمَّا يجدون في كتبهم ما يقوله الأولياء، مضافاً إلى أنَّ هذا حجَّة قوية تُسبِّب اهتداء كثير من المخالفين، ولولا هذا الدفع لقتلوا الأولياء ولم يهتدِ أحد وكان ذلك سبباً لانقراض الأولياء.

[٢٠] **(ما عبد الله في أرضه):**

لأنَّ الولاية شرط صحَّة العبادة، كما أنَّ الله لا يقبل إلَّا بالكيفية التي أمر بها، فالعبادة خلاف تلك الكيفية باطلة غير مقبولة، كمن يُصلِّي بخشوع وخضوع من غير وضوء، فإنَّ صلاته باطلة وإن أطالها حتَّى ينقطع ظهره.

[٢١] **(فأمرنا بالكفّ عنهم...) إلخ:**

أي هؤلاء لما رفضوا كلام الأئمَّة عليهم السلام ونفروا منه وكذبوه لذلك أُمرنا بالتقيَّة منهم، لئلَّا يصل ضررهم إلينا ولا إلى شيعتنا، وهنا مرحلتان:

١ ـ الكفُّ عنهم بعدم الاستمرار في تبليغهم، لعدم فائدته، ولتمام الحجَّة عليهم.

٢ ـ كتمان سائر الأُمور عنهم تقيَّة منهم.

[٢٢] **(من أمر الله بالسَّتر والكتمان عنه):**

وهم المعاندون، أمَّا غيرهم فيجب تبليغهم، وقد مرَّ تفصيل ذلك في آخر كتاب التوحيد، باب (الهداية وأنَّها من الله تعالى).

[٢٣] **(لشرذمة قليلون):**

«الشرذمة»: جماعة منقطعة(١) وهي القليل من النَّاس(٢).

---

(١) المفردات: ص٤٥٠.

(٢) المقاييس: ص٥٣٨.

فَاجْعَلْ مَحْيَانَا مَحْيَاهُمْ[٢٤]، وَمَمَاتَنَا مَمَاتَهُمْ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً لَكَ فَتُفْجِعَنَا بِهِمْ، فَإِنَّكَ إِنْ أَفْجَعْتَنَا بِهِمْ لَمْ تُعْبَدْ أَبَداً فِي أَرْضِكَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً.

---

[٢٤] (محيانا محياهم):
فيه قلب، أي اجعل محياهم كمحيانا، أي مثل ما نحيا عليه من الإيمان والعمل الصالح، واجعل مماتهم كمماتنا، أي مثل ما نموت عليه من الإيمان حين الموت، ومن الثواب والرضوان.

بَابُ مَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِالنَّصِيحَةِ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاللُّزُومِ لِجَمَاعَتِهِمْ، وَمَنْ هُمْ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ[١] فَقَالَ[٢]: ....

الحديث الأوَّل:

[١] **(مسجد الخيف):**

«الخَيف»: بفتح الخاء: ما ارتفع عن مسيل الوادي ولم يبلغ أن يكون جبلاً(١)، وأمَّا «الخِيف»: بكسر الخاء: فهو جمع خِيفة، والظاهر أنَّ المسجد الواقع في منى هو بفتح الخاء لأنَّه يقع في بداية الجبل فليس في بطن منى ولا على قمَّة الجبل.

وكانت هذه الخطبة في حجَّة الوداع، وقد مهَّد الرسول ﷺ لأخذ البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام في غدير خم، وقد مرَّ بعض التفصيل فيما مضى.

[٢] **(فقال):**

خلاصة الحديث:

١ ـ أمر النَّاس بفهم كلامه عليه السلام، وحفظه، ثمَّ نقله إلى الآخرين، لتعمّ الهداية.

٢ ـ بيان أهمية إيصال الحقائق إلى الآخرين، حتَّى لو لم يدرك الإنسان

---

(١) راجع المقاييس: ص٣١٩.

نَضَّرَ اللَّهُ[٣] عَبْداً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، وَحَفِظَهَا، وَبَلَّغَهَا[٤] مَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ[٥] غَيْرُ فَقِيهٍ، ....

دقائقها ولوازمها، فإنَّ الإنسان قد لا يلتفت إلى المقصود أو لوازم الكلام، لكن قد ينقله إلى آخر فيلتفت إليها.

٣ـ بيان اقتران إخلاص العمل لله مع الولاية القلبية للأئمَّة عليهم السلام واتباعهم عملاً.

٤ ـ بيان تكافؤ المسلمين في دمائهم، وفي حقوقهم، وصلاحياتهم.

ثمَّ لا يخفى أنَّ هذه المقاطع هي مختار الخطبة، وقد بيَّنت روايات أُخرى مقاطع أُخرى، منها ما في تفسير القمِّي بعد قوله: (فإنَّ دعوتهم محيطة من ورائهم)، قال ﷺ: «أيُّها النَّاس إنِّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلُّوا ولن تزلُّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنَّه نبَّأني اللَّطيف الخبير أنَّهما لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض كإصبعيَّ هاتين ـ وجمع بين سبَّابتيه ـ، ولا أقول: كهاتين ـ وجمع بين سبَّابته والوسطى ـ فتفضل هذه على هذه»(١).

[٣] (نضَّر الله):

«النضرة»: الحُسن والرونق، و«نضَّر الله وجهه»: بمعنى حسَّنه ونوَّره(٢)، قال تعالى: ﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾(٣)، وفي التبيين: بهجة التنعُّم، فإذا نظرت في وجوههم ترى فيها آثار النِّعمة(٤).

[٤] (فوعاها وحفظها وبلغها):

فهنا مراحل ثلاث: الفهم، ثمَّ عدم النسيان، ثمَّ إيصالها للآخرين ليهتدوا أيضاً.

[٥] (فرُبَّ حاملِ فقهٍ....) إلخ:

الفاء للتفريع، ولعلَّه إشارة إلى أنَّ التبليغ كما يُفيد السامع كذلك يفيد

---

(١) البحار: ج٢٧، ص٦٥ عن تفسير القمِّي.

(٢) المقاييس: ص٩٩٥.

(٣) سورة المطففين: الآية ٢٤.

(٤) تبيين القرآن: ص٦١٠.

وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ[٦]، ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ[٧]: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ[٨]، وَاللُّزُومُ

المبلِّغ، فإنَّ الإنسان قد يسمع كلاماً لكنَّه لا يدرك لوازم هذا الكلام أو دقائقه، فإذا بلَّغه لغيره فكما يستفيد ذلك الغير كذا قد يستفيد الناقل لأنَّ المنقول له قد يلتفت إلى اللوازم والدقائق فيشرحها إلى الناقل.

[٦] **(إلى من هو أفقه منه):**

لعلَّه إشارة إلى لزوم تواضع حملة العلم، فكونه فقيهاً، لا يعني عدم استفادته من المنقول إليه، فلعلَّه أفقه منه.

[٧] **(لا يُغِلُّ عليهنَّ قلبُ امرئٍ مسلمٍ):**

من (الإغلال) بمعنى الخيانة، أو (الغِلّ) بمعنى الحقد والضغينة، أو (الغُلّ) بمعنى ما يُقيِّد به[١]، أو (الوغول) بمعنى الدخول.

فعلى الأوَّل: «يُغِلُّ» من معلوم باب الإفعال، والمعنى: لا يخون القلب في هذه الثلاث.

وعلى الثاني: «يَغِلُّ» من معلوم المجرَّد، والمعنى: يتقبَّل هذه الأُمور قلباً ولا يكرهها، عكس المنافقين الَّذين يدخل قلوبهم الحقد فيُزيلهم عن الحقّ.

وعلى الثالث: «يُغَلُّ» من المجهول المجرَّد، أي لا يُقيَّد القلب، بأن يُختم عليه فيرفضها.

وعلى الرابع: «يَغِلُ» بتخفيف اللام، أي لا يدخل القلب في الشَّر بسبب ترك هذه الثلاث.

[٨] **(والنصيحة لأئمَّة المسلمين):**

«النصيحة» خلاف الغش، والمعنى أن يكون القلب خالصاً من الأغراض الفاسدة، ويُقال للوعظ: النصح، لأنَّه تحرِّي ما فيه صلاح الآخر، قال:

---

(١) راجع المفردات: ص٦١٠ والمقاييس: ص٧٦٩.

لِجَمَاعَتِهِمْ[٩]، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ مُحِيطَةٌ مِنْ وَرَائِهِمْ[١٠]، ....

﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾(١)، وذلك لأنَّ غرض الأنبياء عليهم السلام هداية النَّاس، ولم يقصدوا إضراراً بهم، ولا منافع لأنفسهم، ولذا كان وعظهم من غير غش، فلذا سُمِّي نصيحة.

[٩] **(واللزوم لجماعتهم):**

الضمير إمَّا للأئمَّة أو للمسلمين، أي أن يكون مع الجماعة الَّذين اتفقوا على الأئمَّة عليهم السلام وهم الشيعة الإمامية، فتكون النصيحة قلبية واللزوم عمليّاً.

والحاصل: أنَّه يجب مضافاً إلى الاعتقاد بهم عليهم السلام أن يكون ضمن حزبهم، فلا يكفي الاعتزال والابتعاد عن نصرتهم عليهم السلام، كمن خذلوا أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه رغم ادعائهم محبَّته.

وعن رسول الله ﷺ قال: «من فارق جماعة المسلمين فقد خلع ربقة الإسلام، قيل: يا رسول الله وما جماعة المسلمين؟ قال: جماعة الحقّ وإن قلّوا»(٢).

[١٠] **(فإنَّ دعوتهم محيطة من ورائهم):**

أي شاملة لجميعهم بلا استثناء، و(الدَّعوة) المرَّة من الدُّعاء، وضمير (دعوتهم) للأئمَّة، و(ورائهم) للجماعة، والمعنى: فإنَّ دعاء الأئمَّة شامل لجميع جماعة المسلمين.

ولعلَّ المقصود أنَّ من فوائد اللُّزوم لجماعتهم هو دعاء الأئمَّة عليهم السلام لهم، وفي ذلك خير الدُّنيا والآخرة.

أو المعنى: فإنَّ ما يدعو إليه الأئمَّة تكليف للجميع، فلذا يجب عليهم اتباعهم في كل ما يدعون إليه، فعلى هذا يكون قوله: **«فإن دعوتهم»** تعليل للزوم جماعتهم.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٧٩.

(٢) البحار: ج٢٧، ص٦٧ عن أمالي الصدوق.

الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ[١١] تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ[١٢].

---

[١١] **(المسلمون إخوة. . . .) إلخ:**

لمَّا بيَّن الرسول ﷺ وظيفة النَّاس تجاه الله تعالى من إخلاص العمل له، ووظيفتهم تجاه الأئمَّة بالنصيحة لهم، ووظيفتهم تجاه جماعة المؤمنين باللُّزوم لهم، بعد ذلك كلّه بيَّن ﷺ وظائف المسلمين بعضهم تجاه البعض، وذكر أمرين من أهم تلك الوظائف ـ وإنَّما خصَّصهما بالذِّكر لأهميتهما ولإبطال الجاهلية ـ، وهما:

١ ـ حفظ الدماء، مع تساوي جميع المسلمين في ذلك، فلا يحق لشريف قتل وضيع، ولو قتله لاقتصَّ منه، ولو قتل وضيع شريفاً فلا يحق أكثر من قصاصه بلا تعدٍّ على أقربائه وعشيرته قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾(١).

٢ ـ حفظ الذمام، مع تساوي الشريف والوضيع، خلافاً للجاهلية حيث كانوا يراعون ذمَّة القوي ويرفضون ذمَّة الضعيف.

والحاصل: أنَّ الإسلام ساوى بين المسلمين، فدماؤهم متكافئة وللجميع الحق في الذمام.

وبعبارة أُخرى: قوله: (تتكافأ دماؤهم) رفض لامتياز الأقوياء على الضعفاء، وقوله: (يسعى بذمَّتهم أدناهم) رفع للضعيف إلى مستوى القوي.

[١٢] **(يسعى بذمَّتهم أدناهم):**

عن النهاية: الذمَّة والذمام بمعنى العهد والأمان والضمان والحرمة والحق، وسُمِّي أهل الذمَّة: لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم(٢).

وعن السكوني قال: قلت له ـ يعني الإمام الصادق عليه السلام ـ: ما معنى قول رسول الله ﷺ: «يسعى بذمَّتهم أدناهم»؟ قال: لو أنَّ جيشاً من المسلمين

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٦.

(٢) نقله في الوافي: ج٢، ص٩٨ ـ ٩٩.

وَرَوَاهُ أَيْضاً عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبَانٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ مِثْلَهُ وَزَادَ فِيهِ: وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ[١٣]. وَذَكَرَ فِي حَدِيثِهِ أَنَّهُ خَطَبَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ مِسْكِينٍ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ قَالَ: قَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ[١]: اذْهَبْ بِنَا إِلَى جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، قَالَ: فَذَهَبْتُ مَعَهُ إِلَيْهِ، فَوَجَدْنَاهُ قَدْ رَكِبَ دَابَّتَهُ، فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، حَدِّثْنَا بِحَدِيثِ خُطْبَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ. قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَذْهَبَ فِي حَاجَتِي، فَإِنِّي قَدْ رَكِبْتُ، فَإِذَا جِئْتُ حَدَّثْتُكَ. فَقَالَ: أَسْأَلُكَ

حاصروا قوماً من المشركين فأشرف رجل فقال: أعطوني الأمانَ حتَّى ألقى صاحبكم وأناظره، فأعطاه أدناهم الأمان، وجب على أفضلهم الوفاء به(١).

[١٣] **(وهم يد على من سواهم):**

أي يعاون بعضهم بعضاً على العدو، ولا يتخاذلون، ولا يعاون بعضهم الأعداء ضدّ مسلمين آخرين، كما يحدث في العصر الحاضر حيث إنَّ بعض حكّام الدول الإسلامية يستقوون باليهود والنصارى ضدّ شعوبهم المسلمة أو ضد جوارهم المسلمين.

الحديث الثاني:

[١] **(سفيان الثوري):**

كان عامِّيّاً صوفياً، وفعله بخرق الكتاب يدلُّ على نفاقه.

---

(١) الوسائل: ج١٥، ص٦٧.

بِقَرَابَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا حَدَّثْتَنِي. قَالَ: فَنَزَلَ، فَقَالَ لَهُ سُفْيَانُ: مُرْ لِي بِدَوَاةٍ وَقِرْطَاسٍ حَتَّى أُثْبِتَهُ! فَدَعَا بِهِ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، خُطْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ: «نَضَّرَ اللَّهُ عَبْداً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا، وَبَلَّغَهَا مَنْ لَمْ تَبْلُغْهُ، يَا أَيُّهَا النَّاسُ: لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاللُّزُومُ لِجَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ مُحِيطَةٌ مِنْ وَرَائِهِمْ، الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ». فَكَتَبَهُ سُفْيَانُ، ثُمَّ عَرَضَهُ عَلَيْهِ[٢].
وَرَكِبَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، وَجِئْتُ أَنَا وَسُفْيَانُ، فَلَمَّا كُنَّا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ قَالَ لِي: كَمَا أَنْتَ[٣] حَتَّى أَنْظُرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ! فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ وَاللَّهِ أَلْزَمَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ رَقَبَتَكَ[٤] شَيْئاً لَا يَذْهَبُ مِنْ رَقَبَتِكَ أَبَداً! فَقَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: «إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ» قَدْ عَرَفْنَاهُ، وَ«النَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ» مَنْ هَؤُلَاءِ

---

[٢] (ثمّ عرضه عليه):

أي أرى الإمامَ تلك الكتابة، لكيلا يكون قد أخطأ فيها.

[٣] (كما أنت):

أي الزم ما أنت فيه، و(الكاف) زائدة، و(ما) موصولة، والمعنى توقف حيث أنت.

[٤] (ألزم أبو عبد الله رقبتك. . . .) إلخ:

أي ألزمك الحجّة بهذا الحديث، فكان عدم ذهابه لأجل إتمام الحجّة عليك عبر خطبة الرسول ﷺ.

الْأَئِمَّةُ الَّذِينَ يَجِبُ عَلَيْنَا نَصِيحَتُهُمْ؟ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ! وَيَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ! وَمَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ! وَكُلُّ مَنْ لَا تَجُوزُ شَهَادَتُهُ عِنْدَنَا[٥]، وَلَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ خَلْفَهُمْ؟ وَقَوْلُهُ: «وَاللُّزُومُ لِجَمَاعَتِهِمْ» فَأَيُّ الْجَمَاعَةِ؟ مُرْجِئٌ[٦] يَقُولُ: مَنْ لَمْ يُصَلِّ وَلَمْ يَصُمْ وَلَمْ يَغْتَسِلْ مِنْ جَنَابَةٍ وَهَدَمَ الْكَعْبَةَ وَنَكَحَ أُمَّهُ فَهُوَ عَلَى إِيمَانِ جَبْرَئِيلَ وَمِيكَائِيلَ!! أَوْ قَدَرِيٌّ[٧] يَقُولُ: لَا يَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَكُونُ

---

[٥] **(وكل من لا تجوز شهادته عندنا):**

أي من الحكّام الفاسقين، فإنَّ الفسق موجب لردّ الشهادة ولعدم جواز الصلاة خلفهم، فإذا لم يُؤْمَنْ على الشهادة، ولا تجوز إمامته للجماعة، فكيف يمكن تولّيه لأمور المسلمين ـ أعراضهم ونفوسهم وأموالهم ـ؟

وقوله: (عندنا) لعلَّ هذا الرجل القرشي المكّي ـ راوي الحديث ـ كان شيعيّاً.

[٦] **(مرجئ):**

المرجئة قوم يكتفون بالإيمان في القلب، ويقولون لا مدخل للأعمال في الإيمان، ولا تضرُّ معه معصية، فهم أرجؤوا ـ أي أخروا ـ العمل عن النيّة.

وهذا الزعم مخالف للقرآن وللعقل كما مرَّ.

وأمّا ما قيل من أنَّ الإرجاء هو تأخير الإمام علي عليه السلام عن الثلاثة، فهذا معنى ابتدعه متأخرو العامَّة لتبرئة بعض كبار متقدميهم من عقيدة الإرجاء كما مرَّ.

[٧] **(أو قدري):**

مرَّ أنَّ القدري يطلق على المجبرة وعلى المفوضة، وهنا أراد الراوي المفوضة، وفي البحار: هم الذين يقولون بأنَّه ليس لله سبحانه وقضائه وقدره مدخل في أعمال العباد! وقال بعضهم: إنَّه لا يقدر على التصرُّف في أعمالهم! فعزلوه عن ملكه، وقالوا: لا يكون ما شاء الله، فنفوا أن

مَا شَاءَ إِبْلِيسُ!! أَوْ حَرُورِيٌّ[٨] يَتَبَرَّأُ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَشَهِدَ عَلَيْهِ بِالْكُفْرِ!! أَوْ جَهْمِيٌّ[٩] يَقُولُ: إِنَّمَا هِيَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَيْسَ الْإِيمَانُ شَيْئاً غَيْرَهَا؟! قَالَ: وَيْحَكَ وَأَيَّ شَيْءٍ يَقُولُونَ؟ فَقُلْتُ: يَقُولُونَ: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ـ وَاللَّهِ ـ الْإِمَامُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا نَصِيحَتُهُ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ: أَهْلُ بَيْتِهِ. قَالَ: فَأَخَذَ الْكِتَابَ فَخَرَقَهُ ثُمَّ قَالَ: لَا تُخْبِرْ بِهَا أَحَداً.

يكون لله تعالى مشيئة وإرادة وتدبير وتصرُّف في أعمال العباد! وأثبتوا ذلك لإبليس(١).

وقد مرَّ في كتاب التوحيد أنَّ الصحيح هو أن لا الجبر ولا التفويض بل أمر بين الأمرين، فراجع.

[٨] **(حروري):**

هم طائفة من الخوارج، كان أوّل اجتماعهم في حروراء ـ وهي قرية كانت قريبة من الكوفة ـ.

[٩] **(جهميٌّ):**

فرقة منسوبة إلى الجهم بن صفوان، وفي البحار: وهي فرقة شايعته على مذهبه، وهي القول: بأنَّ الجنَّة والنار تفنيان، وأنَّ الإيمان هو المعرفة فقط دون الإقرار ودون سائر الطاعات، وأنَّه لا فعل لأحد على الحقيقة إلَّا لله، وأنَّ العباد في ما يُنسب إليهم من الأفعال كالشجر تحرِّكها الريح، فالإنسان لا يقدر على شيء إنَّما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، ونُسب إليهم القول بأنَّ من أتى بالمعرفة ثمَّ جحد بلسانه لم يكفر بجحده(٢).

وقد مرَّ في كتاب التوحيد إبطال هذه الأقوال السخيفة التي تعارض القرآن والعقل، فراجع.

---

(١) البحار: ج٢٧، ص٧١ ـ بتصرُّف ـ.

(٢) المصدر نفسه.

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ـ جَمِيعاً ـ عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ حَرِيزٍ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا نَظَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ[١] إِلَى وَلِيٍّ لَهُ، يُجْهِدُ نَفْسَهُ بِالطَّاعَةِ[٢] لِإِمَامِهِ، وَالنَّصِيحَةِ[٣]، إِلَّا كَانَ مَعَنَا فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى[٤].

الحديث الثالث:

[١] **(نظر الله عزَّ وجلَّ):**
نظره تعالى بمعنى علمه قال تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(١).

[٢] **(يجهد نفسه بالطاعة):**
أي يتعب نفسه بذلك، وذلك لأنَّ طاعتهم قد تكون خلاف المصالح الشخصية، فإتعاب النفس فيه دليل على عمق الإيمان، وأمَّا الطاعة فيما فيه المصلحة فلا إتعاب للنفس فيها ولا دلالة لها على الإيمان، فإن فيها يُطيع المؤمن والمنافق فلا تمييز بها.

[٣] **(والنصيحة):**
قد ذكرنا أنَّ النصيحة قلبية، والطاعة عملية.

[٤] **(في الرفيق الأعلى):**
أي في محلّ الرفيق الأعلى ـ وهو أعلى الجنَّة ـ، والرفيق يُطلق على الواحد وعلى الجمع، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾(٢)، وقد أمر الله تعالى والرسول ﷺ بالنصيحة للأئمة عليهم السلام وطاعتهم، فمن أطاع في هذا كان في المحل الأعلى رفيقاً لهؤلاء.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢٩.
(٢) سورة النِّساء: الآية ٦٩.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ، عَنْ مُحَمَّدٍ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَنْ فَارَقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ قِيدَ شِبْرٍ[١] فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ[٢].

٥ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: مَنْ فَارَقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَنَكَثَ صَفْقَةَ الْإِمَامِ[١]، جَاءَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَجْذَمَ[٢].

الحديث الرابع:

[١] (قيد شبر):
أي بمقداره، والمُراد أنَّ المفارقة ولو بمقدار بسيط جداً تكون سبباً للهلاك، لأنَّ من خالف ولم يتُب فإنَّ طبعه المخالفة، ومن كان طبعه ذلك لا يأبه بالمخالفة أكثر، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾(١).

[٢] (خلع ربقة الإسلام من عنقه):
«الربقة»: الحبل في العنق، وهو تشبيه العهد الذي يلزم الإنسان بالحبل الذي يجعل في الأعناق، فكما يقيد الحبل كذلك الحدود والأحكام تقيد المؤمن.

الحديث الخامس:

[١] (صفقة الإمام):
أي بيعته، سُمّيت صفقة لأنّها تكون عادة بضرب يد المبايع على يد الإمام.

[٢] (أجذم):
وهو مقطوع اليد، والمُراد هنا الكناية عن خلوّ اليد من الأعمال

---

(١) سورة الروم: الآية ١٠.

الصالحة، لأنَّ الناكث يحبط عمله ولا تقبل منه طاعة، فيلقى الله يوم القيامة صفر اليدين، قال تعالى: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

---

(١) سورة الفتح: الآية ١٠.

بَابُ مَا يَجِبُ مِنْ حَقِّ الْإِمَامِ عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقِّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْإِمَامِ

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام: مَا حَقُّ الْإِمَامِ عَلَى النَّاسِ؟ قَالَ: حَقُّهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا[١]. قُلْتُ: فَمَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: أَنْ يَقْسِمَ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ[٢]، ....

الحديث الأوّل:

[١] **(يسمعوا له ويطيعوا):**
السماع هو الإنصات له، والإطاعة هي تطبيق ما سمعوه بأن يأتمروا بأوامره وينتهوا عن نواهيه.

[٢] **(يقسم بينهم بالسوية):**
أي يساوي بين الشريف والوضيع، وبين القوي والضعيف في العطاء من بيت المال وأموال الفيء.

وكانت هذه سُنَّة الرسول صلى الله عليه وآله، ثم غيَّرها من سبق أمير المؤمنين عليه السلام، فلمَّا نهض عليه السلام بالأمر أرجع التقسيم إلى ما كان على عهد الرسول صلى الله عليه وآله، فلم يرض بذلك بعض الأشراف الذين تعودوا على الأخذ بأكثر من حقّهم، وفي نهج البلاغة: فلمَّا نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت أُخرى وقسط آخرون، كأنَّهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، بلى والله سمعوها ووعوها ولكنَّهم حليت الدُّنيا في أعينهم وراقهم زبرجها[١].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

وَيَعْدِلَ فِي الرَّعِيَّةِ[٣]، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي النَّاسِ[٤] فَلَا يُبَالِي مَنْ أَخَذَ هَاهُنَا وَهَاهُنَا[٥].

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ يُونُسَ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام مِثْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا يَعْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَخَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ.

---

[٣] **(ويعدل في الرعية):**

أي في سائر الأمور، ولا يخفى أنَّ التقسيم بالسوية هو من العدل أيضاً، وإنَّما خصَّه بالذِّكر لأجل ظهور العدل فيه أكثر من سائر الأُمور، ولأجل أنَّ بيت المال حقّ كلّ المسلمين فالعدل والجور فيه يعمُّ جميع طبقاتهم، بخلاف سائر الأُمور فهي عادة ترتبط ببعض النَّاس.

[٤] **(فإذا كان ذلك في الناس. . . .) إلخ:**

أي إذا قسّم بالسوية وعدل بين الرعية، فلا يضرُّه تفرَّق النَّاس عنه، لأنَّ المهم هو كسب رضا الله تعالى، ولا قيمة لرضا النَّاس إذا كان فيه الظلم والاستئثار.

[٥] **(فلا يُبالي من أخذ هاهنا وهاهنا):**

عن أصبغ بن نباتة قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام، وقال في خطبته: «إنَّ أحق ما يتعاهد الراعي من رعيته، أن يتعاهدهم بالذي لله عليهم في وظائف دينهم. وإنَّما علينا أن نأمركم بما أمركم الله به، وأن ننهاكم عمَّا نهاكم الله عنه، وأن نقيم أمر الله في قريب النَّاس وبعيدهم، لا نُبالي فيمن جاء الحقّ عليه. . .» إلخ(١).

---

(١) البحار: ج٢٧، ص٢٥٤ عن الغارات.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْعَطَّارُ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ هَارُونَ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لَا تَخْتَانُوا وُلَاتَكُمْ[١]، وَلَا تَغُشُّوا هُدَاتَكُمْ، وَلَا تُجَهِّلُوا أَئِمَّتَكُمْ[٢]، ....

الحديث الثالث:

[١] **(لا تختانوا ولاتكم...) إلخ:**

الإمام عليه السلام بقوله: (ولاتكم) يعني نفسه، ومَن نصبه في المدن والأطراف، وكذا الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام، ووكلاءهم.

ومراحل المخالفة هي:

١ ـ الخيانة.

٢ ـ ثمَّ الغش للتستر على الخيانة.

٣ ـ ثمَّ محاولة تبرير الخيانة والغش، بزعم أنَّ الولاة والهداة جاهلون لذا تُترك طاعتهم!

٤ ـ ثمَّ الانفصال عنهم عند انكشاف الأمر أو ظهور الأقوى بالظاهر.

ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام اختار لكلّ مرحلة وصفاً من أوصاف الأئمَّة عليهم السلام تُناسب تلك المرحلة:

فالوالي ينبغي إطاعته وترك خيانته، والهادي يلزم الخلوص له والنصيحة له وعدم محاولة غشّه وخداعه، والإمام هو العالم بكلّ شيء فلا معنى لزعم جهله، وأما حبل النجاة فيلزم التمسُّك به وليس من المعقول التفرُّق عنه.

[٢] **(ولا تُجهِّلوا):**

أي لا تنسبوهم إلى الجهل، ويمكن أن يكون بالمعلوم من المجرّد فالمقصود الحثّ على معرفتهم.

وَلَا تَصَدَّعُوا عَنْ حَبْلِكُمْ[٣]، فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ[٤]، وَعَلَى هَذَا فَلْيَكُنْ

---

[٣] (ولا تصدَّعوا عن حبلكم):

«التصدع»: هو التفرُّق، ولذا يُقال للشقّ في الجدار أو الأرض: الصدع.

[٤] (فتفشلوا وتذهب ريحكم):

كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾(١).

وفي التبيين: وتذهب ريحكم: دولتكم، شُبهت بالريح لأنَّ لكل واحد منهما نفوذاً وحركة واسعة(٢).

فإنَّ من يخون واليه ويغشّ ويجهّل ويتفرّق عن حبله، فإنَّه لا محالة يكون سبباً لزوال الدولة وسيطرة الأعداء، وفي ذلك ضرره الدنيويّ مضافاً إلى الضرر الأخروي، كما أنَّ الذين خذلوا أمير المؤمنين عليه السلام وخالفوه كانوا السبب في سيطرة معاوية، فقرَّب أهل الشام وأعطاهم الولايات واستأثر بالمال لهم، فخسر الخاذلون المخالفون دُنياهم أيضاً، فصاروا أذيالاً مبعدين عن السلطة والمال.

وفي نهج البلاغة من خطبة له عليه السلام: «أمَّا بعد فقد جعل الله لي عليكم حقّاً بولاية أمركم، ولكن عليَّ من الحقّ مثل الذي عليكم، فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف.

ومنها: وأعظم ما افترض الله من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرعية، وحقّ الرَّعيَّة على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لِكُلٍّ على كُلٍّ، فجعلها نظاماً لألفتهم، وعزّاً لدينهم. فليست تصلح الرَّعيَّة إلَّا بصلاح الوُلاة، ولا تصلح الوُلاة إلَّا باستقامة الرَّعيَّة.

فإذا أدَّت الرَّعيَّة إلى الوالي حقَّه، وأدَّى الوالي إليها حقَّها، عزّ الحقُّ بينهم، وقامت مناهج الدِّين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها ـ أي مجاريها ـ السُّنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

(٢) تبيين القرآن: ص١٩٥.

تَأْسِيسُ أُمُورِكُمْ[٥]، وَالْزَمُوا هَذِهِ الطَّرِيقَةَ، فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ[٦] مَا عَايَنَ مَنْ قَدْ مَاتَ مِنْكُمْ مِمَّنْ خَالَفَ مَا قَدْ تُدْعَوْنَ إِلَيْهِ[٧]، لَبَدَرْتُمْ وَخَرَجْتُمْ وَلَسَمِعْتُمْ[٨]، وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَقَرِيباً مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ.

وإذا غلبت الرَّعيَّة واليها، أو أجحف الوالي برعيَّته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الإدغال في الدِّين، وتركت محاجُّ السُّنن، فعُمل بالهوى، وعُطِّلت الأحكام، وكثرت علل النُّفوس، فلا يُستوحش لعظيم حق عُطِّلَ، ولا لعظيم باطل فُعل، فهنالك تَذِلُّ الأبرار، وتَعِزُّ الأشرار، وتعظم تبعات الله عند العباد»(١).

[٥] **(وعلى هذا فليكن تأسيس أُموركم)**:

أي اجعلوا ما ذُكِر القاعدة التي تنطلقون منها، وابنوا كل أُموركم عليها.

[٦] **(لو عاينتم. . .)**:

أي العذاب بسبب الخيانة والمخالفة، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۞ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾(٣).

[٧] **(ما قد تدعون إليه)**:

كالجهاد مع معاوية، وكطاعة الإمام عليه السلام.

[٨] **(لبدرتم وخرجتم ولسمعتم)**:

أي أسرعتم بلا تهاون، وخرجتم إلى الجهاد، وسمعتم الأوامر سماع إجابة.

فإنَّ الإمام عليه السلام كان يُعاني من بُطئهم، ثمَّ عدم خروجهم إلى الجهاد، ثمَّ عدم إطاعتهم حتَّى وإن خرجوا.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢١٦.
(٢) سورة ق: الآية ٢٢.
(٣) سورة المؤمنون: الآيتان ٩٩ ـ ١٠٠.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَمَّادٍ وَغَيْرِهِ، عَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: نُعِيَتْ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله[١] نَفْسُهُ، وَهُوَ صَحِيحٌ لَيْسَ بِهِ وَجَعٌ[٢]. قَالَ: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. قَالَ: فَنَادَى صلى الله عليه وآله «الصَّلَاةَ جَامِعَةً[٣]»، وَأَمَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ بِالسِّلَاحِ[٤]، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَصَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله الْمِنْبَرَ،

الحديث الرابع:

[١] **(نعيت إلى النبي نفسه):**

«النعي»: خبر الموت، والظاهر أنَّ ذلك كان بعد رجوعه من حجَّة الوداع، حيث رجع في أواخر ذي الحجَّة، وتوفي في أواخر شهر صفر، «والرُّوح الأمين» جبرائيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾(١).

[٢] **(وهو صحيح ليس به وجع):**

وفي ذلك أمارة أُخرى على صدقه صلى الله عليه وآله، لتتمّ الحجَّة على المنافقين حيث إنَّ ظاهره صلى الله عليه وآله لم يكن يُوحي بذلك أصلاً، ولعلَّه ليتهيَّأ صلى الله عليه وآله وليرتب المقدمات لكي لا يُؤخذ المسلمون بغتة، ولذا جهَّز جيش أُسامة، وعجَّل في إرساله لتخلو المدينة من المنقلبين، لكنَّهم عصوا ولم يغادروا فلعنهم الرسول صلى الله عليه وآله.

[٣] **(الصلاة جامعة):**

«الصلاة» منصوب بتقدير الزموا أو احضروا ونحو ذلك، و«جامعة» حال، وهذه عبارة استُعملت في البداية للدعوة إلى الصلاة، ثمَّ صارت اصطلاحاً للنداء لأيّ اجتماع مهم.

[٤] **(وأمر المهاجرين والأنصار بالسلاح):**

ولعلَّ ذلك لبيان أهمية ما يريد أن يقوله ليعلق في أذهانهم أو لدرء الفتنة، إذ إنَّه قد يحدث اضطراب وتزلزل نفسيٌّ حين سماع الأخبار المهمَّة، وخاصَّة

---

(١) سورة الشعراء: الآيتان ١٩٣ ـ ١٩٤.

فَنَعَى إِلَيْهِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «أُذَكِّرُ اللَّهَ الْوَالِيَ[٥] مِنْ بَعْدِي عَلَى أُمَّتِي، إِلَّا تَرَحَّمَ[٦] عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، ....

إذا كانت سلبية، فتهيّؤ النَّاس رادع للفتنة، كما يحدث في الدول المعاصرة، حيث يعلنون حالة الطوارىء أو يأمرون القوى الأمنية بالتأهب حين حدوث حادثة مهمَّة، أو إذا أرادوا إخبار النَّاس بما يُخشى منه الفتنة.

وفي المرآة: والظاهر أنَّ الخطبة كانت طويلة مشتملة على ذكر فضائل أهل بيته وتعيين الإمام منهم عليهم السلام ـ كما يظهر من أخبار أُخر ـ ولمَّا كان ذلك مظنَّة لإثارة الفتنة من المنافقين الَّذين لم يرضوا بذلك، وتعاقدوا على أن لا يردّوا الأمر إلى أهل بيته ـ كما ورد في الأخبار ـ، أمر الأنصار [والمهاجرين] بأخذ السلاح دفعاً لذلك...(١).

[٥] **(أُذكر الله الوالي):**

أي أذكره عقابه تعالى، فهذا إنذار وتحذير من مغبَّة المخالفة، و«الوالي»: الأئمَّة عليهم السلام الَّذين عيَّنهم الرَّسول صلى الله عليه وآله للأُمَّة، وإنَّما ذكَّرهم علناً في الخطبة، لبيان أهمية هذه الأُمور ليعاونهم المسلمون على ذلك.

وقد يُقال: بأنَّ المُراد جميع الحكَّام، فيكون هذا التذكير لعمل حكَّام العدل، وردعاً لحكَّام الجور ليُطالبهم المسلمون بتطبيق وصيَّة الرسول صلى الله عليه وآله، فإنَّ توليهم باطل وتصرُّفهم الجائر باطل آخر، فعسى أن يقلّ ظلمهم، فتأمَّل.

[٦] **(إلَّا يرحم):**

في الوافي: «إلَّا تَرَحَّمَ» استثناء من مقدَّر ـ وهو ما يفعل ونحوه ـ يعني إنَّ الأمر إليه في كلّ ما يفعل إلَّا في الترحُّم فإنَّه لا يجوز له تركه وإهماله(٢)، وفي بعض النسخ (يرحم).

---

(١) المرآة: ج٤، ص٣٣٧.

(٢) الوافي: ج٢، ص٦٥٢.

فَأَجَلَّ كَبِيرَهُمْ[٧]، وَرَحِمَ ضَعِيفَهُمْ[٨]، وَوَقَّرَ عَالِمَهُمْ[٩]، وَلَمْ يُضِرَّ بِهِمْ فَيُذِلَّهُمْ[١٠]، ....

ويحتمل أن يكون «ألَّا يَرْحَمْ» بفتح الهمزة، و(ألَّا) مركبة من (أن) المصدرية، و(لا) الناهية، فالمعنى: أن لا يرحم أحداً بضرر المسلمين، بل تكون رحمته ضمن دائرة الحكمة بأن لا تتضرر منها الأمة الإسلامية أو جمهور المسلمين.

وفي (ألَّا) وما بعده احتمالات أُخرى، والأقرب ما ذكرناه.

[٧] **(فأجلَّ كبيرهم):**

«الإجلال»: هو التعظيم، و«الكبير» مطلق، فيشمل ذي الشيبة، وعزيز القوم، وذوي المروءات. . .إلخ، ولعلَّ ذلك لأنَّ هؤلاء كبار قوم مؤثرون في المجتمع، فاحترامهم يجلب رضا المرتبطين بهم، وفي ذلك سيادة الأمن، وإهانتهم تضعضع المجتمع، وتبثُّ الفرقة والنزاع، مضافاً إلى الاستفادة من تجربتهم وتأثيرهم، ولغير ذلك.

[٨] **(ورحم ضعيفهم):**

بإعانتهم، ودفع الظلامات عنهم، لينتشر العدل والتكافل الاجتماعي، وليحصل استقرار نفسي وتماسك في المجتمع.

[٩] **(ووقَّر عالمهم):**

«التوقير»: التعظيم، وأصله من (الوقر) بمعنى الحِلم والرزانة، وفي توقير العالم تهيئة الأجواء للاستفادة من علمه، وترغيب النَّاس إلى طلب العلم، وفي بعض النسخ (عاملهم) أو (عاقلهم).

[١٠] **(ولم يُضِرَّ بهِمْ فيُذِلَّهُمْ):**

من الإضرار، ومن أظهر مصاديقه الظُّلم، حيث إنَّه يُوجب ذلَّة المظلوم، فالمعنى: أن لا يُلحق بهم ضرراً ـ بظلم أو بغيره ـ ممَّا يُوجب إذلالهم، وفي ذلك انهيار وتفكُّك للمجتمع، ومن أهم مهام الدِّين نشر العدل بين

وَلَمْ يُفْقِرْهُمْ فَيُكْفِرَهُمْ[١١]، وَلَمْ يُغْلِقْ بَابَهُ[١٢] دُونَهُمْ، فَيَأْكُلَ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهِمْ، وَلَمْ يَخْبِزْهُمْ فِي بُعُوثِهِمْ[١٣]، فَيَقْطَعَ نَسْلَ أُمَّتِي». ثُمَّ قَالَ: «قَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاشْهَدُوا».

النَّاس ومنع الظلم وإعزاز المؤمنين، وأقدر النَّاس على تنفيذ ذلك هم الولاة، ويمكن قراءة (لم يضربهم) من الضرب.

[١١] **(ولم يفقرهم فيكفرهم):**

إمَّا بأخذ أموالهم ظلماً، أو بسوء إدارة اقتصادهم بحيث ينتشر الفقر، وفي ذلك سبب لغلبة الكفَّار، أو لعدم صبر الفقراء فيكفرون جزعاً، وروي: (كاد الفقر أن يكون كفراً)(١) وفي بعض النسخ: (لم يفرقهم) من التفرقة، فإنَّها سبب انتشار العقائد الفاسدة الكفرية.

[١٢] **(ولم يغلق بابه....) إلخ:**

«غلق الباب» كناية عن عدم تفقُّد أحوال الرَّعيَّة، وعدم السماح للقائهم به، وعند ذاك يظلم أعوانُه النَّاسَ من غير أن يصل خبر هذه الظلامات إليه، وهذا شأن الحكَّام المستبدِّين، حيث يجعلون بينهم وبين النَّاس حاجزاً، فلا يتلقَّون المعلومات الصحيحة، فيتفشَّى الظُّلم والفساد المالي والإداري، وهم في غفلة عنه.

[١٣] **(ولم يخبزهم في بعوثهم):**

في المفردات: واستعير (الخَبْز): للسوق الشديد، لتشبيه هيأة السائق بالخابز(٢)، و(البعوث): بمعنى الجيوش، والمعنى: أن لا يبعثهم جميعاً إلى الجهاد، بل يرسل البعض ويدع البعض الآخر، ولولا ذلك لتعطَّلت الأعمال، وتوقَّفت الحركة الاقتصادية، وكذا توقَّف النسل لانشغال الرِّجال بالجهاد، وحيث إنَّ استمرار النسل هو من أهم الأُمور لذلك خصَّه بالذِّكر.

---

(١) الكافي: ج٢، ص٣٠٧.

(٢) المفردات: ص٢٧٣.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: هَذَا آخِرُ كَلَامٍ[١٤] تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلَى مِنْبَرِهِ.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ وَغَيْرُهُ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: جَاءَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَسَلٌ وَتِينٌ[١] مِنْ هَمَدَانَ وَحُلْوَانَ، ....

---

[١٤] **(هذا آخر الكلام...)**:

إمَّا بمعنى أنَّ هذه الخطبة كانت آخر خطبة على المنبر، حيث مرض الرسول صلى الله عليه وآله ـ بأبي وأُمّي ـ بعد ذلك، أو أنَّ هذا المقطع كان آخر الخطبة.

ثمَّ لا تخفى لطافة ترتيب هذه الجمل، إذ بدأ صلى الله عليه وآله بثلاثة أوامر، وأتبعها بأربعة نواهٍ.

أمَّا الأوامر: فهي أُمور ترتبط بالأشخاص حسب حالاتهم من الكبر والضعف والعلم، وهي حالات تجمع المحتاجين والمُحتاج إليهم، (فالكبير): قد يكون مُحتاجاً وقد يكون مُحتاجاً إليه لمكانته، و(الضعيف): يشمل النِّساء والأطفال والفقراء ونحوهم، و(العالم): مُحتاج إليه لعلمه.

وأمَّا النواهي: فترتبط بالنظام الاجتماعي، (فالإضرار): يرتبط بالقوانين المجحفة أو سوء السياسة، و(الإفقار): يرتبط بالنظام الاقتصادي وأخذ الضرائب ونحوها، و(غلق الباب): يرتبط بعلاقة الحاكم بالمحكوم و(الإرسال في البعوث): يرتبط بالأُمور العسكرية والتجنيد الإجباري.

فجمعت هذه الوصية أُصول كيفية الحكم العادل، وذلك بمراعاة حال النَّاس وبحسن النظام.

الحديث الخامس:

[١] **(عسل وتين)**:

الظاهر أنَّ التين أيضاً كان في الأزقاق، فخرج منه الدبس، والمعنى: أنَّ

فَأَمَرَ الْعُرَفَاءَ[٢] أَنْ يَأْتُوا بِالْيَتَامَى، فَأَمْكَنَهُمْ مِنْ رُؤُوسِ الْأَزْقَاقِ يَلْعَقُونَهَا[٣]، وَهُوَ يَقْسِمُهَا لِلنَّاسِ قَدَحاً قَدَحاً، فَقِيلَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَهُمْ يَلْعَقُونَهَا؟ فَقَالَ: إِنَّ الْإِمَامَ أَبُو الْيَتَامَى وَإِنَّمَا أَلْعَقْتُهُمْ هَذَا بِرِعَايَةِ الْآبَاءِ[٤].

٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ؛ وَعَلِيُّ بْنُ

الإمام عليه السلام لم يرد أن يتلف ما يتبقَّى في الأزقاق ممَّا يعلق على رؤوسها وأطرافها، وحيث إنَّ لعقه لم يكن يُناسب الكبار لذا دعا إليه الصغار من الأيتام، وفي ذلك إكرامهم ومعاملتهم كما يتعامل الأب مع أبنائه، مضافاً إلى الاستفادة ممَّا تبقَّى وعدم إسرافه.

و(همدان): مدينة في غرب إيران، والأغلب تعريبها بالذال المعجمة، و(حلوان): من مدن الأكراد في شمال العراق.

[٢] **(العرفاء):**

جمع عريف، وهم رؤساء الأقوام أو القبائل أو المناطق، لأنَّ الناس يعرفونهم، وهم أيضاً يعرفون النَّاس، والظاهر أنَّ المقصود المعتمدون في مختلف المناطق أو القبائل، فهم يعرفون مناطقهم ويعرفون أيتامها.

[٣] **(رؤوس الأزقاق يلعقونها):**

«الأزقاق»: جمع زِقّ، وهو الجَرَّة من الجلد لتُحفظ فيها السوائل من الماء والزيت وغيرهما، و«اللعق»: هو إمرار الإصبع على الدهون والسوائل ونحوها ثمَّ لَطعها باللِّسان، و«القدح»: إناء يعبَّر عنه بالطاسة.

[٤] **(برعاية الآباء):**

إمَّا بمعنى برعايةٍ تشبه رعاية الآباء، أو بمعنى لرعاية آبائهم الأموات فإنَّ المرء يحفظ في ولده، والأوَّل أنسب.

الحديث السادس:

يُستفاد من هذا الحديث وغيره من الأحاديث، أنَّ التشريعات الاقتصادية

الإسلامية إنَّما هي لإيجاد العدالة الاجتماعية والاقتصادية، فالضرائب المقرَّرة ـ من الخمس والزكاة والجزية والخراج ـ إنَّما هي بمقدار لا تجحف بالمُلَّاك، فهي بمقدار قليل ومن فوائدهم عادة، كما أنَّها تكفي لحاجات الدولة ولرعاية الفقراء والمُعْدِمين، وتمنع من تحوُّل المال إلى دُولة بين الأغنياء.

ومن جملة تلك التشريعات جعل سهم من الزكاة للغارمين، وهم المديونون الَّذين يعجزون عن تسديد ديونهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[1].

وفي تسديد تلك الديون مصلحة عامَّة هي وصول الحقّ إلى صاحبه الدائن، وإبراء ذمَّة المديون العاجز، وحلِّ المشكلة الاجتماعية والاقتصادية التي تنشأ من عدم تسديد تلك الديون.

ثمَّ إنَّه دلَّت بعض الروايات على أنَّ الرسول ﷺ ترك الصلاة على من مات مديوناً حتَّى ضمنه بعض أصحابه[2]، ولا تُنافي هذه الروايات مع ما دلَّ على تسديد الدَّين من الزكاة من سهم سبيل الله، ولعلَّ ذلك:

١ ـ لأنَّ عدم الصلاة كان لبيان الاهتمام بالدَّين، ثمَّ كان التسديد لتطبيق حكم سهم الغارمين.

٢ ـ أو أنَّ عدم الصلاة كانت قبل الفتوحات والغنائم وقبل تشريع الزكاة، والتسديد كان بعدها.

٣ ـ أو أنَّ عدم صلاته كانت في موارد خاصَّة كمن استدان في معصية أو إسراف أو تماهل في التسديد، فتكون عدم صلاته لبيان أهمية تسديد الدَّين.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦٠.

(٢) راجع الرواية في الكافي: ج٥، ص٩٣.

إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ ـ جَمِيعاً ـ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَصْبَهَانِيِّ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمِنْقَرِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ: «أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ[١]، وَعَلِيٌّ أَوْلَى بِهِ مِنْ بَعْدِي»[٢]. فَقِيلَ لَهُ[٣]: مَا مَعْنَى ذَلِكَ؟ فَقَالَ: قَوْلُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: «مَنْ تَرَكَ دَيْناً

---

[١] (أولى بكلِّ مؤمنٍ من نفسه):

كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾(١) فله صلى الله عليه وآله الولاية التشريعيَّة عليهم، فلو أمرهم بشيءٍ في أُمورهم الخاصَّة ـ من زواج وطلاق وبيع . . . ـ وجب عليهم إطاعته، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾(٢) ولذا زوَّج الرسول صلى الله عليه وآله زينب بنت جحش من زيد بن أسامة، رغم أنَّها كانت كارهة لذلك، هذا فضلاً عن ولايته في الأُمور العامَّة.

[٢] (وعليٌّ أولى به من بعدي):

وكما قال صلى الله عليه وآله في خبر الغدير المتواتر: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، قال ذلك بعد أن قال لهم: «ألست أولى بكم من أنفسكم» وقد مرَّ الكلام حول دلالة الحديث الشريف، فراجع.

[٣] (فقيل له: . . .) إلخ:

أي سئل الإمام الصَّادق عليه السلام عن معنى الأولوية، وكان جواب الإمام الصَّادق عليه السلام ببيان مصداق، فإنَّ كثيراً مَّا يوضَّح الكلام عبر ذكر المصداق، وهذا أسلوب شائع في تفسيرهم عليهم السلام للآيات، كما هو أسلوب متعارف عند النَّاس في أُمورهم العادية، لأنَّ ذكر المصداق يُوصل الفكرة بجلاء، ويُغني عن زيادة التوضيح الذي يمكن معه أن لا تصل الفكرة للسائل لقصوره عن فهمها.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

أَوْ ضِيَاعاً[٤] فَعَلَيَّ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ»، فَالرَّجُلُ[٥] لَيْسَتْ لَهُ عَلَى نَفْسِهِ وِلَايَةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَالٌ، وَلَيْسَ لَهُ عَلَى عِيَالِهِ[٦] أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ إِذَا لَمْ يُجْرِ

ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام ذكر مصداق اقتصادياً لشيوع ابتلاء النَّاس به، فيتمُّ توصيل الفكرة بسهولة، كما أنَّه تعريض بأئمَّة الجور، وبيان فضيلة للرسول صلى الله عليه وآله، وبيان أنَّ ولايته إنَّما هي لصالح النَّاس وليست لمجرَّد التأمُّر عليهم، عكس الحكَّام الظلمة حيث لا ينفعون النَّاس ويبتزونهم أموالهم.

[٤] **(ضياعاً):**

«الضِّياع»: ـ بكسر الضاد ـ جمع ضائع، كجياع جمع جائع، والمُراد به العيال الذين هم في معرض أن يضيعوا لضعفهم وصغرهم.

[٥] **(فالرجل...) إلخ:**

في الوافي: إنَّما لم يكن لعديم المال على نفسه ولاية، لعدم إنفاقه على نفسه، وإنَّما الولاية لولي نعمته(١).

وفي المرآة: لعلَّه كناية عن أنَّه ملوم مخذول عن نفسه، أو أنَّه لا يمكنه حمل نفسه على النوافل والآداب والإنفاق وأداء الديون وغيرها ممَّا لا يتيسَّر بغير مال(٢).

[٦] **(وليس له على عياله...) إلخ:**

إمَّا بمعنى أنَّهم يضطرون للذهاب إلى العمل للارتزاق، فلا يمكنه منعهم من الخروج لأنَّه لا ينفق عليهم.

وإمَّا الغرض بيان لواقع خارجي، فإنَّ من له المال يتمكَّن من الأمر والنهي لحاجتهم إلى ماله فيسمعون لقوله، عكس من لا مال له فإنَّه لا يجد أذناً صاغية.

---

(١) **الوافي: ج٣، ص٦٥٤.**

(٢) **المرآة: ج٤، ص٣٤٢.**

عَلَيْهِمُ النَّفَقَةَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَمَنْ بَعْدَهُمَا أَلْزَمَهُمْ هَذَا[٧]، فَمِنْ هُنَاكَ صَارُوا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وَمَا كَانَ سَبَبُ إِسْلَامِ عَامَّةِ الْيَهُودِ إِلَّا مِنْ بَعْدِ هَذَا الْقَوْلِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَنَّهُمْ أَمِنُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى عِيَالَاتِهِمْ.

٧ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ صَبَّاحِ بْنِ سَيَابَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَوْ مُسْلِمٍ[١] مَاتَ وَتَرَكَ دَيْناً ـ لَمْ يَكُنْ فِي فَسَادٍ وَلَا إِسْرَافٍ[٢] ـ ....

---

[٧] (ألزمهم هذا):
أي ألزمهم الله هذا الحكم من تسديد دين من مات ودفع نفقات الضياع.

الحديث السابع:

[١] (مؤمن أو مسلم):
لأنَّ أحكام ظاهر الشرع تجري على الجميع، إذ لا يعلم ما في القلوب إلَّا الله تعالى أو من علَّمه الله سبحانه، ولو كانت الأحكام تجري على البواطن لاختلَّ النظام ولبرزت البغضاء والشحناء.
فلذا تجري أحكام الشرع على جميع من أظهر الشهادتين حتَّى لو كان منافقاً، ـ من المناكحة والموارثة والطهارة. . .إلخ ـ.
وحتَّى في القوانين العصرية جميع المواطنين يتساوون أمام القانون من غير ملاحظة تفاوتهم في الولاء للوطن أو النسب أو العلم أو العقل أو المال. . .إلخ.

[٢] (لم يكن في فساد ولا إسراف):
«الفساد»: ما كان في معصية، و«الإسراف»: تجاوز الحدّ فيما كان أصله حلالاً، **فالأوّل**: كالاستدانة لشرب الخمر، **والثاني**: كصرف المال فيما ليس من شأنه عادة.

فَعَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَقْضِيَهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْضِهِ فَعَلَيْهِ إِثْمُ ذَلِكَ»[٣]، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] الْآيَةَ[٤] فَهُوَ مِنَ الْغَارِمِينَ وَلَهُ سَهْمٌ عِنْدَ الْإِمَامِ، فَإِنْ حَبَسَهُ فَإِثْمُهُ عَلَيْهِ.

٨ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ السِّنْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ حَنَّانٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «لَا تَصْلُحُ الْإِمَامَةُ إِلَّا لِرَجُلٍ فِيهِ ثَلَاثُ خِصَالٍ[١]: وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ،

---

[٣] **(فعليه إثم ذلك):**
أمَّا الميت فلا وزر عليه لأنَّه استدان حلالاً وصرف في الحلال، وقد فرض الله سهم الغارمين في الزكاة، فعدم تنفيذ هذا الحكم معصية وزرها على الحاكم الذي عطَّل هذا الحكم.

[٤] **(الآية):**
منصوب بحذف الفعل أي أقرأ الآية، أو بنزع الخافض أي إلى آخر الآية، وتمامها: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾(١).

الحديث الثامن:

[١] **(خصال):**
جمع خصلة، بمعنى الصفة، يُقال: خصلة حسنة أو سيِّئة.
ولا يخفى أنَّ هذه الصفات الثلاث هي من أهم ما يحتاج إليه الحاكم في سياسته مع النَّاس ولذا تمَّ التركيز عليها، ولإخراج حكَّام الجور حيث إنَّهم يفقدونها، وهي صفات ظاهرة يمكن معرفتها من عدمها فوراً، وإلَّا فأصل صفات الإمام: العلم، والعصمة، والتعيين من الله تعالى بالنصّ، والمعاجز، وهذه الخصال الثلاث من مظاهر تلك.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٦٠.

وَحِلْمٌ يَمْلِكُ بِهِ غَضَبَهُ، وَحُسْنُ الْوِلَايَةِ عَلَى مَنْ يَلِي، حَتَّى يَكُونَ لَهُمْ كَالْوَالِدِ الرَّحِيمِ».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: حَتَّى يَكُونَ لِلرَّعِيَّةِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ.

٩ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُكَيْمٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ طَبَرِسْتَانَ يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدٌ؛ قَالَ: قَالَ مُعَاوِيَةُ: وَلَقِيتُ الطَّبَرِيَّ مُحَمَّداً بَعْدَ ذَلِكَ فَأَخْبَرَنِي قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى عليه السلام يَقُولُ: الْمُغْرَمُ إِذَا تَدَيَّنَ أَوِ اسْتَدَانَ[١] فِي حَقٍّ،

---

١ ـ فبدأ عليه السلام بذكر الورع، لأنَّ الحكَّام لهم السلطة في أن يفعلوا ما يشاؤون، بلا حسيب ورقيب، فيمكنهم تخطِّي أحكام الشرع، وكثير من الرغبات محرَّمة، كما أنَّ هناك من يزيِّنون لهم المعاصي، فلا بُدَّ أن يكون الحاكم ورعاً ليكبح جماح رغباته.

٢ ـ ثمَّ إنَّهم مطلقو العنان في الانتقام ممَّن يخالفونهم ويمكنهم البطش بما شاؤوا، فلذا احتاج الحاكم إلى الحلم أكثر من غيره، لأنَّ سورة الغضب إذا تملَّكت الإنسان فإنَّها تخرجه عن جادة الصواب، فيبطش بطش الجبَّارين، لأنَّ القوَّة الغضبيَّة هي أقوى القوى، وأشدّها تأثيراً على الإنسان، وبالحلم يرجع الإنسان إلى رُشده ويقرّر القرار الصائب.

٣ ـ ثمَّ إنَّهم يدبِّرون أمور النَّاس ويسوسونهم، فإذا كانت سياستهم بالرَّحمة كانت بصالح النَّاس في دُنياهم وآخرتهم.

الحديث التاسع:

[١] **(تديَّن أو استدان):**

هما بمعنى واحد وهو أخذ الدَّين، لكنَّ الراوي ـ وهو معاوية بن حكيم ـ شكَّ في العبارة، وهذا من شدَّة الاحتياط في النقل، فإنَّ النقل بالمعنى

ـ الْوَهْمُ مِنْ مُعَاوِيَةَ ـ أُجِّلَ سَنَةً[٢]، فَإِنِ اتَّسَعَ وَإِلَّا قَضَى عَنْهُ الْإِمَامُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ.

وإن كان جائزاً، إلّا أنَّ النقل باللفظ أولى وقد مرَّ تفصيله في المجلد الأوّل فراجع.

[٢] **(أُجِّلَ سنةً)**:

وهذا مستحب، وإلَّا فيجوز للغرماء رفع أمره إلى الحاكم الشرعي، فإن كان بيده سهم الغارمين من الزكاة سَدَّد الدَّين منه، وإلَّا حجر على أمواله ويُستثنى داره وخادمه ودابّته، ثمَّ يقسم الباقي بين الدُّيّان حسب نسبة ديونهم، فإن وفى بالدَّين فهو، وإلَّا سقط الباقي عن ذمَّته، والتفصيل مذكور في الكتب الفقهية باب المفلّس.

بَابُ أَنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا لِلْإِمَامِ عليه السلام

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابُلِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: وَجَدْنَا فِي كِتَابِ عَلِيٍّ عليه السلام: «إِنَّ الْأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

لا يخفى أنَّ ملكية الأشياء أوّلاً وبالذات لله سبحانه وتعالى فهو الخالق المدبّر، ثمَّ إنَّ الله سبحانه أقطع الأرض وما فيها للرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام، ثمَّ أقرَّ للناس ملكيَّاتهم، فهنا ثلاث ملكيَّات طويلة لذا تجتمع في الشيء الواحد، فمن يملك أرضاً مثلاً فهي ملك الله تعالى ملكيَّة ذاتية، وفي الوقت نفسه أقطعها الله لهم عليهم السلام لكن في طول ملكيته، ثمَّ إنَّ الشرع أقرّ ملكية مالكها الظاهري ـ أحياناً ـ ومع ذلك فقد كلَّف الله النَّاس بصرف بعض هذه الأموال في سبيله أو إرجاعها إلى الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة ليتصرفوا بها كما في الخمس.

ولا يخفى أنَّ إقرار ملكية النَّاس ليس بمعنى سلب ملكيته تعالى أو ملكيتهم عليهم السلام، بل لله تعالى ولهم عليهم السلام انتزاعها من ملَّاكها الظاهريين لقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾(١)، وقال الرسول صلى الله عليه وآله: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»(٢).

لكنَّهم عليهم السلام لم يستفيدوا من هذه الملكية واقتصروا على مطالبة ما أمر الله النَّاس بدفعه من الخمس والزكاة والخراج ونحوها.

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦.

(٢) تواتر الحديث عن الفريقين، فراجع موسوعة الغدير للعلامة الأميني رحمه الله.

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»[١]، أَنَا وَأَهْلُ بَيْتِيَ[٢] الَّذِينَ أَوْرَثَنَا اللَّهُ الْأَرْضَ، وَنَحْنُ الْمُتَّقُونَ، وَالْأَرْضُ كُلُّهَا لَنَا، فَمَنْ أَحْيَا[٣] أَرْضاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ....

الحديث الأوَّل:

[١] **(والعاقبة للمتَّقين):**

تمام الآية ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾(١).

وهذا الحكم ـ أي إنَّ الله يُورث الأرض من يشاء ـ حكم عام، وقصَّة بني إسرائيل كانت من مصاديقه، كما أنَّ آدم عليه السلام كان مصداقاً سابقاً، والرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام مصداق لاحق.

[٢] **(أنا وأهل بيتي):**

الظاهر أنَّ (أنا) كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وقيل: إنَّه قول الرسول صلى الله عليه وآله لأنَّ كتاب علي عليه السلام هو إملاء الرسول صلى الله عليه وآله وكتابة أمير المؤمنين عليه السلام، وعليه: فيكون قوله في آخر الحديث (كما حواها رسول الله) التفات إمَّا من أمير المؤمنين عليه السلام في كتابته، أو من الإمام الصَّادق عليه السلام، أو من إملاء الرسول صلى الله عليه وآله نفسه حيث التفت من ضمير المتكلِّم إلى اللفظ الظاهر.

ثمَّ إنَّ الظاهر أنَّ ملكيتهم للأرض بالترتيب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله ثمَّ صارت لأمير المؤمنين عليه السلام وهكذا، ويحتمل أن يكون المُراد أنَّ الله أورثهم الأرض من حين خلقها إلى حين انقضاء الدهر، والاحتمال الثاني أقرب.

[٣] **(فمن أحيا...):**

هذا بيان للملكية الثالثة التي أقرَّها الشرع للناس ـ والتي هي في طول ملكيتهم ـ.

وهذا بيان لأنَّ الشرع جوَّز للناس أن يملكوا الأراضي بالإحياء

---

(١) سورة الأعراف: الآيتان ١٢٨ ـ ١٢٩.

فَلْيَعْمُرْهَا[٤]، وَلْيُؤَدِّ خَرَاجَهَا إِلَى الْإِمَامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَلَهُ مَا أَكَلَ مِنْهَا، فَإِنْ تَرَكَهَا أَوْ أَخْرَبَهَا وَأَخَذَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ فَعَمَرَهَا وَأَحْيَاهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا مِنَ الَّذِي تَرَكَهَا، يُؤَدِّي خَرَاجَهَا إِلَى الْإِمَامِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، وَلَهُ مَا أَكَلَ مِنْهَا، حَتَّى يَظْهَرَ الْقَائِمُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي بِالسَّيْفِ،

والعمران، وقد ذكر الفقهاء تبعاً للروايات: أنَّ الأراضي الموات في زمان الغيبة لا يملكها أحد من النَّاس، وكل شخص له الحق في تحجير ما شاء منها، فيكون أولى بها من غيره، فإن عمَّرها بزراعة أو بناء ونحوهما صارت ملكاً له، لأنَّ التحجير لا يُوجب الملكية وإنَّما الأولوية من الغير.

وحينما عمَّرها إن تعلَّق بها خمس أو زكاة وجب دفعهما إلى الإمام من أهل البيت عليهم السلام ومن بعدهم إلى الفقهاء الجامعين للشرائط، ليصرفوها في المصارف التي قرَّرها الله تعالى، في قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾(١)، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ﴾(٢)، إلى أن يظهر الإمام عليه السلام وحينئذٍ فله أن يأخذها منهم، وله أن يقرّهم عليها.

[٤] (فليعمرها):

الإحياء هو الإعمار، لكن كرَّر المعنى بلفظين لأنَّ (فليعمرها) كالمقدمة لقوله: (فليؤدِّ خراجها).

والمُراد من الخراج هنا: الحقوق الواجبة ـ خمساً أو زكاة ونحوهما ـ، لا الخراج المصطلح في الفقه وهو ما يُجبى من الأراضي المفتوحة عنوة

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١.

(٢) سورة التوبة: الآية ٦٠.

فَيَحْوِيَهَا وَيَمْنَعَهَا وَيُخْرِجَهُمْ مِنْهَا[٥]، كَمَا حَوَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَمَنَعَهَا[٦]، إِلَّا مَا كَانَ فِي أَيْدِي شِيعَتِنَا فَإِنَّهُ يُقَاطِعُهُمْ[٧] عَلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيَتْرُكُ الْأَرْضَ فِي أَيْدِيهِمْ.

٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَمَّنْ رَوَاهُ قَالَ[١]: ....

العامرة حين الفتح، وهي ملك للمسلمين، ولكن يبقى أصحابها فيها، ويُؤخذ الخراج منهم لصالح المسلمين.

[٥] **(فيحويها ويمنعها ويخرجهم منها):**
(الحواية) بمعنى أنَّه عليه السلام يرجعها إلى ملكه، فيتملكها ظاهراً أيضاً بعد أن كان يملكها واقعاً، و(المنع) بمعنى منعهم عن التصرُّف بها بالزراعة ونحوها، و(الإخراج) بمعنى إجلائهم عنها.

[٦] **(كما حواها رسول الله صلى الله عليه وآله ومنعها):**
وإنَّما لم يذكر (وأخرجها منهم) إمَّا للاكتفاء بما ذكر، فيكون السابق كالقرينة، وإمَّا لأنَّ غالب الأراضي لم يخرج الرسول أهلها منها كما في فدك وخيبر والطائف وغيرها، نعم أخرج الرسول صلى الله عليه وآله بني قريظة وبني النضير فقط دون غيرهم.

[٧] **(يُقاطعهم...) إلخ:**
إقطاع الأرض هو هبتها، فقوله: (ويترك...) كالنتيجة أي فيتركها في أيديهم.

الحديث الثاني:

[١] **(عمَّن رواه قال):**
الظاهر أنَّ فاعل قال هو الضمير الراجع إلى أبي جعفر عليه السلام في الحديث السابق، أو أنَّ أحد الرواة نقل عدَّة أحاديث عن أحد الأئمَّة عليهم السلام فلم

الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا[٢] لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَلِرَسُولِهِ وَلَنَا، فَمَنْ غَلَبَ[٣] عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَلْيُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلْيَبَرَّ إِخْوَانَهُ[٤]، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَاللَّهُ وَرَسُولُهُ وَنَحْنُ بَرَاءٌ مِنْهُ[٥].

يُكرِّر الاسم واكتفى بقوله: (وقال)، فصار الحديث مضمراً بعد وضع كلّ حديث في الباب الذي يُناسبه، أو أنَّ المُراد من (عمَّن رواه) أحد الأئمَّة عليهم السلام.

[٢] **(الدُّنيا وما فيها):**
فتشمل كلّ السَّمٰوات والأرضين.

[٣] **(فمن غلب. . .) إلخ:**
لعلَّ المعنى: إنَّا أجزنا التصرُّف في الدُّنيا بشرطين: أداء حقوق الله تعالى، وأداء حقوق النَّاس، فمن خالف الشرطين أو أحدهما فهو غير مأذون له في التصرُّف، فيكون تصرُّفه حراماً معاقباً عليه، مضافاً إلى عقابه على ترك الحقوق.

[٤] **(وليبرّ إخوانه):**
إمَّا بمعنى أداء حقوق النَّاس، أو المُراد الزيادة على الواجبات، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾(١)، لأنَّ برّ النَّاس واجب في الجملة كصلة الرحم، وإنقاذ من هو معرَّض للهلكة، ونحو ذلك، فتأمَّل.

[٥] **(برآء منه):**

«البَراء»: من البراءة وهي المفارقة وانقطاع الارتباط والعصمة، فالمعنى إنَّا مفارقوه غير راضين عنه، ويمكن قراءته (بُرآء) جمع بريء.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٧.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: رَأَيْتُ مِسْمَعاً بِالْمَدِينَةِ وَقَدْ كَانَ حَمَلَ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام تِلْكَ السَّنَةَ مَالًا، فَرَدَّهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام. فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ رَدَّ عَلَيْكَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَالَ الَّذِي حَمَلْتَهُ إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَقَالَ لِي: إِنِّي قُلْتُ لَهُ حِينَ حَمَلْتُ إِلَيْهِ الْمَالَ: إِنِّي كُنْتُ وُلِّيتُ الْبَحْرَيْنَ الْغَوْصَ[١] فَأَصَبْتُ أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ، وَقَدْ جِئْتُكَ بِخُمُسِهَا، بِثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَحْبِسَهَا عَنْكَ، وَأَنْ أَعْرِضَ لَهَا[٢]، وَهِيَ حَقُّكَ[٣] الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَمْوَالِنَا،

الحديث الثالث:

[١] **(ولِّيت البحرين الغوص):**
«وليت»: إمَّا مجرَّد معلوم من وَلِيَ يَلي، وإمَّا مجهول باب التفعيل، أي صارت له ولاية الأمر من طرف الحاكم.
و«البحرين»: إمَّا مفعول به، فيكون (الغوص) بدلاً، فالمعنى: وليت غوص البحرين، وإمَّا مفعول فيه فيكون (الغوص) مفعول به فالمعنى: وليت الغوص في البحرين.
و«البحرين»: هي المنطقة الواقعة في شرق جزيرة العرب، والجزيرة المُسمَّاة اليوم بالبحرين جزء منها.

[٢] **(أن أحبسها عنك وأن أعرض لها):**
«أحبسها»: بمعنى عدم إيصالها ومنعها، و«أعرض لها»: بمعنى أن أتصرَّف فيها، فقد يمنع الغاصب وصول الحقّ إلى صاحبه لكن لا يتصرَّف هو فيه، وقد يمنع ويتصرَّف.

[٣] **(وهي حقُّكَ...) إلخ:**
إذ الغوص من الأمور الَّتي تجب فيها الخمس، وقد أمر الله بتسليم الخمس إلى الرسول صلى الله عليه وآله، ومن بعده للأئمَّة عليهم السلام، ليوزِّعوها على مصارفها المقرَّرة.

فَقَالَ: أَوَمَا لَنَا[٤] مِنَ الْأَرْضِ وَمَا أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْهَا إِلَّا الْخُمُسُ يَا أَبَا سَيَّارٍ؟ إِنَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا لَنَا فَمَا أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْهَا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ لَنَا. فَقُلْتُ لَهُ: وَأَنَا أَحْمِلُ إِلَيْكَ الْمَالَ كُلَّهُ[٥]؟ فَقَالَ: يَا أَبَا سَيَّارٍ قَدْ طَيَّبْنَاهُ لَكَ[٦]، وَأَحْلَلْنَاكَ مِنْهُ

---

[٤] **(أوما لنا...) إلخ:**

الهمزة للاستفهام الإنكاري، و«ما»: نافية، أي وهل حقّنا ينحصر في الخمس؟ كلّا بل كلّ الأرض لنا، وحيث إنّها لنا فمنافعها أيضاً لنا، لأنّ المنافع تابعة لأصل العين، فقوله: (إنَّ الأرض كُلّها لنا) بيان لملكهم عليهم السلام لها، وقوله: (فما أخرج...) بيان للمنافع، وحيث إنّها تابعة لأصل العين لذا عطفها بالفاء، وقوله: (من شيء) للتعميم أي كلّ شيء.

[٥] **(المال كله):**

أي كلّ الأربعمائة ألف ممّا أصابها من الغوص.

[٦] **(قد طيّبناه لك...) إلخ:**

الضمير يرجع إلى (المال كلّه) أي جعلناه طيّباً حلالاً كلّه ـ خمسه وسائره ـ و«الطيّب»: هو ما ليس بخبيث بالذات، كالفواكه ولحم الغنم ـ مثلاً ـ وهذا إذا جاز للإنسان التصرُّف فيه فهو حلال، وإلّا كان حراماً.

والولاية من قِبل الجائر لا تجوز، وما يأخذه الإنسان منه حرام، إلّا إذا أجاز الإمام عليه السلام، فلولا إذنه عليه السلام كان المالُ خبيثاً غير جائز التصرُّف فيه.

ويحتمل أن يكون (طيّبناه) لأصل المال و(أحللناك) للخمس، أو تكون الكلمتان بمعنى واحد تأكيداً.

ثمَّ إنّه يحقّ للرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام إسقاط الحقوق المالية عن بعض النّاس لمصلحة أهم، لأنَّ تلك الأموال ملكهم عليهم السلام أوّلاً، ولأنَّ الرسول صلى الله عليه وآله أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وكذا الأئمّة عليهم السلام من بعده، فلهم الولاية على أصحاب المال، وعلى المصارف أيضاً ـ أي على الفقراء والمساكين... إلخ، الّذين هم مورد تلك الحقوق ـ.

فَضُمَّ إِلَيْكَ مَالَكَ[٧]، وَكُلُّ مَا فِي أَيْدِي شِيعَتِنَا مِنَ الْأَرْضِ[٨] فَهُمْ فِيهِ مُحَلَّلُونَ، حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا، فَيَجْبِيَهُمْ طَسْقَ[٩] مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَيَتْرُكَ

---

[٧] **(فضم إليك مالك):**

أي حيث طيَّبته وأحللته لك، فخذ هذه الثمانين ألفاً الَّتي جئت بها، وضُمّها إلى سائر مالك.

وإنَّما قال: (مالك) لإقراره على الملكية الظاهرية.

[٨] **(وكلّ ما في أيدي شيعتنا من الأرض....):**

ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام بيَّن أمراً عامّاً، وهو الإذن للشيعة في التصرُّف في الأرض فيكون كسبهم فيها ـ بالزراعة والإعمار وسائر أنحاء المنافع ـ مُباحاً.

وليس معنى هذا عدم وجوب دفع الخمس والزكاة والخراج، بل المقصود بيان حلّيَّة التصرُّف ـ وهذا هو مقتضى الجمع بين الأخبار ـ.

وأمَّا سائر النَّاس فهم يتصرفون في الأرض الَّتي هي ملك الإمام عليه السلام من غير إذنه فيكون عملهم حراماً، ولكن الشرع لم يبح إخراجهم منها ولم يجوّز انتزاع الأموال منهم، بل أمر المؤمنين بالتعامل معهم حسب ظواهر الشرع، وهذا رحمة بالمؤمنين في دولة الظالمين.

فإذا ظهر القائم عليه السلام أخذ الأرض من المخالفين، وأمَّا الشيعة فيترك الأرض في أيديهم ـ أي يستمر الإذن لهم ـ مع لزوم إعطائهم الحقوق المالية.

ثمَّ لا يخفى أنَّه بعد ظهور القائم عليه السلام يُؤمن أكثر النَّاس ـ من الكفَّار والمخالفين ـ ولا يبقى على كفره ونصبه إلَّا الشاذّ النادر، فهؤلاء هم الَّذين يخرجون من الأراضي صاغرين لغيِّهم وعتوِّهم.

[٩] **(طسق):**

وهو المقدار المقرَّر من ضريبة الأرض ـ من الخراج ـ.

الْأَرْضَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَأَمَّا مَا كَانَ فِي أَيْدِي غَيْرِهِمْ فَإِنَّ كَسْبَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ حَرَامٌ عَلَيْهِمْ، حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا، فَيَأْخُذَ الْأَرْضَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيُخْرِجَهُمْ صَغَرَةً[١٠].

قَالَ عُمَرُ بْنُ يَزِيدَ: فَقَالَ لِي أَبُو سَيَّارٍ: مَا أَرَى أَحَداً مِنْ أَصْحَابِ الضِّيَاعِ[١١] وَلَا مِمَّنْ يَلِي الْأَعْمَالَ يَأْكُلُ حَلَالًا! غَيْرِي، إِلَّا مَنْ طَيَّبُوا لَهُ ذَلِكَ.

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الرَّازِيِّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَمَا عَلَى الْإِمَامِ زَكَاةٌ؟ فَقَالَ: أَحَلْتَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ[١]، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ لِلْإِمَامِ، يَضَعُهَا حَيْثُ يَشَاءُ، وَيَدْفَعُهَا

---

[١٠] (صغرة):

جمع الصاغر، وهو الراضي بالذُّلّ بما لا يتمكّن من دفعه، نظير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(١).

[١١] (الضياع):

بفتح الضاد، جمع ضيعة وهي العقار، قيل: سُمّيت بذلك لأنّها إذا تُرك تعهُّدها ضاعت.

الحديث الرابع:

[١] (أحلت يا أبا محمّد):

أي ذكرت أمراً محالاً.

ثمّ اعلم أنّ أحكام الشرع كلّها مشتركة بين النّاس وبين المعصومين عليهم السلام

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٩.

ـ إلَّا ما استثني كخصائص الرسول ﷺ ـ حتَّى لو لم تكن عِلّة التكليف جارية فيهم، وذلك لجريان السُّنَّة، ولكونهم أسوة وقدوة، وقد سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن سبب تغسيل جسم الرسول ﷺ مع أنَّه طاهر مطهَّر لا تجري فيه حكمة وجوب غسل الميِّت من نجاسة البدن بعد الموت وطهارته بالغسل، فقال عليه السلام: «لجريان السُّنَّة»[1]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

وبناءً على هذا فمعنى هذا الحديث يحتمل وجوهاً:

١ ـ من خصائصهم عدم وجوب الزكاة عليهم، وهذا الاحتمال وإن كان هو ظاهر الحديث إلَّا أنَّه خلاف المشهور.

٢ ـ إنَّهم لم يكونوا يملكون ـ حسب الظاهر ـ الأعيان الزكوية، أو إنَّ شرائط وجوب الزكاة ـ كالنِصاب والسَوم. . . إلخ ـ لم تكن متحقّقة فيها، لكن هذا الاحتمال خلاف المنقول عنهم في التاريخ.

٣ ـ أو بمعنى أنَّ ملكهم عليهم السلام الواقعي للعالم بأسره سبب عدم وجوب دفع زكاتها، لأنَّ الزكاة تجب فيمن يملك الملك الظاهري ـ المتعارف بين النَّاس ـ وأمَّا الملك الواقعي الَّذي هو في طول ملك النَّاس فلا يُوجب زكاة.

ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام استدلَّ بأمرين على ذلك:

الأوَّل: أنَّ الله تعالى أعطى الدُّنيا والآخرة للإمام ليتصرَّف كما يشاء، وهذا التفويض لا ينسجم مع إيجاب دفع بعض أمواله إلى أصناف المستحقِّين، فإنَّ الإمام عليه السلام لا يصرف تلك الأموال إلَّا فيما يرتضيه الله تعالى، لكن لا معنى للتفويض التام مع إيجاب الدفع إلى الأصناف.

الثاني: أنَّ الزكاة قد تجب لكن يتأخَّر دفعها لأسباب مشروعة، مثل حملها من المزرعة أو المرعى إلى حين توزيعها على المستحقِّين، ولازم ذلك أن يبيت صاحب الزكاة ليالي وأياماً وفي ذمَّته الزكاة، ولكن الإمام

(١) كشف الأسرار في شرح الاستبصار: ج٣، ١٢٤.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

إِلَى مَنْ يَشَاءُ[٢]، جَائِزٌ لَهُ[٣] ذَلِكَ مِنَ اللَّهِ، إِنَّ الْإِمَامَ ـ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ـ لَا يَبِيتُ لَيْلَةً أَبَداً[٤] وَلِلَّهِ فِي عُنُقِهِ حَقٌّ يَسْأَلُهُ عَنْهُ.

أكرمه الله تعالى بأن لم يُوجب عليه شيئاً يُسبِّب أن يبيت ولو ليلة واحدة وفي ذمّته شيء من الحقوق.

وقوله (والآخرة) يدلّ على أن الله تعالى فوّض إليهم أمر الآخرة من محاسبة الخلق وتقسيم الجنة والنار. . .الخ، بل يدل على أنَّ الله تعالى ملّكها لهم أيضاً، ومن المعلوم أنّهم عليهم السلام يتصرفون بحسب الحكمة وبما علّمهم الله تعالى.

[٢] **(يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء):**

(الوضع): في الأعمال، من وجوه البرّ، كالجهاد، وبناء المساجد، ونحوهما، و(الدفع): هو الإنفاق على بعض النَّاس من الصدقات، والهدايا، ونحوها.

[٣] **(جائز له. . .):**

أي إنَّ الله ملَّكه وأذن له في التصرُّف، فليس مجرَّد تمليك تشريفي بل تمليك مع ترتيب الأثر.

[٤] **(لا يبيت ليلة أبداً. . .) إلخ:**

في المرآة: (لا يبيت) كأنَّه تعليل لعدم الوجوب، إذ لو وجبت الزكاة لَلَزِمَ أن يبيت ليلة أو أكثر (ولله في عنقه حقٌّ يسأله عنه)، وذلك لأنَّ زكاة الغلّات تجب عند بدوّ الصلاح ولا تخرج إلَّا عند التصفية، فلو وجبت عليه لزم اشتغال ذمَّته بإخراجها في تلك المدَّة، وكذا الأنعام فإنَّ مرعاها قد يكون بعيداً عن بلد الإمام عليه السلام.

ويحتمل أن يكون المعنى: أنَّ الدُّنيا كُلَّها للإمام والنَّاس كُلّهم رعيَّة الإمام، فالحقوق اللازمة عليه أكثر من الزكاة وهو يعطي جميعها من غير تأخير ليلة، والأوَّل أظهر(١).

---

(١) المرآة: ج٤، ص٣٥٠.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ صَالِحِ بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ أَبَانِ بْنِ مُصْعَبٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ ظَبْيَانَ أَوِ الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: مَا لَكُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ؟ فَتَبَسَّمَ، ثُمَّ قَالَ[١]: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعَثَ جَبْرَئِيلَ عليه السلام، وَأَمَرَهُ أَنْ يَخْرِقَ بِإِبْهَامِهِ[٢] ....

الحديث الخامس:

[١] **(فتبسَّم ثم قال):**

في المرآة: وكأنَّ التبسُّم لأجل (من) التبعيضية(١).

ولا يخفى أنَّ الأئمَّة عليهم السلام كانوا يجيبون بالزيادة والنقصان أي أحياناً كانوا يبيِّنون كلّ زوايا الموضوع، وأحياناً كانوا يذكرون بعضها، حسب المصلحة، أو حسب اختلاف استيعاب السامع، أو تعدُّد الغرض، كما أنَّ القرآن الكريم قد يذكر جانباً من القصَّة في سورة، ويذكر جانباً آخر في سورة أُخرى، وقد يذكر القصَّة مُفصّلة ثمَّ يذكرها مختصرة، لتعدّد الغرض الداعي إلى ذلك.

وإنَّ الله قد ملَّكهم الدُّنيا كُلّها، فتارة أجابوا بذلك، وتارة ذكروا بعض ما يملكونه منها، ولعلَّه بمقدار اطلاع السامع، أو أعظم الأنهار المعروفة في ذلك الوقت، مراعاة لفهم السامع ولتقريب المطلب إلى ذهنه، كما أنَّ القرآن الكريم لم يذكر الحضارات البعيدة، لأنَّ ذكر القريبة تفي بالغرض مع معرفة السامع لها، لذا ذكر في هذا الحديث ثمانية أنهار، وفي الحديث الثامن خمسة أنهار، ولا تَنافِيَ بين ذلك لأن إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، مضافاً إلى أنَّ العدد لا مفهوم له في الحصر.

[٢] **(يخرق بإبهامه):**

بإبهام رجله ـ كما سيأتي في الحديث الثامن ـ، والظاهر أنَّ هذا تعبير

---

(١) المصدر نفسه.

ثَمَانِيَةَ أَنْهَارٍ فِي الْأَرْضِ[٣]، مِنْهَا سَيْحَانُ، وَجَيْحَانُ[٤] وَهُوَ نَهَرُ بَلْخَ، وَالْخشوع وَهُوَ نَهَرُ الشَّاشِ[٥]، وَمِهْرَانُ وَهُوَ نَهَرُ الْهِنْدِ[٦]، وَنِيلُ مِصْرَ،

مجازي يُراد به القدرة وبسهولة.

و«الخرق» هو التمزيق والشقّ، والأنهار تحفر الأرض وتشقّها.

[٣] **(ثمانية أنهار في الأرض):**

ولم يذكر الإمام عليه السلام إلّا سبعة منها ولذا قال: (منها سيحان...) إلخ، أو أنَّ الإمام عليه السلام ذكرها كلّها فلم يذكر الراوي إلّا سبعة منها.

[٤] **(سيحان وجيحان):**

الظاهر أنَّ «سيحان»: هو المُسمَّى بـ(سيحون)، ويُعرف حالياً بـ(سرداريا) ويقع في كازاخستان ويصبُّ في بحيرة (آرال) في آسيا الوسطى ـ بحيرة خوارزم ـ.

وأنَّ «جيحان»: هو المُسمَّى بـ(جيحون)، ويُعرف حالياً بـ(آمودريا)، ويقع بين تركمنستان وأوزبكستان، ويصبُّ كذلك في بحيرة (آرال)، وهذا نهر يمرُّ من شمال بلخ في أفغانستان ولذا يُعبَّر عنه بـ(نهر بلخ).

وهذان نهران عظيمان كانت تُسمَّى الأراضي بينهما بـ(ما وراء النهر).

[٥] **(والخشوع وهو نهر الشاش):**

في المرآة: و«الشاش» بلد بما وراء النهر، وقيل: هو بقدر ثلثي الجيحون، ومنبعه بلاد الترك، ويمرّ إلى المغرب مائلاً إلى الجنوب، إلى أخجند، ثم إلى فاراب، ثم ينصبّ في بحيرة خوازم(١).

[٦] **(ومهران وهو نهر الهند):**

يُسمَّى بنهر السند ويقع حالياً في الباكستان، وهو من أعظم أنهار شبه القارة الهندية.

---

(١) نقلها في المرآة: ج٤، ص٣٥١.

وَدِجْلَةُ، وَالْفُرَاتُ، فَمَا سَقَتْ أَوِ اسْتَقَتْ[٧] فَهُوَ لَنَا، وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِشِيعَتِنَا[٨]، وَلَيْسَ لِعَدُوِّنَا مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا مَا غَصَبَ عَلَيْهِ[٩]، وَإِنَّ وَلِيَّنَا لَفِي أَوْسَعَ[١٠] فِيمَا بَيْنَ ذِهْ إِلَى ذِهْ - يَعْنِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ - ثُمَّ تَلَا هَذِهِ

---

[٧] **(فما سقت أو استقت):**

«سقت بنفسها»: وهي الأشجار والزروع الَّتي تنبت بجوار الأنهر من غير فعل بشري، و«استقت»: أي أُستقي منها بأن يقوم النَّاس بإيصال الماء إلى مزارعهم عبر النواضح أو القنوات ونحوهما.

[٨] **(فهو لشيعتنا):**

أي فهو مُباح لشيعتنا، فإنَّا قد أذنَّا لهم في حيازته والاستفادة منه.

[٩] **(إلَّا ما غصب عليه):**

أخذه العدوّ غصباً ومن غير إذن.

ولا يخفى أنَّ ذلك ليس بمعنى جواز سلب هذه الأملاك عنهم، بل يجب التعامل معهم تعامل الملَّاك من جواز الشراء والاستئجار وسائر المعاملات وعدم جواز التصرُّف فيها إلَّا بطيب نفسهم، نظير من أخذ ملكاً بظاهر الشرع في المحكمة الشرعية، فقد لا يكون ملكه حقيقة لخطأ أو شهود زور أو نكول من خصمه، لكن يتعامل معه معاملة المالك، ولو كان غاصباً فيُعاقب في الآخرة، بل ويرجع الملك إلى أصحابه بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام، هذا كلّه في حكم غير الشيعة إذا لم يكن ناصبيّاً، وأمَّا الناصبي فهو ملحق بالكافر الحربي، ولهذا البحث تفصيل مذكور في الكتب الفقهية.

[١٠] **(لفي أوسع...):**

أي إذننا لهم عامّ، فيحقّ له جميع أنواع التصرُّفات المشروعة.

الْآيَةَ[١١]: ﴿قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الْمَغْصُوبِينَ ﴿خَالِصَةً﴾ لَهُمْ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بِلَا غَصْبٍ.

٦ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّيَّانِ قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى الْعَسْكَرِيِّ عليه السلام: جُعِلْتُ فِدَاكَ رُوِيَ لَنَا أَنْ لَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا الْخُمُسُ؟ فَجَاءَ الْجَوَابُ أَنَّ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ ـ رَفَعَهُ ـ عَنْ عَمْرِو بْنِ شِمْرٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَأَقْطَعَهُ الدُّنْيَا قَطِيعَةً، فَمَا كَانَ لِآدَمَ عليه السلام فَلِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَمَا كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ فَهُوَ لِلْأَئِمَّةِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله».

---

[١١] (ثمَّ تلا هذه الآية):

في التبيين: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ الإضافة للتشريف، والمُراد مطلق الزينة ﴿ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ﴾ تلك الزينة ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾، ومن حرَّم ﴿وَٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ المستلذَّات غير المحرَّمة ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾، والاستفهام في معنى النفي، ﴿قُلْ هِىَ﴾ الطيِّبات والزينة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فإنَّ الله خلق الزينة للمؤمنين في الدُّنيا، ويُشاركهم الكفَّار تعدياً، في حال كونها ﴿خَالِصَةً﴾ للمؤمنين، فلا يُشاركهم الكافرون فيها ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ إلى الأبد، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ هكذا ﴿نُفَصِّلُ﴾ تفصيلاً واضحاً ﴿ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنَّ غير العالم لا يفهم هذه الحقائق(١).

وجه الاستدلال أنَّ عدوّهم حيث إنَّه ليس من المؤمنين فاستفادته من سقي هذه الأنهار وثمارها تعدٍّ وغصب، لأنَّ الله جعلها في هذه الدُّنيا للمؤمنين ولم يجعلها لغيرهم، فتصرُّف العدوّ تعدٍّ.

---

(١) تبيين القرآن: ص١٦٦.

٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ؛ وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ ـ جَمِيعاً ـ عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: إِنَّ جَبْرَئِيلَ عليه السلام كَرَى بِرِجْلِهِ[١] خَمْسَةَ أَنْهَارٍ وَلِسَانُ الْمَاءِ يَتْبَعُهُ: الْفُرَاتَ، وَدِجْلَةَ، وَنِيلَ مِصْرَ، وَمِهْرَانَ، وَنَهْرَ بَلْخَ، فَمَا سَقَتْ أَوْ سُقِيَ مِنْهَا فَلِلْإِمَامِ، وَالْبَحْرُ الْمُطِيفُ بِالدُّنْيَا[٢] لِلْإِمَامِ.

٩ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ السَّرِيِّ بْنِ الرَّبِيعِ قَالَ: لَمْ يَكُنِ ابْنُ أَبِي

الحديث الثامن:

[١] **(كرى برجله):**

كَرِيَ ـ على وزن رضي ـ بمعنى استحدث حفرة، وأصل (الكري) يدلُّ على لين في الشيء وسهولة(١)، والنهر إنَّما يُؤثر في الأرض الرخوة دون الصعبة، و«لسان الماء»: أوَّله، وهو مقوَّس عادة، ولذا شُبِّه باللِّسان.

[٢] **(والبحر المطيف بالدُّنيا):**

أي البحر الذي يحيط باليابسة، من (ط و ف)، ومادته تدلُّ على دوران الشيء على الشيء، وأن يَحُفَّ به(٢)، وتشكِّل اليابسة رُبع الكرة الأرضية ويُحيط بها الماء من كلّ جانب، فالمحيط الأطلسي من الغرب، والهادي من الشرق، والهندي من الجنوب، والمتجمِّد الشمالي من الشمال.

والمعنى: أنَّ اليابسة لنا ـ ومستقى هذه الأنهار إنَّما هو كمثال ـ، كذلك البحر لنا.

الحديث التاسع:

هذه الرواية موقوفة ـ أي لم تسند إلى المعصوم عليه السلام ـ وإنَّما أوردها

---

(١) راجع مقاييس اللغة: ص٨٩٠.

(٢) المصدر نفسه: ص٦٠٤.

عُمَيْرٍ يَعْدِلُ بِهِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ شَيْئاً[١]، وَكَانَ لَا يَغُبُّ إِتْيَانَهُ[٢]، ثُمَّ انْقَطَعَ عَنْهُ وَخَالَفَهُ، وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَبَا مَالِكٍ الْحَضْرَمِيَّ كَانَ أَحَدَ رِجَالِ هِشَامٍ، وَوَقَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ مُلَاحَاةٌ[٣] فِي شَيْءٍ مِنَ الْإِمَامَةِ، قَالَ ابْنُ أَبِي عُمَيْرٍ: الدُّنْيَا كُلُّهَا لِلْإِمَامِ عليه السلام عَلَى جِهَةِ الْمِلْكِ، وَإِنَّهُ أَوْلَى بِهَا مِنَ الَّذِينَ هِيَ فِي أَيْدِيهِمْ. وَقَالَ أَبُو مَالِكٍ: لَيْسَ كَذَلِكَ، أَمْلَاكُ النَّاسِ لَهُمْ إِلَّا مَا حَكَمَ اللَّهُ بِهِ لِلْإِمَامِ مِنَ الْفَيْءِ وَالْخُمُسِ وَالْمَغْنَمِ[٤]

الكليني رحمه الله لأنَّ فيها نقل كلام أجلَّاء أصحاب الأئمَّة عليهم السلام، ومن المقطوع به أنَّهم أخذوا كلامهم عنهم عليهم السلام، ثمَّ الظاهر صحَّة كلا الكلامين، ورجوع النزاع لفظيّاً، قال العلَّامة المجلسي رضوان الله عليه: وكأنَّ نزاعهما يرجع إلى اللفظ، لأنَّ النَّبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام بعده أولى بأنفس النَّاس وأموالهم، وله أن يتصرَّف في جميع ذلك، لكن لا يتصرَّف إلَّا في الأشياء المخصوصة الَّتي ذكرها أبو مالك(١).

فراجع ما ذكرناه في أوَّل هذا الباب.

[١] **(لا يعدل بهشام بن الحكم شيئاً)**:

أي لا يساوي بين صحبة هشام وبين سائر الأعمال، فيرجِّح الصحبة على كلّ شيء.

[٢] **(وكان لا يغبُّ إتيانه)**:

أي كان يأتيه كلّ يوم، و«الغبّ»: هو أن يأتي يوماً ويترك يوماً.

[٣] **(ملاحاة)**:

وهي النزاع الشديد، كالمشاتمة(٢)، من مادة (ل ح ي).

[٤] **(من الفيء والخمس والمغنم)**:

«الفيء»: الأنفال، ومنها ما صالح الكفَّار المسلمين عليه، كفدك فإنَّه

---

(١) المرآة: ج٤، ص٣٥٦.

(٢) في مقاييس اللغة: ص٩١٦.

فَذَلِكَ لَهُ، وَذَلِكَ أَيْضاً[٥] قَدْ بَيَّنَ اللَّهُ لِلْإِمَامِ أَيْنَ يَضَعُهُ، وَكَيْفَ يَصْنَعُ بِهِ. فَتَرَاضَيَا بِهِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ وَصَارَا إِلَيْهِ، فَحَكَمَ هِشَامٌ لِأَبِي مَالِكٍ عَلَى ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، فَغَضِبَ ابْنُ أَبِي عُمَيْرٍ، وَهَجَرَ هِشَاماً بَعْدَ ذَلِكَ.

للرسول صلى الله عليه وآله خاصّة؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾(١).

وقوله: (الخمس والمغنم): إمّا عطف الخاص على العام لأنَّ الغنيمة إحدى موارد الخمس، وإمّا (المغنم): بمعنى ما يصطفيه الرسول صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام قبل تقسيم الغنائم ثم بعد ذلك يستخرج الخمس، وإمّا (الخمس): في الحروب الّتي بإذنهم، و(الغنيمة) كلّها لهم في الحروب الّتي لم تكن بإذنهم.

[٥] (وذلك أيضاً. . . .) إلخ:

أي حتّى الفيء والخمس والمغنم ليس ملكاً للإمام، بل تُعطى له ليصرفها على مواردها.

أمّا في الفيء فقد قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٢).

وأمّا الخمس فقد قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾(٣).

والصحيح هو ما قاله ابن أبي عمير من أنّها ملك للرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام، والمُلكيّة لا تُنافي وجوب الإنفاق في موارد معيّنة، كمن تجب عليه نفقة عياله، فالأموال ملكه لكن وجب عليه مصرفٌ معيّن، فتأمّل.

---

(١) سورة الحشر: الآية ٦.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٤١.

بَابُ سِيرَةِ الْإِمَامِ فِي نَفْسِهِ وَفِي الْمَطْعَمِ وَالْمَلْبَسِ إِذَا وَلِيَ الْأَمْرَ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ حَمَّادٍ، عَنْ حُمَيْدٍ؛ وَجَابِرٍ الْعَبْدِيِّ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي إِمَاماً لِخَلْقِهِ، فَفَرَضَ عَلَيَّ التَّقْدِيرَ فِي نَفْسِي[١]

الحديث الأوّل:

[١] **(التقدير في نفسي):**

«التقدير»: بمعنى التقتير والتضييق كقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾(١) ثمَّ إنَّ التضييق على النفس عام في كلّ الأمور، لكنَّه عليه السلام ذكر بعض المصاديق الظاهرة الَّتي يفترق فيها الغني عن الفقير وهي المطعم والمشرب والملبس، وهناك مصاديق أُخرى كقلَّة النوم لسياسة العباد وشدَّة الحلم ونحوهما لم يذكرها لتساوي الغني والفقير فيها.

وأمَّا المسكن فهو أيضاً ممَّا يمتاز به الغني عن الفقير، ولعلَّ عدم ذكره لأنَّه عليه السلام كان يسكن في دار الإمارة ولم يكن له منزلٌ خاصٌّ، مضافاً إلى أنَّه لم تكن مشكلة سكن في زمانه عليه السلام، وذلك لتطبيق قانون (الأرض لله ولمن عمَّرها) فالكل كان يمتلك بيوتاً وسيعة.

أو لأنَّ المسكن أمر لا يظهر أثره للعامَّة، إذ لا يدخل فيه النَّاس عادة، فلا يتبيَّن فرق الغني عن الفقير عادة في المسكن إلَّا لمن دخل فيه، فتأمَّل.

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٧.

وَمَطْعَمِي وَمَشْرَبِي وَمَلْبَسِي كَضُعَفَاءِ النَّاسِ، كَيْ يَقْتَدِيَ الْفَقِيرُ بِفَقْرِي[٢]، وَلَا يُطْغِيَ الْغَنِيَّ غِنَاهُ[٣].

٢ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنِ الْمُعَلَّى بْنِ خُنَيْسٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَوْماً: جُعِلْتُ فِدَاكَ، ذَكَرْتُ آلَ فُلَانٍ[١] وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ هَذَا إِلَيْكُمْ لَعِشْنَا مَعَكُمْ. فَقَالَ: هَيْهَاتَ[٢] يَا مُعَلَّى! أَمَا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كَانَ ذَاكَ مَا كَانَ

وقيل: التقدير في النفس بمعنى أن لا أكون كالمتكبرين المترفين الّذين يخدمهم الخدمة في كلّ أُمورهم أو أكثرها.

[٢] (كي يقتدي الفقير بفقري):
أي يعيش كعيشتي، فلا يُفكّر في كسب المال من الحرام، أو بمعنى الرِّضا بالفقر حيث يرى الحاكم مثله.

[٣] (ولا يُطغي الغني غِناه):
وذلك لأنَّ الحاكم لو كان مترفاً لطغى أصحاب الثروة، كما يشاهد في الحكومات المستبدة حيث يتفشّى الفساد المالي والرشوة. . .إلخ بسبب انشغال الحاكم نفسه بدُنياه وبطره.
أمّا مع تقشُّف الحاكم فإنَّهم يعلمون بأنَّ الحاكم للفساد المالي بالمرصاد، فلا يتجاوزون حدود القانون.

الحديث الثاني:

[١] (ذكرت آل فلان. . . .) إلخ:
أي بني العبّاس حيث كانوا يعيشون ببطر، «هذا» أي الملك، «لعشنا» أي لتنعّمنا.

[٢] (فقال هيهات):
حاصل كلام الإمام عليه السلام أنَّه لو كان الأمر إلينا لما كانت حياتنا وحياة أتباعنا حياة ترف وبذخ وبطر، بل حياة تقوى وعمل وزهد.

إِلَّا سِيَاسَةَ اللَّيْلِ[٣]، ....

أمَّا اللَّيل: فالتخطيط لأمور المملكة، لا مجالس الندماء واللَّيالي الحمراء الَّتي يقيمها الظلمة.

وأمَّا النَّهار: فمراقبة سير الأُمور بالعدل، وإحقاق الحقوق، وذلك يقتضي التقصِّي والمتابعة والدقَّة، لا ترك الأُمور والانشغال بالملذَّات والملاهي.

وأمَّا الثياب والطعام: فلا بذخ فيها ولا تجمُّل، بل الثياب الخشنة، والطعام الغليظ، لأنَّ الغرض منها الستر وسدّ الرمق لا التفاخر والالتذاذ.

وذلك لأنَّ الانشغال بالتجمُّلات لا حدّ له يقف عنده، وكلَّما انغمس الإنسان في هذه الأُمور طلبت النفس الزيادة منها، قال تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾(٢).

والحاصل: أنَّ المعلَّى كان يتمنَّى وصول الحكم إليهم عليهم السلام ليعيش الرفاه، لكنَّه عليه السلام بيَّن أنَّ الغرض من حكمهم هو إقامة العدل وإحقاق الحقوق ومراعاة حال عامَّة النَّاس، وحينئذٍ لا مكان لراحة الجسد، بل لعملٍ دؤوب ومستمر.

ولذا على المنتظرين للإمام القائم عجَّل الله تعالى فرجه الشريف أن يكون انتظارهم لأجل إقامة العدل لا لأجل الراحة.

وهكذا طلب كل مكرمة ينبغي أن تكون لمطلوبيتها الذاتية ولطريقيّتها للكمال، لا لأجل كسب الوجاهة والمال ونحوهما.

[٣] (سياسة اللَّيل):

«السياسة»: تدبير الأمور، فهي إدارة العباد والبلاد، والظاهر أنَّ المُراد هو التخطيط ووضع البرامج للإدارة.

---

(١) سورة التكاثر: الآية ١.

(٢) سورة الهمزة: الآية ٢.

وَسِيَاحَةَ النَّهَارِ[٤]، وَلُبْسَ الْخَشِنِ، وَأَكْلَ الْجَشِبِ[٥]، ....

---

[٤] **(سياحة النّهار):**

«السياحة»: هي السير في البلاد، وقد يُقال للصائم: سائح، لشباهته به من حيث عدم الأكل، لأنَّ السائح يسير بلا زاد، فحين يجد يأكل، فلذا يكون جائعاً غالباً، وقد فسر قوله تعالى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾(١) بالصوم، وروي أنَّ: «الصوم سياحة أُمَّتي»(٢).

والظاهر أنَّ المُراد هنا هو مراقبة أُمور المملكة والسعي في حوائج المؤمنين ونحوهما، وقد روي أنَّ أمير المؤمنين ﷺ كان يدور في الكوفة ويقوّم أُمور النَّاس، وذلك لأنَّ ابتعاد الحكّام عن النَّاس يُوجب غفلتهم عن النَّاس، وإحاطتهم بالمتلقين النفعيين الَّذين يحجبون الحاكم عن رؤية الحقائق، ويمنعون وصول صوت المظلوم إليه.

[٥] **(ولبس الخشن وأكل الجشب):**

«الخشن»: وهو سبب رداءة القماش، وهو عادة متيسّر لعامَّة الفقراء دون الملابس الناعمة، و«الجشب»: هو الطعام الغليظ، وقد تكون غلظته بسبب عدم وجود إدام معه، والمقصود أنَّه لا توجد ملذّات جسدية ـ ومن أظهرها الطعام واللباس ـ.

ثمَّ اعلم أنَّه لم يذكر المنكح لأنه لا يعتبر من علائم الفقر، وذلك لتيسّره لعامَّة النَّاس حتَّى أفقر الفقراء حيث يمكنهم التناكح ممَّن هم في طبقتهم، والجمال وسائر الصفات المطلوبة في الزوجات لا تنحصر في بنات الأغنياء، بل هي أُمور موجودة في جميع طبقات المجتمع، هذا مضافاً إلى استحباب تعدُّد الزوجات، نعم يختلف النَّاس في مراسم الأعراس وفي الأثاث والملابس ونحوها لكنَّها أُمور لا ترتبط بالمنكح نفسه.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١١٢.

(٢) تبيين القرآن: ص٢١٧.

فَزُوِيَ ذَلِكَ عَنَّا[٦]، فَهَلْ رَأَيْتَ ظُلَامَةً[٧] قَطُّ صَيَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةً إِلَّا هَذِهِ؟!

---

[٦] **(فزوي ذلك عنَّا):**

أي رفعت هذه التكاليف عنَّا حينما غُصب حقّنا، فنحن الآن لسنا حكَّاماً لذلك لا نتمكن من السياسة والسياحة، فلا تكليف لنا بهما، بل نقضي وقتنا في العبادة وأُمور أُخرى لا تُوجد فيها مشقتهما، كما أنَّه رفع عنَّا لبس الخشن وأكل الجشب لعدم كوننا حكَّاماً في الظاهر، بل يرانا عامَّة النَّاس كما يرون غيرنا.

ولذا كان لأمير المؤمنين عليه السلام قبل نهوضه بالأمر من الوقت ما يقضيه في العبادة والزراعة وغير ذلك، لكنَّه حينما نهض بالأمر ساس النَّاس بالعدل وراقب أُمورهم ورتق وفتق الأُمور... إلخ.

[٧] **(فهل رأيت ظلامة...) إلخ:**

استفهام للتعجُّب، و«الظلامة»: هي نتيجة الظلم، ووزن (فُعالة) هو لنتيجة الفعل، كالكُناسة وهي نتيجة الكنس، والقُلامة نتيجة القَلْم، فقد وقع عليهم الظلم بغصب حقّهم وكانت نتيجة ذلك عدم تمكّنهم من أداء مهامهم في الحكومة ـ وهي الظلامة ـ.

فالمعنى أنَّ هذا الظلم عليهم صار نعمة برفع كثير من مشاق التكاليف عنهم مع زيادة ثوابهم عليهم السلام.

وهذا لا يعني الفرح بذلك، فإنَّهم عليهم السلام كانوا محزونين لضياع الحقّ، وانتشار الظُّلم بين النَّاس، وتعطيل الحقوق، بل كانوا يتألمون حينما يرون حقّهم الذي جعله الله لهم في أيدي غيرهم، وفي الصحيفة السَّجَّادية من دعائه عليه السلام يوم الأضحى والجمعة: «اللَّهمَّ إنَّ هذا المقام لخلفائك وأصفيائك ومواضع أُمنائك في الدَّرجة الرَّفيعة التي خصصتهم بها، قد ابتزُّوها، وأنت المقدِّر لذلك، لا يُغالب أمرك، ولا يجاوز المحتوم من تدبيرك كيف شئت وأنَّى شئت ولما أنت أعلم به، غير متّهم على خلقك

٣ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ أَبِي حَمَّادٍ؛ وَعِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ؛ وَغَيْرُهُمَا بِأَسَانِيدَ مُخْتَلِفَةٍ، فِي احْتِجَاجِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَلَى عَاصِمِ بْنِ زِيَادٍ، حِينَ لَبِسَ الْعَبَاءَ، وَتَرَكَ الْمُلَاءَ[١]، وَشَكَاهُ أَخُوهُ الرَّبِيعُ بْنُ زِيَادٍ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: أَنَّهُ قَدْ غَمَّ أَهْلَهُ وَأَحْزَنَ وُلْدَهُ[٢] بِذَلِكَ، فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: عَلَيَّ بِعَاصِمِ بْنِ زِيَادٍ، فَجِيءَ بِهِ،

ولإرادتك، حتّى عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزّين، يرون حكمك مبدَّلاً، وكتابك منبوذاً، وفرائضك محرَّفة عن جهات أشراعك، وسُنن نبيِّك متروكة، اللّهمَّ العن أعداءهم من الأوَّلين والآخرين، ومن رضي بفعالهم وأشياعهم وأتباعهم...»(١).

الحديث الثالث:

وقد رواه الشريف الرضي رحمه الله في نهج البلاغة بألفاظ متقاربة.

[١] **(لبس العباء وترك الملاء):**

«العباء»: جمع عباءة، وكانت حينذاك من أخشن الثياب وأغلظها، «الملاء»: جمع مُلاءة وهي الثوب الرقيق اللين.

[٢] **(قد غمَّ أهله وأحزن ولده):**

«الغمّ»: شدَّة الحزن، وأصله من الاشتمال من كلّ جانب، كأنَّ الحزن قد عمَّهم.

ولا يخفى لطف التعبير فإنَّ الزوجة ترتبط حياتها بزوجها كاملة، فلذا تركها مُوجب لأن تعيش الحزن دائماً، وأمَّا الولد فلهم حياتهم الخاصَّة بهم، لذا ينشغلون بأُمورهم لكنَّهم يحزنون على حالة والدهم، فكأنَّ الحزن لم يشتملهم بل يحزنون حينما يفرغون عن أُمورهم، أو حينما يذكرون والدهم، فتأمَّل.

---

(١) الصحيفة السجّاديّة، الدُّعاء: ٤٨.

فَلَمَّا رَآهُ عَبَسَ فِي وَجْهِهِ[٣]، فَقَالَ لَهُ: أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنْ أَهْلِكَ؟ أَمَا رَحِمْتَ وُلْدَكَ[٤]؟ أَتَرَى اللَّهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَخْذَكَ مِنْهَا[٥]؟ أَنْتَ أَهْوَنُ

---

[٣] **(عبس في وجهه):**

أي قطّبها عليه، لإظهار إنكاره لعمله، وليكون مقدمة لإرشاده وهدايته، فكان لأجل الآخرة لا لأمور الدُّنيا، فهو أمر محمود.

[٤] **(أما استحييت من أهلك أما رحمت ولدك؟):**

عبَّر بالاستحياء عن الأهل، لأنَّ الزوجة امرأة غريبة ارتبطت بزوجها بالزواج، مضافاً إلى أنَّ في عمله كان تركاً لحقوقها.

وأمَّا الأولاد فلا يتحشم الإنسان منهم عادة لأنَّهم بضعة منه ولأنَّهم ألفوه وألفهم وهم رضَّع صغار، مضافاً إلى عدم ترك حقّ لهم في ذلك، بل كان ينبغي رحمهم، وذلك برعايتهم وحسن معاشرتهم ومراعاة حالهم.

[٥] **(وهو يكره أخذك منها):**

فإنَّ الله سبحانه وتعالى يُبيِّن الحقّ كما هو، فإذا أحلَّ شيئاً كشف ذلك عن عدم كراهته له، وإذا حرَّم شيئاً كشف ذلك عن عدم حبّه له.

وذلك لأنَّ الله لا يخشى أحداً، ولا يُحابي ولا يُجامل في ذلك، فإنَّ هذه الأمور دليل الضعف أو الانفعالات النفسانية، وقد تعالى الله عن كلّ ذلك، بل بيَّن سبحانه الأحكام كما هي سواء قبلها النَّاس أم رفضوها، لأنَّه الغني ذو الرَّحمة، فلم يخش أحداً ولم يترك اللطف والرَّحمة، قال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(١)، وقال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾(٢)، وقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾(٣).

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٥.

(٢) سورة إبراهيم: الآية ٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٣٣.

عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ[٦]، أَوَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ[٧]: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ * فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾ [الرَّحمٰن: ١٠-١١]؟! **أَوَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ:** ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ **إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾[٨] [الرَّحمٰن: ١٩-٢٢]. **فَبِاللَّهِ لَابْتِذَالُ نِعَمِ اللَّهِ بِالْفَعَالِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنِ ابْتِذَالِهَا**

نعم قد يكون في الشيء مفسدة ومصلحة، فيتزاحمان، ويكون الترجيح للأقوى ملاكاً، لكن لو تمكن الإنسان من مراعاة كلا الملاكين كان أفضل، كالطلاق الذي هو أبغض الحلال، فتأمّل.

[٦] **(أنت أهون على الله من ذلك):**

في التوضيح: بأن يُحلّل لك مجبوراً في تحليله، حتّى إذا علمت ذلك تركت، لتوافق مرضاة الله سبحانه، وذلك لأنَّ لذائذ الدُّنيا مُباحة للإنسان، وقد خلقها الله له بشرط أن لا يأخذها من حرام، ولا يصرف القوّة التي أخذ منها إلّا في طاعة(١).

وفي شرح النهج: قد يحلّ الواحد منّا لصاحبه فعلاً مخصوصاً، مُحاباة ومُراقبة له، وهو يكره أن يفعله، والبشر أهون على الله تعالى من أن يُحلّ لهم أمراً مجاملة واستصلاحاً للحال معهم وهو يكره منهم فعله(٢).

[٧] **(أوليس الله يقول):**

أي وضعها لمنفعتهم، و«الأكمام»: جمع كِم، وهو وعاء التمر، فلا يعقل أن يضعها لمنفعتهم وهو يكره استفادتهم منها.

[٨] **(مرج البحرين.... اللؤلؤ والمرجان):**

﴿مَرَجَ﴾ أي أرسل ﴿ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ بحر عذب وآخر مالح، وهي المياه الموجودة تحت الأرض وفوقها، ففيها العذب والمالح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ متجاوران تحت الأرض، أو بعضهما تحتها والبعض فوقها ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ حاجز ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ من «البغي» أي لا يبغي أحدهما على الآخر فيمتزج به، لقوانين

---

(١) توضيح نهج البلاغة، للإمام الشيرازي: ج٣، ص٣١٩.

(٢) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج١١، ص٢٤ ـ ٢٥.

بِالْمَقَالِ[٩]، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]. فَقَالَ عَاصِمٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَعَلَى مَا اقْتَصَرْتَ فِي مَطْعَمِكَ عَلَى الْجُشُوبَةِ، وَفِي مَلْبَسِكَ عَلَى الْخُشُونَةِ[١٠]؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ

أودعها الله في المياه والأراضي، ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ﴾ أي نِعَم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيُّها الإنس والجنّ ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ بأن تنكروا كونها نِعمه سبحانه وتعالى، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا﴾ من مجموع البحرين، فإنَّ الخارج من أحدهما خارج من هذا المجموع ﴿ٱللُّؤْلُؤُ﴾ الدُّرّ الذي في الصدف ﴿وَٱلْمَرْجَانُ﴾ الخرز الحُمر، أو شجرة تنبت تحت الماء.

وجه الاستدلال بالآية أنَّ «اللؤلؤ» و«المرجان» وهما من الزينة الفاخرة من نِعم الله تعالى على النَّاس، ولا يكون ذلك إلَّا بحلّيَّة الانتفاع بها، وإلَّا لم يكن من الآلاء الواضحة.

[٩] **(الابتذال. . . بالمقال):**

(الابتذال) من البذل بمعنى الصرف، فالمعنى: أن يستفيد الإنسان من نِعم الله تعالى عليه أحسن من أن يذكرها بلسانه فقط.

فقد يُعدِّد الإنسان النِّعم فيقول: من نِعم الله تعالى الزوجة الصالحة، والدار الوسيعة، والدابَّة الفارهة، و. . .، فهذا جيِّد، لكن أن يستفيد من هذه النِّعم أجود وأحسن.

والحاصل: أنَّ عدّ النِّعم أمر مطلوب كما قال سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ لكن الاستفادة منها حسنة وقد يكون شكراً عملياً.

وفي المرآة: إذا أمر الله بالشُّكر القولي، كان الشُّكر الفعلي أقوى في إظهار النِّعمة، فيكون وجوبه ولزومه أولى وأحرى(١).

[١٠] **(الجشوبة. . . الخشونة):**

مصدران بمعنى الفاعل، للمبالغة، أي الجشب ـ الذي هو غليظ أو لا إدام معه ـ، والخشن ـ ضد الناعم ـ.

---

(١) المرآة: ج٤، ص٣٦٧.

فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ[١١] أَنْ يُقَدِّرُوا[١٢] أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ، كَيْلَا يَتَبَيَّغَ[١٣] بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ، فَأَلْقَى عَاصِمُ بْنُ زِيَادٍ الْعَبَاءَ وَلَبِسَ الْمُلَاءَ.

---

[١١] (أئمَّة العدل):

وأمَّا أئمَّة الجور فإنَّ الله سبحانه لم يُمض كونهم أئمَّة، كي يرتِّب عليهم شؤون الأئمَّة المنصوبين من قِبَلِهِ(١).

[١٢] (يقدِّروا):

أي يشبهوا ويقيسوا و«الضعفة»: جمع ضعيف، والمُراد فقراؤهم.

[١٣] (لا يتبيَّغ):

أي لكيلا يهيج الفقرُ الفقراءَ، يُقال: تبيَّغ الدَّم بصاحبه أي هاج به، والمعنى: أنَّ الفقير إذا رأى الأئمَّة على حالته نفسها رضي بفقره وصبر عليه، لكن إذا وجدهم منعَّمين فارهين هاج به فقره وسبب خروجه عن جادَّة الصواب.

قال العلَّامة المجلسي رضوان الله عليه: هذا وجه جمع بين الأخبار المختلفة في سيرة الأئمَّة عليهم السلام، وبين ما ورد في مدح التجمُّل وخلافه، وفيه ذمّ اتخاذ التقشُّف ولبس الصوف سُنَّة ـ كما ابتدعه المتصوفة ـ... وقد زاد المتأخرون عن زمانه عليه السلام على البدعة في المأكل والمشرب كثيراً من العقائد الباطلة، كاتحاد الوجود وسقوط العبادات والجبر وغيرها، وأثبتوا لمشايخهم من الكرامات ما كاد يربو على المعجزات، وقبائح أقوالهم وأفعالهم وعقائدهم أظهر من أن يخفى على عاقل، أعاذ الله المؤمنين من فتنتهم وشرِّهم، فإنَّهم أعدى الفِرق للإيمان وأهله(٢).

---

(١) توضيح نهج البلاغة: ج٣، ص٣٢٠.

(٢) مرآة العقول: ج٤، ص٢٦٧ ـ ٢٦٨.

٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْخَزَّازِ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ قَالَ: حَضَرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ، ذَكَرْتَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام كَانَ يَلْبَسُ الْخَشِنَ، يَلْبَسُ الْقَمِيصَ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَنَرَى عَلَيْكَ اللِّبَاسَ الْجَدِيدَ[١]، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام كَانَ يَلْبَسُ ذَلِكَ فِي زَمَانٍ لَا يُنْكَرُ عَلَيْهِ[٢]، وَلَوْ لَبِسَ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ شُهِرَ بِهِ[٣]، فَخَيْرُ لِبَاسِ كُلِّ زَمَانٍ

الحديث الرابع:

[١] (اللباس الجديد):

كناية عن الثوب النفيس، وذلك لأنَّ الثوب النفيس يبقى جديداً عادة، لقلَّة لبسه، أو لشدَّة العناية به، أو لجودة قماشه.

[٢] (زمان لا ينكر عليه):

لأنَّ ذلك كان متعارفاً لشدَّة فقر النَّاس، ولمَّا توالت الفتوحات حسن حال النَّاس لكن النَّاس كانوا قريبي عهد بالفقر لذا كان ذلك النوع مألوفاً لهم.

أو لأنَّه عليه السلام كان حاكماً، ولا ينكر على الحاكم فعله، بل يصبح أسوة وقدوة للنَّاس حتَّى فيما لا يتعارف بينهم.

[٣] (ولو لبس مثل ذلك اليوم شهر به):

الضمير إمَّا يرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فالمعنى: لو لبس الإمام علي عليه السلام مثل ذلك الثوب في هذا الزمان ـ الذي هو زمان سيطرة الجائرين وزمان تغيّر العادات ـ لكان لباس شهرة.

أو «لُبس»: بالمجهول فالمعنى: أي واحد لو لبس مثل ذلك الثوب لشهروا به.

و«شُهِّر به»: بمعنى التشنيع عليه، و«به»: يرجع إلى مصدر (لبس).

لِبَاسُ أَهْلِهِ[٤]، غَيْرَ أَنَّ قَائِمَنَا[٥] أَهْلَ الْبَيْتِ عليهم السلام إِذَا قَامَ لَبِسَ ثِيَابَ عَلِيٍّ عليه السلام وَسَارَ بِسِيرَةِ عَلِيٍّ عليه السلام.

---

[٤] **(فخير لباس كل زمان لباس أهله):**
أي ما تعارف عليه النَّاس، ولو لصنف منهم، فهناك زيٌّ عامّ، كما أنّه يتعارف لباس خاصّ للشرطة، وآخر للجيش، وآخر للعمَّال. . . وهكذا، فالزيّ العام وكذا الزيّ لصنف خاصّ كلاهما لباس أهل الزمان.

[٥] **(غير أنَّ قائمنا. . .) إلخ:**
حيث إنَّه عليه السلام الحاكم فلا يكون ذلك شهرة بل فضيلة، ولعلَّ سبب ذلك أنَّه شعار ومقدِّمة لتطبيق سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عملاً، فيقتدي به عملاً ويطبِّق أسلوبه عليه السلام على النَّاس، وبتعبير آخر: إنَّ الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف يبدأ بنفسه ثم يطبق تلك السيرة الوضّاءة على الآخرين.

بَابٌ نَادِرٌ

١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَيُّوبَ بْنِ نُوحٍ قَالَ: عَطَسَ يَوْماً وَأَنَا عِنْدَهُ، فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مَا يُقَالُ لِلْإِمَامِ إِذَا عَطَسَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ[١].

قد مرَّ أنَّ النادر إمَّا بمعنى اللطيف العجيب، إذ ما كثر وجوده يألفه النَّاس فلا يكون عجيباً ولا لطيفاً.

وإمَّا بمعنى الأحاديث المتفرِّقة التي لا يمكن إدخالها في الأبواب المختلفة لتفاوت الموضوع، ولا يمكن عقد باب لكلّ حديث بانفراده.

وإمَّا ما يُقال: من أنَّه بمعنى الضعيف، فلا أساس له، بل بعض أحاديث النوادر من الصحاح أو الأُمور المقطوع بها.

الحديث الأوَّل:

[١] **(يقولون: صلَّى الله عليك):**

يُستحب تسمية العطاس، ويُقال له: (يرحمك الله)، لكن خُصَّ الإمام بأن يُقال له: (صلَّى الله عليك)، ولعلَّ سبب ذلك جعل ميزة للإمام حتَّى في الأُمور العادية. فإنَّهم عليهم السلام كانوا يعيشون بين الناس، وفي الحديث: (كان فينا كأحدنا)(١) وهذا يُسبِّب نوعاً من عدم رعاية شؤوناتهم ممَّا قد يُؤثِّر في عدم إطاعتهم، ولذا أمر الله تعالى توقير الرسول صلى الله عليه وآله بعدم رفع الصوت على صوته، وعدم مناداته من وراء الحجرات، وعدم دعائه كأحدهم. . .إلخ، وكذا أمر تعالى بتوقيرهم عليهم السلام، ومن ذلك مجموعة من التشريعات ـ التي قد تكون في الأُمور العادية ـ، ولعلَّ هذا منها، والله العالم.

---

(١) البحار: ج٤١، ص١٤٧.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الدِّينَوَرِيُّ، عَنْ عُمَرَ بْنِ زَاهِرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْقَائِمِ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ بِإِمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: لَا، ذَاكَ اسْمٌ سَمَّى اللَّهُ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[١]، لَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ، وَلَا يَتَسَمَّى بِهِ بَعْدَهُ إِلَّا كَافِرٌ، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ كَيْفَ يُسَلَّمُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا بَقِيَّةَ اللَّهِ، ثُمَّ قَرَأَ[٢] ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [هُود: ٨٦].

الحديث الثاني:

[١] **(سمّى الله به أمير المؤمنين عليه السلام):**

الإمام علي عليه السلام، وأمّا كفر من رضي بهذه التسمية دون الإمام علي عليه السلام فلأنَّ الولاية من أُصول الدِّين، فمنكرها كافر باطناً ـ حتَّى وإن حكم عليه بالإسلام ظاهراً لتسهيل الأمر على المؤمنين ـ، والَّذين غصبوا حقّهم عليهم السلام كانوا يعادونهم ولا يوالونهم، فكلّ من تسمَّى بهذا اللقب دون الإمام علي عليه السلام كان غاصباً لحقّهم عليهم السلام معادياً لهم، فيكون كافراً.

ولا يخفى أنَّ أفعال القلوب يمكن اكتشافها عبر الممارسات العملية، فالحبّ والبغض يظهران على عمل الإنسان، فمحاربة الظلَمة لهم عليهم السلام وغصب حقوقهم وإيذاؤهم هي مظاهر لبغضهم ولإنكار ولايتهم، ولولا ذلك لما أمكن التمييز بين المنافق والمؤمن، ولا المحب من المبغض.

[٢] **(ثمّ قرأ....) إلخ:**

الآيات في سورة هود: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ إلى قوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ * بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾[١].

وتفسير الآية: ما أبقاه الله لكم من الحلال بعد إيفاء الكيل والميزان خيرٌ

---

(١) سورة هود: الآيات ٨٤ ـ ٨٦.

٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام: لِمَ سُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام؟ قَالَ: لِأَنَّهُ يَمِيرُهُمُ الْعِلْمَ[١]، أَمَا سَمِعْتَ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ

لكم من الكثير الذي تحصلون عليه عن طريق الحرام بالبخس والتطفيف.

فيكون الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف تأويلاً للآية.

أو يُقال: إنَّ كلام شعيب عليه السلام عامّ له مصاديق، ومن أبرزها الإمام المهدي عليه السلام، لأنَّه آخر الحُجج الذي لولاهم لساخت الأرض بأهلها ـ كما مرَّت الروايات في ذلك ـ.

الحديث الثالث:

[١] **(لأنَّه يميرهم العلم):**

«الميرة»: الطعام أو طيِّب الطعام، ولا يخفى أنَّ (أمير) من مادة «أم ر» وأمَّا (الميرة) فهي من «م ي ر»، فيكون المُراد أحد الوجوه التالية:

١ ـ إنَّه من الاشتقاق الكبير، وقد مرَّ أنَّ معناه هو تقارب كلمتين في حروفهما، إمَّا في جميعها مع اختلاف الترتيب مثل سفر وفسر، أو في حرفين ـ بترتيب أو بغيره ـ وقد يعبَّر عن هذا بالاشتقاق الأكبر.

وقد ثبت في علم اللغات أنَّ الإنسان البدائي كلَّما رأى شيئاً أو عرف معنًى، استعمل فيه لفظاً، وبتكراره يصبح وضعاً تعيّنياً، ثمَّ لو رأى شيئاً قريباً من الشيء الأوَّل استعمل فيه لفظاً قريباً من اللفظ الذي استعمله في الأوَّل بتغيير بعض الحروف أو بتغيير الترتيب، وهذا يعبَّر عنه بالاشتقاق الكبير، ولا يخفى أنَّه لا قواعد خاصَّة له ولا يمكن ضبط موارده، إلَّا أنَّه بالتتبُّع يمكن الوصول إلى بعض مصاديق هذا النوع من الاشتقاق وفيما نحن فيه لعلَّ (أمر) و(مير) من ذلك، ولعلّ الوجه في ذلك كون الميرة بيد الأمراء عادة.

٢ ـ أن لا يكون المُراد بيان الاشتقاق بل المُراد هو بيان حقيقة، فإنَّ

وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ [يوسف: ٦٥].

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ: لِأَنَّ مِيرَةَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِنْدِهِ، يَمِيرُهُمُ الْعِلْمَ.

٤ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِي الرَّبِيعِ الْقَزَّازِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لِمَ سُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: اللَّهُ سَمَّاهُ[١]، ....

الحكّام من واجبهم ـ ولكي لا يضطرب عليهم الأمر ـ تهيئة معاش النَّاس بتوفير الحوائج الضرورية لهم، ولكن الإمام عليه السلام إمارته أعظم لأنّه يُمير النَّاس العلم مضافاً إلى مير الطعام.

وفي المرآة: أن يكون المعنى أنَّ أُمراء الدُّنيا إنَّما يُسمّون أميراً لكونهم متكلّفين لميرة الخلق وما يحتاجون إليه في معاشهم بزعمهم، وأمَّا أمير المؤمنين عليه السلام فإمارته لأمر أعظم من ذلك، لأنَّه يُميرهم ما هو سبب لحياتهم الأبدية وقوَّتهم الرُّوحانيَّة، وإن شارك سائر الأُمراء في الميرة الجسمانية، فعبَّر عليه السلام عن هذا المعنى بلفظ مناسب في الحروف للفظ الأمير، وهذا أظهر الوجوه(١).

الحديث الرابع:

[١] (قال الله سمّاه):

معنى الجواب: أنَّ الله سبحانه نصَّبه لهذه الإمرة فلذلك سَمّاه بأمير المؤمنين.

وقد يُقال: إنَّ السؤال كان عن سبب التسمية، لكن الإمام أجاب بما هو أهم، وهو أنَّ الله سمَّاه بذلك، كما يُقال نظير ذلك في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ حيث كان سؤالهم عن السبب لاختلاف حالات

---

(١) المرآة: ج٤، ص٣٧٠.

وَهَـكَـذَا أَنْـزَلَ فِـي كِـتَـابِـهِ[٢]: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولِي وَأَنَّ عَلِيّاً أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ.

القمر، وحيث إنَّ الغرض من القرآن هو هداية النَّاس وليس بيان علل الأُمور التكوينية ـ إلّا بالمقدار الذي يرتبط بالهداية ـ لذلك أعرض الله سبحانه عن جواب سؤالهم، وبيَّن أمراً يرتبط بأعمال النَّاس فقال تعالى: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾(١).

[٢] **(وهكذا أنزل في كتابه):**

قد مرَّ مراراً أنَّ الله كما أنزل ألفاظ القرآن كذلك أنزل تفسيره وتأويله كما قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾(٢). فهذه الآية نزلت مع تفسيرها وتأويلها، وذلك ما ذكره الإمام عليه السلام.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٩.

(٢) سورة القيامة: الآيات ١٧ ـ ١٩.

بَابٌ فِيهِ نُكَتٌ وَنُتَفٌ مِنَ التَّنْزِيلِ فِي الْوَلَايَةِ

١ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ

«النُّكَت»: جمع (نُكْتة) ومعناها في الأصل هو تأثير يسير في الشيء[1]، و«النُّتَف»: جمع (نُتْفة) وهي بمعنى أخذ شيء من الشعر أو النبات بالإصبع.

فالمقصود أنَّ ما في هذا الباب هو شيء يسير من الروايات الواردة في تفسير وتأويل الآيات بالولاية.

ثمَّ اعلم أنَّ الروايات الواردة في معنى الآيات على خمسة أصناف ـ وقد أشرنا إلى بعض ذلك فيما مضى ـ:

١ ـ التفسير، وهو بيان معنى الآية حسب ظاهرها، ويدخل فيه التدبُّر.

٢ ـ بيان المصداق، وهو أن يُبيّن المعنى عبر ذكر مصداق المعنى، فإنَّ المثال يقرِّب الفكرة إلى الأذهان، كما أنَّ فيه تنبيهاً على أهمية ذلك المصداق، ومن ذلك بيان شأن النزول عادة.

٣ ـ التأويل، وهو بيان بطون القرآن، وهي معانٍ لا يمكن استنباطها من الظاهر، لكنَّها معانٍ مرادة، عرَّفها الله تعالى للنبي ﷺ والأئمَّة ﷺ، ويدخل في هذا المتشابهات الَّتي لا يعرفها إلَّا الله والراسخون في العلم.

٤ ـ التنظير، وهو أن يُؤتى بالآية للاستشهاد بها أو تشبيه شيء بشيء، ومن ذلك التمثّل، وهذا كما يستعمل النَّاس الأمثال المتعارفة بينهم في موارد خاصَّة، ولا يقصدون أنَّ تلك الموارد هي معنى المَثَل بل القصد بيان أنَّ هذه الموارد هي نظير ما في المثل.

٥ ـ الجَريْ، بأن تكون الآية نازلة في جماعة خاصة، لكن روح القصة تجري في أقوام آخرين، ولعلّ هذا يدخل في التأويل.

---

(١) مقاييس اللغة: ص١٠٠٩.

بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ، عَنْ سَالِمِ الْحَنَّاطِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: أَخْبِرْنِي عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣-١٩٥] قَالَ: هِيَ الْوَلَايَةُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

ثم اعلم أن للتأويل قواعد ومصاديق عامة يمكن معرفتها من خلال التدبّر في الآيات والروايات، فهنا قواعد وأمور:

الأمر الأول: عدم إمكان استنباط التأويل من ظاهر الكلام، إذ لو كان متطابقاً مع الظاهر كان تفسيراً لا تأويلاً، فيكون التأويل أشبه بالرموز التي لها ظاهر وأريد بها معنىً آخر، مع فرق أنَّ في القرآن يُراد الظاهر والباطن معاً، فالظاهر للجميع والباطن للراسخين.

ومن ذلك يتّضح عدم صحّة ردّ بعض الروايات الواردة في التأويل بحجة مخالفتها للظاهر!! وهل التأويل إلّا ما كان لا يُعرف من الظاهر. لكن لا يخفى أن التأويلات لا تتعارض مع ظواهر القرآن، إذ كلاهما حجة ولا يعقل تعارض الحجتين.

نعم قد يكون هناك نوع تناسب أو أوجه ارتباط، لكنه ليس بلازم.

الأمر الثاني: عدم لزوم ارتباط التأويل بالسياق العام.

فإنَّ السياق العام قد يصنع ظهوراً، وهو حجة، وذلك لحجية الظواهر، وقد توجد أدلة أخرى تكون سبباً لرفع اليد عن الظهور، نظير المطلق الذي له ظهور في العموم، لكن قد يرفع اليد عن إطلاقه بدليل مقيِّد ـ ولو كان منفصلاً ـ.

وحيث إنَّ التأويل لا يرتبط بالظهور، فلذا لا يلزم ارتباطه بالسياق العام، بل يمكن أن يتفاوتان، بأن يكون السياق لإثبات أمر، والتأويل لإثبات أمر آخر.

ولعلّ هذا هو المُراد مما ورد من أن صدر الآية قد يكون في شيء، ووسطها في شيء آخر، وآخرها في شيء ثالث.

الأمر الثالث: قد تختلف معاني الكلمة الواحدة، إما بالاشتراك اللفظي، أو بالنقل، أو بالحقيقة والمجاز، أو نحو ذلك، فقد يُراد في التفسير أحدها

وفي التأويل الآخر، وقد تكون هناك ألفاظ متقاربة ولها معاني قريبة ـ حسب الاشتقاق الكبير ـ فيُراد في التفسير ما وُضع له اللفظ، ويُراد في التأويل المعنى القريب.

الأمر الرابع: قد يكون معنى واحد مُراداً لكنه مبثوث في عدة آيات قرآنية في مواضع مختلفة، فجمعها معاً يُنتج ذلك المعنى، ولا طريق لنا لمعرفة الجمع ولا إلى تلك الآيات أو الكلمات التي لا بدّ من جمعها، وإنما علمه خاص بالمعصومين عليهم السلام، فيكون من التأويل.

ولا يخفى أنَّ هذا يختلف عن دلالة الإشارة ـ كمعرفة أقلّ الحمل بالجمع بين آيتين ـ فإنَّ دلالة الإشارة تدخل في إطار التدبّر الذي هو من التفسير لا التأويل.

الأمر الخامس: قد تكون الحقيقة القرآنية المذكورة في ظاهر الآية، لها لوازم عقلية أو شرعية، ولكن لا يتمكن الناس من إدراكها لعدم إلتفاتهم إلى الملازمة أو إلى اللازم أو الملازم، فحينما يذكر الإمام عليه السلام ذلك التأويل يتوهّم البعض عدم ارتباطه بالآية، والحال أنَّ الارتباط وثيق للملازمة أو التلازم، لكن المشكلة في عدم معرفتنا، وتنحلّ ببيانهم عليهم السلام.

الأمر السادس: قد يكون تشابه بين أمور مادية وأخرى معنوية، في جهة من الجهات، فيُراد إحدى الجهتين في التفسير والأخرى في التأويل، كالهلاك، فالماديّ منه بالموت، والمعنوي منه بالكفر ـ مثلاً ـ.

الأمر السابع: إنَّ العوالم مختلفة وكثيرة، وقد مرّ الإنسان ببعض تلك العوالم، وسَيَمُرُّ ببعضها الآخر، كعالم الذرّ، والرحم، والدنيا، والبرزخ، والرجعة، والمحشر، والجنة أو النار، وغيرها من العوالم، وقد تكون هنالك حقيقة واحدة في كل هذه العوالم، ولكن مع تغيّر الصورة بما يتناسب مع كل عالم، فقد يكون تفسير الآية حسب إحدى تلك العوالم، ويكون تأويلها حسب عالم آخر، كالآيات التي فُسّرت بالقيامة وأُوّلت بالرجعة، أو العكس.

الأمر الثامن: إنَّ قصص القرآن يُراد بها إنذار هذه الأمة، أو تبشيرها، أو تعليمها، وقد رُوي أنه يقع في هذه الأمّة ما وقع في بني إسرائيل حذو

النعل بالنعل والقُذة بالقُذة، وعليه فإنَّ المُراد روح القصة، ولذا وردت روايات كثيرة في تأويل تلك القصص بالأئمة عليهم السلام وبأعدائهم، وبما يجري في هذه الأمة، فيكون تفسير الآية في الأمم السالفة وأمّا تأويلها ففيما يجري في هذه الأمة ـ حيث إنَّ المُراد هو روح القصة في هذه الأمّة ـ وليس ذلك من التفسير بالمصداق، ولا من التنظير.

ويدخل في هذا الأمر ما ورد حول الكتب السماوية السابقة والقرآن الكريم ـ أحياناً ـ.

الأمر التاسع: إنَّ القرآن وأهل البيت عليهم السلام مقترنان معاً دائماً، ولا يفترقان أبداً، فكانوا عليهم السلام القرآن الناطق، وأوصافهما متحدة، فكُلّ ما وُصف به القرآن وُصفوا عليهم السلام به، ولذا أُوِّلت بهم عليهم السلام الآيات النازلة حول القرآن الكريم، هذا فضلاً عن الآيات النازلة فيهم.

ثم لا يخفى أنه يمكن إدراج بعض هذه القواعد والأمور في بعضها، وقد تظهر بالتأمّل قواعد أخرى.

وأمّا أمثلة هذه الأمور فمذكورة في هذا الباب في طيّ الأحاديث الشريفة، وسنشير إلى بعضها، مع إمكان إدراج بعض هذه التأويلات في أكثر من قاعدة، بل يحتمل كون بعضها من التفسير أو بيان المصداق أو التنظير، والله العالم بحقائق الأمور وهو المُستعان.

الحديث الأوّل:

وظاهر الآية هو رجوع الضمير في (أنّه) إلى القرآن الكريم، فالولاية هي من أبرز المصاديق الّتي نزلت على الرسول صلى الله عليه وآله فيكون تفسيراً بالمصداق البارز، لأنَّه بالولاية كمل الدِّين ولولا تبليغها لم يبلّغ الدِّين أصلاً، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[(١)]، وقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾[(٢)].

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ مِسْكِينٍ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَمَّارٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ

نزلت الآيتان في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والروايات متواترة في شأن نزول الآية وتفسيرها بالولاية(١).

الحديث الثاني:

[١] **(في قول الله عزّ وجلّ):**

وهذا أيضاً تفسير للآية بالمصداق البارز، ودلّت عليه جملة من الروايات، وأنَّ حملها هو ادعاؤها بغير حقّ، فعن الإمام الرِّضا عليه السلام قال: «الأمانة الولاية من ادعاها بغير حقّ كفر»(٢).

وفي التبيين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ خافوا عقابه، ﴿وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ قاصداً إلى الحقّ، فإن فعلتم ذلك ﴿يُصْلِحْ﴾ الله ﴿لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ بقبوله لها وسدّ الخلل فيها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ﴾ أفلح ﴿فَوْزًا عَظِيمًا * إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ أي الطاعة، وسمَّاها أمانة لأنَّها واجبة الأداء، أو المُراد الأمانة المشهورة ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ﴾ امتنعن ﴿أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ والمعنى: إنَّ الأمانة لعظمتها بحيث لو عرضت على هذه العظام وكان لها شعور لأبت من حملها، وذلك لثقلها، أو كناية عن ثقل الأمانة حتَّى أنَّ أعظم العظام لا تتمكن من تحمُّلها، وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس، ﴿وَأَشْفَقْنَ﴾ خفن ﴿مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ قَبل أن يحملها، والقبول إمَّا يُراد به ما ركب في طبيعته من تمكن القبول والأداء، وإمَّا القبول النفسي للأمانات الخارجية، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه فلا يؤدِّي الأمانة، ﴿جَهُولًا﴾ بحال نفسه فيظنّ أنّه

---

(١) راجع كمثال البرهان: ج٣، ص٢٩٠ ـ ٣٢٥.

(٢) البرهان: ج٨، ص٩٢.

مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] **قَالَ: هِيَ وَلَايَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.**

يتمكّن من الأداء والحال أنَّه لا يفي بها[١].

ثمَّ اعلم أنَّه قد ذكرت الروايات مصاديق متعدِّدة للأمانة.

فمنها: التكليف، وروي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا حضر وقت الصلاة تغيَّر لونه، فسئل عن ذلك؟ فقال: حضر وقت أمانة عرضها الله على السَّمٰوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها[٢]. ولا يخفى أنَّ الولاية من أعظم التكاليف.

ومنها: الأمانة المعروفة ـ الَّتي هي ضدّ الخيانة ـ، وعن الإمام الصَّادق عليه السلام أنَّه سئل عن رجل يبعث إلى الرجل يقول: ابتع لي ثوباً، فيطلب في السوق فيكون عنده مثل ما يجد له في السوق فيعطيه من عنده؟ قال: «لا يقربنَّ هذا، ولا يدنس نفسه، إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾. . .الآية»[٣] والمعنى: أنَّ ذلك قد اشترط أن تكون البضاعة من السوق، فيخالف هذا ويعطيه من عنده لا من السوق، وهذا خيانة في الأمانة.

وأمَّا معنى عرضها على السَّمٰوات والأرض والجبال، فقيل فيه وجوه واحتمالات:

١ ـ أن يكون ذلك مجازاً، بمعنى تعظيم شأن الإمامة لا مخاطبة الجماد، كما يُقال: بكى عليه الحجر والجدار والباب، يُراد به تعظيم شأن المصيبة وتهويلها.

٢ ـ أن يكون المُراد الطاعة، سواء كانت في التشريع أم التكوين، وأن يكون (الحمل) هو الخيانة، فالمعنى: أنَّ الله أودع القوانين الكونية في السَّمٰوات والأرض، فهي تسير طبق تلك القوانين، نظير قوله تعالى:

---

(١) تبيين القرآن: ص٤٣٩.

(٢) البحار: ج٥٧، ص٢٨٠.

(٣) الوسائل: ج١٧، ص٣٩٠.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي زَاهِرٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُوسَى الْخَشَّابِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾(١)، فمعنى ﴿فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ هو عدم خيانتها بعدم مخالفتها للقوانين التكوينيّة، وأمّا الإنسان فكلّف بالطاعة لكن الأكثر خانوا الأمانة.

٣ ـ أن يكون الأمر على التقدير، أي لو كانت عاقلة لعرضنا عليها ولأبت من الحمل.

٤ ـ أن يُقال: إنّ للجمادات نوع شعور، أو أنّ الله جعل لها ذلك الشعور فعرض وجعلها مختارة في القبول والردّ فاختارت عدم القبول.

٥ ـ المُراد بعرضها على السّمٰوات والأرض والجبال هو النظر إلى استعدادهن لذلك، والمُراد بإبائها هو الإباء الطبيعي الذي هو عبارة عن عدم اللياقة.

وقيل غير ذلك.

الحديث الثالث:

[١] (في قول الله عزّ وجلّ):

﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ من الموحدين والمشركين ﴿أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ وعدم الخوف من عاقبة التوحيد والشّرك ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما يلزم أن يخاف منه؟ بل ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾ لم يخلطوا ﴿إِيمَٰنَهُم﴾ بالله ﴿بِظُلْمٍ﴾ عقيدة تخالف الحقّ، كالشّرك، أو إنكار سائر أُصول الدِّين ومنها الإمامة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ فلا يخافون عاقبة عقيدتهم، بل لهم الثواب ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ هُدُوا إلى طريق الحقّ.

دلّت الروايات على أنّ المُراد هو الظلم العظيم كالشّرك والضلال

---

(١) سورة فصلت: الآية ١١.

بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] **قَالَ: بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنَ الْوَلَايَةِ، وَلَمْ يَخْلِطُوهَا بِوَلَايَةِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَهُوَ الْمُلَبَّسُ بِالظُّلْمِ[٢].**

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ نُعَيْمٍ الصَّحَّافِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ....

والشَّكّ، بل يظهر من بعض الروايات أنَّ المُراد من الظلم هو جميع المعاصي(١)، فلا ضمان لعدم عقابهم وغفرانهم.

نعم، من صحَّت عقيدته قد يغفر الله تعالى له من غير وعد لذلك وقد يُعاقبه على ذنبه ولذا هذا لا أمن له.

وأمَّا من فسدت عقيدته في أُصول الدِّين كالتوحيد والنُّبوَّة والإمامة والمعاد فهذا لا أمن له مطلقاً.

إذاً فالولاية باعتبارها من أُصول الدِّين فهي من الإيمان الذي لا يجوز إفساده بالاعتقاد بسلاطين الجور.

[٢] **(فهو الملبَّس بالظلم):**

«الملبِّس»: بكسر الباء مبني للفاعل، أي فهذا الَّذي اعتقد بولاية الظلمة هو الَّذي خلط الولاية بالظلم.

أو«الملبَّس»: بفتح الباء مبني للمفعول، أي فهذا الإيمان هو المخلوط بالظلم.

الحديث الرابع:

[١] **(عن قول الله عزَّ وجلّ):**

الآية هكذا: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾(٢)، فالنقل في هذا الحديث

---

(١) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٢، ص٥٨٨ فما بعد.

(٢) سورة التغابن: الآية ٣.

«فَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَمِنْكُمْ كافِرٌ»؟ فَقَالَ: عَرَّفَ اللَّهُ[٢] إِيمَانَهُمْ بِوَلَايَتِنَا وَكُفْرَهُمْ بِهَا، يَوْمَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ فِي صُلْبِ آدَمَ عليه السلام وَهُمْ ذَرٌّ[٣].

بالمعنى، وسيأتي هذا الحديث بعينه مع تكملة، في الحديث الرابع والسبعين، والآية هناك منقولة بلفظها كما في المصاحف.

[٢] **(عرَّف الله):**

«عرَّف»: من باب التفعيل، أي إنَّ الله سبحانه أخبر أولياءَهُ بالمؤمن والكافر، أو أنَّ هناك ظهر المؤمن والكافر حين أخذ الميثاق فعرفوهم، فالتعريف من الله سبحانه، والعارف هم أولياؤه.

أو «عَرَف»: من المجرَّد بمعنى علم، فيكون نظير قوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾(١) وكقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٢) فمعناه حتَّى يظهر ما علمناه أزلاً.

والأوَّل أقرب، لأنَّ مادة (ع ر ف) لا تستعمل في الله سبحانه إلَّا بضرب من التأويل وإرجاعها إلى العلم، لأنَّها بمعنى العلم بالشيء بصفاته حتَّى إذا رآه طبَّق تلك الصفات عليه فعلم أنَّه الموصوف نفسه، وهذا المعنى يستحيل عليه تعالى.

وتمام الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٣] **(في صلب آدم وهم ذرّ):**

أي حين أخرجهم من صلب آدم فأخذ منهم الميثاق، ثمَّ أرجعهم إلى صلبه كما يظهر من أخبار عالم الذَّرّ، أو يُقال: إنَّه تعالى أخذ الميثاق مرَّتين، مرَّة وهم في صلب آدم وأُخرى حين أخرجهم منها وسيأتي تفصيل بحث مراحل عالم الذرّ في كتاب الإيمان والكفر.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٢) سورة محمَّد: الآية ٣١.

ثمَّ اعلم أنَّه قد تواترت الأخبار حول عالم الذَّرّ[1]، وبه أوّلت الروايات قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾. . . الآية.

أمّا التشكيك في هذه الروايات، فغريب، وذلك لتواترها.

وأمّا الإشكال عليها بأنّها خلاف ظاهر الآية!!

فجوابه أنَّها تأويل للآية، ومن المعلوم أنَّ التأويل من البطون التي لا يمكن استفادتها من الظاهر كما مرّ في القاعدة الأولى من قواعد التأويل، مضافاً إلى أنَّ كثيراً من روايات عالم الذَّرّ لم تذكر فيها هذه الآية أصلاً، بل فيها بيان لهذا العالم وحقائقه من غير استشهاد بالآية.

وأمّا الإشكال بأنَّ هذا من أُصول الدِّين، ولا تثبت مسائل أُصول الدِّين بأخبار الآحاد حتَّى لو كانت صحيحة!!

فجوابه: أوّلاً: تواتر هذه الأخبار، وثانياً: إنَّ مسائل أُصول الدِّين نوعان: فنوع يحتاج إلى الدليل القطعي كإثبات التوحيد ونبوّة رسول الله محمَّد ﷺ وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، ونوع آخر يُكتفى فيه بالدليل المعتبر حتَّى وإن لم يكن قطعياً كتفاصيل البرزخ، وتفاصيل نعيم الجنَّة ونحوها، وكبعض أوصاف النَّبيّ والإمام، فقد لا يجب الاعتقاد بهذه التفاصيل لكن لو عرفها وجب التصديق بها، وقد يكون الجهل بها تقصيراً بحقّ أولياء الله من غير أن يكون سبباً للضلال، وقد يكون سبباً للضلال أيضاً.

وقد فصَّل الشيخ الأعظم الأنصاري (رضوان الله عليه) هذه المسألة في كتاب الرسائل التنبيه الخامس من تنبيهات باب الانسداد فراجع، ولعلَّ من أضرار إلغاء دراسة باب الانسداد هو عدم الالتفات إلى هذه المسألة والخلط بين المسائل الاعتقادية، ونتيجته هي الإعراض عن روايات أهل البيت عليهم السلام!

وسيأتي تفصيل البحث عن عالم الذر والجواب عن الإشكالات في (باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية) في آخر هذا المجلّد، فانتظر.

(١) راجعها في البرهان: ج٤، ص ٢١٧ ـ ٢٣٠.

٥ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ [الإنسان: ٧][١]: الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِنْ وَلَايَتِنَا.

الحديث الخامس:

[١] **(يوفون بالنذر):**

وردت روايات مستفيضة أنَّ شأن نزول الآية في الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين وفاطمة الزَّهراء عليهم السلام، لمّا صاموا ثلاثة أيَّام متتالية، وفاءً لنذر نذروه لمَّا مرض الحسنان عليهما السلام، فتصدَّقوا بإفطارهم ـ وكان أقراص خبز ـ ليتيم وفقير ومسكين(١).

ولكن شأن النزول لا يُخَصِّص الآية عادة، فلذا وردت روايات أُخرى في أنَّ الآيات تشمل الشيعة أيضاً باعتبار وفائهم بالميثاق الذي أخذ منهم في عالم الذَّرّ بالتوحيد والرِّسالة والولاية.

ويحتمل أن تكون هذه الروايات في تأويل الآية ببيان بطن من بطونها أو تكون الروايات للتنظير والتشبيه، أي كما وفى الأئمَّة عليهم السلام بنذرهم كذلك يفي الشيعة بميثاقهم.

و«النذر»: هو ما كان وعداً على شرط، وأصل الكلمة بمعنى التخويف أو التخوُّف، والناذر يخاف إذا أخلف.

وفي المرآة: وما ذكره عليه السلام من «تأويل الإيفاء بالنذر بالوفاء في عالم الأجساد بما أوجب على نفسه من ولاية النَّبيّ والأئمَّة صلوات الله عليهم في الميثاق» بطن من بطون الآية، فلا يُنافي ظاهره من الوفاء بالنذر والعهود في الشريعة، وما ورد أنَّها نزلت في نذر أهل البيت عليهم السلام الصوم لشفاء الحسنين عليهما السلام(٢).

---

(١) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج١٠، ص١٣٥ ـ ١٤٤.

(٢) المرآة: ج٥، ص١١.

٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] قَالَ: الْوَلَايَةُ[٢].

الحديث السادس:

[١] **(في قول الله عزَّ وجلَّ):**

في التبيين:(١): ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ بمحمَّد صلى الله عليه وآله، ﴿وَاتَّقَوْا﴾ باجتناب المعاصي، ﴿لَكَفَّرْنَا﴾ أي محونا ﴿عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ السابقة ﴿وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ التي ينعم بها الإنسان. ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا﴾ بالعمل ﴿التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ القرآن، بأن عملوا بالكتب الثلاثة، ﴿لَأَكَلُوا﴾ أي وسَّع الله عليهم ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ممَّا ينزل من الأمطار وما تثمره الأشجار، ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ الزراعات، فإن العمل بالدين يوجب تقدّم الحضارة والزراعة والانتفاع بمياه الأمطار بسبب التخزين والصرف، بالإضافة إلى العناية الغيبية، ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ الاقتصاد: الاستواء في العمل، والمُراد بهم الذين أسلموا، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ﴾ أي قبح ﴿مَا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

[٢] **(قال: الولاية):**

وهذا إمَّا تفسير لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾، لأنَّ الولاية نزلت في القرآن الكريم، وبها كمال الدِّين كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾(٢) بل قد مرَّ أنَّ أكثر القرآن فيهم وفي عدوّهم.

وإمَّا تفسير لقوله تعالى: ﴿أَقَامُوا﴾ إذ لا يمكن إقامة الدِّين إلَّا عبر الأئمَّة عليهم السلام بعد رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله، كما ورد في حديث الثقلين المتواتر لدى الفريقين حيث قال الرسول صلى الله عليه وآله: «ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي أبداً».

---

(١) تبيين القرآن: ص١٣١.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣.

٧ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَرِيُّ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ مُثَنَّى، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورىٰ: ٢٣]، قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام.

الحديث السابع:

[١] **(في قوله تعالى...):**

الاستثناء إمَّا منقطع، فالمعنى: لا أسألكم أجراً على أداء الرِّسالة، ولكن يجب عليكم المودَّة في القربى، فهي ليست أجراً وإنَّما هي واجب مستقل.

ولا يخفى أنَّ الاستثناء المنقطع يحتاج إلى نوع ارتباط بين المُستثنى والمُستثنى منه، فإنَّ المُستثنى وإن لم يكن داخلاً في عموم المُستثنى منه لكن له نوع ارتباط، فيُراد ذكر حكمه، وهنا مودَّة قربى الرَّسول صلى الله عليه وآله لها ارتباط بجهده واستقامته، لكنَّها ليست أجراً للرسالة، بل هي واجب مستقل.

وإمَّا استثناء متصل، أي أجر الرِّسالة مودَّتهم، ولكن نفع هذه المودَّة راجع إليكم أيضاً كما قال: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾(١).

والأقرب الأوَّل، لأنَّ المودَّة ليست أجراً له صلى الله عليه وآله على الحقيقة، بل أجره على الله تعالى، كما كان يقول سائر الأنبياء عليهم السلام: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢)، وتكرَّرت هذه الآية مرَّات متعدِّدة على لسان الأنبياء عليهم السلام، بل قوله: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ ظاهر في معنى أنِّي لا أريد الأجر، نفياً لقول الكفَّار بأنَّ مدَّعي الرِّسالة إمَّا مجنون وإمَّا طالب أجر.

وقد مرَّ بعض الكلام في الآية فيما مضى.

---

(١) سورة سبأ: الآية ٤٧.

(٢) سورة الشعراء: الآية ١٠٩.

٨ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فِي وَلَايَةِ عَلِيٍّ، وَوَلَايَةِ الْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧١] هَكَذَا نَزَلَتْ[١].

٩ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ النَّضْرِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ رَفَعَهُ إِلَيْهِمْ[١] فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٢]: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فِي عَلِيٍّ وَالْأَئِمَّةِ. ﴿كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب: ٦٩].

الحديث الثامن:

[١] **(هكذا نزلت):**
قد مرّ مراراً أنَّ المعنى هكذا نزلت بتفسيرها أو تأويلها، لأنّه كما نزل نصّ القرآن، كذلك نزل البيان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾(١).
وفي الوافي: يعني بهذا المعنى نزلت(٢).

الحديث التاسع:

[١] **(رفعه إليهم):**
إلى الأئمّة عليهم السلام.

[٢] **(في قول الله عزَّ وجلّ):**
إيذاء الرَّسول صلى الله عليه وآله له مصاديق مختلفة.
ومنها: إيذاؤه في نكاح أزواجه، حيث روي أنّه لما أنزل الله ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ وحرَّم الله نساء النّبيّ على المسلمين،

---

(١) سورة القيامة: الآيات ١٧ ـ ١٩.
(٢) الوافي: ج٣، ص٨٨٥.

١٠ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ السَّيَّارِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ

غضب طلحة، فقال: يحرِّم علينا نساءه ويتزوَّج هو نساءنا! لئن أمات الله محمَّداً... لنفعلنَّ كذا وكذا... فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ۞ إِن تُبْدُوا شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[1][2]، وقريب من هذا ما رواه بعض العامَّة ـ وهو السدي ـ لما توفي أبو سلمة وخنيس بن خذافة وتزوَّج رسول الله ﷺ بامرأتيهما ـ أُمّ سلمة وحفصة ـ، قال طلحة وعثمان: أينكح محمَّد ﷺ نساءنا إذا متنا، ولا ننكح نساءه إذا مات! والله لو قد مات لقد أجلنا على نسائه بالسهام، وكان طلحة يريد عائشة وعثمان يريد أُمّ سلمة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا﴾... الآية[3].

ومنها: إيذاؤه ﷺ في أهل بيته عليهم السلام كما في هذا الحديث وغيره.

ولا يخفى أنَّه عليه السلام استشهد بآيتين من سورة الأحزاب، الأولى في إيذاء الرَّسول ﷺ، والثانية في إيذاء موسى عليه السلام، ولعلَّ وجه ذكر الثانية أنَّ الله كما برَّأ موسى عليه السلام من إيذاء بني إسرائيل كذلك يُبرِّيء الله تعالى رسوله ﷺ من إيذائكم، وذلك بتشريع الأحكام والتأكيد الغليظ عليها، وبإظهار الحقّ ونصرته وإتمام نورهم عليهم السلام كما قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ﴾[4].

الحديث العاشر:

﴿قَالَ﴾ الله ﴿اهْبِطَا﴾ أيُّها الفريقان ـ فريق آدم وحوَّاء، وفريق الشَّيطان ـ أي اخرجا ﴿مِنْهَا﴾ من الجنَّة، ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ فهناك عداوة بين الإنسان والشَّيطان، ﴿فَإِمَّا﴾ «إن» شرطية، و«ما» لتجميل الكلام ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾

---

(١) سورة الأحزاب: الآيتان ٥٣ ـ ٥٤.

(٢) البرهان: ج٨، ص٦٩.

(٣) المصدر: ص٧١ عن طرائف ابن طاوس عن السدي.

(٤) سورة التوبة: الآية ٣٢.

عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]؟ **قَالَ: مَنْ قَالَ بِالْأَئِمَّةِ، وَاتَّبَعَ أَمْرَهُمْ، وَلَمْ يَجُزْ طَاعَتَهُمْ**[١].

١١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ـ رَفَعَهُ ـ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: **﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَأَنتَ**

بإرسال الأنبياء وأوصيائهم فيدلونكم على طريق الهداية، وقد دلَّنا الرَّسول الأعظم ﷺ على لزوم اتباع الأئمَّة ﷺ، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ اعتقد بها وعمل بها ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ طريق السعادة في الدُّنيا، ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ في الآخرة بالعذاب، أو كلاهما في الدُّنيا والآخرة، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ أوامري، الذي منها: اتباع الأئمَّة ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ ضيِّقة، فالكافر حتَّى وإن كان في رفاه فهو في ضيق نفسي ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ الآيات.

[١] **(قال بالأئمَّة، واتبع أوامرهم، ولم يجز طاعتهم):**

(قال بهم) أي اعتقد بهم فهذا في جانب العقيدة، و(اتبع أوامرهم) بالائتمار بها، و(لم يجز طاعتهم) أي لم يرتكب ما نهوا عنه، وهذان في جانب العمل.

و«لم يجز»: من التجاوز، أي لم يجعلهم خلف ظهره، وفي دعاء شعبان عن الإمام زين العابدين ﷺ: (المتقدِّم لهم مارق، والمتأخِّر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق)(١).

ويحتمل أن يكون معناه: لم يوالِ غيرهم بأن يترك طاعتهم إلى طاعة غيرهم، فيكون حاصل الكلمات الثلاث: الاعتقاد بهم، وإطاعتهم، وعدم إطاعة غيرهم.

الحديث الحادي عشر:

[١] **(رفعه في قوله تعالى):**

﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ «لا» نفي وهو تلويح بالقسم مع تعظيم المقسم به، كقوله:

---

(١) الدعاء والزيارة: ص٢٨٢.

حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ *﴾ [البَلَد: ١-٣] قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَمَا وَلَدَ مِنَ الْأَئِمَّةِ عليهم السلام.

١٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ؛ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى[١]: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ * وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ(١) أو هو نفي لردّ ما يخالف المقسم عليه، وقيل: «لا» للتأكيد فليس لها معنى النفي، ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ مكّة، ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ و«الحِلّ»: إمّا بمعنى الحالّ من الحلول، أي حال كونك موجوداً في مكّة، وذلك للإشارة إلى أنّ شرف مكّة إنّما هو برسول الله صلى الله عليه وآله، وإمّا بمعنى الحليّة أي حال كونك مُستباحاً دمك أو ظلمك في هذا البلد، فهو تعيير للمشركين حيث استباحوا من رسول الله صلى الله عليه وآله بظلمه وإرادة قتله وهو في مكّة التي هي حرم آمن، ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ وللوالد والأولاد مصاديق مذكورة في الروايات(٢)، منها: آدم وما ولد من الأنبياء والأوصياء، ومنها: الرَّسول صلى الله عليه وآله وما ولد من الأئمّة عليهم السلام حيث إنّهم من ذرّيّة فاطمة عليها السلام، ومنها: الإمام علي عليه السلام وأولاده الأئمّة عليهم السلام، فكلّ هؤلاء مصاديق للآية.

وقيل: تنكير ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ للتعظيم، واختيار «ما» على «من» مع أنّهم من ذوي العقول بمعنى التعجّب كقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾(٣).

الحديث الثاني عشر:

[١] (في قول الله تعالى):

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟﴾ أيُّها المسلمون ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُم﴾، والغنيمة هي مطلق الفائدة،

---

(١) سورة الواقعة: الآيتان ٧٥ ـ ٧٦.

(٢) راجعها في تفسير البرهان: ج١٠، ص٢٧٩ ـ ٢٨٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٣٦.

خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١] قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالأَئِمَّةُ عليهم السلام.

وفي المفردات: ثمَّ استُعمل في كلّ مظفور به من جهة القرى وغيرهم[١]، ﴿مِّن شَىْءٍ﴾ للتعميم أي سواء كانت الغنيمة قليلة أم كثيرة، ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ يُصرف في سبيل الله بواسطة الرَّسول صلى الله عليه وآله ثمَّ الإمام عليه السلام، وإنَّما جعل سهماً لله تعالى ـ مع أنَّ كلّ الأموال له تعالى وتُصرف بأمره ـ تعظيماً لأمر الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام واحتراماً لهما لئلّا يتصوَّر أحد أنه يتفضَّل عليهم بإعطاء الخمس، ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الإمام خاصَّة، فسهم الله يُعطى للرسول صلى الله عليه وآله، وبعده يُعطى سهم الله وسهم الرسول وسهم الإمام إلى الإمام عليه السلام فهذا نصف الخمس، ﴿وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ من ذرِّية هاشم عليه السلام جدّ الرَّسول صلى الله عليه وآله، فهذا الخمس (٢٠٪)، وأمَّا سائر المال فإن كان غنيمة حربية فهو يقسَّم بين المقاتلين، وإن كان الفائدة بالتجارة أو الغوص أو الكنز ونحوها ـ ممَّا هو مذكور في الفقه ـ فهو لأصحابه.

ثمَّ اعلم أنَّ هذا النصف الثاني من الخمس تشريف لبني هاشم، وليس تمييزاً لهم في المال عن غيرهم، فإنَّ لسائر الفقراء الزكاة ولا يجوز إعطاء الزكاة لبني هاشم، كما لا يجوز إعطاء سهم السادة من الخمس لغيرهم.

وهذا التشريف إنَّما هو ليتذكَّر النَّاس رسول الله صلى الله عليه وآله دائماً، ولئلّا يشعروا بالتفضُّل على ذرِّيَّته، وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «وإنَّما جعل الله هذا الخمس خاصَّة لهم دون مساكين النَّاس وأبناء سبيلهم عوضاً لهم عن صدقات النَّاس، تنزيهاً لهم ـ لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله، وكرامة من الله تعالى لهم ـ عن أوساخ النَّاس، فجعل لهم خاصَّة من عنده، وما يُغنيهم به من أن يُصيّرهم في موضع الذُّلّ والمسكنة»[٢].

---

(١) المفردات: ص٦١٥.

(٢) البرهان: ج٤، ص٣٣٢ عن الكافي: ج١، ص٤٥٣.

١٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١] قَالَ: هُمُ الْأَئِمَّةُ.

الحديث الثالث عشر:

[١] (عن قول الله عزَّ وجلَّ):

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ﴾ أي بعض النَّاس من أُمَّة محمَّد صلى الله عليه وآله ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ﴾ يرشدون قولاً ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ وهو دين الإسلام، ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ عملاً أي بسبب ذلك الحقّ يحكمون بالعدل، كما كان ذلك في أُمَّة موسى عليه السلام كما قال: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾(١).

وفي المرآة: يدلُّ على أنَّه في كلّ عصر إمام عالم بجميع الأحكام، عامل بها، وهو الإمام، أو هو وأتباعه... وظاهر سياق الآية عموم الأحوال والأحكام والأُمور(٢).

والمعنى: أنَّ (الحقّ) مطلق في كلّ الأشياء، وهؤلاء يهدون بالحقّ ويعملون به، فاللازم عصمتهم، ولولا العصمة لاحتمل الخطأ فيهم، والخطأ من الباطل لا الحقّ، فلا يكونون هادين إلى الحقّ عاملين بالعدل به ولو في الجملة، وحيث دلَّت الآية على أنَّ هؤلاء هادون وعادلون بالحقّ مطلقاً دلَّت على عصمتهم، ومن المعلوم انحصار العصمة بعد الرَّسول صلى الله عليه وآله في الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام، للإجماع على عدم عصمة غيرهم.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٥٩.

(٢) المرآة: ج٥، ص١٨.

١٤ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾

الحديث الرابع عشر:

[١] **(في قوله تعالى....):**

قد مرَّ تفسير الآية، وفي معنى كلام الإمام الصَّادق عليه السلام احتمالات:

الأوَّل: أنَّ بعض الآيات نازلة في أمير المؤمنين والأئمَّة عليهم السلام، وهي آيات محكمة ظاهرة الدلالة كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(١)، فقد ذكرت أوصاف في الإمام علي عليه السلام باتفاق الفريقين ولم يتصف بها خلفاء الجور، وأمَّا الآيات النازلة في عدوِّهم فبحاجة إلى بيان وتوضيح، وقد عمد أتباعهم إلى اختلاق شأن نزول في غيرهم، أو تأويلها بما تخرج عن ذمّهم، بل قد يحاولون تبديلها إلى مدح، كما ادعوا نزول ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾(٢) في الرَّسول صلى الله عليه وآله مع أنَّها نازلة في عثمان، وحاولوا تحوير معنى آية الغار لتكون فضيلة للصاحب، مع أنَّها ذمّ حيث خصَّ الله السكينة بالرسول صلى الله عليه وآله ولم يشرك الصاحب فيها، مع أنَّ السكينة كلَّما نزلت على الرَّسول صلى الله عليه وآله فقد نزلت على المؤمنين في آيات أُخرى، وكنسبتهم آيات نزلت في الأئمَّة أو المؤمنين إلى خلفائهم، مثلاً: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾(٣) نزلت في الأئمة والمؤمنين لكنّهم أوَّلوها إلى حروب الردَّة بزعمهم وأمثال ذلك كثير.

ولكنَّ الله بفضله ومَنّه علَّم الأئمَّة عليهم السلام التأويل ورسَّخهم في العلم، فلذلك

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٢) سورة عبس: الآية ١.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٤.

قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالْأَئِمَّةُ. ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ قَالَ: فُلَانٌ وَفُلَانٌ،

بيَّنوا حقائق التفسير والتأويل، فتبيَّن زيف كلام الأعداء وفضحهم.

الثاني: أن يكون كلامه عليه السلام تأويلاً، فـ (الكتاب) هو التكوين، فبعضه الأئمَّة عليهم السلام وهم الآيات المحكمة، وبعضه أعداؤهم وهم الباطل الَّذي يشبه الحقّ، وأتباعهم يؤوِّلون أفعالهم الباطلة بما يرجع إلى الحقّ، أو إلى تعذيرهم فيها، لكنَّ الأئمَّة عليهم السلام بيَّنوا حقيقتهم، ومنعوا من هذا التأويل الباطل، وذلك عبر بيان التأويل الصحيح الذي فيه فضح الأعداء، فعلى هذا يكون مرجع ضمير (ما تشابه منه) إلى الكتاب.

الثالث: الأئمَّة آيات محكمات لا خلل فيهم، وأمَّا أعداؤهم فباطل يشبه الحقّ، وضمير (ما تشابه منه) يرجع إلى الاتِّباع المُستفاد من يتبعونه لا إلى الكتاب، فالمعنى: فأمَّا الَّذين في قلوبهم انحراف فيتبعون ما تشابه من الاتِّباع ابتغاء إرجاع ذلك الاتِّباع إلى أنَّه الحقّ مع أنَّ ذلك باطل قد بيَّنه الأئمَّة، وإرجاع الضمير إلى المصدر هنا نظير ما قالوه في ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾[1] أي أحسن الاتباع ـ على بعض الوجوه وقد مرَّت ـ.

الرابع: إنَّ صدر الحديث تنظيرٌ ـ وهو القسم الرابع ممَّا ذكرناه في أوَّل الباب ـ، وآخر الحديث تفسير. أي كما يجب اتباع الآيات المحكمة والعمل بها كذلك الأئمَّة يجب اتباعهم، وكما يجب الوقوف عند الآيات المتشابهة ما لم يرد بيانها عن الراسخين عليهم السلام كذلك أعداؤهم لا يجوز اتباعهم، هذا فيما يتعلق بصدر الرواية.

وأمَّا آخرها وهو قوله عليه السلام: «أمير المؤمنين والأئمَّة عليهم السلام» فهو تفسير للراسخين ببيان معناه.

وهذا الوجه هو أقرب الوجوه، وبعده الوجه الأوَّل، فتأمَّل.

---

(١) سورة الزمر: الآية ١٨.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ﴾ أَصْحَابُهُمْ وَأَهْلُ وَلَايَتِهِمْ[٢] ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ٧] أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالأَئِمَّةُ عليهم السلام.

١٥ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ مُثَنًّى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ﴾ [التوبة: ١٦] يَعْنِي بِالْمُؤْمِنِينَ: الأَئِمَّةَ عليهم السلام لَمْ يَتَّخِذُوا الْوَلَائِجَ مِنْ دُونِهِمْ.

---

[٢] (أصحابهم وأهل ولايتهم):
العطف إمَّا تفسيري، أو الأصحاب هم الَّذين أدركوهم وأهل ولايتهم الَّذين جاؤوا بعدهم، أو الأوَّل علماؤهم والثاني عوامُّهم.

الحديث الخامس عشر:

[١] (في قوله تعالى....):
إنَّه لا بُدَّ من الامتحان ليتبيَّن المُجاهد والمُخلص عن غير المُجاهد وغير المُخلص ﴿أَمۡ﴾ بمعنى بل أو هي عطف على ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ﴾ في الآية الثانية عشرة ﴿حَسِبۡتُمۡ﴾ ظننتم ﴿أَن تُتۡرَكُواْ﴾ فلا تُؤمروا بالجهاد ﴿وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ﴾ أي لا يظهر علم الله فيكم أو لا يقع متعلّق علمه تعالى في ﴿ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ﴾ أي بطانة من الكفَّار يُخفي الإنسان أسراره عندها، من «ولج» بمعنى دخل كأنَّه يلج فيها بسِرّه، فهؤلاء يتميَّزون عن الفارِّ من الجهاد الَّذي يتخذ بطانة من الكفَّار، ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فليس الامتحان لأجل أن يعلم، بل لأجل أن يظهر ما علمه أزلاً.

وفي المرآة: إنَّ تأويله عليه السلام أوفق بالآية، إذ ضمَّ (المؤمنين) إلى (الله) و(الرَّسول) يدلُّ على أنَّ الوليجة أمر عظيم من أُمور الدِّين ـ من المُوالاة

١٦ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ صَفْوَانَ، عَنِ ابْنِ مُسْكَانَ، عَنِ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١] قَالَ: قُلْتُ: مَا السَّلْمُ؟ قَالَ: الدُّخُولُ فِي أَمْرِنَا.

والمُتابعة ـ، وليس أهل ذلك إلّا الأئمّة عليهم السلام وهم الكاملون في الإيمان، والمستحقون لهذه الصفة على الحقيقة(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «إيَّاكم والولائج، فإنَّ كل وليجة دوننا فهي طاغوت»(٢)، وعنه عليه السلام: «يا معشر الأحداث اتقوا الله، ولا تأتوا الرؤساء، دعوهم حتَّى يصيروا أذناباً، لا تتخذوا الرِّجال ولائج من دون الله، إنَّا والله خير لكم منهم»(٣).

الحديث السادس عشر:

[١] **(في قوله تعالى...) إلخ:**

﴿وَإِن جَنَحُوا﴾ أي مالوا، فإنَّ مادة «ج ن ح» بمعنى الميل ومنها جناح الطائر ﴿لِلسَّلْمِ﴾ الصلح ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ أي بادلهم الصلح، و«السلم» يجوز فيه التذكير والتأنيث ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فلا تخف من فوت الفرصة، فقد يكون السلم أنفع ﴿إِنَّهُ﴾ سبحانه ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال الطرفين ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيَّاتهم. وفي التقريب: ومن المعلوم أنَّ الجنوح للسلم إذا كان من مصلحة المسلمين، فلا ينسخ قوله ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾(٤) هذه الآية، بل كلّ في مقام المصلحة(٥).

---

(١) المرآة: ج٥، ص١٩.

(٢) البرهان: ج٤، ص٤٠٩ عن تفسير العياشي.

(٣) المصدر، عن العياشي.

(٤) سورة التوبة: الآية ٣٦.

(٥) تقريب القرآن: ج٢، ص٣٥٢.

١٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾[١] [الانشقاق: ١٩] قَالَ: يَا زُرَارَةُ، أَوَلَمْ تَرْكَبْ هَذِهِ الْأُمَّةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ فِي أَمْرِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ؟!

وفي المرآة: وعلى تأويله عليه السلام يمكن أن يكون الضمير [في جنحوا] راجعاً إلى المنافقين، أي إن قَبِل المنافقون المنكرون لولاية علي عليه السلام ولايته ظاهراً فاقبل منهم، وإن علمت من باطنهم النفاق والبغض له عليه السلام، ولا يُنافي ذلك كون الآية في سياق آيات حول المشركين فإنَّ ذلك في الآيات كثير، مع أنَّه من بطون الآيات(١).

الحديث السابع عشر:

[١] (في قوله تعالى: ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾):

﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ تشاهدون وتعانون ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي حالاً بعد حال مطابقة لها، ومادَّة «ط ب ق» بمعنى الموافقة والمطابقة، ومن مصاديقها موافقة الأُمم السابقة في أفعالها، وكما يُقال: «التاريخ يُكرِّر نفسه»، وذلك لأنَّ طبيعة الإنسان واحدة ـ في الخير أو الشّر ـ فهذه الطبيعة تظهر في حياة مختلف النَّاس إنْ خيراً فخير وإن شرّاً فشرّ، ولذا تتشابه أفعال الطغاة على مرِّ التاريخ، كما تتطابق أفعال الأنبياء وأوصيائهم، وقد يُعبَّر عن ذلك بفلسفة التاريخ حيث إنَّ هناك قواعد تتحكَّم بالتاريخ اكتشفها هذا العلم، ومن قبل أمر القرآن بالاعتبار بأحوال الأُمم الماضية.

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ أي على سُنن من كان من قبلكم»(٢)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «أي لتسلكن

---

(١) المرآة: ج٥، ص٢٠.

(٢) البرهان: ج١٠، ص٢٢٦ عن كمال الدِّين للصدوق.

١٨ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُنْدَبٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١]؟ قَالَ: إِمَامٌ إِلَى إِمَامٍ[٢].

سبيل من كان قبلكم من الأمم في الغدر بالأوصياء»(١)

فيكون هذا الحديث من بيان المصداق، فكما ضلَّت الأُمم الماضية في أوصيائها، فترك بنو إسرائيل هارون واتبعوا السامري، كذلك في هذه الأُمَّة تركوا الإمام الحقّ واتبعوا غيره.

وقد روى المخالفون في صحاحهم: لتركبنَّ سُنَّة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذَّة بالقذَّة حتَّى أن لو كان من قبلكم دخل جُحر ضبٍّ تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن!!(٢).

الحديث الثامن عشر:

[١] **(عن قول الله عزَّ وجلَّ...):**

أي اتبعنا الآيات بعضها ببعض، فجئنا بها متصلة، ومن المصاديق إنزال القرآن بالتدريج آية بعد آية، ومن المصاديق البارزة اختيار الأئمَّة عليهم السلام إماماً بعد إمام.

[٢] **(إمام إلى إمام):**

وهذا إمام بيان لـ(القول) أو (وصلنا).

فعلى الأوَّل: يكون ﴿ٱلْقَوْلَ﴾: (الإمامة)، تفسيراً بالمصداق لأنَّه تعالى قدَّر الإمامة، وعيَّن الإمام، وأمر باتباعه، وأمر الرَّسول صلى الله عليه وآله والإمام السابق بتبليغه.

---

(١) المصدر نفسه: ص٢٢٧، عن الاحتجاج.

(٢) راجع البخاري: ج٨، ص١٥١؛ ومسلم: ج٨، ص٥٧.

١٩ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَلَّامٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]:

وعلى الثاني: يكون المعنى لقد وصَّلنا عبر الأئمَّة القول ـ وهو المعارف والأحكام والآداب ونحوها ـ إلى النَّاس.

والأوَّل أقرب، لاستفاضة الروايات بلفظ (إمام بعد إمام)(١).

الحديث التاسع عشر:

[١] **(في قوله تعالى):**

تفسير الآية: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ أي قالت اليهود: كونوا هوداً، وقالت النصارى: كونوا نصارى، ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهي التوحيد، أمَّا طريقة أولئك فهي الشِّرك، ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً من الباطل إلى الحقّ، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا﴾ أيُّها المؤمنون، وأبرز المصاديق أصحاب الكساء والأئمَّة من بعدهم عليهم السلام ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ القرآن ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ الصحف ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ وهؤلاء لم ينزل عليهم شيء خاص بل المُراد صحف إبراهيم عليه السلام نفسها فإنَّها كانت منزلة إليهم أيضاً، كما نقول القرآن أنزل إلينا، ﴿وَمَا أُوتِيَ﴾ أُعطي ﴿مُوسَىٰ﴾ التوراة، ﴿وَعِيسَىٰ﴾ الإنجيل، ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ سائر الكتب النازلة على سائر الأنبياء، ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ نؤمن بجميعهم، لا كفعل اليهود والنصارى حيث آمنوا ببعض وكفروا ببعض، ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ لله ﴿مُسْلِمُونَ * فَإِنْ آمَنُوا﴾ أهل الكتاب وسائر النَّاس ﴿بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ﴾ من الإيمان بالله وجميع الأنبياء ﴿فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ مخالفة للحقّ، فالحقّ في شقّ أي جانب وهم في شِقّ آخر، ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ يمنع أذاهم وينصركم عليهم، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم وأقوالهم، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بنيَّاتكم جميعاً.

---

(١) راجعها في تفسير البرهان: ج٧، ص٣٤٨ ـ ٣٤٩.

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [البَقَرَة: ١٣٦] قَالَ: إِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ[٢] عَلِيّاً عليه السلام وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَجَرَتْ بَعْدَهُمْ فِي الْأَئِمَّةِ عليهم السلام، ثُمَّ يَرْجِعُ الْقَوْلُ مِنَ اللَّهِ فِي النَّاسِ فَقَالَ: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ﴾ يَعْنِي النَّاسَ ﴿بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ يَعْنِي عَلِيّاً وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَالْأَئِمَّةَ عليهم السلام ﴿فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ﴾.

٢٠ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ مُثَنّى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]:

وهذه الرواية تفسير للمصداق الظاهر ﴿قُولُوٓاْ﴾ أيُّها المؤمنون وقمّة المؤمنين أصحاب الكساء والأئمّة عليهم السلام، بل لا يؤمن أحد إلّا بالاعتقاد بهم واتّباعهم.

[٢] **(إنّما عنى بذلك):**

أي بضمير ﴿قُولُوٓاْ﴾، والقرآن نزل إلى جميع النَّاس، أما نزوله بجميع تفاصيله من التفسير والتأويل والظاهر والباطن فهو عليهم عليهم السلام، وفي الحديث إنّما يعرف القرآن من خُوطب به(١).

الحديث العشرون:

[١] **(في قوله تعالى....) إلخ:**

هذا ردّ على مزاعم أهل الكتاب حيث زعموا أنَّ إبراهيم عليه السلام كان على منهاجهم، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ فتقولون إنّه كان يهودياً أو نصرانياً، ﴿وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾(٢) فكيف يكون تابعاً لكتاب وطريقة متأخرة عنه؟

إذاً فإبراهيم متبوع لا تابع، فاللازم أن نرى منهاجه لنرى من يكون تابعاً

---

(١) الكافي: ج٨، ص٤٨٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٥.

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [آل عمران: ٦٨] **قال: هُم الأئمّة عليهم السلام ومَن اتبعهم**[٢].

له عمَّن لا يتبعه، فقد كان عليه السلام ﴿حَنِيفًا﴾ مائلاً عن العقائد الباطلة ﴿مُسْلِمًا﴾ منقاداً لله تعالى ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، والآن لِنرَ من هو الموحِّد المُنقاد؟ إنَّهم أتباعه في زمانه، وكذا الرَّسول صلى الله عليه وآله والمؤمنون في هذا الزمان فـ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ أي أولاهم بأن ينسب نفسه إلى إبراهيم عليه السلام، ﴿لَلَّذِينَ﴾ ـ اللام للتأكيد ـ ﴿اتَّبَعُوهُ﴾ من الأُمم السابقة ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أُمَّة الرَّسول صلى الله عليه وآله لموافقتهم لإبراهيم عليه السلام في العقيدة وأُصول الشريعة ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٢] **(هم الأئمَّة ومن اتبعهم)**:

والمؤمن هو من كان كامل العقيدة، ولا ريب أنَّ الإمامة من أُصول الدِّين، فمن لا يتبعهم عليهم السلام لا يكون مؤمناً، نعم كل من تشهَّد الشهادتين يحكم بإسلامه ظاهراً تسهيلاً للأمر على المؤمنين رحمة من الله ـ وقد مرَّ الكلام عنه ـ.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ أولى النَّاس بالأنبياء أعلمهم بما جاؤوا به ـ ثمَّ تلا هذه الآية ـ ثم قال: إنَّ وليّ محمَّد صلى الله عليه وآله من أطاع الله وإن بعدت لُحمته، وإنَّ عدوّ محمَّد صلى الله عليه وآله من عصى الله وإن قربت قرابته»[١].

وعن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا ابن يزيد أنت والله منَّا أهل البيت، قلت: جعلت فداك من آل محمَّد؟! قال: إي والله، قلت: من أنفسهم جعلت فداك؟ قال: إي والله من أنفسهم، يا عمر أما تقرأ كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]؟ أوَما تقرأ قول الله عزَّ اسمه: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]؟

---

(١) البرهان: ج٢، ص٤٢٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦٨.

(٣) المصدر: ص٤٢٦ عن العياشي، والآية في سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

٢١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَائِذٍ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ مَالِكٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]؟ قَالَ: مَنْ بَلَغَ أَنْ يَكُونَ إِمَاماً مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ، فَهُوَ يُنْذِرُ بِالْقُرْآنِ، كَمَا أَنْذَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

٢٢ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ مُفَضَّلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]

الحديث الحادي والعشرون:

[١] **(قوله عزَّ وجلَّ. . . .) إلخ:**

﴿وَمَن بَلَغَ﴾ قيل: هو عطف على الضمير ـ وهو «كم» ـ أي لأنذركم ولأنذر من بلغه هذا القرآن، فهو إنذار للموجودين المخاطبين ولغير الموجودين وقت الخطاب، سواء كانوا في سائر الأماكن أم من الذين سيُولدون بعد ذلك.

لكن دلَّت الروايات المستفيضة[١] على أنَّ ﴿وَمَن بَلَغَ﴾ هم الأئمَّة عليهم السلام فيكون عطفاً على ضمير الفاعل في ﴿لِأُنذِرَكُم﴾ أي لأنذر أنا ومن وصل إلى مرتبة الإمامة.

فإن كانت الروايات تفسيراً للآية فلا يصحّ التفسير الأوَّل، وإن كانت تأويلاً فلا مُنافاة بينهما.

الحديث الثاني والعشرون:

[١] **(في قول الله عزَّ وجلَّ. . . .):**

أمر الله تعالى رسوله محمَّداً صلى الله عليه وآله بعدم العجلة في القرآن في الآية السابقة

---

(١) راجع الروايات في البرهان: ج٣، ص٥٣٦ ـ ٥٣٧.

حيث قال: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ﴾ بقراءته ﴿مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾ أي قبل إتمام الوحي عبر جبرائيل، أو قبل إنزاله نجوماً مرَّة ثانية حيث كان القرآن نزل كلّه على الرَّسول ﷺ في ليلة القدر عام البعثة، فكان الرَّسول ﷺ يعلم به لكنَّه كان مأموراً بعدم قراءته إلى أن ينزل مرَّة أخرى نجوماً، ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾.

بعد ذلك بيَّن الله أنَّ النُّبوَّة لا تكون مانعاً عن ترك الأولى، فلذا عليك يا رسول الله الالتزام بالعهد وعدم تركه، لا كما فعل آدم عليه السلام ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ﴾ عهوداً متعدِّدة، منها: عدم الأكل من الشجرة، ومنها: كلمات في الرَّسول محمَّد ﷺ والأئمَّة عليهم السلام ﴿فَنَسِيَ﴾ أي فترك العهد، فكان كالناسي نظير ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ﴾[1] ﴿وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ﴾ لآدم ﴿عَزۡمٗا﴾ ثباتاً على العهد، فلذا لم يكن من الأنبياء أولي العزم وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ورسول الله محمَّد ﷺ.

ثم إن هنا أمرين:

الأوَّل: النسيان هنا بمعنى الترك، لامتناع السهو والنسيان ـ بمعناه الحقيقي وخاصَّة في الطاعات ـ على الأنبياء عليهم السلام، لزوال الثقة بمن ينسى ويسهو، إذ من أمكن ذلك عليه يمكن أن يُصاب بالنسيان في التبليغ أيضاً وفي ما يأمر وينهى عنه الله عزَّ وجلَّ، فلذلك عصمهم الله تعالى من النسيان والسهو حتَّى في أُمورهم العادية، فكيف في الطاعات، فضلاً عن العصمة في التبليغ! وفي تفسير العياشي عن أحدهما عليه السلام أنَّه سُئل كيف أخذ الله آدم بالنسيان؟ فقال عليه السلام: «إنَّه لم ينس، وكيف ينسى وهو يذكره ويقول له إبليس: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ﴾[2]».

الثاني: أنَّ هذا العهد لم يكن نهياً ـ لا بنحو الحرمة ولا بالكراهة ـ، بل حتَّى لم يكن عهداً بالأولى، بل كان أحد العهود هو أنَّه إن أحبَّ البقاء

(١) سورة التوبة: الآية ٦٧.

(٢) تفسير العياشي: ج٢، ص٩ ـ ١٠، سورة الأعراف: الآية ٢٠.

في الجنَّة فلا يأكل من الشجرة، أما إذا أكل فإنَّ نتيجة الأكل هي الخروج من الجنَّة والوقوع في صعوبات الدُّنيا كما قال: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾[١] وبتعبير آخر: كان الأمر إرشاديّاً لا مولويّاً، ومخالفة الأمر الإرشادي ليست بحرام ولا بمكروه[٢].

الثالث: إنَّ الروايات ذكرت عهدين تركهما آدم عليه السلام:

أ ـ العهد بعدم الأكل من الشجرة، روي ذلك عن الإمام الباقر عليه السلام[٣].

ب ـ العهد في الرَّسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام، واستفاضت بهذا الروايات[٤].

والظاهر أنَّ الله تعالى عهد إليه بالتوسُّل بهم عليهم السلام، لكنَّه لم يتوسَّل لمَّا أخرج من الجنَّة، حتَّى أمر بالتوسُّل مرَّة ثانية كما قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[٥].

فعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ آدم لمَّا رأى النُّور الساطع من صلبه ـ إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره ـ رأى النُّور ولم يتبيَّن الأشباح، فقال: يا ربِّ ما هذه الأشباح؟ قال الله عزَّ وجلَّ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك ـ إلى أن قال ـ: هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريَّتي، بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أُعاقب وبهم أُثيب، فتوسَّل بهم يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم شفعاءك... الحديث[٦].

وفي حديث آخر عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «نهاهما الله تعالى عن تمنِّي منزلتهم عليهم السلام، لكنَّهما تمنياها»[٧].

---

(١) سورة طٰه: الآيات ١١٧ ـ ١١٩.

(٢) للتفصيل حول بحث تنزيه الأنبياء وعصمتهم راجع البحار: ج١١، ص٨٩ ـ ٩٦.

(٣) راجع البرهان: ج٦، ص٤٢٨ عن كمال الدِّين، وراجع الكافي: ج٨، ص١١٣.

(٤) راجعها في المصدر عن الكافي وتفسير القمِّي وعلل الشرائع وغيرها.

(٥) سورة البقرة: الآية ٣٧.

(٦) البحار: ج١١، ص١٥٠ ـ ١٥١ عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام.

(٧) المصدر: ص١٧٢ ـ ١٧٤.

قَالَ: عَهِدْنَا إِلَيْهِ فِي مُحَمَّدٍ وَالأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ، فَتَرَكَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَزْمٌ أَنَّهُمْ هَكَذَا[٢]، وَإِنَّمَا سُمِّيَ أُولُو الْعَزْمِ أُوْلِي الْعَزْمِ لِأَنَّهُ عَهِدَ إِلَيْهِمْ فِي مُحَمَّدٍ، وَالْأَوْصِيَاءِ مِنْ بَعْدِهِ، وَالْمَهْدِيِّ وَسِيرَتِهِ، وَأَجْمَعَ عَزْمُهُمْ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَالْإِقْرَارِ بِهِ.

٢٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى الْقُمِّيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾ كَلِمَاتٍ فِي مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَالْأَئِمَّةِ عليهم السلام مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ ﴿فَنَسِىَ﴾ [طه: ١١٥]، هَكَذَا وَاللَّهِ نَزَلَتْ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله[١].

---

[٢] (ولم يكن له عزم أنَّهم هكذا):

أي لم يكن له عزم بالتوسُّل بهم حيث ترك، إلى أنْ تلقَّاها مرَّة ثانية، وفي المرآة: كأنَّه محمول على أنَّه لم يكن له اهتمام تام وسرور بهذا الأمر ومزيد تذكر له وتبجّح به كما كان لغيره من أولي العزم، وكان اللائق بحاله ذلك فترك الأولى، وإلَّا فعصمته عليه السلام ونبوَّته وجلالته تمنع من أن يُنسب إليه عدم قبول ما أوحى الله إليه وعدم الرِّضا بقضائه تعالى(١).

الحديث الثالث والعشرون:

[١] (هكذا والله نزلت على محمَّد صلى الله عليه وآله):

مرَّ مراراً أنَّ المُراد هو النزول بتفسيرها وتأويلها، إذ كما نزل نصّ القرآن كذلك نزل بيانه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾(٢).

---

(١) المرآة: ج٥، ص٢٥.

(٢) سورة القيامة: الآيات ١٧ ـ ١٩.

٢٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَادٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفَضْلِ، عَنِ الثُّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى نَبِيِّهِ صلى الله عليه وآله[١]: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣] قَالَ: إِنَّكَ عَلَى وَلَايَةِ عَلِيٍّ[٢]، وَعَلِيٌّ هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ.

الحديث الرابع والعشرون:

[١] **(أوحى الله تعالى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله...) إلخ:**
قال تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ قبضناك قبل أن ترى عذابهم ﴿فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ﴾ بعدك، ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ أي أو أردنا أن نريك ﴿الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ من العذاب ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ﴾ حيث لا يفوتوننا، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ ومنه: ولاية الإمام علي عليه السلام ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ لأنّ كلّ ما جئت به ـ ومنه ولاية الإمام علي ـ إنّما هي بأمرٍ من الله تعالى حيث إن ولايته تكميلٌ للدّين، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي الذي أوحي إليك ﴿لَذِكْرٌ﴾ رفعة وشرف ﴿لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ وهم الأئمّة عليهم السلام، ﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ عنه يوم القيامة.

[٢] **(إنك على ولاية علي):**
أنّ الولاية تكميل للدّين كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(١)، فلا بُدَّ للجميع من ولاية الإمام علي عليه السلام، وأمّا كيفية هذه الولاية:
١ ـ فالرّسول صلى الله عليه وآله، ولايته هي الاعتقاد بها وتبليغها وبيانها للنّاس، وقد فعل ذلك من يوم الإنذار حيث أنزل الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(٢)، إلى أن أخذ البيعة منهم في يوم الغدير، واستمر صلى الله عليه وآله في بيانها للنّاس إلى حين وفاته.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.
(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

٢٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ مُنَخَّلٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: نَزَلَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام بِهَذِهِ الْآيَةِ[١] عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله هَكَذَا:

---

٢ ـ والإمام علي عليه السلام، ولايته لنفسه إنّما هي بالاعتقاد بها، وبالعمل حسب مقتضياتها، بالكيفية التي يُريد الله عزَّ وجلَّ وحسب وصية الرسول صلى الله عليه وآله.

٣ ـ وأمّا سائر النَّاس، فولايتهم بالاعتقاد بإمامته، واتّباعه فيما أمر ونهى ليكونوا من شيعته.

والحاصل: أنَّ الرَّسول صلى الله عليه وآله هو قائد الشيعة، وأمير المؤمنين عليه السلام من نهض بأعباء الإمامة، وسائر النَّاس تكليفهم أن يكونوا أتباعه عليه السلام، وهو تابع للرسول صلى الله عليه وآله.

الحديث الخامس والعشرون:

[١] **(نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية....) إلخ:**

وهذا تفسير للآية بالمصداق، فقد أنزل الله تعالى الولاية على رسوله صلى الله عليه وآله، وأمره بتبليغها، كما أنزل عليه سائر الأُصول والأحكام وغيرها، لكنَّهم كفروا حسداً، وشأن نزول الآية اليهود لكن مدلولها عام.

وفي التبيين: ﴿بِئْسَمَا﴾ أي بئس الشيء الذي ﴿اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ فباعوا أنفسهم للعذاب لينالوا خيراً قليلاً في الدُّنيا، ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ والحاصل: بئس الاشتراء الكفر بما أنزل الله، ﴿بَغْيًا﴾ أي كفراً ناشئاً من البغي والظلم والفساد ﴿أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ﴾ فقد حسدوا أن ينزل الله بالوحي ﴿مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي محمَّد صلى الله عليه وآله، لأنَّ اليهود كانوا يترقّبون أن ينزل بالوحي على قبيلتهم من ولد إسحاق، لا على ولد إسماعيل، ﴿فَبَاءُو﴾ أي رجع اليهود بسبب هذا الكفر والحسد ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله تعالى لكفرهم بمحمَّد صلى الله عليه وآله ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ سابقٍ لكفرهم

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾ فِـي عَـلِـيٍّ ﴿بَغْيًا﴾ [البَقَرَة: ٩٠].

٢٦ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ مُنَخَّلٍ، عَنْ جَابِرٍ قَالَ: نَزَلَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ هَكَذَا: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ فِي عَلِيٍّ ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٣].

بعيسى عليه السلام، ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ يُهينهم ويُذلّهم(١).

وفي المرآة: والآية في سياق أحوال اليهود: فلو كان (في علي) تنزيلاً يكون ذكر ذلك بين أحوال اليهود لبيان أنَّ المنكرين لولاية علي عليه السلام بمنزلة اليهود في إنكار ما أنزل الله.

ولو كان تأويلاً يحتمل وجهين: **الأوّل**: أنَّ عمدة ما أنزل الله الولاية كما عرفت، **والثاني**: أنَّ ظهر الآية في اليهود، وبطنها في أضرابهم من المنكرين لما أنزل الله في علي، فإنَّ الآية النازلة في جماعة لا تختصُّ بهم، بل تجري في أمثالهم وأشباههم إلى يوم القيامة(٢).

الحديث السادس والعشرون:

﴿وَإِن كُنتُمْ﴾ أيُّها المشركون ﴿فِي رَيْبٍ﴾ شكٌّ مشوب بالتكذيب ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمَّد صلى الله عليه وآله، والولاية من أعظم ما نُزِّل عليه، ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ واحدة ـ ولو بمقدار أصغر سورة كالكوثر ـ ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ مثل القرآن، و«من» للتبعيض أو التبيين أو زائدة للتأكيد، أي سورة مماثلة للقرآن في لفظه ومعناه، ويمكنكم الاستعانة بمن شئتم ﴿وَادْعُوا شُهَدَآءَكُم﴾ الذين يشهدون زوراً أنَّ القرآن مفترى ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ أي ممَّن شئتم من الجنِّ والإنس ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في شكّكم، بأن لم تكونوا معاندين، فلذا تنفعكم هذه الحجَّة ـ وهي عجزكم عن الإتيان بمثله ـ، أمَّا إذا لم

---

(١) **التبيين**: ص٢٤.

(٢) **المرآة**: ج٥، ص٢٧ ـ ٢٨.

٢٧ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ مُنَخَّلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: نَزَلَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِهَذِهِ الْآيَةِ هَكَذَا[١]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ [النساء: ٤٧] فِي عَلِيٍّ نُوراً مُبِيناً.

تكونوا صادقين في شكّكم، بل كان التكذيب عن عناد بعد علمكم بأنّه منزل من الله، فلا تنفعكم هذه الحجّة لأنَّ المعاند لا علاج له.

وهذا الخبر إمَّا تفسير بالمصداق أو تأويل، والأوّل أظهر.

الحديث السابع والعشرون:

[١] **(بهذه الآية هكذا):**

أي النزول ببيانها ـ تفسيراً أو تأويلاً ـ.

وفي سورة النِّساء آيتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾(١).

والثانية: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾(٢).

والظاهر أنَّ قوله عليه السلام: «في علي نوراً مبيناً» هو بيان للآية الأولى، وهو تفسير بالمصداق:

لأنَّ الولاية أنزلها الله تعالى أيضاً، وأمَّا تصديقه لما معهم فلأجل أنَّ اسمه عليه السلام مذكور في كتبهم، كما أنَّ اسم الرَّسول صلى الله عليه وآله مذكور أيضاً(٣)، فكما كانت نبوّته صلى الله عليه وآله تصديقاً لكتبهم ـ حيث تحقّق ما بشّرت به ـ كذلك

---

(١) سورة النِّساء: الآية ٤٧.

(٢) سورة النِّساء: الآية ١٧٤.

(٣) راجع الكافي: ج١، ص٣٥٥؛ والبرهان: ج١٠، ص٢٤٧.

٢٨ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ بَكَّارٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام[١] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ فِي عَلِيٍّ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

إمامة الإمام علي عليه السلام تصديق لها أيضاً.

ولأنَّ الإمام علي والأئمَّة عليهم السلام هم نور الله كما ورد في أحاديث أُخرى(١).

الحديث الثامن والعشرون:

[١] **(عن أبي جعفر عليه السلام.....) إلخ:**

الآية في سورة النِّساء: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا * فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾(٢)، وقد مرَّ تفسير الآية، و«الموعظة» هي إرشاد يرقّ له القلب.

ولا يخفى أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله وعظهم بجميع ما أنزل الله تعالى، ومن أبرزه الولاية، فهذه الرواية تفسير للآية بالمصداق الجليّ، كما مرَّ أنَّ تأويل ﴿جَآءُوكَ﴾... إلخ يا أمير المؤمنين عليه السلام، فيكون التأويل أنَّهم لو فعلوا ما وعظهم الله به ـ من المجيء إليه عليه السلام وتحكيمه وعدم الحرج فيما قضى والتسليم له والجهاد معه والهجرة معه ـ لكان خيراً لهم.

---

(١) راجع البحار: ج٢٣، ص٣٠٤ ـ ٣٢٤.

(٢) سورة النِّساء: الآيات ٦٤ ـ ٦٦.

٢٩ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ، عَنْ مُثَنَّى الْحَنَّاطِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَجْلَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً

الحديث التاسع والعشرون:

[١] (في قول الله عزَّ وجلَّ. . .) إلخ:

قد مرَّ في الحديث السادس عشر من هذا الباب تأويل (السلم) بالدخول في أمرهم عليهم السلام، وفي هذا الحديث الدخول في ولايتهم، وهما بمعنى واحد.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ عامَّة المسلمين الَّذين أقروا بالشهادتين ﴿ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ﴾ أي الاستسلام لله تعالى وطاعته، وذلك في الدخول في ولاية الإمام علي والأئمَّة عليهم السلام ومعرفتهم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ أي لا تسيروا في طريق الشَّيطان بأن تضعوا أقدامكم مكان قدمه ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾.

وفي تفسير الإمام عليه السلام: يعني بالسلم والمسالمة إلى دين الإسلام كافة جماعة، أُدخلوا فيه، وأدخلوا جميع الإسلام فتقبلوه واعملوا به، ولا تكونوا ممَّن يقبل بعضه ويعمل به ويأبى بعضه ويهجره، قال: ومنه الدخول في قبول ولاية علي عليه السلام، فإنَّه كالدخول في قبول نبوَّة رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنَّه لا يكون مسلماً من قال: إنَّ محمَّداً رسول الله فاعترف ولم يعترف بأنَّ عليّاً وصيّه وخليفته وخير أُمَّته، وقال: ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾ ما يتخطَّى بكم إليه من طرق الغي ويأمركم من ارتكاب الآثام الموبقات(١).

والروايات بذلك مُستفيضة فراجع البرهان(٢).

---

(١) تفسير الصافي: ج١، ص٣٧٢ ـ ٣٧٣ عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص٦٢٦ ـ ٦٢٧.

(٢) البرهان: ج٢، ص١٥٦ ـ ١٥٨.

وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨] قَالَ: فِي وَلَايَتِنَا.

٣٠ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: قَوْلُهُ جَلَّ وَعَزَّ[١]: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ قَالَ: وَلَايَتَهُمْ، ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ قَالَ: وَلَايَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٦-١٩].

الحديث الثلاثون:

[١] (قوله عزَّ وجلَّ...) إلخ:

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ ترجِّحون ﴿ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ وولاية الجائرين من أسباب نيل بعض لذائذها الفانية ﴿وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ﴾ أحسن من الدُّنيا، فنعيمها خالص عمّا يكدِّره ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ فلا انقطاع له، وولاية الأئمَّة عليهم السلام سبب بلوغ هذا النعيم، ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الذي ذكرناه ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾ أي الكتب المنزلة قبل القرآن، مثل: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «ولاية علي عليه السلام مكتوبة في جميع صحف الأنبياء، ولن يبعث الله رسولاً إلَّا بنبوَّة محمَّد صلى الله عليه وآله ووصيّه علي عليه السلام»(١).

والحاصل: أنَّ ولاية الجائرين لمَّا كانت سبباً لكسب منافع دنيوية زائلة لذا كانت من مصاديق الحياة الدُّنيا، ولمَّا كانت ولايتهم سبباً لنعيم الآخرة عبَّر عنها بالآخرة.

---

(١) البرهان: ج١٠، ص٢٤٧ عن الكافي.

٣١ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ مُنَخَّلٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ[١]: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ﴾ مُحَمَّدٌ ﴿بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ﴾ بِمُوَالَاةِ عَلِيٍّ فَـ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا﴾ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ ﴿كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

الحديث الحادي والثلاثون:

[١] **(عن أبي جعفر عليه السلام قال...) إلخ:**

تمام الآية ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة، ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ أي أتبعنا وأرسلنا بعضهم خلف بعض ﴿مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ وكانوا مكلّفين بالعمل بالتوراة والعمل على شريعة موسى عليه السلام، ثمَّ بعد ذلك نسخنا شريعة موسى ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ الإنجيل أو المعاجز كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ قوّيناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ روح طاهرة ـ وهو جبرائيل عليه السلام ﴿أَفَكُلَّمَا﴾ الهمزة للتوبيخ والإنكار ﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ على الحقّ فخالفتم ذلك الرّسول ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ أي قتلتموهم كزكريّا ويحيى عليهما السلام.

وفي المرآة: والخطاب ظاهراً إلى اليهود، فلو كان ما ذكره عليه السلام تنزيلاً كان وجه توجه الخطاب إليهم شدَّة عداوتهم لعلي عليه السلام وكونه عليه السلام حامياً للدِّين وحافظاً للملّة الّتي يريدون إزالتها، ولو كان تأويلاً فيحتمل ذلك ويحتمل كون المُراد جريان حكم الآية في كلّ من عارض الحقّ بهواه، وأشدُّهم في ذلك النواصب المنكرون للإمامة(١).

أي بما أنَّ ما جرى على بني إسرائيل يجري على أُمّة رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله ـ لأنَّ الأمم تشترك في نقاط القوّة والضعف ـ لذا فالمستكبرون من هذه الأُمّة كذّبوا فريقاً من آل محمّد وقتلوا فريقاً آخر،

---

(١) المرآة: ج٥، ص٣٢.

٣٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنِ الرِّضَا عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] يَا مُحَمَّدُ مِنْ وَلَايَةِ عَلِيٍّ، هَكَذَا فِي الْكِتَابِ مَخْطُوطَةٌ[٢].

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «ذلك مَثَل موسى والرُّسل من بعده وعيسى، صلوات الله عليهم، ضُرِب مثلاً لأُمَّة محمَّد صلى الله عليه وآله، فقال الله تعالى لهم: فإن جاءكم محمَّد بما لا تهوى أنفسكم بموالاة علي، استكبرتم، ففريقاً من آل محمَّد كذَّبتم، وفريقاً تقتلون، فذلك تفسيرها في الباطن»(١) أي إنَّ ذلك من التأويل.

الحديث الثاني والثلاثون:

[١] **(في قول الله عزَّ وجلَّ)**:

قد مرَّ تفسير الآية وتأويلها في (باب أنَّ الأئمَّة ورثوا علم النَّبي وجميع الأنبياء والأوصياء الَّذين من قبلهم)، عن الإمام الرِّضا عليه السلام ـ في حديث طويل ـ: ﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ من أشرك بولاية علي ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من ولاية علي(٢).

وهذا تفسير بالمصداق، فإنَّ سبب الشِّرك هو إنكار بعض أُصول الدِّين ـ سواء التوحيد أم النُّبوَّة أم الإمامة أم المعاد ـ.

كما أنَّ الذين ابتعدوا عن آل محمَّد صلى الله عليه وآله اتجهوا نحو التجسيم والتشبيه فأشركوا بالله باطناً، وإن كانوا في الظاهر يعاملونهم معاملة المسلمين.

[٢] **(هكذا في الكتاب مخطوطة)**:

أي مكتوب في تفسيرهم عليهم السلام، أو في القرآن الَّذي جمع فيه الإمام

---

(١) البرهان: ج١، ص٤٦٦ عن تفسير العياشي.

(٢) الكافي: ج١، ص٢٢٣.

٣٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ هِلَالٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي السَّفَاتِجِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ[١]: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا

علي عليه السلام نصّ القرآن وتفسيره وتأويله.

أمّا احتمال أن يكون المُراد أنَّ قراءتهم هكذا، فقد مرَّ الجواب عنه بأنَّ القراءة المشهورة الآن بين المسلمين هي قراءة الإمام علي عليه السلام وقراءة الأئمَّة عليهم السلام.

الحديث الثالث والثلاثون:

[١] **(في قول الله عزَّ وجلَّ)**:

الآية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فصحَّت عقيدتهم وصحَّ عملهم، ولا يُراد العمل بجميع الصالحات فـ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي أقلّ طاقتها، ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ومن المعلوم أنَّ هناك فرقة واحدة ناجية من الفرق الإسلامية التي يبلغ عددها الثلاثة والسبعين كما روي ذلك عن الرَّسول صلى الله عليه وآله(١)، فالفرقة الناجية الوحيدة هم الَّذين كانوا على نهج آل محمَّد صلى الله عليه وآله ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا﴾ أوصلنا إلى هذا النعيم بسبب هدايته إيَّانا في الدُّنيا للعقيدة الصحيحة والعمل الصالح، ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ فإنَّه لا تمكن الهداية إلَّا عبر لطف الله بإرسال الرُّسل وتبليغ الأحكام والتوفيق، وهذا شكر من أهل الجنَّة لنِعم الله تعالى عليهم في الدُّنيا بالهداية وفي الآخرة بالجنَّة.

---

(١) روته العامّة والخاصّة، أما الخاصة ففي الكافي: ج٨، ص٢٢٤، وراجع البحار: ج٢٤، ص١٤٤؛ وأما العامة ففي مسند أحمد: ج٢، ص٣٣٢، سنن ابن ماجة: ج٢، ص١٣٢١، سنن أبي داود: ج٢، ص٣٩٠ وغيرها.

﴿لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، فَقَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُعِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَبِالْأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِهِ عليهم السلام، فَيُنْصَبُونَ لِلنَّاسِ[٢]، فَإِذَا رَأَتْهُمْ شِيعَتُهُمْ قَالُوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾، يَعْنِي هَدَانَا اللَّهُ فِي وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ وُلْدِهِ عليهم السلام[٣].

٣٤ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ؛ وَمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾[١] [النبأ: ١-٢] قَالَ: النَّبَأُ الْعَظِيمُ الْوَلَايَةُ.

---

[٢] (فينصبون للناس):

أي يجعل لهم مقرّاً بحيث يراهم كلّ النّاس، فيُحاسبون النّاس، ويعرفون المؤمنين بالإيمان فيشفعون لهم، وينكرون الكفّار والمنافقين فلا يشفعون، ويقسّم الإمام علي عليه السلام الجنّة والنّار. . .إلخ، ولا يخفى أنّ إياب الخلق وحسابهم موكل للأئمّة عليهم السلام، وأمّا رسول الله ﷺ فله مهمّة أهم من ذلك، وفي بعض الروايات: أنّ حساب الأئمّة للرسول، وحساب سائر الخلق للأئمّة(١).

فإذا رأى الشيعة أئمّتهم بهذه المنزلة امتلأوا سروراً، فإذا شملتهم الشفاعة علموا أن الفضل كلّه لله تعالى.

[٣] (في ولاية أمير المؤمنين والأئمّة من ولده عليهم السلام):

أي بسبب ولايتهم عليهم السلام، فالمعنى: هدانا لهذه المنزلة بسبب ولايتهم.

الحديث الرابع والثلاثون:

[١] (عمّ يتساءلون، عن النبأ العظيم):

﴿عَمَّ﴾ أصله «عن ما» استفهام لتفخيم شأن ما يسألون عنه، كما تقول:

---

(١) راجع الكافي: ج٨، ص١٥٩؛ البحار: ج٧، ص٣٢٧.

وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ﴾[٢] [الكهف: ٤٤] قَالَ: وَلَايَةُ

«أي شيء هذا» تريد تعظيم أمره ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي يسأل بعضهم بعضاً عن طريق الإنكار والتعجُّب، ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ أي الخبر المهم، ذلك النبأ ﴿ٱلَّذِى هُمْ﴾ الكفّار ﴿فِيهِ﴾ في ذلك النبأ ﴿مُخْتَلِفُونَ﴾ فبعضهم مصدِّق وآخرون مكذِّبون.

فإن كان «النبأ» أعم من المعاد وسائر ما جاء به الرَّسول ﷺ فالإمام علي عليه السلام مصداق للآية، وإن كان هو البعث والنشور فيكون عليه السلام بطناً للآية.

وقد مرَّ أنَّه سئل الإمام الباقر عليه السلام عن تفسير ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ فقال: «هي في أمير المؤمنين عليه السلام، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ما لله عزَّ وجلَّ آية هي أكبر منِّي، ولا لله نبأ أعظم منِّي»(١).

[٢] **(هنالك الولاية لله الحقّ):**

الآية في تتمة آيات ضرب الله فيها مثلاً لرجلين أحدهما كافر وله بستانان كبيران عظيمان، وكان له جار مؤمن فقير، فافتخر الغني على الفقير، ثمَّ زعم خلود بستانه وأنكر المعاد، فأرسل الله ناراً، فاحترقت الأشجار، وغارت الأنهار، فأصبح يقلِّب كفّيه حسرة وندماً على أمواله الضائعة التي أنفقها في البستانين، قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ إلى قوله: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا * وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ إلى قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾(٢).

---

(١) الكافي: ج١، ص٢٠٧.

(٢) سورة الكهف: الآيات ٣٢ ـ ٤٤.

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٣].

والمعنى: ﴿هُنَالِكَ﴾ في ذلك المقام أو يوم القيامة ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ تولي الأُمور ﴿لِلَّهِ﴾ فإذا شاء الله شيئاً لم يقدر أحد على دفعه، ﴿ٱلْحَقِّ﴾ لا للأولياء من دونه تعالى فلا قدرة لهم أصلاً، ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا﴾ من أموال الدُّنيا، ﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ عاقبة.

وفي التقريب: إنَّما قال: «هنالك» لأنَّ الولاية في الظروف العادية ـ التي أرسل الله الزمام فيها ولا يريد إنفاد أمرٍ ـ للنَّاس بعضهم لبعض، أمَّا إذا شاء شيئاً فلو اجتمع أهل السَّمٰوات والأرض لا يقدرون على خلافه(١).

[٣] (قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام):

في هذا ثلاثة وجوه:

١ ـ أن يكون تنظيراً للمؤمن بالولاية ومنكرها بصاحب البستانين الكافر وصاحبه المؤمن، فإنَّ هذا الَّذي ذكره الله تعالى هو مَثَل حيث قال: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾... الآية، وليس الغرض من المثل إلَّا التذكير والتنبيه، فكما أنَّ صاحب البستانين كان كافراً مع كثرة ما أنعم الله عليه، لكن عاقبته كانت احتراق كل أشجاره وخسارة ما أنفق في البستانين، كذلك المنكرون للولاية ـ لسيطرتهم السياسية غالباً ـ يكون لهم استحواذ على المصادر المالية ممَّا يجلب لهم الرفاه الاقتصادي لكن كلُّ ذلك النعيم وكل ما عملوه يكون هباءً منثوراً في الآخرة، وعكسهم المؤمنون القائلون بالولاية فإنهم فقراء عادة، لأنَّ الحكَّام الجائرين من المخالفين يستحوذون بالاقتصاد ويستأثرون به، لكن هؤلاء الموالين في الآخرة يرون نتائج عملهم من النعيم والجنان، بل في الدُّنيا أيضاً بعد الظهور وفي الرجعة.

وعلى هذا يكون قوله عليه السلام: (ولاية أمير المؤمنين عليه السلام) ليس بياناً لقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾، بل هو تنظير للقائلين بالولاية ومنكريها بهذين الرجلين المذكورين في المثل.

٢ ـ أن يكون تأويلاً للآية، وبيان بطن من بطونها، فالمعنى: ﴿هُنَالِكَ﴾

---

(١) التقريب: ج٣، ص٣٩٠.

٣٥ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ السِّنْدِيِّ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[١] [الروم: ٣٠]، قَالَ: هِيَ الْوَلَايَةُ[٢].

يوم القيامة ﴿ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ ولاية الإمام علي عليه السلام ﴿لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ أي مرتبطة به تعالى، فيُثيب عليها الجنَّة، وولايته عليه السلام ليست اعتباطية، بل لأنَّ الله تعالى بحكمته البالغة جعلها السبيل إليه سبحانه، لأنَّ الله سبحانه الحقّ المطلق الَّذي لا باطل فيه ولا في أفعاله.

٣ ـ التأويل في أنَّ الله تعالى نسب ولاية الإمام علي عليه السلام إلى نفسه، للدلالة على تلازم الولايتين، لأنَّ ولايته عليه السلام إنَّما هي بأمر الله تعالى، نظير قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(١)، حيث كانت إطاعته بأمرٍ من الله فصارت إطاعته إطاعة لله تعالى.

الحديث الخامس والثلاثون:

[١] **(فأقم وجهك للدين حنيفاً)**:

في التقريب: وإذا انحرفت نفوس عن هذا الدِّين ﴿فَأَقِمْ﴾ أنت يا رسول الله، أو أيُّها الإنسان العاقل، ﴿وَجْهَكَ﴾ ونسبة الإقامة إلى الوجه لأنَّه العضو الَّذي يُبيِّن اتجاه الإنسان وميله الكامن في نفسه، ﴿لِلدِّينِ﴾ فتوجَّه نحو دين الإسلام لا إلى سائر المبادىء والأديان ﴿حَنِيفًا﴾(٢) و«الحنف»: هو الميل من الباطل إلى الحقّ المستقيم(٣)، حيث إنَّ غالب الناس على طريق الانحراف، فاللازم الميل عنهم إلى الحق.

[٢] **(قال: هي الولاية)**:

وهذا تفسير بالمصداق الظاهر، فقد أمره الله تعالى بالتوجه إلى الدِّين

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٠.

(٢) التقريب: ج٤، ص٢٤٢.

(٣) راجع مفردات الراغب: ص٢٦٠.

٣٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْهَمَذَانِيِّ يَرْفَعُهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[١] [الأنبياء: ٤٧] ....

معرضاً عن الأديان الزائفة، ومن المعلوم أنَّ الولاية من أهم أجزاء الدِّين الحقّ، بل بها كماله وتمام النعمة.

الحديث السادس والثلاثون:

[١] (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة):

﴿وَنَضَعُ﴾ بمعنى نُحضر ﴿ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ أي العدل، وهو مصدر، وُصِفت به الموازين مبالغةً لبيان شدَّة العدل ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أي لأجل ذلك اليوم أو لأهله، ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ من العمل فلا نقص في ثواب ولا زيادة في عقاب، ﴿وَإِن كَانَ﴾ ذلك الشيء الَّذي هو العمل ﴿مِثْقَالَ﴾ بقدر ثِقل ﴿حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾ وهذا تشبيه في الصغر والقلَّة، ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ بالحبَّة بمعنى إدخالها في الحساب سواء كانت حسنة أم سيِّئة، ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ إذ لا حساب أحسن من حسابنا.

سأل سائل الإمام الصَّادق عليه السلام فقال: أوليس تُوزن الأعمال؟ فقال عليه السلام: «لا، إنَّ الأعمال ليست بأجسام، وإنَّما هي صفة ما عملوا، وإنَّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء ولا يعرف ثقلها أو خفَّتها، وإنَّ الله لا يخفى عليه شيء، قال: فما معنى الميزان؟ قال عليه السلام: العدل، قال: فما معناه في كتابه ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾(١)؟ قال عليه السلام: فمن رجح عمله»(٢).

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: «اعلموا ـ عباد الله ـ أنَّ أهل الشِّرك

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨.

(٢) البرهان: ج٦، ص٤٧٦ عن الاحتجاج.

قَالَ: الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ عليهم السلام[٢].

لا تنصب لهم الموازين، ولا تنشر لهم الدواوين، وإنَّما يُحشرون إلى جهنَّم زمراً، وإنَّما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الإسلام، فاتقوا، عباد الله»(١).

وسيأتي مفصّلاً بحث الميزان، فانتظر.

[٢] (الأنبياء والأوصياء عليهم السلام):

لأنَّه باتباعهم في العقيدة والأخلاق والعمل يكون الفوز والفلاح، وبإنكارهم ومخالفتهم تكون الخسارة والنَّار.

قال الشيخ الصدوق رضوان الله عليه في كتاب (الاعتقادات)(٢) باب الاعتقاد في الحساب والميزان: اعتقادنا فيهما أنَّهما حقّ، منه ما يتولَّاه الله تعالى، ومنه ما يتولَّاه حججه، فحساب الأنبياء والرُّسل والأئمَّة عليهم السلام يتولَّاه الله عزَّ وجلَّ، ويتولَّى كلّ نبيّ حساب أوصيائه، ويتولَّى الأوصياء حساب الأُمم، والله تعالى هو الشهيد على الأنبياء والرُّسل، وهم الشُّهداء على الأوصياء، والأئمَّة شهداء على النَّاس، وذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٣)، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾(٤)، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾(٥) والشاهد أمير المؤمنين، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾(٦).

---

(١) المصدر: ص٤٧٤ عن الكافي.

(٢) الاعتقادات، المطبوع في موسوعة الشيخ المفيد: ج٥، ص٧٣ ـ ٧٤.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٤) سورة النِّساء: الآية ٤١.

(٥) سورة هود: الآية ١٧.

(٦) سورة الغاشية: الآيتان ٢٥ ـ ٢٦.

٣٧ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾[١] [يونس: ١٥] قَالَ: قَالُوا: أَوْ بَدِّلْ عَلِيّاً عليه السلام.

الحديث السابع والثلاثون:

[١] **(ائت بقرآن غير هذا أو بدّله):**

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ على الكفّار والمنافقين ﴿آيَاتُنَا﴾ المنزلة في القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات، ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ أي لا يؤمنون بالمعاد، فإنَّ المؤمنين بالمعاد يرجون فضل الله تعالى، فمن لا رجاء له فليس بمؤمن ـ لتلازم الرجاء والإيمان ـ ﴿ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا﴾ القرآن الذي تتلوه، ﴿أَوْ بَدِّلْهُ﴾ فاجعله على خلاف ما تقرأه، والفرق بينهما أن «الإتيان بغيره» هو إتيان بقرآن جديد مطالبه غير مرتبطة بقرآنك، و«التبديل» هو أن يكون قرآنك نفسه مع تحريفه، نظير أن يعرض عن المكتوب الأوّل ويكتب مكتوب من رأس، أو يصحح المكتوب الأوّل نفسه بتغيير بعض كلماته، وفي التقريب: ظنَّ أولئك الجهلة أنَّ القرآن أمثال أشعار العرب التي يتمكّن الشاعر أن يقول شعراً آخر، أو يبدّل جزءاً من الشعر مكان جزءٍ آخر(١)، ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي﴾ لا يمكنني أو لا يصلح لي ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ من قِبل نفسي فإنَّ القرآن معجز وذلك بيد الله وحده، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي لا أتبع إلّا الوحي من الله تعالى، ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بالتغيير أو التبديل ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، والحاصل: أنَّ الله القادر الحكيم أنزل القرآن بحكمته وقدرته فلا يمكن تبديل وتغيير ما أنزله، إذ لا حكمة في غير ما أنزله، ولا قدرة لأحد أمام قدرته تعالى.

---

(١) التقريب: ج٢، ص٥٠١.

٣٨ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنِ الْحَسَنِ الْقُمِّيِّ، عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ[١]: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾

ولا يخفى أنَّ غير المؤمنين كما كرهوا ترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الأصنام، كذلك كرهوا تعيين الله تعالى لأمير المؤمنين علي عليه السلام لخلافة الرَّسول صلى الله عليه وآله، فهذا الحديث وأحاديث أُخرى من التفسير بالمصداق، فالمنافقون كرهوا تعيينه عليه السلام، وإلى اليوم كارهون.

وإنّما ذكر هذا المصداق لأنَّ في الرِّضا والتسليم بما شاء الله من أمر الإمامة تصديقاً وتسليماً لسائر أُصول الدِّين، ولذا كان تكميل الدِّين بنصب الإمام علي عليه السلام، ولأنَّ سائر مطالب غير المؤمنين اندثرت فلم يبقَ من يُطالب بعبادة الأوثان، ولا بإشراك أحد في النُّبوَّة، ولا بإلغاء الثواب والعقاب، وإنَّما استمر المطالبون بإزاحة أهل البيت عليهم السلام عن الخلافة والإمامة.

وفي المرآة: فالمُراد بقوله عليه السلام: «أو بدّل عليّاً» بدِّل الآيات التي نزلت فيه وفي إمامته وولايته عليه السلام مع كون سائر القرآن بحاله، أو اترك هذا القرآن وائت بقرآن لا يكون فيه ذكره... قوله: ﴿مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أُبَدِّلَهُ﴾ يرجع إلى أنَّ الإمامة والخلافة ليست بيدي وباختياري حتَّى يمكنني أن أبدِّله من قِبل نفسي(١).

الحديث الثامن والثلاثون:

[١] **(سألته عن تفسير هذه الآية):**

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من الطاعة أو المعصية ﴿رَهِينَةٌ﴾ فالنَّفس مرهونة مقابل دَين في ذمَّتها، وذلك الدَّين هو الإيمان والعمل الصالح، فإن أدَّت الرهن فكَّت رقبتها، وإلَّا كان المصير إلى النَّار، ﴿إِلَّا أَصْحَابَ

---

(١) المرآة: ج٥، ص٤٠.

[المدثر: ٤٢-٤٣]؟ قَالَ: عَنَى بِهَا: لَمْ نَكُ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَئِمَّةِ الَّذِينَ قَالَ: اللَّهُ تَبَارَكَ

ٱلْيَمِينِ﴾ الذين يأخذون كتابهم بيمينهم فقد فكّوا رقابهم، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «هم شيعتنا أهل البيت»(١) ﴿فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر والنّفاق، ومنهم المنكرون للولاية: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ جهنّم؟ وهؤلاء في مقام الجواب بيّنوا سبب دخولهم في سقر وهي أسباب أربعة:

١ ـ ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ وهم أتباع الأئمّة عليهم السلام، فإنّهم يؤدّون واجباتهم من الصلوات اليومية، ومن الصلاة على النبي وآله، وسائر التكاليف والفرائض.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقرّبوا بها، فإنّها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً، ألا تسمعون إلى جواب أهل النّار حين سُئلوا: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾(٢).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام قال: «يعني أنّا لم نتولّ وصي محمّد، والأوصياء من بعده عليهم السلام ولم نُصلِّ عليهم»(٣).

فاتضح أنّ المُراد بـ(المصلّين) أتباع الأئمّة عليهم السلام، وذكر الأحاديث للصلاة اليومية وكذا الصلاة عليهم إنّما هو بيان للاتباع القولي والعملي، وأمّا المنافقون فصلاتهم باطلة فلا يكونون من زمرة المُصلِّين.

٢ ـ ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ في تفسير القمّي: حقوق آل محمّد من الخمس لذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وهم آل الرّسول(٤)، وهذا وإن كان داخلاً في الأوّل ـ وهو اتباع الأئمّة ـ لكن خصّ بالذِّكر لأهميته.

٣ ـ ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ في الباطل، أي كنّا ننغمس في الكلام الباطل في تكذيب أُصول الدِّين وفروعه، ومنه إنكار فضائلهم عليهم السلام، فإنّ

---

(١) البرهان: ج١٠، ص١١٤.
(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٩.
(٣) الكافي: الحديث ٩١ من هذا الباب، وسيأتي عن قريب.
(٤) البرهان: ج١٠، ص١١٦.

وَتَعَالَى فِيهِمْ[٢]: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [الواقعة: ١٠-١١]، **أَمَا تَرَى**

المخالفين لهم ليسوا مجرَّد غير أتباع وغير مؤدّي الحقوق، بل يُجاهرون في إنكار فضائلهم، أو بتأويلها بما يخرجها عن كونها فضيلة.

٤ ـ ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الجزاء وهو يوم القيامة.

ولا يخفى أنَّ ترتيب ذكر هذه الأُمور الأربعة لتدرُّجها في الوجود، فإنَّ النصب يبدأ بمخالفتهم عليهم السلام ممَّا يُؤدِّي إلى عدم إيصال حقوقهم إليهم، ثم بعد ذلك الخوض في إنكار فضائلهم، ونتيجة ذلك زوال الإيمان بيوم القيامة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾(١).

[٢] **(الذين قال الله تبارك وتعالى فيهم):**

أي في الأئمَّة عليهم السلام، لأنَّ السابقين هم الأنبياء وأوصياؤهم والأئمَّة عليهم السلام، ولذا كان السابقون في الأمم الماضية أكثر من السابقين في هذه الأُمَّة، لأنَّ الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً ـ على الأشهر كما مرَّ ـ ولهم من الأوصياء ما لا يعلمه إلَّا الله، وأمَّا في هذه الأُمَّة فالمعصومون أربعة عشر ـ هم النَّبي صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام والأئمَّة عليهم السلام، وقد يلحق بهم القليل كالسيِّدة زينب والعبَّاس وعليّ الأكبر عليهم السلام، ولذا قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾(٢).

وأمَّا أصحاب اليمين ـ وهم المؤمنون ـ فهم كثيرون في الأُمم السابقة وكثيرون في هذه الأُمَّة، ولذا قال تعالى عنهم: ﴿لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ * ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ * وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾(٣).

إذاً في هذه الأُمَّة السابقون هم الرسول والأئمَّة، وأمَّا أصحاب اليمين فهم أتباعهم، والتابع ملازم لهم في العقيدة والعمل، كـ«المُصلِّي» وهو

---

(١) سورة الروم: الآية ١٠.

(٢) سورة الواقعة: الآيات ١٠ ـ ١٤.

(٣) سورة الواقعة: الآيات ٣٨ ـ ٤٠.

النَّاسَ يُسَمُّونَ الَّذِي يَلِي السَّابِقَ فِي الْحَلْبَةِ مُصَلِّي[٣]، فَذَلِكَ الَّذِي عَنَى حَيْثُ قَالَ: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ لَمْ نَكُ مِنْ أَتْبَاعِ السَّابِقِينَ.

٣٩ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ مُوسَى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾

فرس الرهان الَّذي يفوز بالجائزة الثانية.

[٣] **(السابق في الحلبة المُصلّي)**:

«الحَلَبة»: خيل تجمع للسباق من كل أوب(١)، ثمَّ سُمِّي به مكان السباق ـ بعلاقة الحال والمحلّ ـ.

وقد سمَّت العرب كلّ واحد من خيل السابق باسم، فالفائز هو(المُجلّي) لأنَّه أظهر نفسه أو جلَّى همَّ صاحبه أو أظهره. والثاني: (المُصلِّي) لأنَّه يُحاذي «صِلو» الفائز، و«الصَّلوان» هما العظمان النابتان في ظهر الفرس ممَّا يلي الرأس عن يمينه وشماله. والثالث: (التالي). والرابع: (البارع)، والخامس: (المرتاح). والسادس: (الحظيّ). والسابع: (العاطف). والثامن: (المؤمَّل). والتاسع: (اللطيم). والعاشر: (السكَيِّت). والأخير (الفسكل) بكسر الفاء والكاف، وبضمهما.

الحديث التاسع والثلاثون:

وقد شرحنا هذا الحديث والحديث الذي بعده في (باب أنَّ الطريقة التي حُثّ على الاستقامة عليها ولاية علي عليه السلام) لذا نُشير هنا باختصار.

[١] **(في قول الله عزَّ وجلَّ)**:

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ المنحرفون عن طريق الحقّ ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ أي يُلقون فيها فيوقدونها، كما يُوقد الحطب النَّار، فإنَّ جهنَّم وقودها النَّاس

---

(١) مقاييس اللغة: ص٢٦٠.

يَقُولُ: لَأَشْرَبْنَا قُلُوبَهُمُ الْإِيمَانَ، وَالطَّرِيقَةُ: هِيَ وَلَايَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْأَوْصِيَاءِ عليهم السلام.

٤٠ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ فَضَالَةَ بْنِ أَيُّوبَ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]:

والحجارة، لكن هؤلاء القاسطين لو تابوا وأصلحوا لا ندخلهم جهنَّم، ﴿وَأَلَّوِ﴾ «أن لو» أي الشأن لو ﴿ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ هؤلاء القاسطون ﴿عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ المُثْلى الَّتي هي الحق ـ في عالم الذَّرّ(١) وفي هذه الدُّنيا ـ ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أي كثيراً وفيراً كناية عن الإفضال عليهم.

وهذا الفضل: إمَّا مادي وهو الخيرات والبركات من السَّماء والأرض، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وإمَّا معنوي وهو يبتدىء من إشراب القلوب الإيمان كما في هذا الحديث، وينتهي إلى تعلُّم العلم من الأئمَّة عليهم السلام، فعن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «معناه لأفدناهم علماً كثيراً يتعلَّمونه من الأئمَّة عليهم السلام»(٢).

و﴿ٱلطَّرِيقَةِ﴾ هي العقيدة والعمل حسب ما أراد الله تعالى، ولا شكَّ أنَّ ذلك غير ممكن إلَّا عبر الولاية، فإنَّهم عليهم السلام بيَّنوا العقيدة الصحيحة بحسب ما نزلت في القرآن وشرحها الرسول صلى الله عليه وآله، كما أنَّهم عليهم السلام بيَّنوا كيفية العبادات والطاعات والأحكام ـ في صحتها وقبولها ـ.

الحديث الأربعون:

[١] (عن قول الله عزَّ وجلَّ):

﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ اعترفوا بلسانهم بالتوحيد، ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ على

---

(١) راجع البرهان: ج١٠، ص٨٣.

(٢) المصدر نفسه: ج١٠، ص٨٤ عن مجمع البيان.

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾؟ فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: اسْتَقَامُوا عَلَى الْأَئِمَّةِ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصّلت: ٣٠].

٤١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى[١]: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]؟ فَقَالَ: إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَلَايَةِ

التوحيد وبلوازمه من تصديق النّبي صلى الله عليه وآله والإقرار بجميع ما جاء به، ومن أصعبها الولاية، حيث عارضها الجائرون المسلّطون على النّفوس والأعراض والأموال، ولذا تخلّى عنها الكثيرون لمّا تعارضت مصالحهم الدنيوية الزائلة مع الولاية، ولذا بدّلوا وغيّروا، وحديث الحوض معروف روته الخاصّة والعامّة، ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ لحظة الوفاة ويوم القيامة، وقد مرَّ أنّه في الحياة الدُّنيا أيضاً ينزلون على الأئمّة عليهم السلام فيسمعونهم، وعلى المؤمنين فإنّهم وإن لم يسمعوهم لكن الفائدة والأثر لا تنحصر في السماع، فلعلَّ لكلامهم آثاراً تكوينية جعلها الله تعالى.

الحديث الواحد والأربعون:

[١] **(عن قول الله عزّ وجلّ. . .) إلخ:**

﴿قُلْ﴾ يا رسول الله لهؤلاء الكفّار والمنافقين: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ أي بخصلة واحدة ـ جامعة لكلّ المواعظ ـ، وهي ﴿أَن تَقُومُوا۟﴾ بهذا العمل، بمعنى أن تؤدّوا ﴿لِلَّهِ﴾ مُعرِضين عن تقليد آبائكم وعن المراء، ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ أي اثنين اثنين، وواحداً واحداً، وهذا حال إمّا من ضمير «تقوموا» أي تقوموا حال كونكم مجتمعين كل اثنين مع بعض أو متفرقين كل واحد بمفرده، فمن كان له قدرة التفكير حول الرسول صلى الله عليه وآله بلا معين فليفكّر في نفسه، ومن لا قدرة له في التفكير منفرداً فليتخذ

عَلِيٍّ عليه السلام[٢]، هِيَ الْوَاحِدَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾.

صديقاً ليداول معه الحديث حول الرسول والقرآن والإسلام(١)، وإمَّا حال من القيام أي حال كون القيام مثنى وفرادى ـ وذلك بإطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام معاً، وبإطاعة الأئمَّة من ذرِّيَّتهما واحداً بعد واحد كما في رواية(٢) ـ ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم﴾ أي الرسول صلى الله عليه وآله ﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ جنون، فكل ما جاء به هو صحيح من عند الله تعالى ومنه الولاية فهي بأمره تعالى، فمنطلق هذه الأحكام ليس الجنون بل الوحي، ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي ليس الرسول صلى الله عليه وآله ﴿إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

ثمَّ لمَّا أوجب الله عليهم الولاية بيَّن أنَّها بصالحهم وليست أجراً للرسول صلى الله عليه وآله ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي كل أجر أسأله منكم على أدائي الرِّسالة ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾، فإنَّكم بالولاية ترشدون إلى الحقّ. . . إلى آخر الآية.

[٢] **(إنما أعظكم بولاية علي عليه السلام):**

وذلك لأنَّ ولايته عليه السلام جامعة لكل الأُصول والفروع ـ كما مرَّ مراراً ـ فبها كمال الدِّين، ولا يُقبل عمل لولاها، ولا يمكن معرفة العقائد الحقَّة والأعمال الصحيحة إلَّا عبرها.

فلا تمكن ولايته عليه السلام إلَّا بالتوحيد والاعتقاد بنبوَّة رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله والإقرار بما جاء به ـ من القرآن والأحكام وغيرها ـ، كما لا تمكن هذه الأُمور إلَّا عبر الولاية، فهي أُمور متلازمة والدِّين وحدة واحدة.

وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ الله جلَّ ذكره أنزل عزائم الشرائع على نبيِّه صلى الله عليه وآله وآيات الفرائض في أوقات مختلفة ـ إلى أن قال ـ: فكان أوَّل ما قيَّدهم به الإقرار بالوحدانية والربوبية والشهادة له بالرِّسالة، فلمَّا انقادوا لذلك فرض عليهم الصلاة ثمَّ الصوم ثمَّ الحجّ ثمَّ الجهاد ثمَّ

---

(١) راجع التقريب: ج٤، ص٣٩٦.

(٢) راجع البرهان: ج٨، ص١٢٣ عن تأويل الآيات.

٤٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ؛ وَعَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٣٧]،

الزكاة ثمَّ الصدقات وما يجري مجراها من مال الفيء، فقال المنافقون: هل بقي لربّك علينا ـ بعد الذي فرض علينا ـ شيء آخر فيفرضُهُ فتذْكُرْه، لتسكن أنفسنا إلى أنّه لم يبقَ غيره؟ فأنزل الله في ذلك: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ يعني بالولاية، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾(١) . . . الحديث(٢).

الحديث الثاني والأربعون:

[١] (في قول الله عزَّ وجلَّ. . .) إلخ:

الآية عامَّة، وإن كان شأن نزولها الغاصبين، أو عبد الله بن سعد بن أبي سرح، إذ شأن النزول لا يُخصّص عموم الآية، فكلّ من تقلَّب بين الإيمان والكفر ثمَّ مات على الكفر، لا تُقبل توبته حين الممات، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾(٣).

فمن مصاديق الآية: اليهود الَّذين آمنوا بموسى عليه السلام، ثمَّ كفروا بسبب عبادة العجل، ثمَّ تابوا عنه، ثمَّ كفروا بعيسى عليه السلام، ثمَّ ازدادوا كفراً بتكذيبهم لرسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله.

ومن المصاديق: عبد الله بن أبي سرح(٤)، أسلم وكتب الوحي، وكان

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٢) البرهان: ج٨، ص١٢٣ عن الاحتجاج.

(٣) سورة النّساء: الآية ١٨.

(٤) كما رواه العياشي عن الإمام الباقر والصّادق عليهما السلام انظر: البرهان: ج٣، ص٢٥٠.

﴿لَن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [آل عِمرَان: ٩٠][٢]، قَالَ: نَزَلَتْ فِي فُلَانٍ وَفُلَانٍ وَفُلَانٍ، آمَنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ[٣]، وَكَفَرُوا حَيْثُ عُرِضَتْ عَلَيْهِمُ الْوَلَايَةُ حِينَ

يُحرِّف في الكتابة، ثمَّ ارتدَّ، فأهدر رسول الله ﷺ، دمه فآواه عثمان بن عفَّان(١).

ومن المصاديق: الغاصبون للخلافة كما في هذا الحديث الشريف وغيره.

ومن المصاديق: من أقرَّ بحرمة الخمر والزنا وبوجوب الزكاة، ثمَّ خالف ـ كما في بعض الأحاديث ـ(٢).

[٢] **(لن تُقبل توبتهم):**

لا يخفى أنَّ الإمام ؑ فسَّر إحدى الآيتين بالأُخرى.

الأُولى: قوله تعالى: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا * بَشِّرِ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**(٣).

الثانية: قوله تعالى: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ﴾**(٤).

وإنَّما لا تُقبل توبتهم لأنَّهم لم يؤمنوا حقيقة وإنَّما نافقوا، فساروا حسب المصالح من إظهار الإيمان أو الكفر، لكنَّهم ماتوا على كفرهم.

[٣] **(آمنوا بالنَّبيِّ ﷺ في أوَّل الأمر...) إلخ:**

أي أظهروا الإيمان باللِّسان لا اعتقاداً بل نفاقاً، ثمَّ أظهروا كفرهم يوم الغدير، حينما قال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه» قال بعضهم لبعض: انظروا إلى عينيه كأنَّهما عينا مجنون ـ والعياذ بالله ـ، لكن لما بدأت البيعة لم يجدوا بُدّاً منها، لئلَّا يظهر نفاقهم، وليتربَّصوا

---

(١) انظر: أسد الغابة: ج٣، ص١٧٣ ـ كما في هامش البرهان ـ.

(٢) البرهان: ج٣، ص٢٥٠ عن تفسير العياشي.

(٣) سورة النِّساء: الآيتان ١٣٧ ـ ١٣٨.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٩٠.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ»، ثُمَّ آمَنُوا بِالْبَيْعَةِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﵇، ثُمَّ كَفَرُوا حَيْثُ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَقِرُّوا بِالْبَيْعَةِ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً بِأَخْذِهِمْ مَنْ بَايَعَهُ بِالْبَيْعَةِ لَهُمْ، فَهَؤُلَاءِ لَمْ يَبْقَ فِيهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ شَيْءٌ[٤].

٤٣ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ﵇ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى[١]:

فينتهزوا الفرصة حينما تسنح لهم، لذا بايعوا، وكانت بيعتهم إظهاراً للإيمان مرَّة أُخرى، لكنَّهم غدروا ونقضوا البيعة وأنكروها، بل تمادوا في غيِّهم حينما أرهبوا النَّاس بقبيلة أسلم أو بالتطميع، فحملوهم على نقض بيعتهم للإمام علي ﵇، وأخذوا منهم البيعة لأنفسهم.

[٤] **(لم يبقَ فيهم من الإيمان شيء):**
لأنَّ المنافق كافر باطناً لكنه محكوم بالإسلام ظاهراً، لكنَّه إذا نصب العداء لأهل البيت ﵈ صار كافراً حتَّى في الظاهر.

الحديث الثالث والأربعون:

[١] **(في قول الله تعالى...) إلخ:**
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ﴾ رجعوا ﴿عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم﴾ أي رجعوا القهقرى إلى الكفر بإبطانهم الكفر، وهم المنافقون الَّذين في قلوبهم مرض ـ المذكورون في الآيات السابقة ـ ﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ ظهر لهم الحقّ وعرفوه ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ أي زيَّن وسهَّل لهم طريق الكفر ﴿وَأَمۡلَىٰ﴾ أمدَّ ﴿لَهُمۡ﴾ في الآمال، وإنَّما تمكَّن الشَّيطان منهم لأنَّهم بسوء اختيارهم تركوا طاعة الرَّسول وأطاعوا الكفَّار فاستولى عليهم الشَّيطان فـ﴿ذَٰلِكَ﴾ التسويل والإملاء ﴿بِأَنَّهُمۡ﴾ أي بسبب أنَّهم ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ﴾ للكفَّار الَّذين ﴿كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ في القرآن من عقائد وأحكام ﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِ﴾ الَّذي تريدونه ممَّا يمكننا ذلك ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِسۡرَارَهُمۡ﴾ أي السِّرّ الَّذي تناجون به بالإثم والعصيان ومعصية الرَّسول.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى﴾ [محمّد: ٢٥] فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ، ارْتَدُّوا عَنِ الْإِيمَانِ فِي تَرْكِ وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٢].

وهذا الحديث الشريف وأحاديث أُخرى(١) تدلُّ على أنَّ شأن نزول هذه الآيات في الغاصبين الَّذين اتفقوا مع بني أُميَّة بأن ينضوي بنو أُميَّة إليهم ويُشاركونهم لإنجاح ميثاقهم في الصحيفة الملعونة، الَّتي كانت تتضمَّن منع أهل البيت عليهم السلام من السلطة وحرمانهم حقِّهم في الخمس، فدخل بنو أُميَّة في الميثاق ولكنَّهم صرَّحوا للغاصبين بأنَّهم لا يتمكنون من المعاونة في منع أهل البيت عن السلطة، لعدم تأثيرهم في المسلمين، ولانهيار قوَّتهم عند فتح مكَّة، ولبُعدهم عن مركز السلطة وهي المدينة المنوَّرة، ولكنَّهم سيتعاونون في منع الخمس عنهم، وذلك بأن يصيروا أعواناً للسلطة الانقلابيَّة بعد الانقلاب على الأعقاب وانتزاع السلطة عن أهل البيت عليهم السلام.

ومن الواضح أنَّ بني أُميَّة لم يكونوا طامعين في السلطة في البداية بل كان طمعهم في الانتقام من الرَّسول صلى الله عليه وآله في أهل بيته، وفي تحصيل شيء من المال عبر السلطة الانقلابيَّة، لأنَّهم كانوا يعلمون أنَّ لهم نفعاً في منع الخمس عن آل الرَّسول صلى الله عليه وآله وذلك لحصولهم على شيء منه.

ثمَّ بعد ذلك بسنوات لمَّا عُيِّن معاوية والياً على الشام ولمَّا آلت الخلافة إلى عثمان، بعد ذلك طمع فيها معاوية، وبدأ يُؤسِّس لمُلك بني أُميَّة، ثمَّ صارت الظروف مُؤاتية له بعد مقتل عثمان ووقعة الجمل. . .إلى آخر ما حدث، ممّا مهَّد له النزو على السلطة.

ثمَّ إنَّه كما مرَّ مراراً فإنَّ شأن النزول لا يُخصّص الآية، بل تجري في كلّ مرتدّ ومنافق سوَّل له الشَّيطان وأملى له.

[٢] **(ارتدّوا عن الإيمان في ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام):**

أي الغاصبين ارتدّوا عن الإيمان الظاهري بتركهم الولاية بل معارضتها،

---

(١) راجع بعضها في تفسير البرهان: ج٩، ص١٨٩ فما بعد.

قُلْتُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [محمّد: ٢٦]؟ **قَالَ: نَزَلَتْ وَاللَّهِ فِيهِمَا وَفِي أَتْبَاعِهِمَا[٣]، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[٤] الَّذِي نَزَلَ بِهِ جَبْرَئِيلُ عليه السلام عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله:** ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ **فِي عَلِيٍّ عليه السلام** ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ **قَالَ: دَعَوْا بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى مِيثَاقِهِمْ[٥]: «أَلَّا يُصَيِّرُوا الْأَمْرَ فِينَا بَعْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله،**

مع ظهور الآيات الواضحات سواء في الآيات القرآنية، كآية التصدُّق بالخاتم، وآية أولي الأمر، وغيرهما من الآيات، أو في الأحاديث الشريفة في يوم عرفة ويوم الغدير وغيرهما من الأحاديث.

وقد ذكرنا فيما سبق أنَّ الأوامر نزلت بالتدريج فكان المطلوب في البداية الشهادتين فكلّ من مات عليهما مات مؤمناً، ثمَّ نزلت الفرائض والمحظورات، وتُوِّجت بالولاية الَّتي كان بها كمال الدِّين، فكلّ من أظهر الشهادتين ثمَّ رفض ما أنزل الله بعد ذلك كان مرتدّاً - بالنِّفاق إن أسرَّ، وبالكفر إن أظهر -.

[٣] **(نزلت والله فيهما وفي أتباعهما):**

أي هؤلاء المذكورون في هذه الآية هم الغاصبون وأتباعهم، و(الأتباع) تشمل طائفتين: أعوانهما من جهة، وبني أُميَّة من جهة أُخرى، فقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي بأنَّ الغاصبين وأعوانهما، وأمَّا ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ فهم بنو أُميَّة.

[٤] **(وهو قول الله عزَّ وجلَّ. . .) إلخ:**

لا يخفى أنَّ الإمام عليه السلام كرَّر الآية الَّتي تلاها السائل، لأجل أن يُضمّن الآية التفسير الَّذي نزل به جبرئيل عليه السلام وهو (في علي عليه السلام)، ثمَّ بيَّن الإمام عليه السلام الأشخاص الَّذين قُصِدوا في الآية الشريفة.

[٥] **(إلى ميثاقهم):**

في الصحيفة الملعونة - كما سيأتي تفصيلها في شرح الحديث الآتي - فقد

وَلَا يُعْطُونَا مِنَ الْخُمُسِ شَيْئاً، وَقَالُوا: إِنْ أَعْطَيْنَاهُمْ إِيَّاهُ لَمْ يَحْتَاجُوا إِلَى شَيْءٍ، وَلَمْ يُبَالُوا أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِيهِمْ[٦]»، فَقَالُوا: سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ

اتفق الغاصبون وجماعة من المنافقين على المُؤامرة على السلطة، ليمنعوا الإمام علياً عليه السلام عنها، ويمنعوا الخمس عن أهل البيت عليهم السلام، ثمَّ أرادوا أن يتقوَّوا ببني أُميَّة ـ لشوكتهم ولرئاستهم على المشركين وعلى المنافقين في مكَّة ـ.

وقوله: «ألَّا يصيِّروا» إلى قوله: «أن يكون الأمر فيهم» هو بيان ميثاقهم.

[٦] **(ولم يبالوا أن لا يكون الأمر فيهم):**

أي لمَّا كان مقصودهم الانتقام منهم عليهم السلام فمنعوهم حقوقهم المالية ليفتقروا ويحتاجوا ويعيشوا بعُسر، فلذا لم يكتفوا بمجرَّد إبعادهم عن السلطة.

وذلك لأنَّ الإنسان قد يعيش حياة مرفهَّة مع كونه بعيداً عن السلطة، ولذا فالكثير من أصحاب رؤوس الأموال لا تعنيهم السلطة بمقدار ما يعنيهم المال، بل لا يريدون من الحكومات إلَّا حماية أموالهم، وهؤلاء الغاصبون توهموا أنَّ مجرَّد منع أهل البيت عليهم السلام عن السلطة قد لا يُؤذيهم بمقدار ما يُؤذيهم إفقارهم، لذلك فغصبوا السلطة لينالوا مُرادهم وأضافوا إلى ذلك منع أهل البيت عليهم السلام من حقوقهم المالية.

ولا يخفى أنَّ (ولم يبالوا أن لا يكون الأمر فيهم) هو توهم من الغاصبين، وإلَّا فإنَّ الأئمَّة عليهم السلام كان يحزنهم غصب حقّهم لا لرغبتهم في الإمارة بل لإرادتهم إقامة الحقّ ودحض الباطل، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخصف نعله: «والله لهي أحبّ إليّ من إمرتكم، إلَّا أن أقيم حقّاً أو أدفع باطلاً»(١) وقال عليه السلام: «لولا حضور الحاضر، وقيام الحجَّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء ألَّا يقارُّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣٣.

الْأَمْرِ[٧] الَّذِي دَعَوْتُمُونَا إِلَيْهِ وَهُوَ الْخُمُسُ أَلَّا نُعْطِيَهُمْ مِنْهُ شَيْئاً. وَقَوْلُهُ: ﴿كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ[٨] اللَّهُ مَا افْتَرَضَ عَلَى خَلْقِهِ مِنْ وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَكَانَ مَعَهُمْ أَبُو عُبَيْدَةَ وَكَانَ كَاتِبَهُمْ[٩]، فَأَنْزَلَ اللَّهُ[١٠]

بكأس أوّلها ولألفيتم دُنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز»(١).

[٧] **(فقالوا سنطيعكم في بعض الأمر):**

أي فقال بنو أُميَّة للغاصبين: سنطيعكم في بعض الأمر من الميثاق في الصحيفة، وذلك لأنَّ بني أُميَّة لم يكونوا قادرين على منع السلطة عن أهل البيت عليهم السلام ـ وهو البند الأوَّل من الميثاق ـ، لكنَّهم كانوا قادرين على معاونة الغاصبين بعد استيلائهم على السلطة، وذلك بتطبيق البند الثاني من الميثاق.

[٨] **(والذي نزَّل. . .) إلخ:**

عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «كرهوا عليّاً عليه السلام، أمر الله بولايته يوم بدر، ويوم حنين، وببطن النخلة، ويوم التروية، ويوم عرفة، ونزلت فيه خمس عشرة آية في الحجَّة التي صُدَّ فيها رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسجد الحرام، وبالجحفة، ونجم»(٢).

[٩] **(وكان كاتبهم):**

إنَّما خصَّه الإمام عليه السلام بالذِّكر لكي يُفسّر الآية التالية وهي ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ﴾ حيث كان لأبي عبيدة دورٌ محوريٌّ وهو كتابة الصحيفة. أو أن الإمام عليه السلام صرّح بأسماء فلان وفلان وفلان، لكن الرواة كنّوا تقيّة.

[١٠] **(فأنزل الله):**

الآيات في سورة الزخرف ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ﴾ من الفتور بمعنى التخفيف ﴿عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾ في العذاب ﴿مُبْلِسُونَ﴾ يائسون، وهذا من أعظم مصائبهم لأنَّ للراجي راحة قلب،

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٣.

(٢) روضة الواعظين: ص١٠٦، وعنه في تفسير الصافي: ج٦، ص٤٨٢.

﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ [الزخرف: ٧٩-٨٠] الآيَةَ.

٤٤ ـ وَبِهَذَا الإِسْنَادِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]:

بينما اليائس لا يرى إلّا دوام العذاب ممّا يزيده ألماً وحزناً ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ﴾ ومن الحق ولاية الإمام علي عليه السلام كما في الرواية(١)، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ * أَمْ﴾ بمعنى بل ﴿أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا﴾ أي أحكموا أمرهم في تكذيب الحقّ ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أمراً في إعلاء الحقّ وفي مجاراتهم.

وشأن نزولها ـ كما في هذا الحديث ـ هو كتابتهم الصحيفة الملعونة فقد أحكموا أمرهم، لكن يأبى الله إلّا أن يتمّ نوره.

الحديث الرابع والأربعون:

[١] **(في قول الله عزّ وجلّ. . .) إلخ:**

قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في عقيدتهم، ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ في العمل أي يمنعون النّاس ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ طريقه المؤدّي إلى رضاه من الإيمان والصالحات، ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي ويصدّون عنه ﴿ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ﴾ جعلنا المسجد الحرام ﴿لِلنَّاسِ﴾ عامّة، فلا يحقُّ للكفّار الصدّ عنه ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ﴾ المُقيم ﴿فِيهِ﴾ في المسجد الحرام والمُراد مكّة ﴿وَٱلْبَادِ﴾ المسافر لأنّه يظهر ويتبيّن، ﴿وَمَن يُرِدْ﴾ من الإرادة أي يريد ﴿فِيهِ بِإِلْحَادٍ﴾ عدولاً عن القصد ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي بغير حقّ، و«بظلم» إمّا بدل عن «بإلحادٍ» وإمّا الباء سببيّة أي إلحاده بسبب الظلم ﴿نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ بتشريع الحدّ والتعزير عليه، وابتلائه بالمصائب هذا في الدُّنيا، وأمّا في الآخرة فبإدخاله النّار.

وشأن نزول قوله: ﴿وَمَن يُرِدْ﴾. . .إلخ هو في قضية الصحيفة الملعونة،

---

(١) راجعها في البرهان: ج٨، ص٥٨٩.

﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، قَالَ: نَزَلَتْ فِيهِمْ، حَيْثُ دَخَلُوا الْكَعْبَةَ[٢]، فَتَعَاهَدُوا وَتَعَاقَدُوا عَلَى كُفْرِهِمْ وَجُحُودِهِمْ بِمَا نُزِّلَ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، فَأَلْحَدُوا فِي الْبَيْتِ بِظُلْمِهِمُ الرَّسُولَ وَوَلِيَّهُ، فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ.

لكن الآية عامّة، إذ خصوصية المورد لا تخصّص الوارد، وقد ذكرت الروايات(١) مصاديق متعدّدة للإلحاد والظلم فيه، منها: عبادة غير الله عزّ وجلّ، وتولّي غير أوليائه، والكِبر، وضرب الخادم، والسرقة، ...إلخ.

[٢] **(حيث دخلوا الكعبة...) إلخ:**

إنَّ الرَّسول صلى الله عليه وآله قد أخبر النَّاس مراراً بأنَّ خليفته الإمام علي عليه السلام وصرَّح بذلك في خطبته في منى في حجَّة الوداع، ولكن لم يَرُق ذلك للمنافقين، فعن حذيفة: خطب الرسول صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف بمنى وقال: «أيُّها النَّاس إنِّي تارك فيكم الثقل الأكبر كتاب الله عزَّ وجلَّ طرفاً بيد الله وطرفاً بأيديكم فتمسَّكوا به، والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي، فإنَّه قد نبَّأني اللَّطيف الخبير أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض كإصبعيَّ هاتين - وجمع بين سبَّابتيه -، ولا أقول كهاتين - وجمع بين سبَّابته والوسطى - فتفضل هذه على هذه».

فاجتمع القوم وقالوا: يريد محمَّد أن يجعل الإمامة في أهل بيته، فخرج أربعة منهم ودخلوا الكعبة فكتبوا فيها بينهم إن أمات الله محمَّداً وقُتل لا يرد الأمر في أهل بيته(٢).

ويظهر من حديث آخر أنَّ هؤلاء الأربعة بإضافة ستين شخصاً آخرين كتبوا كتاباً آخر بعد الغدير وبعد رجوعهم إلى المدينة وأرسلوه إلى مكَّة ليُدفن في الكعبة، أكَّدوا ما تعاقدوا عليه في الكعبة(٣)، وللتفصيل أكثر راجع المجلد الثامن والعشرين من بحار الأنوار.

---

(١) راجع تفسير الصافي: ج٥، ص١٣٠؛ البرهان: ج٦، ص٥٣٧ - ٥٣٩.

(٢) المرآة: ج٥، ص٥٣، عن كتاب الطيّ والنشر لابن طاوس.

(٣) المصدر، عن إرشاد القلوب للدليمي.

٤٥ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الملك:٢٩]، يَا مَعْشَرَ الْمُكَذِّبِينَ حَيْثُ أَنْبَأْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي فِي وَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام وَالْأَئِمَّةِ عليهم السلام مِنْ بَعْدِهِ، ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. كَذَا أُنْزِلَتْ[٢].

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾[٣] فَقَالَ: إِنْ تَلْوُوا الْأَمْرَ وَتُعْرِضُوا عَمَّا أُمِرْتُمْ بِهِ ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النّساء: ١٣٥].

الحديث الخامس والأربعون:

[١] **(في قول الله عزَّ وجلَّ. . .) إلخ:**
﴿قُلْ﴾ الَّذي ندعو إليه ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بوجوده وبصفاته وبما أنزله، ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في أُمورنا فإن لاقينا صعوبة أو مشكلة التجأنا إليه، ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ يوم القيامة ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، فإنّ كل من خالف ما أنزل الله فهو في ضلال واضح وسيعلم بذلك يوم القيامة حينما تنكشف كلّ الحقائق، ومن المعلوم أنَّ الولاية هي من أهم ما أنزل الله، فتركُها ضلال مبين.

[٢] **(كذا أُنزلت):**
أي هكذا نزل تفسير الآية أو تأويلها، وقد مرَّ مراراً أنَّ القرآن نزل بنصِّه وببيانه كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.
ثمَّ إنَّ الآية التالية وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ تفسيرها أو تأويلها بغياب الإمام عليه السلام كما مرَّ.

[٣] **(إن تلووا أوتعرضوا):**
الآية في سورة النِّساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي دائمي القيام بالعدل وذلك بالمواظبة والاجتهاد، ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ لوجه الله بأن

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَنُذِيقَنَّ[٤] ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِتَرْكِهِمْ وَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٧].

تكون شهادتكم بالحق، ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ بضررها، ﴿أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ أي ولو كانت الشهادة بضررهم، ﴿إِن يَكُنْ﴾ المشهود له أو المشهود عليه ﴿غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا تمتنعوا عن أداء الشهادة تهاوناً بالفقير وخوفاً أو حشمة من الغني، ﴿فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ بأن تراعوه، أو بمعنى فالله أنظر لهما فلذا لا تتعدّوا أحكامه لمراعاتهم، ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ بالشهادة الباطلة أو كتمان الشهادة الحقَّة ﴿أَن تَعْدِلُوا۟﴾ أي لأجل أن تنحرفوا عن الحقّ من «العدول»، ﴿وَإِن تَلْوُۥٓا۟﴾ التبديل تحريفاً ﴿أَوْ تُعْرِضُوا۟﴾ بالترك والكتمان ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ﴾ يُجازيكم على فعلكم، لأنّه ﴿كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

وأهم ما تمَّ صرفه عن أهله أو كتمان أمره هو الخلافة، فغصبها البعض وسكت عن هذه الظلامة آخرون، كما أنَّ البعض حرَّف الأحاديث الدالة عليها، أو غيَّر معنى الآيات الواضحة فيها، والبعض الآخر كتم شهادته فيها.

[٤] **(وفي قوله فلنذيقن...) إلخ:**

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ عارضوه باللغو والباطل لتشوّشوا عليه، ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ محمَّداً صلى الله عليه وآله، لكن لا أحد يغلب إرادة الله تعالى ﴿فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ في الدُّنيا، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي أسوأ الجزاء، أو بمعنى أنَّا نُجازيهم بأقبح أعمالهم، وأمَّا أعمالهم الحسنة فلا جزاء عليها ـ لا خيراً ولا شراً ـ بل تُحبط وتصير هباءً منثوراً.

وما ذكره الإمام عليه السلام تفسير للآية بالمصداق، لأنَّ المنافقين والكفَّار فعلوا ذلك في آيات الولاية فصرفوها عن معناها أو كتموا المعنى، لكنَّ الله يُذيقهم العذاب الشديد في الدُّنيا وفي الآخرة.

٤٦ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ صَبِيحٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام[١] ....

إن قلت: إنَّ الغاصبين تمتَّعوا بدُنياهم، وابتلى المؤمنين بالمصائب أكثر ممَّا ابتلي هؤلاء.

فالجواب: أنَّ التلذُّذ بالحُطام لا يُقاس بالخسارة المعنوية في أنفسهم وذرِّيَّاتهم، وذكرهم السيِّء، وحرمانهم من التوفيق للطاعات واجتناب المعاصي، والعذاب لحظة الاحتضار والموت حيث يقول لهم الملائكة: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾(١)، هذا مضافاً إلى عذابهم في الرجعة، أو اعتبار عذاب البرزخ من عذاب الدُّنيا أيضاً.

فالحاصل: أنَّ الله يُعذِّبهم في الدُّنيا بثلاثة أُمور:

١ ـ الضرر المعنوي، والذِّكر السيِّء، ولحوق العار بهم وبذرِّيَّاتهم، قال تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً﴾.

٢ ـ الحرمان من الفيوضات الإلٰهيَّة، من التوفيق للطاعات واجتناب المعاصي وخدمة أهل الحق.

٣ ـ العذاب لحظة الاحتضار، وحين الموت، وفي الرجعة، وكذا في القبر ـ إن اعتبر من عذاب الدُّنيا ـ.

الحديث السادس والأربعون:

[١] **(عن أبي عبد الله عليه السلام . . .) إلخ:**

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حين يرون العذاب والنَّار يكرهون أنفسهم ويمقتونها حيث فعلوا ما استحقوا هذا العذاب، فـ﴿يُنَادَوْنَ﴾ والمُنادي هم الملائكة: ﴿لَمَقْتُ ٱللَّهِ﴾ وغضبه عليكم ﴿أَكْبَرُ﴾ أي أشدّ ﴿مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ﴾ أي هل تذكرون الوقت الذي كنتم ﴿تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ

---

(١) سورة الانعام: الآية ٩٣.

ذٰلِكَ ﴿بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ﴾ وَأَهْلُ الْوَلَايَةِ[٢] ﴿كَفَرۡتُمۡ﴾ [غافر: ١٢].

﴿فَتَكۡفُرُونَ﴾ فهذا هو سبب مقتكم لأنفسكم وغضب الله عليكم، ﴿قَالُواْ﴾ وهم معترفون أذلّاء ﴿رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ﴾ فلذا نضجت أفكارنا وانكشف الغطاء عنَّا، والموتة الأُولى حينما كانوا تراباً، والحياة الأُولى حين ولدوا في الدُّنيا، والموتة الثانية في الدُّنيا، والحياة الثانية في المحشر، وفي بعض الأخبار تأويلها بالرجعة، وحيث انكشفت الحقائق ﴿فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ﴾ من العذاب ﴿مِّن سَبِيلٖ﴾؟ والجواب: كلّا فعذابكم مستمر فـ﴿ذَٰلِكُم﴾ العذاب ﴿بِأَنَّهُۥٓ﴾ أي بسبب أنّه ﴿إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ﴾ بالتوحيد، ﴿وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْ﴾ بالشركاء، ﴿فَٱلۡحُكۡمُ﴾ في عذابكم ﴿لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ﴾ ولا يتمكن شركاؤكم من إنقاذكم من هذا العذاب.

[٢] **(وأهل الولاية):**

وهذا من التأويل أو التفسير بالمصداق، وفي تفسير القمِّي عن الإمام الصَّادق عليه السلام يقول: «إذا ذكر الله وحده بولاية من أمر الله بولايته كفرتم، وإن يشرك به من ليست له ولاية تؤمنوا بأنَّ له ولاية»[١].

وقد مرَّ أنَّ اصطفاء الخلفاء وتعيينهم بيد الله وحده، وهؤلاء زعموا أنَّ الاختيار بيدهم، فأشركوا أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[٢]، فمعنى هذا الحديث ذلكم إذا دُعي الله وحده بأنَّه هو الذي يختار الخلفاء كفرتم، ولكن لو أشركتم أنفسكم في الاختيار حينذاك تُؤمنون بشركائكم الَّذين زعمتم.

وفي بعض الأحاديث ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني بني أُميَّة، و﴿تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ يعني ولاية علي عليه السلام[٣].

---

(١) البرهان: ج٨، ص٤١٩.

(٢) سورة القصص: الآية ٦٨.

(٣) البرهان: ج٨، ص٤١٨.

٤٧ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى[١]: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ * لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ ﴿لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾ [المعارج: ١-٢]، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا وَاللَّهِ نَزَلَ بِهَا جَبْرَئِيلُ عليه السلام[٢] عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله.

الحديث السابع والأربعون:

[١] (في قوله تعالى...) إلخ:

عن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: «لما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام يوم غدير خم وقال: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه» شاع ذلك في البلاد، فقَدِم على النَّبيّ صلى الله عليه وآله النعمان بن الحارث الفهري فقال: أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلَّا الله وأنَّك رسول الله، وأمرتنا بالجهاد والحجّ والصوم والصلاة والزكاة، فقبلناها، ثم لم تَرضَ حتَّى نصبت هذا الغلام فقلت: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»!! فهذا شيء منك أو أمر من الله؟ قال: بلى ـ والله الَّذي لا إله إلَّا هو ـ إنَّ هذا من الله، فولَّى النعمان بن الحارث وهو يقول: اللَّهمَّ إن كان هذا هو الحقّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السَّماء!! فرماه الله بحجرٍ على رأسه فقتله، فأنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾(١).

وهذا شأن نزول الآية، ولكن معناها عامٌّ فتشمل قتل المشركين في بدر، وعذاب الكفَّار عند ظهور القائم عجَّل الله تعالى فرجه الشريف، كما في الأحاديث(٢).

[٢] (هكذا والله نزل بها جبرئيل عليه السلام):

أي نزل ببيانها، فإنَّ التفسير والتأويل أيضاً نزل به جبرئيل على الرسول صلى الله عليه وآله قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ﴾(٣) وقد مرَّ مراراً تفصيله.

(١) البرهان: ج١٠، ص٥٢ عن مجمع البيان، والروايات بهذا المعنى مُستفيضة فراجعها في المصدر.

(٢) راجعها في المصدر: ص٤٨ ـ ٥٤.

(٣) سورة القيامة: الآية ١٩.

٤٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَيْفٍ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ فِي أَمْرِ الْوَلَايَةِ ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٨-٩]، قَالَ: مَنْ أُفِكَ عَنِ الْوَلَايَةِ أُفِكَ عَنِ الْجَنَّةِ.

ويُؤيد كون المُراد التأويل أو التفسير ما رواه الكليني رضوان الله عليه في روضة الكافي: هكذا والله نزل بها جبرئيل على محمَّد صلى الله عليه وآله وهكذا هو والله مثبت في مصحف فاطمة(١).

وأمَّا سؤاله فقد أشارت إليه آية أُخرى قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٢)، هذا هو الأشدّ في الجحود، أراد به التهكُّم وإظهار الجزم التام على كونه باطلاً، وكان هذا العذاب حين خروجه عن المدينة جاحداً غير مستغفر، ولو بقي في المدينة أو استغفر لما عذَّبه الله تعالى حيث قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٣).

الحديث الثامن والأربعون:

[١] **(عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى....) إلخ:**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ البعث بعد الموت ﴿لَصَادِقٌ﴾ أي صدق لا بُدَّ من وقوعه، ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ﴾ الجزاء ﴿لَوَٰقِعٌ﴾ حتماً، ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ قسماً بالسَّماء ﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ أي الطرق، فتهبط الملائكة إلى الأرض من السَّماء، ومحل عبورها طريق لها، ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيُّها البشر ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ في تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله بين قائل بأنَّه شاعر أو مجنون أو كاهن...إلخ، وكذا في

---

(١) الكافي: ج٨، ص٥٧ ـ ٥٨.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٣.

٤٩ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ يُونُسَ قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ رَفَعَهُ إِلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]:

تكذيب القرآن بين قائل بأنّه سحر أو أساطير.. .إلخ، وهذا دليل عدم استنادهم إلى برهان، بل كان غرضهم التسقيط، لذا ابتدعوا في كل مرّة فرية، ﴿يُؤْفَكُ﴾ أي يُصرف عن الإيمان به ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ أي من صرف عن الحقّ وعن طريق الجنّة، فالمعنى: أنَّ الذي لم يؤمن بالرسول محمّد صلى الله عليه وآله لا طريق له إلى الجنّة.

ومن المعلوم أنَّ قولهم المختلف في الرسول صلى الله عليه وآله وفي القرآن صار سبباً لعدم قبول الولاية، أو أنَّ نزول الولاية صار سبباً لقولهم المختلف في الرسول صلى الله عليه وآله وفي القرآن الكريم.

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «وأمّا قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ فإنّه عليّ، يعني أنّه لمختلف عليه، اختلفت هذه الأُمَّة فمن استقام على ولاية علي عليه السلام دخل الجنّة، ومن خالف ولاية علي أُدخل النّار، وأمّا قوله تعالى: ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ قال: يعني عليّاً، من أُفك عن ولايته أفك عن الجنّة»(١).

الحديث التاسع والأربعون:

[١] **(في قول الله عزَّ وجلَّ...) إلخ:**

إنَّ الله تعالى أنعم على الإنسان بنِعَم كثيرة، ومنها: أنّه جعل له وسيلة معرفة الخير من الشّر ـ أعضاء وعقلاً ـ فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾، لكن الإنسان لم يشكر هذه النِّعم فلا اهتدى ولا عمل الخير إلَّا القليل، فقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ الاقتحام هو الدخول بشدَّة، والعقبة هي الطريق الوَعيرة في الجبل، والمقصود هنا الأمر الصعب، فإنَّ الولاية صعبة وذلك لسيطرة الظالمين على مقاليد

---

(١) البرهان: ج٩، ص٢١٢ عن تفسير القمّي.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١١-١٣] **يَعْنِي بِقَوْلِهِ[٢]: «فَكُّ رَقَبَةٍ» وَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَإِنَّ ذَلِكَ فَكُّ رَقَبَةٍ.**

الأمور عادة، وكذا أعمال الخير صعبة على أكثر النَّاس وخاصَّة في الأمور المالية، ثمَّ إنَّ الله تعالى عظَّم شأن هذه العقبة فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾؟ إنَّ العقبة هي ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ عتقها، ﴿أَوْ﴾ بمعنى الواو، يعني من مصاديق العقبة ﴿إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ مجاعة، من «السغب» وهو الجوع، فيُطعم.

[٢] **(يعني بقوله...) إلخ:**

فسّرت ﴿ٱلْعَقَبَةَ﴾ في الروايات بالولاية ـ إمَّا تأويلاً أو بياناً للمصداق ـ، وسيأتي في الحديث الثامن والثمانين من هذا الباب عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «من أكرمه الله بولايتنا فقد جاز العقبة، ونحن تلك العقبة التي من اقتحمها نجا ـ إلى أن قال عليه السلام ـ: النَّاس كلّهم عبيد النَّار غيرك وغير أصحابك، فإنَّ الله فكّ رقابكم من النَّار بولايتنا أهل البيت».

إذاً فالعقبة هي الولاية ـ تأويلاً أو مصداقاً ـ ثمَّ بيَّنها الله تعالى بقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ أي هي سبب فكّ الرقبة، وفي المرآة: استعار العقبة للولاية لصعوبة ارتكابها، ثمَّ حمل عليها فكّ رقبة مبالغةً، لأنَّ الولاية سبب فكّ الرقبة من عذاب الله، فكأنَّ الولاية فكّ الرقبة نفسه، أو من باب حمل المصدر على المتصف به مثل «زيد عدل» فالمعنى: فاكّة رقبة، وكذا الإطعام فإنَّ الولاية سبب له(١). لأنَّهم عليهم السلام يعلّمون العلم فشُبّه بالإطعام، أو لأنَّهم في يوم القيامة يطعمون المؤمنين، وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «ونحن المُطعمون في يوم الجوع وهو المسغبة»(٢).

---

(١) المرآة: ج٥، ص٦٤ ـ بتصرُّف ـ

(٢) البرهان: ج١٠، ص٢٨٦.

٥٠ - وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[١] [يونس: ٢] قَالَ: وَلَايَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

الحديث الخمسون:

[١] **(وبشّر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربّهم):**

قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ استفهام لإنكار تعجُّبهم من بعث رجل رسولاً ﴿أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ﴾ فإنّه لا وجه لتعجُّبهم أصلاً، فكلّ الأنبياء السابقين هم من البشر، والوحي هو ﴿أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾ الّذين يكفرون ويرتكبون الآثام، ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم وألسنتهم وعملهم ﴿أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي لا تزلّ قدمهم في المحشر، كما أنَّ الإنسان الصَّادق لا تزلّ قدمه في المحكمة، وسبب ثبوت قدمهم هو إيمانهم والشفاعة، فأمَّا الإيمان فمن أركانه الولاية، وأمَّا الشفاعة فإنَّ من شروطها الولاية أيضاً.

ولا يخفى أنَّ «القدم» تطلق على السابقة أيضاً، لأنَّ السبق إنَّما هو بالقدم فلذا سُمِّيت السابقة بالقدم، كما أنَّ النعمة باليد عادة لذا سُمِّيت النعمة يداً، ففي المحشر من كان له سابقة إيمان ثبتت قدمه بذلك الإيمان وبالشفاعة.

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «قدم صدق هو رسول الله صلى الله عليه وآله»، والمُراد شفاعته صلى الله عليه وآله كما عن الإمام الصَّادق عليه السلام: «إنَّ معنى قدم صدق شفاعة محمَّد صلى الله عليه وآله»، وعنه عليه السلام: «بولاية أمير المؤمنين عليه السلام» وفي تفسير الصافي: وهذا لأنَّ الولاية من شروط الشفاعة وهما متلازمان(١).

---

(١) راجع هذه الروايات في تفسير الصافي: ج٣، ص٤٩٤ عن مجمع البيان والكافي والعياشي والقمّي.

٥١ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَرْقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩].

الحديث الحادي والخمسون:

﴿هَٰذَانِ﴾ المؤمنون من جهة والكفّار من جهة أُخرى ﴿خَصْمَانِ﴾ والخصم يُطلق على المُفرد وعلى الجمع ﴿ٱخْتَصَمُوا۟﴾ جميعهم ﴿فِى رَبِّهِمْ ۖ﴾ في ذاته وصفاته ورسله وما أنزله تعالى ـ والولاية ممّا أنزله سبحانه ـ.

ولخصومة المؤمنين مع الكافرين مصاديق متعدِّدة:

منها: معركة بدر، حيث رُوي أنَّ شأن نزول الآية في أمير المؤمنين علي عليه السلام وحمزة وعبيدة رضوان الله عليهما وهم من بني هاشم، حيث برزوا لعتبة وشيبة والوليد وهم من بني أُميَّة[1].

ومنها: بنو أُميَّة عامَّة مع أهل البيت عليهم السلام، فعن النضر بن مالك قال: قلت للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام: يا أبا عبد الله حدِّثني عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ﴾ قال: نحن وبنو أُميَّة، اختصمنا في الله عزَّ وجلَّ، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله، فنحن وإيَّاهم الخصمان يوم القيامة.

ومنها: المؤمنون، وفِرَقُ الكفَّار المذكورين قبل هذه الآية بآيتين، حيث قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾.

ثُمَّ بيَّن الله مصير كلّ من الفرقتين فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ﴾ أي فصِّلت ﴿لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ إمَّا بمعنى أنَّ النار تشتملهم من كلّ جانب كالثوب، أو بمعنى أنَّهم يُلبسون ثياباً من نحاس تُوقد فيها النَّار، ﴿يُصَبُّ

---

(١) البرهان: ج٦، ص٥٢٨.

٥٢ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤] قَالَ: وَلَايَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

٥٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[١] [البقرة: ١٣٨] قَالَ: صَبَغَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْوَلَايَةِ

﴿مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾ الماء الحار، لتعذب رؤوسهم بالحرارة كما تعذب سائر أعضائهم بالثياب، ﴿يُصْهَرُ﴾ يُذاب ﴿بِهِۦ﴾ بذلك الماء الحميم ﴿مَا فِى بُطُونِهِمْ﴾ الأعضاء الداخلية ﴿وَٱلْجُلُودُ﴾ فهو ماء يشمل داخل الجسم وظاهره، وله حرارة تُذيب الأعضاء والجلد، ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ﴾ جمع مقمعة وهي أعمدة كالسياط ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ يضربون بها، ثمَّ بعد ذلك يُبيِّن الله نعيم المؤمنين في الآيات التالية.

والحاصل: أنَّ الكافرين بالولاية من مصاديق الخصم الكافر، أو أنَّها شأن نزول الآية مع بقائها على عمومها.

الحديث الثاني والخمسون:

مرَّ هذا الحديث في الحديث الرابع والثلاثين من هذا الباب فراجع.

الحديث الثالث والخمسون:

[١] **(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة):**

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ أي الزموا صبغة الله، أو قولوا: صبغنا الله صبغة، وهي الفطرة التي فطر النَّاس عليها، ومن الواضح أنَّ الإسلام والولاية من الفطرة، ولذا فسّرت «الصبغة» في الروايات بهما[١]، وفي تفسير الصافي:

---

(١) راجع البرهان: ج٢، ص٧ ـ ٨.

فِي الْمِيثَاقِ[٢].

٥٤ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ فَضَّالٍ، عَنِ الْمُفَضَّلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الْحَلَبِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ

وقيل: سُمّي صبغة لأنَّه ظهر عليهم أثره كظهور الصبغ على المصبوغ، وتداخل قلوبهم تداخل الصبغ الثوب، للمشاكلة، فإنَّ النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يُسمّونه المعموديَّة ويقولون: هو تطهير لهم وبه تحقّق نصرانيتهم(١)، فيُقال لهم: إنَّ الصبغة الحقيقيَّة هي الإسلام والولاية، لا الصبغ الظاهرية بالغمس في الماء الأصفر!!

[٢] (صبغ المؤمنين بالولاية في الميثاق):
أي عالم الذَّرّ، فالمعنى: الزموا وتمسكوا بالولاية التي صبغ الله المؤمنين بها في الذَّرّ وجعلها في فطرتهم.

الحديث الرابع والخمسون:

[١] (في قوله عزَّ وجلَّ...) إلخ:
من دعاء نوح عليه السلام: يا ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي﴾ وإنَّما استغفاره من المباحات الضرورية، فإنَّ الأنبياء يرونها خلافاً للأدب أمام الله الملك العظيم، كما أنَّ من مدَّ رجله لمرض ونحوه أمام الملك رآه سوء أدب وإن كان مضطراً إليه واعتذر من فعله ـ كذا في التقريب(٢) ـ، واغفر ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا﴾ كناية عن الدخول في حوزه وأنصاره ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ من سائر الأُمم السابقين واللاحقين، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ أي خسارة وهلاكاً، وذلك بمنع الألطاف عنهم، فإنَّهم ليسوا محلّاً قابلاً للهداية.

---

(١) تفسير الصافي: ج١، ص٢٨٩ ـ ٢٩٠.
(٢) تقريب القرآن: ج٥، ص٥٢٣.

مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨]. **يَعْنِي الْوَلَايَةَ[٢]، مَنْ دَخَلَ فِي الْوَلَايَةِ دَخَلَ فِي بَيْتِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾** [الأحزاب: ٣٣] **يَعْنِي الْأَئِمَّةَ عليهم السلام وَوَلَايَتَهُمْ[٣]، مَنْ دَخَلَ فِيهَا دَخَلَ فِي بَيْتِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله[٤].**

---

[٢] **(يعني الولاية):**

الظاهر أنَّ الإمام عليه السلام جمع بين آيتين للدلالة على أنَّ المؤمنين هم داخلون في ولاية النَّبي صلى الله عليه وآله فيشملهم دعاؤه بالمغفرة.

فالآية الأولى: تدلُّ على أنَّ «بيتي» وهو بيت نوح عليه السلام بمعنى ولايته، لوضوح أنَّه لا مدخلية في الدُّعاء لدخول منزل نوح الَّذي كان يسكنه، بل المعنى من دخل في حوزته وولايته، فهذا داخل في دعاء نوح عليه السلام.

والآية الثانية: تدلُّ على أنَّ للنَّبي صلى الله عليه وآله ولاية عبَّر عنها بـ(البيت)، ولهذا البيت أصحاب وهم الأئمَّة عليهم السلام، فكلّ مَن دخل في هذا البيت ـ أي في ولاية الرَّسول صلى الله عليه وآله ـ يكون مؤمناً، فيشمله دعاء الرَّسول صلى الله عليه وآله، كما دعا نوح عليه السلام لمن دخل بيته.

والحاصل: أنَّ (بيتي) في الآية الأُولى، و(البيت) في الآية الثانية، لا يُراد بهما بيوت الحجر والمدر والطين بل يُراد بهما الولاية، وكما أنَّ الداخل في ولاية نوح يشمله دعاؤه بالمغفرة، كذلك الداخل في ولاية الرَّسول صلى الله عليه وآله ـ وأصحاب ولايته هم الأئمَّة عليهم السلام ـ يشمله دعاء الرسول بالمغفرة.

[٣] **(يعني الأئمَّة عليهم السلام وولايتهم):**

هذا تفسير للكلمتين فـ(أهل) هم الأئمَّة، و(البيت) هي الولاية.

[٤] **(من دخل فيها دخل في بيت النَّبي):**

أي من دخل في ولايتهم عليهم السلام كان داخلاً في ولاية النَّبي صلى الله عليه وآله، لأنَّ بيت النَّبي صلى الله عليه وآله هو ولايته، وولايته متلازمة مع ولايتهم كما قال صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه»، وكما قال تعالى: **﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**

٥٥ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنِ الرِّضَا عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾[١] [يونس: ٥٨] قَالَ: بِوَلَايَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ عليهم السلام، هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُ هَؤُلَاءِ مِنْ دُنْيَاهُمْ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾(١).

فاتضح أنَّ الإمام فسَّر (البيت) بما ذكرناه، وليس المعنى أنَّ المؤمنين داخلون في (أهل البيت) ـ كما توهم ـ، ولذا قال عليه السلام: «من دخل فيها دخل في بيت النَّبي» ولم يقل: دخل في أهل بيته، فدقِّق.

الحديث الخامس والخمسون:

[١] (خير ممَّا يجمعون):

قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ والموعظة بيان الحقّ بما ترقّ له القلوب، ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من العقائد المنحرفة والرذائل الأخلاقية وبالهموم والأحزان والقلق، ﴿وَهُدًى﴾ دلالة وهداية ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وفي هذا ترتيب لطيف، فأوَّلاً تأتي الموعظة فيرقّ لها القلب، ثمَّ تتغيَّر الفكرة وتحلُّ المشكلات النفسيَّة ممَّا تُوجب هداية المؤمنين وبذلك ينالون رحمته تعالى، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ عليهم بالهداية وتلك كانت عبر الرَّسول صلى الله عليه وآله ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ الَّتي رحم بها العباد، ومن رحمته أن عيَّن الأئمَّة من آل محمَّد صلى الله عليه وآله للنَّاس، فإن فرحوا بشيء ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ﴾ الضمير راجع إلى «ذلك» المُراد به الفضل والرَّحمة ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من حطام الدُّنيا، وخاصَّة ما يجمعه المخالفون من الأهل والمال والولد في دار الدُّنيا.

وفي التقريب: كأنَّ الإتيان بـ «الفاء» مكرَّرة لنكتة بلاغية، هي لأجل أن يبقى في النَّفس مجال للتملّي من الفضل والرَّحمة، ولذلك جيء بقوله:

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

٥٦ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَسْبَاطٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ زَيْدٍ الشَّحَّامِ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ـ وَنَحْنُ فِي الطَّرِيقِ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ ـ: اقْرَأْ فَإِنَّهَا لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ قُرْآناً[١]. فَقَرَأْتُ: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ كَانَ ﴿مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ * يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ﴾[٢] [الدخان: ٤٠-٤٢]،

«فبذلك» أيضاً مع غناء الكلام عنه وهو بدل من «بفضل الله»(١).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ نبوّة نبيّكم، ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ قال: بالنُّبوّة والولاية، ﴿فَلْيَفْرَحُواْ﴾ يعني الشيعة ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ يعني مخالفيهم من الأهل والمال والولد في دار الدُّنيا(٢).

الحديث السادس والخمسون:

[١] **(اقرأ ـ فإنّها ليلة الجمعة ـ قرآناً):**

يدلُّ على زيادة الاستحباب في تلاوة القرآن واستماعه في ليلة الجمعة.

[٢] **(إلا من رحم الله):**

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من الكواكب والنُّجوم ونحوهما ﴿لَـٰعِبِينَ﴾ عبثاً، فإنَّ اللعب هو الفعل الَّذي لا غرض فيه، ويتعالى سبحانه عن ذلك، ﴿مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ غاية صحيحة هي طاعة البشر كما قال: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(٣) وهي تقتضي إثابة المحسن وعقاب المُسيء، ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ أكثر النَّاس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ الخلق بالحقّ ولأجل الطاعة، ولا يمكن الحثّ على الطاعة

---

(١) التقريب: ج٢، ص٥٣٤.

(٢) تفسير الصافي: ج٣، ص٥٢٢ عن المجالس للصدوق.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: نَحْنُ وَاللَّهِ الَّذِي رَحِمَ اللَّهُ[٣]، وَنَحْنُ وَاللَّهِ الَّذِي اسْتَثْنَى اللَّهُ، لَكِنَّا نُغْنِي عَنْهُمْ.

إلَّا عبر الجزاء فلذا ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ القيامة حيث يفصل فيه بين المحق والمبطل ﴿مِيقَـٰتُهُمْ﴾ وقت حساب النّاس ﴿أَجْمَعِينَ﴾، ولا يتصوَّر أحد أنَّه يمكنه النجاة من غير إيمان وعمل صالح ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى﴾ لا يفيد ﴿مَوْلًى﴾ أي وليّ بقرابة أو صداقة أو سيادة ﴿عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا﴾ ولو قليلاً من الفائدة لتخفيف الإثم ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ لإنقاذهم من العذاب، فلا مولى يُفيد ولا أحد ينصر ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ بأن أذن الله بالشفاعة فهو مولىً يُغني، وكذا من ارتضاه الله فهو مولىً يستفيد من شفاعة مولاه، ﴿إِنَّهُۥ﴾ تعالى ﴿هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ فلا ينجو من أراد الله عقابه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ لمن أراد أن يرحمه.

[٣] **(نحن والله الذي رحم الله....) إلخ:**
فمن رحمته عليهم عليهم السلام هو أن أذن لهم الرَّحمٰن تعالى بالشفاعة، كما أنَّ المشفوع لهم هم أُناس ارتضاهم الله تعالى إذ كانوا محلّاً قابلاً للشفاعة، قال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾(١)، فلذا هؤلاء أيضاً شملتهم رحمة الله تعالى حيث أذن الله للشفعاء ليشفعوا لهم.
فرحمته تعالى شملت أهل البيت عليهم السلام أوّلاً وبالذات، ثمَّ بشفاعتهم شملت أولياءهم التابعين لهم، فلذا هم موالي يُغنون عن مواليهم.
وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «والله ما استثنى الله عزَّ ذكره بأحد من أوصياء الأنبياء ولا أتباعهم ما خلا أمير المؤمنين وشيعته، فقال في كتابه وقوله الحق: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ﴾ يعني بذلك عليّاً عليه السلام وشيعته»(٢).
والسِّرّ في ذلك، أنَّ صحَّة العقيدة هي شرط قبول التوبة والغفران

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٨.
(٢) الكافي: ج٨، ص٣٥.

٥٧ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَالِمٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[١] [الحاقّة: ١٢]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «هِيَ أُذُنُكَ يَا عَلِيُّ».

والشفاعة ثم دخول الجنَّة، وحيث إن الولاية من أُصول الدِّين فلا شفاعة من دونها.

الحديث السابع والخمسون:

[١] **(وتعيها أذن واعية):**

بعد أن ذكرت الآيات السابقة إهلاك عادٍ وثمود وفرعون والَّذين قبله وقوم لوط، بعد ذلك بيَّن الله تعالى نجاة المؤمنين فقال: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ زمان نوح عليه السلام ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ وإنَّما نسب الحمل إليهم لأنَّهم كانوا من ذرِّيَّة الَّذين حُملوا، حيث كانوا في أصلابهم، ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ أي السفينة الَّتي كانت تجري في المياه، ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي نجعل هذه الفعلة ـ وهي النجاة في السفينة ـ ﴿تَذْكِرَةً﴾ تتذكَّرون بها نِعَم الله، ﴿وَتَعِيَهَآ﴾ أي ولتعيها، من «الوعي» بمعنى الإدراك والحفظ ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ الأذن الَّتي تستمع وتعي، وقد استفاضت الروايات من العامَّة والخاصَّة في أنَّ الرَّسول صلى الله عليه وآله دعا الله أن يجعلها أُذن الإمام عليّ عليه السلام، فاستجاب الله تعالى دعاءه(١).

وفي الصافي: لمَّا نزلت قال صلى الله عليه وآله: «اللَّهمَّ اجعلها أُذن عليّ، ثم قال عليّ عليه السلام: فما سمعت شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وآله فنسيته»، وزاد في أُخرى: «وما كان لي أن أنسى»(٢).

وفي الكشاف: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تُضيّعه بترك العمل، وكلّ ما حفظته في نفسك فقد وعيته، وما حفظته في غير نفسك فقد أوعيته، وعن النَّبي صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم أنَّه قال

---

(١) راجع بعض هذا الروايات في تفسير البرهان: ج١٠، ص٣٢ ـ ٣٥.

(٢) تفسير الصافي: ج٧، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨.

٥٨ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: نَزَلَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام[١] بِهَذِهِ

لعليّ رضي الله عنه ـ عند نزول هذه الآية ـ: «سألت الله أن يجعلها أُذنك يا عليّ»، قال عليّ رضي الله عنه: فما نسيت شيئاً بعد، وما كان لي أن أنسى، فإن قلت: لم قيل: ﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ على التوحيد والتنكير؟ قلت: للإيذان بأنَّ الوعاة فيهم قلّة، ولتوبيخ النّاس بقلّة من يعي منهم، وللدلالة على أنَّ الأُذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله، لأنَّ ما سواها لا يُبالى بهم بالةً وإن ملئوا ما بين الخافقين(١).

وفي المرآة: فاعلم أنَّه دلَّت الآية ـ باتفاق الفريقين ـ على كمال علمه واختصاصه من بين سائر الصحابة بذلك، ولا يريب عاقل في أنَّ فضل الإنسان بالعلم، وأنَّ العمدة في الخلافة ـ الَّتي هي رئاسة الدِّين والدُّنيا ـ العلم، والآيات والأخبار المتواترة دالة على ذلك، فثبت أنَّه عليه السلام أولى بالخلافة من سائر الصحابة، وأنَّه لا يجوز تفضيل غيره عليه(٢).

الحديث الثامن والخمسون:

[١] **(نزل جبرئيل عليه السلام. . .) إلخ:**

أي نزل بتفسيرها أو تأويلها ـ كما مرَّ مراراً ـ ﴿وَإِذْ﴾ أي اذكروا الوقت الذي ﴿قُلْنَا﴾ لأسلافكم ﴿ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ أريحا حين خرجوا من التيه بعد أربعين سنة، ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ واسعاً مرفهاً بلا تعب، ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ لله شكراً على انتهاء التيه، ﴿وَقُولُوا۟﴾ مسألتنا ودعاؤنا ﴿حِطَّةٌ﴾ أي حطّ الذُّنوب ـ غفرانها ـ، فإن فعلتم ذلك ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَـٰيَـٰكُمْ﴾ الماضية، ﴿وَسَنَزِيدُ﴾ على الغفران ثواباً لـ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ لم يسجدوا

---

(١) الكشاف: ج٤، ص٤٥٣ ـ ٤٥٤.

(٢) المرآة: ج٥، ص٧٥.

الْآيَةِ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ هَكَذَا: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ[٢] ﴿قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ ﴿رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البَقَرَة: ٥٩].

كما أُمروا، ولا قالوا ما أمروا، وقالوا ما معناه: حنطة حمراء نتقوّت بها أحبُّ إلينا من هذا الفعل وهذا القول!! ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا﴾ عذاباً ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ وهو الطاعون ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ يخرجون عن طاعة الله تعالى.

[٢] (آل محمَّد حقّهم):

هذا المقطع يحتمل التنظير والتفسير.

أمّا التنظير: فإنَّ الغرض من ذكر القصص في القرآن هو الاتعاظ والعبرة كما قال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١) فكما كان في بني إسرائيل باب حطّة وكان يجب عليهم السُّجود وطلب المغفرة عنده، كذلك آل محمَّد ﷺ هم باب حطّة هذه الأُمّة، فعلى النَّاس جعلهم الوسيلة واتباعهم والخضوع لهم، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «نحن باب حطّتكم»(٢)، وكما أنَّ الله عذّب الَّذين بدّلوا من بني إسرائيل كذلك يُعذّب من خالفوا آل محمَّد ﷺ في الدُّنيا والآخرة.

وأمّا التفسير: فعن الإمام العسكري عليه السلام: ﴿وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ مثّل الله عزَّ وجلَّ على الباب مثال محمَّد ﷺ وعلي عليه السلام، وأمرهم أن يسجدوا تعظيماً لذلك المثال، ويجدّدوا على أنفسهم بيعتهما وذكر موالاتهما وليذكر العهد والميثاق المأخوذَين عليهم لهما، ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ أي قولوا: إنَّ سجودنا لله تعالى تعظيم لمثال محمَّد وعلي صلوات الله عليهما واعتقادنا بولايتهما حطّةٌ لذنوبنا ومحو لسيِّئاتنا... الحديث(٣).

---

(١) سورة يوسف: الآية ١١١.

(٢) البرهان: ج١، ص٤٠٦ عن العياشي.

(٣) المصدر نفسه: ج١، ص٤٠١ ـ ٤٠٢ عن تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

٥٩ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: نَزَلَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام بِهَذِهِ الْآيَةِ هَكَذَا[١]: إِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا * إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ثُمَّ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾

الحديث التاسع والخمسون:

[١] **(نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا...) إلخ:**

أي نزل بتفسيرها هكذا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، بالله ﴿وَظَلَمُوا﴾ بصدّهم عن سبيل الله ـ المذكور في الآية السابقة ـ، أو ظلموا رسول الله محمَّداً صلى الله عليه وآله بإنكار نبوّته ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾ ذنوبهم، ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ لعنادهم وعتوّهم ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ أي الإلقاء في جهنّم، أو بمعنى الإملاء لهم ليزدادوا إثماً فإنَّ ذلك طريق موصلة إلى جهنّم، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ في جهنّم ﴿أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ﴾ إدخالهم خالدين فيها ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٦٩) يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾ ومن الحقّ ولاية الإمام عليّ عليه السلام ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ أي إيماناً خيراً لكم، أو آتوا أمراً خيراً لكم، أو يكن الإيمان خيراً لكم، ﴿وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾ فإنّكم تضرّون أنفسكم ولا يتضرّر الله بكفركم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

وحاصل تفسير الإمام عليه السلام ـ الذي نزل به جبرئيل ـ هو أنَّ الصدّ عن سبيل الله تعالى هو ظلم آل محمَّد صلى الله عليه وآله، حيث إنَّ منعهم عن السلطة سبب انحراف النَّاس عن سبيل الله، فكان ذلك ظلماً لهم عليهم السلام وظلماً لعامّة النَّاس حيث مُنِعُوا عن اتباعهم عليهم السلام إلّا القليل منهم، كما أنّه ظلم الغاصبين لأنفسهم حيث منعوها رحمة الله وجرّوا على أنفسهم غضبه سبحانه.

فِي وَلَايَةِ عَلِيٍّ ﴿فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا﴾ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٦٦ ـ ١٧٠].

٦٠ ـ أَحْمَدُ بْنُ مِهْرَانَ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ، عَنْ بَكَّارٍ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: هَكَذَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ فِي عَلِيٍّ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [النساء: ٦٦].

٦١ ـ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ، عَنِ ابْنِ أُذَيْنَةَ، عَنْ مَالِكٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] قَالَ: مَنْ بَلَغَ أَنْ يَكُونَ إِمَاماً مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ يُنْذِرُ بِالْقُرْآنِ، كَمَا يُنْذِرُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله.

٦٢ ـ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مَيَّاحٍ، عَمَّنْ أَخْبَرَهُ قَالَ: قَرَأَ رَجُلٌ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

الحديث الستون:

مرَّ هذا الحديث في الرقم الثامن والعشرين من هذا الباب، وإنَّما كرَّره هنا ليعلو السند، فهناك وسائط إلى بكار، وهنا واسطتان فقط.

الحديث الحادي والستون:

مرَّ هذا الحديث في الرقم الحادي والعشرين من هذا الباب، إلَّا أنَّه كرَّره لتعدُّد السند إلى ابن أُذينة، ولعلوِّه في هذا السند.

الحديث الثاني والستون:

قد مرَّت روايات في أنَّ «المؤمنين» في هذه الآية هم الأئمَّة عليهم السلام، فراجع (باب عرض الأعمال على النَّبي صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام).

وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥] فَقَالَ: لَيْسَ هَكَذَا هِيَ، إِنَّمَا هِيَ «وَالْمَأْمُونُونَ[١]»، فَنَحْنُ الْمَأْمُونُونَ.

٦٣ ـ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «هَذَا صِرَاطُ عَلِيٍّ مُسْتَقِيمٌ»[١].

---

[١] (ليس هكذا هي إنَّما هي والمأمونون):

في المرآة: وقد مضت أخبار كثيرة في باب عرض الأعمال عليهم عليهم السلام على القراءة المشهورة، وتفسير المؤمنين فيها بالأئمَّة عليهم السلام، فيحتمل أن يكون المُراد هنا أيضاً ذلك، أي ليس المُراد بالمؤمنين هنا ما يقابل الكافرين ليشمل كلّ مؤمن، بل المُراد به كُمَّل المؤمنين، وهم المأمونون عن الخطأ المعصومون عن الزلل وهم الأئمَّة عليهم السلام، ويحتمل أن يكون في مصحفهم عليهم السلام المأمونون(١).

والصحيح هو الاحتمال الأوَّل، وقد مرَّ سابقاً أنَّ قراءة الأئمَّة عليهم السلام كانت هي هذه القراءة المشهورة، فراجع.

الحديث الثالث والستون:

[١] (هذا صراط عليّ مستقيم):

أي فَسَّر الإمام عليه السلام ﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ﴾ في هذه الآية بأنَّه صراط الإمام عليّ عليه السلام، وذلك لأنَّ الصِّراط المستقيم هو الإمام عليه السلام، فقوله عليه السلام: «صراطُ عليٍّ» تفسير لقوله تعالى: ﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ﴾ وليس المُراد أنَّ القراءة هكذا. وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾؟ قال: «هو والله عليّ عليه السلام، هو والله الميزان والصِّراط المستقيم»(٢).

---

(١) المرآة: ج٥، ص٧٩.

(٢) البرهان: ج٥، ص٤٨٧ ـ ٤٨٨.

٦٤ ـ أَحْمَدُ، عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: نَزَلَ جَبْرَئِيلُ بِهَذِهِ الْآيَةِ هَكَذَا[١]: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ﴾ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩].

وأمّا تفسير الآية: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ حيث أمر الله إبليس بالسُّجود لآدم فخالف الأمر فغوى أي ضلَّ، ولو لم يأمره الله بالسُّجود لما عصى لعدم تحقُّق سببه، ﴿لَأُزَيِّنَنَّ﴾ المعاصي ﴿لَهُمْ﴾ لآدم وذرِّيَّته ﴿فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي إضلالهم عن الحقّ، ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ﴾ من ذرِّيَّة آدم ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ أي الَّذين خلَّصتهم لطاعتك وطهَّرتهم من الآثام، والمُراد المعصومون عليهم السلام من الأنبياء والأوصياء، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى في جوابه: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ﴾ مراعاته، أي صراط الحقّ عليَّ مراعاته وذلك بإرسال الرُّسل وإنزال الكتب، وهو صراط ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ لا انحراف فيه، ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ لا سلطة لك حتَّى تغويهم ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ والاستثناء منقطع، فإنَّ الغاوين هم الَّذين يتبعونك.

وهذا كما لو قال أحد لمدير المدرسة: إنِّي سأخدع تلاميذك لئلَّا يحضروا الدرس، فيقول المدير: هذه المدرسة عليَّ، أمَّا من انخدع فسأعاقبه، وأمَّا الطلَّاب الأذكياء فسيتبعون المنهاج(١).

الحديث الرابع والستون:

[١] **(نزل جبرئيل بهذه الآية هكذا):**

أي نزل بتفسيرها هكذا ـ كما مرَّ ـ.

وهذه الجملة تكرَّرت في القرآن مرَّتين:

١ ـ في سورة الإسراء ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾(٢).

---

(١) التقريب: ج٣، ص١٧٢ ـ بتصرُّف ـ.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٩.

قَالَ: وَنَزَلَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام[٢] بِهَذِهِ الْآيَةِ هَكَذَا: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ فِي وَلَايَةِ عَلِيٍّ ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ آلَ مُحَمَّدٍ ﴿نَارًا﴾ [الكهف: ٢٩].

---

٢ ـ في سورة الفرقان ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾(١).

ويمكن أن يكون هذا تفسيراً لكلتا الآيتين، وإن كانت الآية الأُولى أكثر انطباقاً على الولاية حيث إنَّ القرآن حثَّ عليها ونزلت آيات متعدِّدة في فضل أهل البيت عليهم السلام وولايتهم، لكن أكثر النَّاس أعرضوا عنها، وأمَّا الآية الثانية فضمير «صرفناه» يرجع إلى الغيث، وإن كان يمكن تطبيق الآية على الولاية فكما أنَّ الغيث هو منشأ الرَّحمة والبركات فكذا الولاية، وكما أنَّ أكثر النَّاس لم يعتبروا بالغيث فكفروا، كذا بالولاية.

ومعنى الآية الأُولى: بيَّنا للنَّاس وجئنا بالأمثلة المختلفة في أشكال شتَّى، كالإتيان بقصَّة موسى في سبعين شكلاً، وهكذا، وهذا معنى التصريف فإنَّه تقليب الشيء الواحد في صور شتَّى(٢).

[٢] **(ونزل جبرئيل... إلخ):**

نزل بتفسيرها هكذا، وهو تفسير بالمصداق البارز، فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ أي احبسها، بمعنى جالسهم ولا تطردهم عن مجلسك ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ يصلّون ﴿بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ أي في طرفي النَّهار صباحاً ومساءً، ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ رضاه وطاعته، والمقصود أنَّهم مؤمنون ذاكرون الله دائماً، روي أنَّها نزلت في سلمان الفارسي(٣)، ﴿وَلَا تَعْدُ﴾ لا تتجاوز ﴿عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ إلى أبناء الدُّنيا أصحاب الثروة ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ أي مجالسة أهل الغنى، ولم يكن الرَّسول صلى الله عليه وآله يريد ذلك، وإنَّما جاء

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٥٠.

(٢) التقريب: ج٣، ص٣٤٢ ـ ٣٤٣ ـ بتصرُّف ـ.

(٣) البرهان: ج٦، ص٢٢٢.

٦٥ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[١] [الجنّ: ١٨]، قَالَ: هُمُ الْأَوْصِيَاءُ.

النهي إرشاداً وتقريعاً للأُمَّة على طريقة «إيَّاك أعني»، ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ أغفلناه بالخذلان لأنَّه لم يُرد الإيمان حقيقة وإنَّما أراد التفاخر والوجاهة، فلذا لم يُطق فقراء المسلمين وطلب طردهم، ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ متفرقاً غير مجتمع، إذ الإيمان نظام لحياة الإنسان فالإنسان يسير في منظومة متماسكة، أمَّا الغافل التابع للهوى فلا منظومة صحيحة له ليسير فيها، كلّ يوم هو في طريقة تخالف الأُخرى، ومن مصاديق الآية: إرادتهم صرف أمر الخلافة عن الإمام عليّ عليه السلام غفلة منهم واتباعاً للهوى، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ في كلّ شيء ومن أهمّه الولاية، ثمَّ هدَّدهم الله تعالى فقال: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾، وكفر الكافر لا يضرُّ الله تعالى بل الله سيُعاقبه ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا﴾ هيَّأنا ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾ الَّذين كفروا وعصوا، وخاصَّة الَّذين ظلموا آل محمَّد حقَّهم ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ﴾ أي اشتمل عليهم من كلِّ جانب ﴿سُرَادِقُهَا﴾ و«السرادق» هو الفسطاط ونحوه حيث يُحيط بمن دخله، كذا النَّار تُحيط بهم من كلِّ جانب.

وفي المرآة: والآية السابقة في سلمان وأضرابه من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، فيُناسب كون تلك الآية في ولايته عليه السلام(١).

الحديث الخامس والستون:

[١] (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً):

«المساجد» بمعنى المساجد المبنيّة، وكذا ما وُضع للسُّجود، وهذا عام يشمل مواضع السُّجود السبعة، وكذا الأئمَّة عليهم السلام، والأخيران مرويّان(٢).

---

(١) المرآة: ج٥، ص٨١.

(٢) راجع تفسير البرهان: ج١٠، ص٨٧ ـ ٩٠.

أمّا الأوّل: فإنَّ المساجد المبنيَّة إنَّما وُضعت لعبادة الله تعالى، وأقصى درجات الخضوع هي السُّجود، فلذا سُمِّيت مسجداً ـ اسم مكان من السُّجود ـ، فلا يجوز ذكر الأصنام في المساجد، وكذا كل ما يُعبد من دون الله تعالى، فمعنى «لا تدعوا» هو العبادة، كما كان المشركون يدعون الأصنام في المسجد الحرام.

وأمّا الثاني: فإنَّ مواضع السُّجود السَّبعة ـ الجبهة والكفين والركبتين وإبهامي القدمين ـ لا يجوز وضعها على الأرض لغير الله تعالى، فهذه مواضع يتحقّق السُّجود بها وذلك خاصّ بالله تعالى، وفي التقريب: وإذ بيَّن ـ يعني في الآيات السابقة ـ كون الهدى إنَّما هو للامتحان، جاء السياق ليُبيِّن أنَّه لا يحق لأحد أن يخضع لغير الله سبحانه ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ﴾ جمع مسجد وهو موضع السُّجود من الوجه والكفين وغيرهما ﴿لِلَّهِ﴾ فإنَّها مخلوقة له مملوكة لذاته المقدَّسة ﴿فَلَا تَدْعُوا۟﴾ أيُّها الإنسان ﴿مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، وكيف تدعو غيره بعضوٍ وهو له[1].

وأمّا الثالث: ـ وهم الأئمّة والأوصياء ـ فتسميتهم بالمساجد لعلَّها لوجوه منها:

١ ـ أنَّ الخضوع التام الكامل لله تعالى متجسِّد فيهم، فإذا أردتم الخضوع لله تعالى فعليكم التعلُّم منهم، فهم عليهم السلام يعلِّمونكم العبادة الصحيحة الَّتي لا يُوجد فيها دعاء لغير الله تعالى، فوجه تسميتهم مسجداً لأجل كونهم محلّاً للخضوع.

٢ ـ بحذف المُضاف، أي أهل المساجد نظير قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[2] أي أهلها، فالأوصياء عليهم السلام هم أهل المساجد كما قال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۞ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾. . . الآية[3].

---

(١) تقريب القرآن: ج٥، ص٥٣٢.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٢.

(٣) سورة النُّور: الآيتان ٣٦ ـ ٣٧.

٦٦ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ الْأَحْوَلِ، عَنْ سَلَّامِ بْنِ الْمُسْتَنِيرِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يُوسُف: ١٠٨] قَالَ: ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالْأَوْصِيَاءُ مِنْ بَعْدِهِمْ.

---

٣ ـ إنَّهم مساجد معنوية، فيقدر مضاف أي بيوت، فالمعنى وأنَّ بيوتهم ومشاهدهم لله سبحانه حيث جعلها محلّاً للخضوع والتذلُّل والإطاعة والانقياد، فمعنى: ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ أي لا تشركوا بالله بأن تجعلوا لغيره الحق في تعيين الخلفاء والأئمَّة، فإنَّ تعيّنهم بيده تعالى وحده لا شريك له.

ويؤيد هذا الوجه أنَّ لبيوتهم عليهم السلام أحكام المسجد في عدم جواز دخول الجنب فيه كما في الروايات وأفتى به الفقهاء.

الحديث السادس والستون:

[١] **(في قوله تعالى...) إلخ:**

دلَّت الآيات السابقة على أنَّ أكثر النَّاس ليسوا بمؤمنين، وحتَّى لو آمنوا فإنَّ إيمان أكثرهم مشوب بالشِّرك، لكن ذلك لا يثبِّط عزم الرَّسول صلى الله عليه وآله بل هو جادٌّ في طريقه يدعو إلى الله وكذلك من اتبعه يدعو، ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ﴾ الدعوة إلى التوحيد وبيان المعاد ﴿سَبِيلِىٓ﴾ طريقتي في الحياة فإنِّي ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من أمري وهذا بيان للسبيل، أدعوكم ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾، فهم يدعون أيضاً ثمَّ أكَّد معنى الدعوة بأنَّها دعوة إلى الله مع تنزيهه فقال: ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

ومن الواضح أنَّ «الدعوة على بصيرة» إنَّما هي دعوة إلى الإيمان الخالص مع تنزيهه تعالى عمَّا لا يليق، وهذه الدعوة من داعٍ يكون ذا بصيرة، وهذا خاص بمن كمل إيمانه، فلا يشملُ كل من أظهر الإيمان، فإنَّه وإن كان تابعاً ظاهراً إلَّا أنَّه ليس داعياً عن بصيرة.

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام في الآية قال: «يعني علياً أوَّل من اتبعه على

٦٧ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ حَنَانٍ، عَنْ سَالِمِ الْحَنَّاطِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ

الإيمان والتصديق له وبما جاء به من عند الله عزَّ وجلَّ، من الأُمَّة التي بُعث فيها ومنها وإليها، قبل الخلق ممَّن لم يُشرك بالله قطّ ولم يلبس إيمانه بظلم وهو الشِّرك»(١).

وفي المرآة: عدم ذكر (ما يتبع فيه) يدلُّ على العموم، ومن اتبعه صلى الله عليه وآله في جميع أقواله وأفعاله وأحواله ليسوا إلَّا المعصومين من عترته عليهم السلام، وأيضاً الدعوة إلى الله منصب الأنبياء، لا سيَّما إذا قرنت بدعوة الرَّسول صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام كان أوَّل من اتَّبعه وأقدمهم وأشدَّهم متابعة من غيره، فهو أولى بذلك، ثمَّ الأوصياء من ولده كانوا كذلك(٢).

الحديث السابع والستون:

[١] (عن قول الله عزَّ وجلَّ):

الآية في سياق قصَّة قوم لوط، فعذَّب الله القوم ونجَّى المؤمنين ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا﴾ قُرى قوم لوط ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا﴾ في تلك القرى ﴿غَيْرَ﴾ أهل ﴿بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وهو بيت لوط عليه السلام إلَّا امرأته فقد كانت كافرة، فلمَّا خرج هؤلاء المؤمنون أنزل الله العقاب على أهل القرى كلّهم، فأهلكهم.

والظاهر أنَّ قوله عليه السلام: «لم يبق» هو بيان ﴿فَمَا وَجَدْنَا﴾، وقوله: «آل محمَّد» هو بيان لـ﴿بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وليس قوله عليه السلام بياناً للآيتين معاً حتَّى يتكلَّف في كيفية تطبيق الخروج على آل محمَّد صلى الله عليه وآله، وأنَّهم متى خرجوا، ومن أي مكان.

---

(١) الكافي: ج٥، ص١٤، وعنه في البرهان: ج٥، ص٢٨٩.

(٢) المرآة: ج٥، ص٨٢.

بَيْتٍ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥-٣٦]؟ **فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: آلُ مُحَمَّدٍ، لَمْ يَبْقَ فِيهَا غَيْرُهُمْ[٢].**

ثمَّ إنَّ بيانه عليه السلام لعلَّه للتنظير، أي كما لم يكن في قوم لوط إلَّا بيت واحد من المسلمين، كذلك في هذه الأُمَّة لم يبق في المدينة من المسلمين المؤمنين غير آل محمَّد، وذلك لأنَّ كلّ ما جرى في الأُمم الماضية يجري في هذه الأُمَّة حذو النعل بالنعل والقذَّة بالقذَّة ـ كما روته العامَّة والخاصَّة(١) ـ، وأيضاً استفاض حديث الحوض حيث يذكر الرَّسول صلى الله عليه وآله ارتداد أصحابه على القهقرى إلَّا القليل مثل همل النعم وهذا ما روته الخاصَّة والعامَّة أيضاً(٢).

سؤال: من المعلوم أنَّ هناك أقلية غير آل محمَّد لم ترتدّ وبقيت على الإيمان؟

فالجواب: أن هؤلاء لم يكونوا بيتاً بل كانوا أشخاصاً، وأمَّا البيت الَّذي بقي كلّه على الإيمان فهو آل محمَّد صلى الله عليه وآله.

ويمكن إدخال هؤلاء المؤمنين في (البيت) كما مرَّ في الحديث الرابع والخمسين.

ويحتمل إدخالهم في آل محمَّد صلى الله عليه وآله لأنَّهم كانوا أتباعاً خالصين، كما في قوله: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾(٣)، وفي أحاديث مستفيضة: «سلمان منَّا أهل البيت»(٤).

[٢] (لم يبق فيها غيرهم):

أي لم يبقَ من المسلمين المؤمنين في المدينة غير آل محمَّد صلى الله عليه وآله.

---

(١) إكمال الدين: ص٥٣٠، البحار: ج١٣، ص١٨٠، ومن مصادر العامَّة: المستدرك على الصحيحين: ج١، ص١٢٩، والمصنَّف: ج٨، ص٦٣٦.

(٢) رواه من العامَّة البخاري: ج٧، ص٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

(٤) البحار: ج٢٢، ص٣٢٦.

٦٨ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ سَهْلٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِي السَّفَاتِجِ، عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ [المُلك: ٢٧] قَالَ: هَذِهِ نَزَلَتْ فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَصْحَابِهِ[٢] الَّذِينَ عَمِلُوا مَا عَمِلُوا، يَرَوْنَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام

الحديث الثامن والستون:

[١] **(عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى. . .) إلخ:**

قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إلى أن قال: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ رأوا الوعد ﴿زُلْفَةً﴾ أي ذا زلفة بمعنى القريب، وذلك في المحشر، فحينئذٍ ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ ندماً، أي علت وجوههم الكآبة وظهرت عليها آثار الحزن والخوف، ﴿وَقِيلَ﴾ للكفَّار، والقائل الملائكة أو الرُّسل أو المؤمنون: ﴿هَٰذَا﴾ الوعد ﴿ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ وإنَّما سيئت وجوههم لأجل ما يرونه من العذاب، ولأجل ما يرون من نعيم الذين كانوا يُعادونهم.

ومن المعلوم أنَّ أعداء أمير المؤمنين عليه السلام حاربوه بشتّى الوسائل، فأرادوا طمس ذكره، وما كان يروق لهم كثرة فضائله، لكن في القيامة لمَّا يرونه في المقامات العالية حيث له القرب إلى الله تعالى، وبجوار الرَّسول، ويطرد المنافقين عن الحوض، ويسقي المؤمنين ويشفع لهم، ويقسِّم الجنَّة والنَّار بإذن الله تعالى، حينذاك يعلوهم الحزن والكآبة والخوف بحيث تظهر على وجوههم، فيُخاطبهم الملائكة أو الرُّسل أو المؤمنون: هذا هو الَّذي كنتم تنتحلون منصبه الَّذي حباه الله إيَّاه، فهل تمكنتم من تقليل قدره عند الله؟ بل كسبتم لأنفسكم الخزي والعار.

[٢] **(وأصحابه):**

تسميتهم أصحابه من باب ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ﴾(١)،

---

(١) سورة الكهف: الآية ٣٧.

فِي أَغْبَطِ الْأَمَاكِنِ لَهُمْ[٣]، فَيُسِيءُ وُجُوهَهُمْ، وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ الَّذِي انْتَحَلْتُم اسْمَهُ[٤].

٦٩ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾[١] [البُرُوج: ٣]، ....

و«عملوا ما عملوا» من غصب السلطة، ومحاربة أهل البيت عليهم السلام، وظلمهم، ومنعهم حقوقهم، وكتمانهم فضائلهم... إلخ.

[٣] (أغبط الأماكن لهم):

بمعنى أحسن الأماكن الَّتي كانوا يتمنونها لهم، من «الغبطة» الَّتي هي بمعنى حسن الحال والمسرَّة، وبمعنى تمنِّي مثل نعمة الغير(١).

[٤] (الذي انتحلتم اسمه):

أي ﴿تَدَّعُونَ﴾ من الادعاء بمعنى الانتحال، ﴿بِهِۦ﴾ أي باسمه.

الحديث التاسع والستون:

[١] (وشاهد ومشهود):

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ قسماً بها ﴿ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ والبرج هو القطعة من السَّماء ـ وهي منازلها المختصَّة بها ـ، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ قسماً به وهو يوم القيامة حيث وُعد النَّاس للحشر فيه للحساب، ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قسماً بهما، واللفظ عامٌّ يشمل كل شاهد ومشهود له في يوم القيامة، ولذا ذكرت الروايات مصاديق متعدِّدة لهما، كيوم الجمعة ويوم عرفة، والرَّسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام(٢).

وذلك لأنَّ الأيَّام تشهد على النَّاس بما فعلوا فيها من خير أو شر، وفي

(١) راجع مقاييس اللغة: ص٧٨١ ـ ٧٨٢.

(٢) كلٌّ ذلك مرويّ فراجع البرهان: ج١٠، ص٢٣١ ـ ٢٣٢؛ وتفسير الصافي: ج٧، ص٤٤١ ـ ٤٤٢.

قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٢].

الحديث: (أنا يوم جديد وأنا عليك شهيد)(١)، وأعظم تلك الأيَّام هي الَّتي لها خصوصية خاصَّة يتضاعف فيها الثواب أو العقاب كيوم الجمعة ويوم عرفة ونحوهما.

كما أنَّ الرَّسول ﷺ والأئمَّة يشهدون كما قال تعالى: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾(٢).

[٢] **(النَّبيّ ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام):**

في العبارة احتمالات:

١ ـ أن يكون من اللفّ والنشر المرتَّب أي النَّبي ﷺ يشهد للإمام عليّ عليه السلام، فالنَّبي هو الشاهد، والأمير هو المشهود له، أمّا في الآخرة فقد قال تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾، وأمّا في الدنيا فقد شهد ﷺ بفضله وعلمه وخلافته.

٢ ـ أن يكون من اللفّ والنشر غير المرتَّب، أي الشاهد هو الأمير عليه السلام والمشهود هو الرَّسول ﷺ، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ﴾(٣)، كما مرَّ تفسير هذه الآية، وأنَّ الذي على بيِّنة هو الرَّسول ﷺ، والشاهد منه هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

٣ ـ أن يكون تفسيراً لمجموع الكلمتين، أي كلاهما شاهدان ومشهودان، فالرَّسول ﷺ يشهد للأمير عليه السلام في الدُّنيا والآخرة، كما أنَّ الأمير عليه السلام يشهد على صدق الرَّسول ﷺ وعلى تبليغه وتسليمه الأمانة كما أمر الله تعالى.

---

(١) الكافي: ج٢، ص٥٢٣؛ الفقيه: ج٤، ص٣٩٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٣) سورة هود: الآية ١٧.

٧٠ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ الْحَلَّالِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ[١] أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤]؟ قَالَ: الْمُؤَذِّنُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

الحديث السبعون:

[١] **(فأذن مؤمن بينهم....) إلخ:**

بعد استقرار كل من أهل الجنَّة فيها، وأهل النَّار فيها ـ ممَّا هو مذكور في الآيات السابقة ـ، يقع حوار بينهم، ولعلَّ الغرض منه زيادة نعيم أهل الجنَّة حينما يرون ذلّ الاعتراف في أعدائهم، وزيادة عذاب أهل النَّار عندما يسمعون بتنعُّم من عادوهم في الدُّنيا، ولعلَّه أيضاً نوع عقوبة لأصحاب النَّار حيث كانوا يستهزئون بالمؤمنين فيُعاقبون باستهزاء المؤمنين بهم، فإنَّ الاستهزاء إنَّما يكون قبيحاً إذا لم يتعلَّق به غرض صحيح عقلائي، أمَّا إذا كان مجازاة لأهل الباطل أو لغرض صحيح آخر كهداية المستهزىء به أو إبعاد النَّاس عن أئمَّة الكفر فلا بأس به، ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ أي بدء الحوار من أهل الجنَّة وسببه واضح ﴿أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ من الثواب ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ من العقاب ﴿حَقًّا﴾؟ ﴿قَالُوا﴾ أهل النَّار ﴿نَعَمْ﴾ وجدناه حقّاً، يجيبون إجابة مختصرة ككل مجرم حين الاعتراف يحاول تقليل كلماته لئلَّا يزداد ذلَّة، فهنا يأتي دور مُنادٍ من طرف ربّ العزَّة يكمّل ما لم يصرِّح به أهل النَّار، ولا يخفى أنَّ لهذا المؤذِّن خصوصية يكون بها زيادة عذاب أهل النَّار، فهو الإمام عليّ عليه السلام الَّذي عادوه وحاولوا كتمان فضائله، فاليوم يُنادي بين الفريقين باللعنة والعذاب على أهل النَّار ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ منادٍ ﴿بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ﴾ أي غضبه وانتقامه وطرده إيَّاهم من رحمته ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾، وفي هذا الأذان بيان سبب استحقاقهم للعقاب وهو ظلمهم، وما أكثر الظلم الذي أوقعه الغاصبون على العترة وسيِّدهم الإمام عليّ عليه السلام.

ولا يخفى أنَّ الله سبحانه خصَّ الإمام عليّاً عليه السلام بأن يكون المُنادي ضدّ هؤلاء في الدُّنيا والآخرة، أمَّا في الدُّنيا فبإبلاغه آيات البراءة من

٧١ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أُورَمَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج:

المشركين في مكّة، وأمّا في الآخرة فأذانه بلعنة الله على الظالمين.

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة منصرفه من النهروان، وبلغه أنَّ معاوية يسبّه ويعيبه ويقتل أصحابه، فقام خطيباً ـ إلى أن قال ـ: وأنا المؤذن في الدُّنيا والآخرة، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنا ذلك المؤذن، وقال: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ أنا ذلك الأذان»(١) أي أنا ذلك المؤذن.

الحديث الواحد والسبعون:

[١] **(في قوله تعالى. . .) إلخ:**

قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ﴾ وقد مرَّ بيانها في الحديث الحادي والخمسين، يُبيِّن الله تعالى عذاب أهل النَّار وما يقابله من نعيم أهل الجنَّة.

فالكفَّار ﴿قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ وأمّا المؤمنون ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

ثمَّ أولئك ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ﴾، والمؤمنون ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

ثمَّ أولئك ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ﴾ والمؤمنون ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾.

ثمَّ أولئك ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ والمؤمنون ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾.

ثمَّ أولئك يُقال لهم: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾، والمؤمنون ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾.

---

(١) البرهان: ج٤، ص١٣٣ عن معاني الأخبار.

٢٤] **قَالَ:[٢] ذَاكَ حَمْزَةُ، وَجَعْفَرٌ، وَعُبَيْدَةُ، وَسَلْمَانُ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَعَمَّارٌ، هُدُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٣].**

وَقَوْلِهِ: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ[٤] وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ ....

والمعنى: ﴿وَهُدُوٓاْ﴾ أي أُرشد أهل الجنَّة، والمرشد هو الله تعالى بإلهامهم ﴿إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ في الدُّنيا بالتوحيد والإخلاص، وفي الآخرة يقول بعضهم لبعض «سلام عليكم» وغيره من الأقوال الحسنة ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ وهو الصِّراط المستقيم الَّذي هو الولاية، و«الحميد» هو الله المستحق للحمد.

[٢] **(قال: ذاك حمزة...) إلخ:**

هؤلاء شأن نزول الآية، مع بقاء الآية على عمومها لكل أهل الولاية.

[٣] **(هدوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام):**

هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾، فإنَّه الصِّراط المستقيم، وقد استفاضت الروايات بأنَّ الإمام علياً عليه السلام هو ذلك الصِّراط المستقيم كما مرَّ.

[٤] **(وقوله: حبَّب إليكم الإيمان...) إلخ:**

في سورة الحجرات ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ فهو متصل بالوحي، فلا تتوقعوا منه سماع كل ما تقولون، بل يستمع إلى ما ينزله الله عليه وليس ذلك إلَّا عن مصلحة، فـ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ﴾ الرَّسول ﴿فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ﴾ الَّذي تشيرون عليه ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ لوقعتم في العنت، وذلك لأنَّ كل واحد يأتي ويقول نظرته الخاصَّة، بينما الرَّسول صلى الله عليه وآله لا يعمل إلَّا بما يوحيه إليه الله تعالى وفيه مصلحة العموم، والمجتمع مليء بالتناقضات فلو استمع الرَّسول صلى الله عليه وآله إلى كل ما يقولون لأوقعهم في المشقَّة.

ثمَّ إنَّ من العادة أن يكره الإنسانُ من لم يستمع إليه بل قد يُعاديه، لكن المؤمنين ليسوا كذلك بل يطيعون الرَّسول ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾

يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ[٥]، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧] الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَ وَالثَّالِثَ.

٧٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن

بإطاعة الرَّسول ﷺ في كل ما أتى به، ومن المعلوم أنَّ الولاية ركن الإيمان، ﴿وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ في التقريب: قد يكون الشيء محبوباً لكنَّه غير مزيَّن، كولد الإنسان القبيح المنظر، وقد يكون محبوباً وجميلاً كولده الجميل، وهكذا الإيمان محبوب وجميل، وذلك حيث خلق الله فطرة الإنسان بحيث يرى جمال الجميل، ولذا نسب الفعلين «حبَّب» و«زيَّن» إلى نفسه تعالى(١)، ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ﴾ جعله مكروهاً في قلوبكم ﴿ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾، فالَّذين يحبّون الإيمان ويكرهون هذه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ لهم رشد عقلي.

[٥] (يعني أمير المؤمنين):

في المرآة: وتفسيره عليه السلام الإيمان بأمير المؤمنين على المبالغة، لأنَّه لكماله في الإيمان، وكونه داعياً إليه، وكون ولايته الركن الأعظم من الإيمان، فكأنَّه عينه.

أو يقدّر مضاف، بأن يُقال: المُراد يعني ولاية أمير المؤمنين، لأنَّها العمدة من أجزاء الإيمان، والمستلزم لسائرها(٢).

الحديث الثاني والسبعون:

[١] (عن قوله تعالى...) إلخ:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكّرون فيه ولا يستعدّون له، ﴿قُلْ

---

(١) التقريب: ج٥، ص٢٠٣.

(٢) المرآة: ج٥، ص٨٨.

قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]. قَالَ: عَنَى بِالْكِتَابِ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَأَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ فَإِنَّمَا عَنَى بِذَلِكَ عِلْمَ أَوْصِيَاءِ الْأَنْبِيَاءِ عليهم السلام[٢].

أَرَءَيْتُم﴾ أي أخبروني عن حال ﴿مَّا تَدْعُونَ﴾ أي تعبدون ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من الأصنام الحجرية والبشرية ونحوها، فما هي حجّتكم في ذلك هل هو دليل عقلي، أم دليل نقلي من كتب الأنبياء السابقين، أم دليل منطقي ممّا تبقّى من علوم أوصياء الأنبياء؟ والجواب: كلّ ذلك مفقود، والنتيجة لا عذر لهؤلاء في عبادة غير الله تعالى.

فالدليل العقلي ﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ إنساناً أو حيواناً أو نباتاً ونحوها، ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شراكة ﴿فِي﴾ خلق ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؟ ومن الواضح أنّ الأصنام ونحوها التي تعبد من دون الله لم تفعل ذلك أصلاً.

أو الدليل النقلي من كتب الأنبياء فـ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ﴾ القرآن، فهل وَرَدَ في التوراة والإنجيل أنّ الأصنام وعزيراً أو المسيح وغيرهم خلقوا شيئاً من السّماء والأرض؟

﴿أَوْ﴾ الدليل المنطقي من ﴿أَثَٰرَةٍ﴾ أي بقيّة ﴿مِّنْ عِلْمٍ﴾ بقي من الماضين ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ في دعواكم من أنّ الأصنام وغيرها شركاء لله، وحيث لا دليل لكم فلا بُدّ لكم من الرجوع إلى الحقّ وعدم الإعراض عمّا أنذرتم به.

[٢] **(علم أوصياء الأنبياء):**

ولعلّ وجه ذكر هذا الحديث في هذا الباب ـ المعقود للآيات النازلة في الولاية ـ، باعتبار أنّ الأئمّة عليهم السلام من الأوصياء، فعندهم تلك البقيّة من العلم، وقد مرّ في (باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام).

٧٣ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَمَّنْ أَخْبَرَهُ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ: لَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله تَيْماً وَعَدِيّاً وَبَنِي أُمَيَّةَ يَرْكَبُونَ مِنْبَرَهُ أَفْظَعَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قُرْآناً يَتَأَسَّى بِهِ[١]: ....

الحديث الثالث والسبعون:

[١] (قرآناً يتأسى به):

أي يتسلَّى به، في المقاييس: وأسَّيت فلاناً إذا عزَّيته(١).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ﴾ أوحينا إليك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علماً وقدرةً، فهم في قبضته يعلم ما يفعلون وسيُجازيهم على أفعالهم، فإذا أقدرهم على شيء فإنَّما هو امتحان لهم، ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ حيث رأى الرَّسول صلى الله عليه وآله قردة ينزون على منبره فأفزعه ذلك وغمَّه ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ امتحاناً لهم، لأنَّ رؤياه صادقة فحينما تتحقَّق تكون امتحاناً للناس، وقوله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ إمَّا عطف على «الرؤيا» أي وما جعلنا الشجرة الملعونة إلَّا فتنة للناس، فالمعنى: أنَّ الله امتحن النَّاس بهم وبفعلهم، وإمَّا عطف على «الفتنة» أي لم نجعل تعبير رؤياك إلَّا الشجرة الملعونة، و«الشجرة الملعونة في القرآن» هم بنو أُميَّة ومن سلَّطهم على رقاب المسلمين كما في الروايات(٢)، ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ﴾ بأنواع التخويف ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ التخويف ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ فإنَّ المعاند كلَّما رأى حجَّة جديدة زاد في عناده ليتمكن من إبطالها.

وحيث اغتمَّ الرَّسول صلى الله عليه وآله لذلك كثيراً إذ رأى عصيان الأُمَّة له وسيطرة الأعداء على منبره ومقاليد الأمور، أراد الله أن يسلّيه، فَلَئِنْ عُصيت يا رسول الله في خليفتك، فقد عُصي الله تعالى من قبل في خليفته آدم عليه السلام،

---

(١) المقاييس: ص٦١.
(٢) راجع الصافي: ج٤، ص٤٢٣؛ البرهان: ج٦، ص١٠٤ ـ ١٠٧.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾[٢] [طه: ١١٦]. ثُمَّ

بدءاً من إبليس إلى عصاة بني آدم، وأنَّ مصير العُصاة إلى جهنَّم ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾[١].

[٢] (إلّا إبليس أبى):

هذه الآية في سورة طٰه وكذا في سورة البقرة، وأمَّا الآية المتصلة بآية الرؤيا فهي ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾، فلعلَّ آية سورة طٰه نزلت مع آية الرؤيا لكن في نظم القرآن فُرّق بين الآيتين، بأمرٍ من الله تعالى، فإنَّ الصحيح أنَّ تعيين مكان الآيات ونظمها كان من رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى، أو لعلَّ في هذا الحديث ذكر إحدى الآيتين مكان الأُخرى من خطأ أحد الرواة والله العالم.

وفي المرآة: فظهر أنَّ قصة سجود الملائكة لآدم، وامتناع إبليس منه وإن كانت مذكورة في مواضع كثيرة من القرآن، كالبقرة وطٰه والأعراف وبني إسرائيل والكهف، فالمُراد بها هنا ما ذكر في بني إسرائيل - يعني سورة الإسراء - لاتصالها بآية الرؤيا التي ذكرنا، فينطبق تفسيره عليه السلام عليه غاية الانطباق، ومنه يظهر وجه لتكرار القصص في القرآن وأنَّه لاختلاف موارد نزولها[٢].

وقال: ولا يخفى تناسب القصتين، فإنَّ الشَّيطان أبى عن سجدة آدم حسداً وتكبُّراً لأن يسجد لمخلوق من الطين، وإنَّهم أبَوا عن إطاعة علي عليه السلام حسداً وعتوّاً لأن يكون قبيلة واحدة مسلَّطة عليهم ولا يكون لهم نصيب فيها وتكون الخلافة مختصَّة بعترة سيِّد المرسلين[٣].

---

(١) سورة الإسراء: الآيات ٦١ - ٦٣.

(٢) المرآة: ج٥، ص٩٠.

(٣) المصدر: ص٩١.

أَوْحَى إِلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَمَرْتُ فَلَمْ أُطَعْ، فَلَا تَجْزَعْ أَنْتَ إِذَا أَمَرْتَ فَلَمْ تُطَعْ فِي وَصِيِّكَ.

٧٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ نُعَيْمٍ الصَّحَّافِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]؟ فَقَالَ: عَرَّفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيمَانَهُمْ بِمُوَالاتِنَا وَكُفْرَهُمْ بِهَا يَوْمَ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْمِيثَاقَ وَهُمْ ذَرٌّ فِي صُلْبِ آدَمَ.

وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[١] [التغابن: ١٢] فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا هَلَكَ مَنْ كَانَ

الحديث الرابع والسبعون:

مرَّ صدر الحديث في الحديث الرابع من هذا الباب فراجع، وكلتا الآيتين في سورة التغابن، فالظاهر أنَّ بينهما ارتباطاً كما يظهر من تفسير الإمام عليه السلام للآية الثانية، ولعلَّ وجه الارتباط أنَّه في عالم الذَّرّ كفر بعض وآمن بعض، وفي هذا العالم يطيع بعض وهم من آمن في الذَّرّ، ويتولّى آخرون وهم من كفروا في الذَّرّ.

ثمَّ إنَّ بين الآيتين آية أُخرى أيضاً حول الولاية: ففي الآية الثالثة: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾، وفي الآية الثامنة: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا﴾ وتفسير النُّور الَّذي أُنزل بالأئمَّة عليهم السلام(١)، وفي الآية الثانية عشرة: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ الآية.

[١] **(البلاغ المبين):**

أي فإن توليتم ولم تطيعوا فلا بأس على الرَّسول صلى الله عليه وآله، لأنَّ مهمَّته هي البلاغ الواضح، وقد أدَّى المهمَّة بأحسن وجه، فعدم اهتداء الأكثر ليس لتقصير منه ولا فشل في المهمَّة.

---

(١) راجع البرهان: ج٩، ص٥٣٥.

قَبْلَكُمْ[٢] وَمَا هَلَكَ مَنْ هَلَكَ حَتَّى يَقُومَ قَائِمُنَا عليه السلام إِلَّا فِي تَرْكِ وَلَايَتِنَا وَجُحُودِ حَقِّنَا[٣]، وَمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى أَلْزَمَ رِقَابَ هَذِهِ الْأُمَّةِ حَقَّنَا[٤]، وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ[٥] إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

ثمَّ إنَّ تفسيره عليه السلام إمَّا لبيان شأن نزول الآية، وأنَّها نزلت في الولاية، وقد بلَّغ الرَّسول صلى الله عليه وآله بشكل واضح وجليّ وأتمَّ الحجَّة على الجميع من يوم جمع العشيرة الأقربين في مكَّة إلى يوم الغدير حيث أخذ البيعة وإلى لحظة وفاته، ومن الواضح أنَّ شأن النزول لا يخصص الآية فإطاعة الله تعالى وإطاعة الرسول صلى الله عليه وآله واجبة في كل ما أمر ونهي.

وإمَّا لبيان أنَّه لا تمكن طاعة الله تعالى ولا طاعة الرسول صلى الله عليه وآله إلَّا عبر الولاية، لأنَّ العبادات وسائر الأعمال بدونها باطلة، كما أنَّ بيان العبادة الصحيحة والعمل الصحيح كما أراد الله تعالى تمَّ عبر الرَّسول صلى الله عليه وآله أوّلاً، وعبر الأئمَّة عليهم السلام ثانياً، حيث بيَّنوا مواطن تحريف الضالين والظالمين.

[٢] **(من كان قبلكم):**

الخطاب من الإمام الصَّادق عليه السلام لأصحابه، فالمُراد بـ(من كان قبلكم) الَّذين كانوا في زمان الرَّسول صلى الله عليه وآله إلى زمانه عليه السلام، ثمَّ إلى زمان قيام الإمام المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف، وأمّا بعد ظهوره وانتشار الحق يؤمن عامَّة النَّاس فلا يبقى منحرف ليهلك ـ إلَّا القليل جداً ـ.

[٣] **(ترك ولايتنا وجحود حقّنا):**

قد يكون الترك عن جهل وقصور، فهذا يمتحن في الآخرة مرَّة أُخرى ـ كما مرَّ ـ وإنَّما الهالك هو التارك الجاحد الذي يعلم الواقع لكنَّه ينكره.

[٤] **(حتَّى ألزم رقاب هذه الأُمَّة حقَّنا):**

هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾.

[٥] **(والله يهدي من يشاء. . . .) إلخ:**

هذه التكملة لتأكيد أنَّ مهمَّة الرَّسول صلى الله عليه وآله هي البلاغ وقد قام بالمهمَّة،

٧٥ - مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ؛ وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ الْقَاسِمِ الْبَجَلِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَخِيهِ مُوسَى عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥][١]، قَالَ: الْبِئْرُ الْمُعَطَّلَةُ[٢] الْإِمَامُ الصَّامِتُ، وَالْقَصْرُ الْمَشِيدُ الْإِمَامُ النَّاطِقُ.

وأمَّا الاهتداء فليس من عمل الرَّسول بل هو فعل من الله تعالى يهدي من يشاء ممَّن أوجد في نفسه قابلية الهداية.

الحديث الخامس والسبعون:

[١] **(وبئر معطلة وقصر مشيد):**
﴿فَكَأَيِّن﴾ للتكثير ﴿مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ بإهلاك أهلها، لأنَّ القرى عامرة بأهلها، فإذا هلكوا هلكت، ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ هذا هو سبب الإهلاك، ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي سقوفها، فإنَّ السقف يسقط ثمَّ تسقط الجدران عليه، وهذا كناية عن طول مدة بقائها هالكة، ﴿وَبِئْرٍ﴾ أي وكأين من بئر ﴿مُّعَطَّلَةٍ﴾ لا يستقى منها، وتعطيلها علامة لفناء أهلها لأنَّ الماء عصب الحياة فإذا لم يُستَفَدْ منه كان ذلك علامة عدم بقاء حيّ، ﴿وَقَصْرٍ﴾ أي وكأين من قصر ﴿مَّشِيدٍ﴾ أي مرتفع ومزيَّن بالجصّ والزخرفة قد تعطَّل، فكيف بسائر الدور العادية؟!

[٢] **(قال: البئر المعطَّلة...) إلخ:**
في تفسير الصافي: إنَّما كنَّى عن الإمام الصامت بالبئر لأنَّه منبع العلم الذي هو سبب حياة الأرواح، مع خفائه إلَّا على من أتاه، كما أنَّ البئر منبع الماء الذي هو سبب حياة الأبدان مع خفائها إلَّا على من أتاها، وكنَّى عن صمته بالتعطيل لعدم الانتفاع بعلمه، وكنَّى عن الإمام الناطق بالقصر المشيد لظهوره وعلوّ منصبه وإشاعة ذكره(١).

وهذا الحديث وغيره من الأحاديث في هذه الآية تحتمل التأويل، والتنظير

---

(١) الصافي: ج٥، ص١٤٨.

وَرَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الْعَمْرَكِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام مِثْلَهُ.

٧٦ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْحَكَمِ بْنِ بُهْلُولٍ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن

كما يظهر من تفسير القمّي قال: وهو مَثَل لأمير المؤمنين والأئمّة عليهم السلام منه، وفضائلهم المنتشرة في العالمين المشرفة على الدُّنيا، وهو قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾(١)، وقال الشاعر:

بئرٌ معطّلة وقصرٌ مشرفُ مَثَلٌ لآل محمَّد مستطرفُ
فالقصر مجدهمُ الَّذي لا يُرتقى والبئر علمهم الَّذي لا ينزفُ(٢)

ويؤيد هذا التأويل سياق الآيات، فقبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾(٣)، وتفسيرها في الأحاديث بالأئمّة عليهم السلام(٤) ثمّ قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ الآية، وعلى هذا السياق تنطبق هذه الآية تمام الانطباق على التأويل في هذه الرواية.

الحديث السادس والسبعون:

[١] **(في قوله تعالى...) إلخ:**

إنَّ التوحيد هو أهم الأمور وتُبْتنى عليه سائر العقائد، فالشِّرك وهو ضدّ التوحيد منشأ كلّ شر ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ يا رسول الله ﴿وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ من الأنبياء ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ بالله غيره ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ و«الحبط»

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٣.
(٢) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٦، ص٥٧١ ـ ٥٧٣.
(٣) سورة الحجّ: الآية ٤١.
(٤) المصدر: ص٥٧١.

قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُّمَر: ٦٥] قَالَ: يَعْنِي إِنْ أَشْرَكْتَ فِي الْوَلَايَةِ غَيْرَهُ[٢]. ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزُّمَر: ٦٦] يَعْنِي بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ بِالطَّاعَةِ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ أَنْ عَضَدْتُكَ بِأَخِيكَ وَابْنِ عَمِّكَ.

هو البطلان، فلا يكون للأعمال ثواب حتَّى لو كانت حسنة في نفسها، إذ الثواب فضل من الله تعالى ولا يستحق هذا الفضل إلَّا الموحِّد، ﴿وَلَتَكُونَنَّ﴾ إن أشركت ﴿مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وذلك بالعذاب، فأعمالك الحسنة تصبح هباءً منثوراً بالحبط، وتُعذَّب إضافة إلى ذلك، والمُراد تنبيه النَّاس على فظاعة الشِّرك فإن الحبط والخسران للمشرك حتَّى لو كان أعظم النَّاس. وليس في الأمر تهديد للرسول ﷺ، وإنَّما هو من قبيل «إيَّاك أعني واسمعي يا جارة» حيث يُخاطب شخص ولكن المُراد شخص آخر، مضافاً إلى أنَّ صدق القضية الشرطية لا يتوقف على تحقّق طرفيها فقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾(١) قضية صادقة مع العلم بعد تحقّق طرفيها، فلا الآلهة متعدِّدة ولا السَّمٰوات والأرض فسدتا.

[٢] **(يعني إن أشركت في الولاية غيره)**:

١ ـ إمَّا بمعنى أنَّ نصب الإمام هو أمر يرتبط بالله تعالى خاصَّة، ولم يُوكل لذلك أحد، فحتَّى الرَّسول ﷺ ليس له في تعيين الإمام أمر، بل هو من الله وحده لا شريك له، فالَّذين يرون في أنفسهم الحقّ في تعيين الإمام مشركون بالله حيث زعموا أنَّ ما لله يكون لهم أيضاً.

٢ ـ أو بمعنى أنَّ التارك للولاية يسقط في الشِّرك العملي، وذلك عبر عبادته ما توهمه في تصوره القاصر إلهاً ثم عبده، كما وقع في ذلك غالب المخالفين حيث توهموا جسماً ذا أعضاء وجوارح يتحرَّك وينزل. . .إلخ، وعبدوه متوهمين أنَّه ربّ العالمين، وليس الله سبحانه ما توهموه بل عبدوا ما صنعوه بأذهانهم.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

٧٧ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْهَاشِمِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ عِيسَى قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣][١]، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا[٢] ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، اجْتَمَعَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ

---

٣ ـ أو المُراد مطلق الشِّرك، وتخصيص «ترك الولاية» بالذِّكر لكونه شركاً خفيّاً، فإنَّ ترك الولاية أو التشريك فيها بمنزلة الشِّرك، فإنَّ مخالفة أمره تعالى وطاعة غيره عين الشِّرك ـ كذا في المرآة ـ(١).

الحديث السابع والسبعون:

[١] (يعرفون نعمة الله ثمَّ ينكرونها):

بعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السابقة مجموعة من نِعَم الله تعالى على النَّاس، أردفها بقوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ أي أعرضوا ولم يقبلوا منك ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وقد قمت يا رسول الله بمهمتك، والمشكلة مشكلتهم حيث ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ بفطرتهم وعقلهم وبتبليغك، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ بقلوبهم، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ بلسانهم وعملهم، ثمَّ بيَّن الله تعالى أنَّ إنكارهم وكفرهم سيكون وبالاً عليهم ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيّها وإمامها القائم مقامه يشهد عليهم، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الاعتذار ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ أي لا يُقال لهم: أرضوا ربّكم... الآيات.

[٢] (والَّذين آمنوا...) إلخ:

وقد مرَّ مفصّلاً أنَّ الآية نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام لمَّا تصدَّق بالخاتم

---

(١) المرآة: ج٥، ص٩٥ ـ بتصرُّف ـ

لِبَعْضٍ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ[٣]: إِنْ كَفَرْنَا بِهَذِهِ الْآيَةِ نَكْفُرْ بِسَائِرِهَا، وَإِنْ آمَنَّا فَإِنَّ هَذَا ذُلٌّ حِينَ يُسَلِّطُ[٤] عَلَيْنَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ! فَقَالُوا:

وغيره وهو راكع في الصلاة، ووضوح أنَّ «الولي» هنا بمعنى الأولى بالتصرُّف، ودلالته على خلافته عليه السلام واضحة.

[٣] **(فقال بعضهم. . . .) إلخ:**

قالوا إنَّ أمرنا مردَّد بين موقفين:

١ ـ أن نرتدَّ على الإسلام ونكفر بكلّ الآيات القرآنية، وهذا غير ممكن يرجع ضرره علينا.

٢ ـ أن نرضى بهذه الآية، وهذا ذلّ ـ حسب زعمهم ـ.

فأجابهم آخرون: إنَّ هنالك موقفاً ثالثاً، وهو قبول سائر الآيات ورفض هذه الآية، وبذلك نكون قد بقينا على إسلامنا ولم نذلّ بتسلُّط عليّ علينا!!

ويحتمل أن يكون مرادهم هو أنّا نؤمن بالآية ولكنّا نخالفها عملاً، كالمسلمين الّذين يُذنبون فإنّهم يقرّون قلباً بقبح الذنب وحرمة ارتكابه لكنّهم مع ذلك يرتكبونه انسياقاً وراء الهوى والشهوات!!

فبيَّن الله سبحانه أنَّ الولاية من أُصول الدِّين فمخالفتها موجبة للكفر، وليست كالذُّنوب المتعلِّقة بالفروع، وقولهم (بسائرها) أي بسائر الآيات.

[٤] **(فإنَّ هذا ذلّ حين يُسلِّط):**

أي يُسلِّط اللّهُ أو يُسلِّط الرَّسول صلى الله عليه وآله الإمام عليّاً عليه السلام، وإنَّما توهموا أنَّه ذلّ لتكبُّرهم ولزعمهم أنَّهم أَوْلى بالأمر من الإمام عليّ عليه السلام، أو لأجل جهاده وقتله لزعمائهم في بدر وأُحُد وغيرهما، أو لتصورهم أنَّ اجتماع النُّبوَّة والإمامة في قبيلة واحدة هو ذلّ لهم وهم كبراء قبائل أُخرى!!

والله سبحانه ردَّهم في توهُّمهم وزعمهم، وبيَّن أنَّ ولايته عليه السلام هي نعمة من الله تعالى تستوجب شكراً باللِّسان وبالعمل، وذلك عبر قبولها والالتزام بها وإطاعة الرَّسول صلى الله عليه وآله فيها.

قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ مُحَمَّداً صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ، وَلَكِنَّا نَتَوَلَّاهُ[٥] وَلَا نُطِيعُ عَلِيّاً فِيمَا أَمَرَنَا، قَالَ: فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ[٦]: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾، يَعْرِفُونَ يَعْنِي وَلَايَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ و﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [النحل: ٨٣] بِالْوَلَايَةِ.

---

[٥] **(ولكنّا نتولّاه):**

أي نتولّى الرّسول ﷺ وذلك بعدم الارتداد والبقاء على الإسلام، ولكن نخالف هذه الآية فلا نُطيع عليّاً، وقوله: «فيما أمرنا» بالمعلوم أي فيما أمرنا الرّسول ﷺ، أو بالمجهول ومرادهم فيما أمرنا الله تعالى.

[٦] **(فنزلت هذه الآية):**

أي فكان شأن نزول هذه الآية في هذه القضية، مع بقاء الآية على عمومها، فتشمل المشركين الّذين اتخذوا الأصنام وأشركوهم بالله ونسبوا نعمه سبحانه إليها، وكذا الّذين أنكروا نبوّة الرّسول ﷺ، وغير هذه الموارد.

سؤال: آية ﴿يَعْرِفُونَ﴾... في سورة النحل وهي مكّيّة، وآية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾... في سورة المائدة وهي مدنيّة، فكيف تأخّرت الآية المكّيّة عن المدنيّة؟

فالجواب: أربعون آية من أوّل سورة النحل مكيّة، والباقي من قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾... مدنيّة، كما ذكره الطبرسي في مجمع البيان، ونقله عن بعض العامّة أيضاً(١).

هذا مضافاً إلى أنّ بيان موارد الآيات المكيّة والمدنيّة لم يثبت غالباً بطريق معتبر بل كثير منه قول بعض مفسري العامّة، ولا اعتماد عليهم في ذلك.

وقد يكون طريق الفرز هو ما ثبت في الروايات المعتبرة عن الرّسول ﷺ والأئمّة عليهم السلام، أو وجود القرائن الدالة على ذلك.

---

(١) مجمع البيان: ج٦، ص١٩٩، ونقل أيضاً أقوالاً أخرى.

٧٨ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ، عَنْ سَلَّامٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣][١]؟ قَالَ: هُمُ الْأَوْصِيَاءُ[٢] مِنْ مَخَافَةِ عَدُوِّهِمْ[٣].

الحديث الثامن والسبعون:

[١] (الذين يمشون على الأرض هوناً):

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ في مقابل الَّذين ينفرون من اسم الرَّحمٰن ﴿ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ متواضعين بسكينة ووقار وتقيَّة من أعدائهم، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي سداداً من القول، بمعنى ما يُوجب السَّلامة لا ما يُوجب الخصام والنزاع ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾(١).

ومادة «هـ و ن» تدلُّ على سكون أو سكينة أو ذلّ(٢).

[٢] (هم الأوصياء):

أي تفسير ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ بالأوصياء عليهم السلام، وهذا تفسير قريب ينطبق مع هذه الآيات تمام الانطباق لقوله في دعائهم: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾.

[٣] (من مخافة عدوِّهم):

أي سبب مشيهم «هوناً» هو مخافة العدوّ، فيكون المقصود مشيهم باحتياط مخافة جواسيس الأعداء الَّذين يرصدون تحرُّكاتهم، ولذا ورد في حديث آخر عن الإمام الكاظم عليه السلام: «هم الأئمَّة يتَّقون في مشيهم على الأرض»(٣) ويُناسبه إردافه بقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ لأنَّ

---

(١) سورة الفرقان: الآيات ٦٠ ـ ٧٤.

(٢) راجع مقاييس اللغة: ص١٠٩٩.

(٣) البرهان: ج٧، ص١٨٩ عن تفسير القمّي.

٧٩ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ بِسْطَامَ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ حَسَّانَ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ الْعَبْدِيِّ، عَنْ سَعْدٍ الْإِسْكَافِ، عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ أَنَّهُ سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى[١]: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]. فَقَالَ:

الَّذي في حال تقيَّة يتكلَّم بطريقة لا تستفزّ الأعداء الجاهلين.

الحديث التاسع والسبعون:

[١] **(عن قوله تعالى):**

لهاتين الآيتين تفسير وتأويل.

أمَّا التفسير: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أي أمرناه بإطاعتهما والإحسان إليهما وشكرهما، وسبب ذلك المشقَّة التي تحمَّلاها في إيجاده وتربيته وخاصَّة الأمّ، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ أي ضعفاً يُضاف إلى ضعف، فكلَّما كبر الجنين ازداد ضعفها، ﴿وَفِصَٰلُهُۥ﴾ أي ثمَّ أرضعته الأمّ ونما على لبنها ﴿فِي عَامَيْنِ﴾ فلولا الأبوان لم يُوجد، ولولا الأمّ لمات لاحتياجه إليها في بداية حياته، ثمَّ فسَّر الوصيَّة بقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ إنَّما قدَّم الشُّكر له تعالى لأنَّه هو الخالق وهو سبب الأسباب، والوالدان إنَّما هما سبب جعله الله تعالى، ومن تكاسل عن الشُّكر فـ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ فأعاقبه، ومن أحسن فأجازيه، لكن إذا تعارضت إرادتهما مع أوامره تعالى فالترجيح لطاعته عزَّ وجلَّ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ أي أتعبا نفسيهما معك ﴿عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي﴾ لأنَّ الوالدين يرغبان في أن يتبع الأبناء عقيدتهما، فلذا يكثِّفان المحاولة في هذا الصدد ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ أي لا تعلم بكونه شريكاً، والمقصود تعلم ببطلانه، لأنَّ ما لا يكون لا يتعلَّق به علم، ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الإشراك، ولكن لا تقاطعهما ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ أي صحبة معروفة وذلك بالإحسان إليهما، أمَّا في الأمور الدِّينيَّة ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ أي رجع بالطاعة إلى الله، والمُراد

الْوَالِدَانِ اللَّذَانِ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُمَا الشُّكْرَ، هُمَا اللَّذَانِ وَلَدَا الْعِلْمَ وَوَرَّثَا الْحُكْمَ وَأُمِرَ النَّاسُ بِطَاعَتِهِمَا[٢]، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾، فَمَصِيرُ

الرسول ﷺ والأئمّة عليهم السلام والدعاة الّذين هم في طريقهم(١).. الآية.

وأمّا التأويل: فإنّ المُراد بالوالدين هما الرسول ﷺ والإمام عليّ عليه السلام فهما أبَوَا هذه الأُمّة كما في مستفيض الروايات، والمعنى: أنّهما الأبوان المعنويان، لأنّ حياة النّاس بهما، فإذا كان للوالدين الجسمانيّين حقّ كبير على الإنسان لما تحمّلاه من مصاعب، فإنّ حقّ الأبوين المعنويين أكثر لأنّهما أنقذا النّاس من الضلالة، وهذا التأويل يُناسب سياق الآية، فالتوحيد أوّلاً في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ثمّ النُّبوّة والإمامة فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾، ثمّ المعاد في قوله: ﴿إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وأمّا قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ﴾ فيكون كالجملة المعترضة في هذا التأويل وذلك لبيان أنّ حقّ الأبوين المعنويين أعظم من حقّ الوالدين الجسمانيين، فكما تعبا في ولادة الإنسان كذلك الأبوان المعنويان تعبا في هداية الإنسان، وهذا أعظم وأهم من ذاك.

[٢] **(ولدا العلم، وورثا الحكم، وأمر النّاس بطاعتهما)**:

«ولدا العلم» حيث انتشر العلم عن الرسول ﷺ وبعده الإمام علي عليه السلام، فكل ما للناس من علم يرجع إلى الرسول ﷺ أوّلاً وإلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ثانياً.

و«ورّثا الحكم»: لمّا ورّث النّاس الأموال، ورّث الرسول ﷺ والأمير عليه السلام الحكم، إمّا بمعنى الإمامة حيث ورثها منهما الأئمّة عليهم السلام، أو بمعنى السيرة، فالعلم ما كان بالقول، والحكم ما كان بالعمل، والأوّل أظهر.

---

(١) راجعها في تفسير البرهان: ج٧، ص٣٩١ فما بعد في تفسير سورة العنكبوت: الآيتان ٧ و٨؛ وكذا في: ص٤٧٢ في تفسير سورة لقمان: الآيتان ١٤ ـ ١٥.

الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ الْوَالِدَانِ[٣]، ثُمَّ عَطَفَ الْقَوْلَ[٤] عَلَى ابْنِ

و«أمر الناس بطاعتهما»: أمرهم الله تعالى في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾(١)، وفي قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾(٢)، وفي آيات أُخر.

والمُراد بهذه المقاطع بيان وجه تسميتهما بالأبوين، وذلك للشباهة حيث ولدا العلم، وأولئك ولدا الإنسان، ثمَّ ورثا الحكم، وأولئك ورثا الأموال، ثمَّ أمر الله بطاعتهما مقدماً على طاعة الوالدين لأنَّهما أَوْلى بالمؤمنين من أنفسهم.

[٣] **(والدليل على ذلك الوالدان):**

فيه احتمالات ثلاثة(٣):

١ ـ إنَّ الذي يدلّك على المصير إلى الله تعالى هما الوالدان، بمعنى أنَّهم الدالَّان على المعاد ووقوعه.

٢ ـ إنَّ الذي يدلّك على كيفية المصير إليه تعالى هما الوالدان، بمعنى كيفية الوصول إلى ثوابه وتجنُّب عقابه.

٣ ـ أن يكون قوله: (والدليل على ذلك) أي الدليل على كون المُراد اللَّذين ولدا العلم هو لفظة (الوالدين)، لأنَّ المجاز في التغليب ليس بأولى من المجاز في الكلمة، لأنَّه لو كان المُراد الأب والأمّ فالتثنية بـ(الوالدين) مجاز بتغليب الأب على الأُمّ، ولو كان المُراد الرسول والأمير فيكون المجاز في أصل إطلاق كلمة الوالد على الوالد المعنوي، فتأمَّل.

[٤] **(ثم عطف القول):**

ما يُسمَّى بالبلاغة بـ(الالتفات)، أي كان المُخاطب شخصاً ثم يتغيَّر

---

(١) سورة النِّساء: الآية ٥٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٣) اقتبسناها من المرآة: ج٥، ص٩٩ ـ بتصرُّف ـ.

حَنْتَمَةَ وَصَاحِبِهِ، فَقَالَ: فِي الْخَاصِّ وَالْعَامِّ[٥] ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي﴾ يَقُولُ: فِي الْوَصِيَّةِ[٦]، وَتَعْدِلُ عَمَّنْ أُمِرْتَ بِطَاعَتِهِ[٧] ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ وَلَا تَسْمَعْ قَوْلَهُمَا، ثُمَّ عَطَفَ الْقَوْلَ عَلَى الْوَالِدَيْنِ[٨] فَقَالَ: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا

الخطاب إلى شخص آخر، والالتفات من المحسنات في الكلام ويكثر استعماله في الكلام الفصيح وخاصّة في القرآن الكريم.

[٥] **(في الخاصّ والعامّ):**

أي في خطابهما الرسول ﷺ وفي خطابهما سائر النّاس، ففي البداية حاولا ثني الرسول ﷺ عن تعيين الإمام عليٍّ عليه السلام، ولما لم يتمكنا من ذلك لأنَّ الرَّسول ﷺ يبلِّغ ما أُنزل إليه من ربِّه، لذا توجّها إلى سائر النَّاس لثنيهم عن الإمام عليه السلام، فضمير الخطاب في ﴿جَٰهَدَاكَ﴾ للرسول ﷺ وهو الخاصّ، ولعامّة النَّاس وهو العامّ.

[٦] **(يقول في الوصية):**

هذا هو الخطاب الخاصّ، وقد مرَّ أنَّ تعيين الإمام هو من الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، ومن أراد أن يعيّن من عند نفسه، فقد نسب ما هو خاص بالله إلى نفسه، وذلك شرك عملي، وقد ورد في تفسير ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(١) أنّهم ما عبدوهم لكن أطاعوهم(٢).

[٧] **(وتعدل عمَّن أمرت بطاعته):**

هذا هو الخطاب العامّ، و«أمرت» بالمجهول.

[٨] **(ثمّ عطف القول على الوالدين):**

أي رجع إلى تكليف الإنسان بالنسبة إلى حقوق الوالدين، فإنَّ الآية بدأت

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٢) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٤، ص٤٣٩.

مَعْرُوفًا﴾ يَقُولُ: عَرِّفِ النَّاسَ فَضْلَهُمَا وَادْعُ إِلَى سَبِيلِهِمَا وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ [لقمان: ١٥] فَقَالَ: إِلَى اللَّهِ ثُمَّ إِلَيْنَا[٩]، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوا الْوَالِدَيْنِ، فَإِنَّ رِضَاهُمَا رِضَا اللَّهِ وَسَخَطَهُمَا سَخَطُ اللَّهِ.

بوصية الإنسان ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ ثمَّ ختمت بوصية أُخرى للإنسان وهي نشر فضائل الوالدين والدعوة إلى سبيلهما، لأنَّهما من أناب إلى الله تعالى فقال: ﴿وَٱتَّبِعْ﴾ أيُّها الإنسان ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ الرسول ﷺ والأمير عليه السلام.

[٩] **(إلى الله ثمَّ إلينا):**

الرجوع أولاً وبالذات إلى الله سبحانه وتعالى، ثمَّ إنَّ الله تعالى يأمر النَّاس بالرجوع إليهم عليهم السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾(١) وفي الزيارة الجامعة: «وإياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم»، ولا تنافيَ في ذلك، لأنَّ الرجوع إليهم هو رجوع إلى الله لأنَّ ذلك كان بأمره وإرادته، كما أنَّ إطاعة الرسول ﷺ هي إطاعة الله تعالى لأنَّها بأمره، أمَّا إطاعة الطواغيت فهي إطاعة من دون الله لأنَّه لم يأذن بها، كما أنَّه لا تنافيَ بين قوله: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ﴾(٢)، وبين قوله: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾(٣)، وبين قوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾(٤) لأنَّ الأمر من الله، والتنفيذ من ملك الموت، وهو له أعوان قد يأمرهم بالتنفيذ.

---

(١) سورة الغاشية: الآيتان ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) سورة الزمر: الآية ٤٢.

(٣) سورة السجدة: الآية ١١.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٦١.

٨٠ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَيْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ[١]: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]؟ قَالَ:

الحديث الثمانون:

[١] (عن قول الله عزَّ وجلَّ):

في الآيات السابقة يذكر الله تعالى أنَّ عاقبة الكفَّار إلى النَّار، وأنَّ الشَّيطان يلوم أتباعه ويتبرَّأ منهم، ويذكر تعالى أنَّ عاقبة المؤمنين إلى الجنَّة، وأنَّ تحيَّتهم فيها سلام، فأعمال أولئك أدخلتهم النَّار، وأعمال هؤلاء أدخلتهم الجنَّة.

بعد كلّ ذلك يذكر سبحانه الفرق بين الكلمة الطيِّبة والخبيثة، فكما أنَّ للعمل الطيِّب نتيجة طيِّبة كذلك الكلمة الطيِّبة، وعكسهما العمل الخبيث والكلمة الخبيثة.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم، وإنَّما أتى بلفظ الرؤية للدلالة على أنَّ هذا العلم كالرؤية لا مجال للشَّكّ فيه ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أي بيَّن المثل لتقريب المطلب إلى الذهن ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي القول الحقّ والإصلاح بين النَّاس ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ سواء كانت شجرة مادية كالنخلة، أم معنوية كبيت النُّبوَّة، ﴿أَصْلُهَا﴾ أصل الشجرة ﴿ثَابِتٌ﴾ المادية ثابتة عروقها في الأرض، والمعنوية لها جذور في الأنبياء والأوصياء؛ فبيت هاشم عليهم السلام بيت عريق، ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي مرتفع، وهذا شأن كل شجرة إذا قوي أصلها ارتفعت واستمرت لسنوات طوال، وكذا بيت النُّبوَّة فرعه مرتفع إلى أسمى درجات الكمال، ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا﴾ ثمرتها ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ أي كلّ زمان وقَّته الله لإثمارها، كذا العلم ينبع من بيت النُّبوَّة يستفيد منه الحجَّاج والمعتمرون وسائر النَّاس في الأوقات الَّتي يأذن الله لهم بنشر تلك العلوم.

﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فإنَّ الأمثال تقرّب الفكرة

فَقَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْلُهَا[٢]، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَرْعُهَا، وَالْأَئِمَّةُ مِنْ

إلى أذهان النَّاس، وترجعهم إلى فطرتهم، فقد يتوهّمون من غلبة الباطل على أنَّ الحقّ اضمحلَّ، وليس كذلك بل الحقّ باقٍ ويُعطي ثماره ولو بعد حين.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ قول باطل ودعوة إلى ضلال وإفساد ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ لا يطيب ثمرها كالحنظل، فلا هي زاكية ولا هي راسخة الجذور، وكبني أُميَّة أصلهم خبيث وفعلهم أخبث، كأنَّها ﴿اجْتُثَّتْ﴾ اقتلعت جثَّتها ﴿مِن فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ حيث إنَّ جذورها قريبة من سطح الأرض ولا تضرب إلى الأعماق فلا تستحق أن يُقال لها «من الأرض»، ﴿مَا لَهَا﴾ ليس لتلك الشجرة ﴿مِن قَرَارٍ﴾ ثبات واستقرار، تقتلع فوراً وتموت بسرعة.

وحيث اتضح المثل فالمُراد هو ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالعقائد الحقَّة والكلام الحقّ وذلك عن طريق البرهان واطمئنان القلب، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فينطقون بالحق وتحيَّتهم فيها سلام، ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ في الدُّنيا حيث يتركهم الله وشأنهم حتَّى يركسوا في الجهل والضلالة، وفي الآخرة عن طريق الجنَّة ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ . . . الآيات.

[٢] **(رسول الله أصلها . . .) إلخ:**

تشبيه النَّبي ﷺ بالأصل، لأنَّه واسطة الفيض الإلٰهي، وهو سيِّد أهل بيت النُّبوَّة، ومنه كان العلم حيث ارتفع منه إلى الأئمَّة، فأصل علومهم منه، كما أنَّ نسبهم إليه.

وتشبيه الإمام علي عليه السلام بالفرع، لأنَّ «الفرع» هو الأغصان الكبيرة التي تنقسم إليها الجذوع، فالإمام عليّ عليه السلام هو الواسطة بين الرسول ﷺ وبين الأئمَّة عليهم السلام، فعلوم الرسول وصلت إليهم عن طريقه، كما أنَّ نسبهم عليهم السلام إليه.

وتشبيه الأئمَّة عليهم السلام بالأغصان، لأنَّها تُحيط بالفرع وتنمو منه، ومنهم انتقل

ذُرِّيَّتِهِمَا أَغْصَانُهَا، وَعِلْمُ الْأَئِمَّةِ ثَمَرَتُهَا، وَشِيعَتُهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَرَقُهَا، هَلْ فِيهَا فَضْلٌ[٣]؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُولَدُ[٤] فَتُورَقُ وَرَقَةٌ فِيهَا، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيَمُوتُ فَتَسْقُطُ وَرَقَةٌ مِنْهَا.

العلم إلى النَّاس، فهم عليهم السلام الواسطة في وصول ذلك العلم وانتفاع النَّاس به، فكان ذلك العلم كثمرة الشجرة.

ثمَّ إنَّ الأوراق تحفظ الثمار وتكون زينة للأشجار، كذلك الشيعة إذا كانوا مؤمنين فهم الَّذين ينقلون ذلك العلم جيلاً بعد جيل، ولولاهم لضاع ذلك العلم، كما قال الإمام الصَّادق عليه السلام: «لولا زرارة ونظراؤه... لاندرست أحاديث أبي»(١) وفي حديث آخر «لاندرست آثار النبوّة»(٢)، وفي حديث آخر عنه عليه السلام: «كونوا لنا زيناً ولا تكونوا علينا شيناً»(٣).

[٣] **(هل فيها فضل):**

أي هل بقي في الشجرة مكان ليحتلَّه المخالفون لأهل البيت عليهم السلام؟ كلّا، فكلّ تلك الشجرة تنحصر في بيت النُّبوَّة وفي علومهم وفي شيعتهم المؤمنين.

[٤] **(والله إنَّ المؤمن ليولد...) إلخ:**

هذا من باب تكميل التشبيه، فإنَّ الأصل والأغصان والثمرة تبقى محفوظة دائماً، لكن الأوراق تتبدَّل، ولا يضرُّ ذلك بالشجرة وثمرها، فكلَّما سقطت ورقة قيَّض الله أُخرى.

وفي المرآة: ويحتمل أن تكون في الجنَّة شجرة هي «المشبه بها»، وتُورق الورقة من تلك الشجرة وتسقط منها(٤)، ولعلَّها شجرة طوبى، والله العالم.

---

(١) الوسائل: ج٢٧، ص١٤٤.

(٢) الاختصاص: ص٦٦.

(٣) الوسائل: ج١٢، ص١٩٤.

(٤) المرآة: ج٥، ص١٠٤.

٨١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ حَمْدَانَ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْيَمَانِيِّ، عَنْ مَنِيعِ بْنِ الْحَجَّاجِ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ

ثمَّ اعلم أنَّ هذا تشبيه، ولذا أمكن تعدُّد كيفية التشبيه بأيِّ نحو ناسب بين (المشبَّه) و(المُشبَّه به)، ولذا تنوَّعت الروايات في بيان كيفية التشبيه(١)، وكلّ ذلك أنواع مختلفة في التمثيل، وبها تقرّب الفكرة إلى الأذهان.

الحديث الحادي والثمانون:

[١] **(في قول الله عزَّ وجلَّ. . .) إلخ:**

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أكثر ظلماً لنفسه ﴿مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ علائمه، وخاصَّة بالقرآن والأئمَّة عليهم السلام ﴿وَصَدَفَ﴾ أعرض أو صدَّ ﴿عَنْهَا﴾ عن الآيات، فكان ضالّاً مُضلّاً، ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ أي شدَّته ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ أي سبب العذاب هو إعراضهم وصدُّهم عن الآيات.

وكيف هؤلاء لا يؤمنون بعد أن رأوا الآيات فـ﴿هَلْ﴾ استفهام للإنكار ﴿يَنظُرُونَ﴾ أي ينتظرون لكي يؤمنوا ﴿إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾؟ وهذا لا يمكن في حال التكليف، فإذا رأوا الملائكة حين الموت فقد ارتفع التكليف، ﴿أَوْ﴾ ينتظرون أن ﴿يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾؟ وهذا محال فليس الله جسماً وفي مكان لكي يأتيهم بل أرسل الآيات فعليهم أن يؤمنوا بها، ﴿أَوْ﴾ ينتظرون أن ﴿يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أي العذاب في دار الدُّنيا، أو حين ظهور الإمام عليه السلام، أو حين خروج دابة الأرض(٢)، لكن ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ﴾ تلك النَّفس ﴿ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾، وذلك لأنَّ العذاب لا ينزل إلَّا بعد تمام الحجَّة والمخالفة، وعند ذاك قد انتهى

---

(١) راجع الروايات في تفسير البرهان: ج٥، ص٣٩٤ ـ ٣٩٧.

(٢) راجع الروايات في هذه المعاني في تفسير الصافي: ج٣، ص١٢٩ ـ ١٣٠.

ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ يَعْنِي فِي الْمِيثَاقِ[٢] ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨] قَالَ: الْإِقْرَارُ[٣] ....

وقت الاختبار وجاء وقت المُجازاة، ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ أي أطاعت في إيمانها، وإلّا فمجرَّد إظهار الإيمان من غير إقرار قلبي به يكون من النِّفاق، ومن المعلوم أنَّ الإطاعة في أُصول الدِّين ومنها الإقرار بالأئمَّة عليهم السلام هو الخير الذي يكسبه الإنسان من إيمانه.

والحاصل حين مجيء الآيات لا ينفع إيمان الكافر، كما لا ينفع إيمان المنافق الَّذي لم يقرّ بأُصول الدِّين، وفي المرآة: أي ولم تكن كسبت من قبل في إيمانها بك خيراً، أي أفضل الطاعات وهو الإقرار بالأئمَّة عليهم السلام، فلفظة «أو» للتقسيم، فإنَّ الصادّين - أي المعرضين - عن آيات الله قسمان: الأوَّل: من لم يُؤمن بنبوَّة محمَّد صلى الله عليه وآله، والثاني: من آمن به ولم يُؤمن بالأئمَّة عليهم السلام(١).

[٢] (يعني في الميثاق):

أي عالم الذَّرّ، فإنَّ من آمن في ذلك العالم باختياره، فإنه يختار الإيمان في هذه الدُّنيا أيضاً، ومن اختار الكفر هنالك يختاره هنا أيضاً.

والمعنى: أنَّ المتمرِّد عن الطاعة بسوء اختياره يسقط في كل الامتحانات، والمُطيع بحسن اختياره ينجح في كلّها، وهذا نظير المدرسة الَّتي فيها طلَّاب كُسالى، وطلَّاب مُجدّون، وكلَّما جاء امتحان من بداية السنة سقط الكُسالى ونجح المجدّون، حتَّى إذا جاء امتحان آخر السنة يسقط الكسول بشكل نهائي وينجح المُجدّ.

[٣] (قال: الإقرار...) إلخ:

هذا معنى «الخير» في قوله: ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾، ففسَّره عليه السلام بالإقرار بالأنبياء والأوصياء وهما أصلان من أُصول الدِّين، وبالاعتقاد

---

(١) المرآة: ج٥، ص١٠٥.

بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام خَاصَّةً[٤]، قَالَ: لَا يَنْفَعُ إِيمَانُهَا[٥]، لِأَنَّهَا سُلِبَتْ.

٨٢ ـ وَبِهَذَا الْإِسْنَادِ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ صَبَّاحٍ الْمُزَنِيِّ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَحَدِهِمَا عليهما السلام، فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ[١]: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً

بهما يتم جميع أُصول الدِّين، لأنه يتضمَّن الإقرار بالله سبحانه، كما يتضمَّن تصديقهم في المعاد أيضاً.

[٤] **(وأمير المؤمنين خاصَّة):**
إنَّما خصَّه بالذِّكر لأنَّ أكثر الأُمَّة أعرضت عنه، وكان بذلك سقوطها، فكان لا بُدَّ من التذكير.

[٥] **(قال: لا ينفع إيمانها):**
بيان علَّة عدم نفع الإيمان للَّتي لم تكسب في إيمانها خيراً، وذلك لأنَّ من آمن بالله تعالى من غير إقرار بالأنبياء والأوصياء لا يكون إيمانه مستقراً بل مُعاراً، والعارية تسلب، فمن أقرَّ بأنَّ الله ربّه في عالم الذَّرّ حيث قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾(١)، إذا لم يشفعه بالإقرار بالأنبياء والأوصياء يسلب منه هذا الإيمان ويكون كـ«لا إيمان»، لذا منكر الأنبياء كافر ظاهراً، وجاحد الأئمَّة كافر باطناً، وإن أظهر عداوته نصباً فكافر ظاهراً أيضاً.

الحديث الثاني والثمانون:

[١] **(في قول الله عزَّ وجلَّ. . .) إلخ:**
الآية في سياق ذمّ اليهود ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا﴾ لن تصيبنا ﴿النَّارُ﴾ في الآخرة ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ قليلة، قيل: توهموا أنَّه سبعة أيَّام ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿بَلَىٰ﴾ وهو إثبات ما نفوه، فإنَّ القاعدة العامَّة الَّتي لا

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾. قَالَ: إِذَا جَحَدَ إِمَامَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٢]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: ٨١].

٨٣ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي نَصْرٍ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَذَّاءِ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنِ الِاسْتِطَاعَةِ[١] ....

يُستثنى منها اليهود هي ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ أي عمل عملاً سيِّئاً، ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ﴾ استولت عليه واحتوته ﴿خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ وذلك بكثرة الذُّنوب بحيث لم يبقَ له منفذ إلى الخير ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ﴾ ملازمون لها ﴿هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾.

ولا يخفى أنَّ السيِّئة الواحدة إذا كانت إنكار أصل من أُصول الدِّين ولم يتُب عنها فإنَّها تغلق جميع منافذ الخير، فإنَّ مرتكبها يكون خالداً في النَّار، ومن المعلوم أنَّ الولاية من الأُصول ـ كما مرَّ مراراً ـ.

[٢] **(إذا جحد إمامة أمير المؤمنين عليه السلام):**

الجحد هو الإنكار مع اليقين بالحقّ، كما في قوله: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾(١)، وهذا أسوأ أنواع الإنكار، لأنَّه عناد ولجاج مع الحقّ.

الحديث الثالث والثمانون:

[١] **(عن الاستطاعة):**

قد مرَّ في كتاب التوحيد تفصيل (الاستطاعة)، ومعناها: أنَّه هل يستطيع الإنسان في أفعاله أم أنَّه غير مستطيع بل هو مجبور فيها، وقد بيَّنا هناك أنَّ استطاعة الإنسان لأفعاله بديهي، نعم إنَّ كثير من المقدِّمات ليست باختياره، لكن يكفي في اختيارية الفعل والاستطاعة كون بعض المقدِّمات

---

(١) سورة النمل: الآية ١٤.

وَقَوْلِ النَّاسِ؟ فَقَالَ ـ وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ[٢]: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] ـ: يَا أَبَا عُبَيْدَةَ! النَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي إِصَابَةِ الْقَوْلِ[٣]، وَكُلُّهُمْ هَالِكٌ، قَالَ: قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾؟ قَالَ: هُمْ شِيعَتُنَا[٤]، وَلِرَحْمَتِهِ خَلَقَهُمْ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾. يَقُولُ: لِطَاعَةِ

اختيارية، وهذا معنى (الأمر بين الأمرين)، فراجع.

[٢] **(وتلا هذه الآية):**

أي قال حال كونه تالياً لهذه الآية.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ مشيئة تكوينيّة بإجبار النّاس ﴿لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ جماعة واحدة على الهداية، لكنّه لم يشأ ذلك لئلّا يبطل الامتحان والثواب والعقاب، ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ مستمرّين ﴿مُخْتَلِفِينَ﴾ بعضهم كافر وبعضهم مؤمن، وبعضهم عاص وبعضهم مُطيع، حيث شاء الله اختيارهم وقدرتهم، ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ وهم المؤمنون فإنّهم يجتمعون على الحقّ ﴿وَلِذَلِكَ﴾ للرّحمة ﴿خَلَقَهُمْ﴾ أي إنّ الله خلق النّاس ليرحمهم، وذلك عن طريق عبادتهم له تعالى، لكن بعض النّاس أبوا وعتوا، فالمشكلة فيهم لا في فعل الله تعالى، وحيث أعرضوا عن رحمة الله لذلك استحقوا العقاب ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ فلا مبدّل لها، والكلمة هي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ فلا استثناء لطوائف من النّاس، فكلّ من كفر وعصى من أية قوميّة أو فرقة أو جماعة فإنّ مصيره إلى جهنّم.

[٣] **(في إصابة القول):**

أي اختلافهم إنّما هو في إصابة القول ـ وهو الوصول إلى الحق ـ، والمعنى: هؤلاء مختلفون في الوصول إلى الحق فبعضهم أصاب وبعضهم لم يصب.

[٤] **(هم شيعتنا):**

هذا تفسير للموصول في ﴿مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾.

الْإِمَامِ[٥]، الرَّحْمَةُ الَّتِي يَقُولُ[٦]: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦][٧]. ....

---

[٥] (يقول: لطاعة الإمام):
أي قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي للرَّحمة، وهذه الرَّحمة هي إطاعة الإمام عليه السلام، وذلك لأنَّ الإطاعة هي سبب الوصول إلى رحمته تعالى، ولذا فسَّر الرَّحمة بسببها.
فإنَّ الَّذي لم يُطع الإمام لا يمكنه إطاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله، لأنهما أمرا بإطاعة الإمام، فعدم إطاعة الإمام عصيان لهذا الأمر منهما.
كما أنَّ شرط قبول وصحَّة الأعمال هو إطاعة الإمام، فلا تمكن إطاعة الله والرسول إلَّا عبر إطاعة الإمام.
كذلك الإمام بيَّن العقائد والأعمال الصحيحة، ومن انحرف عنهم عليهم السلام أخذ عن غيرهم الاعتقادات والأعمال بشكل خاطىء مغلوط غلبت عليه الأهواء والجهالات.
والحاصل: أنَّ سبب الوصول إلى رحمة الله تعالى هو الاعتقادات الصحيحة والأعمال المقبولة، ولا صحَّة ولا قبول إلَّا عن طريق إطاعة الأئمَّة عليهم السلام.

[٦] (الرَّحمة التي يقول):
قوله: «الرَّحمة» استئناف، والمعنى: إنَّ الرَّحمة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ هي الرَّحمة المذكورة نفسها في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وحيث إنَّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً ولا اختلاف فيه، لذلك لفهم خصوصيات رحمته تعالى لا بُدَّ من التدبُّر في الآية الثانية، ولذلك انتقل الإمام عليه السلام إلى تفسيرها وتأويلها.

[٧] (ورحمتي وسعت كل شيء):
الآية في سورة الأعراف، والإمام عليه السلام هنا يفسرها بالمصداق لشدَّة الحاجة إليه، أو لخفائه على النَّاس ممَّا احتاج إلى التذكير والبيان، والآية

في جواب موسى ﵇، لكن الجواب بيان لقاعدة عامّة تنطبق على قوم موسى وعلى غيرهم من الأمم.

قال سبحانه: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾ أي من قومه ﴿سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ المكان والزمان الّذي عيّنه الله تعالى لهم ليسمعوا كلام الله فيزدادوا إيماناً ويتبيّن لهم صدق موسى ﵇، لكنّهم لم يقتنعوا فعاندوا وطلبوا الرؤية فأهلكهم الله، ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الصاعقة التي سبّبت انخلاع قلوبهم بارتجافها، فهنا خاف موسى ﵇ أن يتهمه بنو إسرائيل بأنّه قتل هؤلاء السبعين، فدعا الله أن يحييهم فـ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ حينما كانوا في منازلهم فلا أُتهم أنا بقتلهم، ﴿وَإِيَّٰىَ﴾ أي أهلكتني معهم، ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾ وهذا رجاء بصيغة الاستفهام، زيادة في الخضوع والاستكانة لله تعالى ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ وهم الذين طلبوا الرؤية، وفي التقريب: أي إنّ الإهلاك بسبب ما طلبه السفهاء من الرؤية، خلاف رجائنا فيك، وإن كان بالاستحقاق، حيث إنّ مثل هذا الطلب من السفهاء وسكوت العقلاء عنهم بعدم إنكار المنكر مُوجب لاستحقاق العقوبة[١]، ﴿إِنْ﴾ نافية أي ليست ﴿هِىَ﴾ الرجفة ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي امتحانك، وذلك لأنّه تعالى أسمعهم كلامه فطمعوا في الرؤية، ﴿تُضِلُّ بِهَا﴾ بالفتنة ﴿مَن تَشَآءُ﴾ ممّن أعرض ولم تنفعه الهداية، ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ ممّن كان قابلاً للهداية، وفي التقريب: لم يذكر هنا «بها» لأنّ الهداية قد تكون بدون الاختبار أيضاً، فالهداية أعم من الابتدائية وممّا تتعقّب الاختيار[٢]، ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ تفعل ما تشاء ممّا فيه المصلحة، ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ * وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ اسم جنس والمُراد حسن معيشة مع توفيق للطاعة، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بالجنّة والرضوان، ﴿إِنَّا هُدْنَآ﴾ رجعنا ﴿إِلَيْكَ﴾.

﴿قَالَ﴾ الله تعالى في جوابه ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ ممّن استحقّ، ولكن قد أغفر له ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ في الدُّنيا تشمل الكافر

(١) تقريب القرآن: ج٢، ص٢٥٢.

(٢) المصدر نفسه.

والمؤمن، العاصي والمطيع، ومن المعلوم أنَّ أعظم رحماته هي جعل الحجَّة، وذلك بإرسال الرُّسل واختيار أوصياء لهم يبلغون بما علَّمهم الله تعالى، كما أنَّ المؤمنين هم سبب عموم رحمته للجميع فببركاتهم يتنعَّم الكفَّار والعصاة أيضاً، لكن في الآخرة ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ أي أُثبتها وأوجبها ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي يحفظون أنفسهم عن الكفر والمعاصي، ومن الواضح أنَّ إطاعة أعداء الله سبب لكل ضلال، فمن لم يُطعهم بل أطاع الإمام الحق كان متّقياً، ﴿وَيُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾، ثمَّ بيَّنهم بقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ﴾ محمَّد بن عبد الله ﷺ، حيث هو نبيّ ورسول، وكل رسول هو نبيّ، وبعض الأنبياء رسل، وقد مرَّ تفصيله في «باب الفرق بين الرسول والنبي والمُحدَّث» فراجع، ﴿الْأُمِّيَّ﴾ الذي لم يتعلَّم الكتابة والقراءة عند أحد ـ وإن كان عالماً بهما بوحي من الله ـ، أو منسوب إلى «أُمّ القرى» وهي مكَّة، ﴿الَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا﴾ بأوصافه ﴿فِى التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ ومن أوصافه المكتوبة أنَّ له أوصياء أوَّلهم عليّ عليه السلام وآخرهم القائم عليه السلام، ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ ما يعرفه العقلاء فيقبلونه، ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ ما ينكره العقلاء فيرفضونه، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَٰتِ﴾ الأُمور الحسنة سواء ممَّا كان يستلذّ منها مادياً، أم معنوياً كالكلمة الطيِّبة عن طريق أخذ العلم من أهله، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَٰٓئِثَ﴾ وهو ما تعافه النُّفوس مادياً أو معنوياً ومنه قول المخالفين، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ﴾ يرفع عنهم ويُخفِّف عليهم ﴿إِصْرَهُمْ﴾ وهو الحمل الثقيل كالتكاليف الشاقة والذُّنوب، والمُراد أنَّ شريعته سهلة سمحاء لا ثقل فيها، ﴿وَالْأَغْلَٰلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ وهي ما تقيّد يد الإنسان ورجله، ومنها العهود الثقيلة والقوانين والأعراف الكابتة للحريات ولانطلاق الإنسان، ومن المعلوم أنَّ اتباع منهج الرَّسول ﷺ بما بيَّنه الأئمَّة عليهم السلام كفيل بذلك، أمَّا اتباع أئمَّة الجور فذلك سبب مزيد من الإصر والأغلال.

﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ﴾ بالرَّسول ﷺ وذلك عن طريق اتباع منهجه الَّذي

يَقُولُ: عِلْمُ الْإِمَامِ[٨]، وَوَسِعَ عِلْمُهُ الَّذِي هُوَ مِنْ عِلْمِهِ[٩] كُلَّ شَيْءٍ، هُمْ

يُبيّنه الأئمّة عليهم السلام، ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ عظّموه ووقّروه، وأصل التعزير هو المنع، وذلك بتقويته والذبّ عنه، ﴿وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ القرآن والأئمّة عليهم السلام ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون في الدُّنيا والآخرة.

[٨] **(يقول: علم الإمام):**

أي معنى رحمتي هو علم الإمام، وذلك لأنَّ اتباع علم الإمام هو سبب نزول الرَّحمة على الإنسان، فهذا تفسير للرَّحمة بسببها.

ولا يخفى أنَّه عليه السلام فسَّر الرَّحمة في الآية السابقة بطاعة الإمام، وفسَّرها في هذه الآية بعلم الإمام، لأنَّ الإمام وكل ما يتعلَّق به رحمة الله للنَّاس...

١ ـ فهو رحمة بنفسه إذ بيُمنه رزق الورى وبوجوده ثبتت الأرض والسَّماء ـ كما في الدعاء(١) ـ، ولولاهم لم يخلق الله أحداً.

٢ ـ وعلمه رحمة للنَّاس، لأنَّ الله سبحانه بيَّن الحقّ والطريق الموصل إلى السعادة في الدُّنيا والآخرة، فعلَّم الرَّسول صلى الله عليه وآله، والرَّسول أورثهم علمه، فلو أراد النَّاس الفلاح في الدَّارين لأخذوا منهم عليهم السلام.

٣ ـ وطاعته رحمة للناس، لأنَّه يأمرهم بما فيه صلاحهم وينهاهم عمَّا فيه ضررهم، وطاعته طاعة الرَّسول صلى الله عليه وآله، وطاعة الرَّسول طاعة الله تعالى وبذلك الفوز والفلاح.

ويمكن أن يُقال: إنَّ المُراد بالرَّحمة هو الثواب والفضل الإلهي، وطريقه هو إطاعة الإمام وأخذ العلم عنه والعمل به.

أو أنَّ سبب لزوم طاعة الإمام هو علمه، وقد قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٩] **(علمه الذي هو من علمه):**

المقصود تفسير قوله: ﴿وَرَحْمَتِي﴾، فالرَّحمة هي علم الإمام، وهذه

---

(١) راجع دعاء العديلة، في مفاتيح الجنان: ص١٦٠.

شِيعَتُنَا[١٠]، ثُمَّ قَالَ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ يَعْنِي وَلَايَةَ غَيْرِ الْإِمَامِ وَطَاعَتَهُ[١١]، ثُمَّ قَالَ: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ وَالْوَصِيَّ وَالْقَائِمَ[١٢]، ....

أُضيفت إلى ياء المتكلِّم فقوله: «الذي هو من علمه» تفسير لياء المتكلِّم، فالمعنى: علم الإمام هو من علم الله سبحانه وتعالى كما قال: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

[١٠] (كل شيء هم شيعتنا):
أي «كل شيء» في قوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ هم الشيعة، وفي المرآة: وفسر عليه السلام «الشيء» بالشيعة، لأنَّهم المنتفعون به، فصار لهم رحمة، وأمَّا سائر الخلق فإنَّه وإن كان لهم أيضاً رحمة لكن لمَّا لم ينتفعوا به صار عليهم غضباً، فالمُراد بـ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ إمَّا كل محلّ قابل وهم الشيعة، أو يكون عامّاً والتخصيص بالشيعة لعدم انتفاع غيرهم به(١).

[١١] (يعني ولاية غير الإمام وطاعته):
بيان لـ«المتَّقى منه» أي مفعول يتقون، فالمعنى: يكفّون أنفسهم عن ولاية الجائرين، وهذا تفسير بالمصداق، والاتقاء عامّ في كل أُصول الدِّين، وإنَّما خصَّ الولاية بالذِّكر لأنَّ تركها يستلزم الشِّرك كما مرَّ توضيحه، أو لأنَّها الفرد الأخفى حيث يغفل عنها الكثير من المسلمين فضلاً عن غيرهم.

[١٢] (يعني النَّبي ﷺ والوصي والقائم):
فيه احتمالات:
الأوَّل: أنَّهم يجدون النَّبي موصوفاً بأنَّ له أوصياء، أوَّلهم الإمام عليّ عليه السلام وآخرهم المهدي عجَّل الله تعالى فرجه الشريف.

---

(١) المرآة: ج٥، ص١٠٩ ـ ١١٠.

﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ إذا قام[١٣]، ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾. وَالْمُنْكَرُ مَنْ أَنْكَرَ فَضْلَ الْإِمَامِ وَجَحَدَهُ، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾[١٤] أَخْذَ الْعِلْمِ مِنْ

وفي المرآة: لعلَّ المعنى أنَّه ذكر ـ في ضمن نعته المذكور في الكتابين ـ أنَّ له أوصياء، أوَّلهم عليّ وآخرهم القائم، يقوم بإعلاء كلمتهم، فهو بيان للوجدان، أي يجدونه بتلك الأوصاف والخصوصيات(١).

الثاني: أنَّه تفسير لضمير ﴿عِندَهُمْ﴾ أي التوراة والإنجيل غير المحرَّفَيْن الموجودَين عند النّبي والوصي والقائم.

الثالث: أن يكون الوصي والقائم وصفَين للرسول أيضاً لأنَّ الأنبياء وصّوا به وبشَّروا به وهو الَّذي يقوم بالحقّ والعدل. والاحتمال الأوَّل أقرب.

[١٣] **(يأمرهم بالمعروف إذا قام)**:

أي إذا نهض الرسول بأعباء الرِّسالة فإنَّه يبدأ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففاعل «قام» هو الرَّسول ﷺ، فقد أمره الله تعالى بالصمت لحين الوقت الَّذي يأمره فيه، قال سبحانه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾(٢).

ويحتمل أن يكون ضمير يأمرهم راجعاً إلى القائم، والغرض بيان أنَّ الأمر والنهي المنسوبين إلى النَّبي ليس المُراد بهما صدورهما عنه ﷺ بخصوصه، بل يشمل ما يصدر عن أوصيائه ﷺ، والَّذي يتمكَّن من هذين على وجه الكمال هو القائم لنفاذ حكمه وجريان أمره.

[١٤] **(يحلُّ لهم الطيّبات)**:

(الطيب): ما يكون ملائماً للطبع المستقيم السليم بشرط إدراك حسنه، وتدخل فيه المستلذّات الحسنة، وعكسه (الخبيث) وهو ما تتنفر منه الطباع السليمة بشرط إدراك خبثه.

ولا يخفى أنَّ المُراد هو الطيِّب الواقعي والخبيث الواقعي، إذ قد لا تتنفّر

---

(١) المصدر: ص١١٣ ـ ١١٤.

(٢) سورة القيامة: الآيات ١٦ ـ ١٨.

أَهْلِهِ[١٥]، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ وَالْخَبَائِثُ قَوْلُ مَنْ خَالَفَ[١٦]، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ وَهِيَ الذُّنُوبُ[١٧] الَّتِي كَانُوا فِيهَا قَبْلَ مَعْرِفَتِهِمْ فَضْلَ الْإِمَامِ،

الطباع من الخبيث بسبب الجهل أو سوء العادة ونحو ذلك، كالطعام اللّذيذ المسموم فإنّه خبيث واقعاً ولكن من يجهل بكونه مسموماً لا يلتفت إلى خبثه، كذلك قد تتنفّر الطباع من الطيّب الواقعي للجهل أو لسوء التربية أو لسوء الطعم كبعض الأدوية، ونحو ذلك.
فالحاصل: أنّه ﷺ يُحرّم الخبائث الواقعية ويُحلّل الطيّبات الواقعية، ومن المعلوم أنّهما كما يكونان في الماديات كذلك في المعنويات.

[١٥] **(أخذ العلم من أهله)**:
هذا من الطيّبات المعنوية، أو لأنّ الأخذ منهم يسبّب معرفة الطيّب الواقعي وتمييزه عن الخبيث الواقعي، وهذا من التفسير بالمصداق.

[١٦] **(والخبائث قول من خالف)**:
فقول المخالف خبيث، كما أنّه يستلزم الوقوع في الخبائث العملية، وهذا تفسير بالمصداق الأهم.
ولا يخفى أنّ الإمام عليه السلام عبّر عن الطيّبات بالعلم من أهله، ولم يُعبّر عن الخبائث بالعلم بل عبّر عنها بالقول، لأنّها ليست علماً بل هي جهل وجهالة.

[١٧] **(وهي الذُّنوب. . . .) إلخ**:
فسّر (الإصر) بالذُّنوب العملية، و(الأغلال) بعدم معرفتهم أُصول الدِّين.
فأمّا الإصر فهو الذُّنوب الّتي ارتكبها المخالف قبل معرفته، وذلك لأنّهم أحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، فأتباعهم يرتكبون الذُّنوب تلو الذُّنوب بذلك، كما أنّ عباداتهم غير مقبولة ولا صحيحة فيرتكبون ذنب ترك العبادات، وكذا سائر أعمالهم، لكنّهم لمّا هداهم الله إلى الإيمان كفّر عنهم ذنوبهم، بل ولم يلزمهم بقضاء ما فات من العبادات، هدية منه تعالى لهم لهدايتهم.

﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ وَالْأَغْلَالُ مَا كَانُوا يَقُولُونَ[١٨] مِمَّا لَمْ يَكُونُوا أُمِرُوا بِهِ مِنْ تَرْكِ فَضْلِ الْإِمَامِ، فَلَمَّا عَرَفُوا فَضْلَ الْإِمَامِ وَضَعَ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ، وَالْإِصْرُ الذَّنْبُ، وَهِيَ الْإِصَارُ[١٩]، ثُمَّ نَسَبَهُمْ[٢٠] فَقَالَ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ﴾ يَعْنِي بِالْإِمَامِ[٢١] ﴿وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ

---

[١٨] (ما كانوا يقولون. . . .) إلخ:

أي اعتقادهم الباطل وعدم معرفتهم لأصول الدِّين، وإنَّما خصَّ (فضل الإمام) بالذِّكر، لأنَّ معرفة الإمام هي استجماع لكل أُصول الدِّين، إذ لا تمكن معرفته إلَّا عبر معرفة التوحيد والنُّبوَّة والمعاد فمن عرف الإمام فقد عرف الله ورسوله وسائر أُصول الدِّين، ومن لم يعرف الإمام وقع في الشِّرك وفي القول الباطل في الرَّسول ﷺ كما مرَّ تفصيله.

[١٩] (والإصر الذنب وهو الإصار):

تكرار للتأكيد، ولبيان أنَّ الذُّنوب تمنع الإنسان من الانطلاق، فهي مثل الإصار ـ بكسر الهمزة ـ وهو حبل يثبت به الخيمة، أو الوتد الَّذي يعقد الحبل به[١].

وفي معنى هذه العبارة احتمالات أُخرى.

[٢٠] (ثمَّ نسبهم):

يعني نسب الشيعة ـ الَّذين ذكرهم في صدر الحديث في تفسير قوله: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ ـ، والمقصود بيان أوصافهم ومآلهم.

[٢١] (آمنوا به يعني بالإمام):

الباء في (بالإمام) للسببية، فالمعنى: الَّذين آمنوا بالرَّسول بسبب الإمام، لأنَّه الدليل إلى الرَّسول ﷺ ويُبيِّن أقواله، وأمَّا حكَّام الجور فإنَّهم اختلقوا بأهوائهم أُموراً نسبوها للرسول كما اختلقوا أوصافاً نسبوها إليه، فلم يؤمنوا به حقيقة.

وفي المرآة: «يعني بالإمام»: أي هو داخل في الإيمان وعمدةٌ فيه،

---

(١) راجع مقاييس اللغة: ص٦٣.

هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ يَعْنِي الَّذِينَ اجْتَنَبُوا[٢٢] الْجِبْتَ وَالطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا[٢٣]،

والإيمان بالرسول لا يكون إلَّا بالإيمان بالإمام، وقد ورد في الأخبار أنَّ المُراد بالنُّور أمير المؤمنين عليه السلام(١).

[٢٢] (يعني الَّذين اجتنبوا. . .) إلخ:

أي الإيمان به وتعزيره ونصره واتباع النُّور الَّذي معه لا يمكن إلَّا عبر البراءة عن أعدائهم، إذ كيف يمكن الجمع بينه وبين أعدائه، مع ما بينهما من البون الشاسع والعداء والحرب، وقد قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾.

أو المقصود أنَّ هؤلاء المؤمنين المذكورين في هذه الآية هم الذين ذكروا في آيات أُخرى.

والحاصل: أنَّ الإيمان يتحقَّق بأمرين، ثمَّ بعده النتيجة:

١ ـ البراءة من أعداء الله سواء كانت أصناماً حجرية أم بشرية، ومن ذلك عدم إطاعة أئمَّة الضلال.

٢ ـ الإقبال إلى الله تعالى والتسليم له.

وإنَّما قدَّم الإمام عليه السلام البراءة لأنَّه لا يمكن الإيمان بالله إلَّا بعد نفي الأنداد والأضداد، كما في كلمة التوحيد (لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّه)، وكما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾(٢).

٣ ـ والنتيجة هي البشارة في الحياة الدُّنيا وفي الآخرة.

[٢٣] (الجبت والطاغوت أن يعبدوها):

إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا

---

(١) المرآة: ج٥، ص١١٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

(٣) سورة النِّساء: الآيتان ٥١ ـ ٥٢.

وَالْجِبْتُ وَالطَّاغُوتُ: فُلَانٌ وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ، وَالْعِبَادَةُ: طَاعَةُ النَّاسِ لَهُمْ[٢٤]**. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾**[٢٥] [الزُّمَر: ٥٤]**. ثُمَّ جَزَاهُمْ فَقَالَ:**

وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾(١).

و«الجبت»: اسم صنم، ثمَّ استُعمل في كل ما عُبد من دون الله، و«الطاغوت»: صيغة مبالغة من الطغيان على وزن جبروت وملكوت، وأصله طغووت فقلب، ثم أريد بهما الغاصبين للخلافة و«الإنابة»: الإقبال إلى الله تعالى والرجوع إليه.

[٢٤] **(والعبادة طاعة النَّاس لهم):**

أي ليس المُراد من الجبت والطاغوت خصوص الأصنام، بل الأصنام الحجرية من المصاديق، كما أنَّ الأصنام البشرية هي مصاديق أُخرى، وعبادتها هي إطاعتها من دون الله تعالى، نظير قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٢)، وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرَّموا عليهم حلالاً، فعبدهم من حيث لا يشعرون(٣).

[٢٥] **(ثمَّ قال: أنيبوا إلى ربّكم وأسلموا له):**

«ثمَّ» هنا لترتيب الجملة والمقصود، وليس المُراد الترتيب الزماني ولا المكاني.

قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ﴾ أَقبلوا وارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ وهذا بالتوبة عن الذنب، ﴿وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ أي انقادوا له فيما يأمركم وينهاكم وهذا في العمل.

وفي المرآة: وكأنَّه عليه السلام فسَّر الإنابة إلى الرَّبّ والإسلام بقبول الولاية، لأنَّ من لم يقبلها ردَّ على الله ولم يُسلم له، ويؤيده أنَّ بعد هذه الآية

---

(١) سورة الزمر: الآية ١٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣١.

(٣) الكافي: ج٢، ص٣٩٨.

﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾[٢٦] [يونس: ٦٤]، وَالْإِمَامُ يُبَشِّرُهُمْ بِقِيَامِ الْقَائِمِ وَبِظُهُورِهِ، وَبِقَتْلِ أَعْدَائِهِمْ، وَبِالنَّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ، وَالْوُرُودِ عَلَى مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الصَّادِقِينَ ـ عَلَى الْحَوْضِ.

﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾، قال علي بن إبراهيم: من القرآن وولاية أمير المؤمنين والأئمَّة ﷺ، والدليل على ذلك قول الله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ ٱللَّهِ﴾ قال: في الإمام، لقول الإمام الصَّادق ﷺ: «نحن جنب الله»(١).

[٢٦] (لهم البشرى في الحياة الدُّنيا والآخرة):

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ﴾ الذين يتولونه بالائتمار بأوامره والانزجار عن نواهيه، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ من لحوق مكروه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ بما فاتهم ممَّا كانوا يأملون، والخوف من أمر مستقبلي، والحزن على أمر قد فات.

وفي التقريب: ثمَّ إنَّ المحتمل أن يكون المُراد من الجملة الإنشاء، بأن تكون نهياً عن الخوف والحزن، ويحتمل أن تكون إخبارية أي إنَّهم لا يخافون ولا يحزنون إمَّا في الآخرة، أو الأعم في الدُّنيا والآخرة، وعدم خوفهم وحزنهم في الدُّنيا إضافي، يعني إنَّ الخوف والحزن الناشئين عن المعصية لا يكونان بالنسبة إليهم، وإن كان هناك لهم خوف وحزن من نوع آخر(٢).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فعقيدتهم صحيحة ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ المعاصي فأعمالهم صحيحة أيضاً، وهؤلاء هم أصحاب الولاية، فعن أمير المؤمنين ﷺ: «هم نحن وأتباعنا»(٣). وعن الإمام الصَّادق ﷺ: «طوبى لشيعة قائمنا،

---

(١) المرآة: ج٥، ص١١٧.

(٢) التقريب: ج٢، ص٥٣٨.

(٣) تفسير العياشي: ج٢، ص١٢٤.

٨٤ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ عَمَّارٍ السَّابَاطِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ

المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أولئك أولياء الله الَّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»(١). وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام ـ في تفسير الآية ـ: «إذا أدّوا الفرائض، وأخذوا بسُنن رسول الله صلى الله عليه وآله، وتورعوا عن محارم الله، وزهدوا في عاجل زهرة الدُّنيا، ورغبوا فيما عند الله، واكتسبوا الطيب من رزق الله، لا يريدون التفاخر والتكاثر، ثمَّ أنفقوا فيما يلزمهم من حقوق واجبة، فأولئك الذين بارك الله لهم فيما اكتسبوا، ويُثابون على ما قدَّموا لآخرتهم»(٢).

فهؤلاء ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ ولهذه البشرى مصاديق مختلفة مذكورة في الروايات(٣) منها:

١ ـ **في الدُّنيا**: الرؤيا الحسنة ـ يراها هو أو يرونها له ـ، والبشارة بظهور القائم عليه السلام، وبقتل أعدائهم.

٢ ـ **في الآخرة**: بشارة المؤمن عند الموت يبشِّره رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام والملائكة، والبشارة بالورود على الحوض، وبالجنَّة.

الحديث الرابع والثمانون:

[١] **(عن قول الله عزَّ وجلَّ...) إلخ:**

﴿أَفَمَنِ﴾ استفهام إنكاري ﴿اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بالطاعة، وأبرز المصاديق الأئمَّة عليهم السلام، ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ رجع ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ بالمعصية، ﴿وَمَأْوَاهُ﴾ مرجعه ﴿جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ أي المحلّ الذي صار إليه سيِّىء، ﴿هُمْ﴾

---

(١) إكمال الدِّين: ص٣٥٧.
(٢) تفسير العياشي: ج٢، ص١٢٤.
(٣) راجعها في تفسير الصافي: ج٣، ص٥٢٦.

وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: ١٦٢-١٦٣]؟ فَقَالَ: الَّذِينَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ هُمُ الْأَئِمَّةُ، وَهُمْ وَاللَّهِ ـ يَا عَمَّارُ ـ دَرَجَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ[٢]، وَبِوَلَايَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ[٣] إِيَّانَا يُضَاعِفُ اللَّهُ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ، وَيَرْفَعُ اللَّهُ لَهُمُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى.

أي من اتبع الرضوان ومن رجع بالسخط ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ أي أصحاب درجات، فمن اتبع الرضوان له درجات عالية، والراجع بسخط له درجات في البُعد عن الله تعالى، كما يُقال في طلّاب الصف الواحد هذا في الدرجة الأولى وذاك في الدرجة الأخيرة.

والأئمَّة عليهم السلام في أقصى درجات القرب والرضوان والثواب، وهم الميزان، فكلّما كانت المعرفة بهم أشدّ واتباعهم أكثر ارتفعت درجات المؤمنين بتلك النسبة، وكلّما كانت المعرفة والاتباع أقل انخفضت تلك الدرجات.

وأمّا أئمَّة الضلال والكفر المناوئون للأئمَّة فهم في أسوأ الدركات، فمن اعتقد بهم واتبعهم يلحق بهم في الدركات، فكلّما كان أقرب إليهم عقيدة وعملاً اقترب إلى دركاتهم في الآخرة، ولم يذكر الإمام عليه السلام هذا المقطع، لوضوحه بالمقابلة.

[٢] (وهم والله يا عمّار درجات للمؤمنين):

بمعنى أنَّهم عليهم السلام الميزان للمؤمنين، ولذلك وضَّحه بالعطف التفسيري بقوله: (وبولايتهم ومعرفتهم...) إلخ.

[٣] (وبولايتهم ومعرفتهم):

«الولاية»: بالمحبَّة والاتباع والنصرة، و«المعرفة»: بالعلم بمنزلتهم ومقامهم، وهما متلازمان في الجملة، فكلّما ازدادت المعرفة زادت الولاية، وكذا العكس، لكن قد ينفكان فقد يكون تابعاً غير عارف، وقد يكون عارفاً جاحداً كما قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾(١).

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٣.

٨٥ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ؛ وَغَيْرُهُ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ زِيَادٍ الْقَنْدِيِّ، عَنْ عَمَّارٍ الْأَسَدِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]:

ومضاعفة الأعمال في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾(١)، وذلك لأنَّ المعرفة والطاعة تزيدان من قيمة العمل، ومن قابلية العامل لزيادة الفضل.

ورفع الدرجات العليا في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾(٢) أي المنازل العالية الرفيعة وقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾(٣).

الحديث الخامس والثمانون:

[١] **(في قول الله عزَّ وجلَّ)**:

قد لا يؤمن البعض خوفاً من ذهاب عزّتهم الدنيوية، ولكي تُسمع كلمته ويُقبَل قوله عند الكفَّار، لكن ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ وهي الشرف والمَنَعَة ـ أي التَّقَوّي بالغير ـ ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي فليطلبها من الله تعالى، لأنَّ كلّ عزَّة منه سبحانه، حتّى عزَّة الكفَّار الظاهرية هي منحة منه لهم كما منحهم الحياة والرِّزق وسائر الخيرات، ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى الله تعالى ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ﴾ جمع كلمة ﴿الطَّيِّبُ﴾ الحسن، فقبول الله الكلام خيرٌ من كون الإنسان مسموع الكلمة عند الكفَّار، وفي الروايات بيان لهذا الكلم الطيِّب وهو كلمة التوحيد والإقرار بالنُّبوَّة والولاية(٤)، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ ممَّا أمر الله به تعالى ﴿يَرْفَعُهُ﴾ فقبول الله للعمل خير من كون الإنسان مقبول

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦١.
(٢) سورة طه: الآية ٧٥.
(٣) سورة المجادلة: الآية ١١.
(٤) راجع تفسير الصافي: ج٦، ص١٢٠.

وَلَايَتُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ[٢] ـ وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ـ فَمَنْ لَمْ يَتَوَلَّنَا لَمْ يَرْفَعِ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا[٣].

٨٦ ـ عِدَّةٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ سُوَيْدٍ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ سَمَاعَةَ بْنِ مِهْرَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ قَالَ:

العمل عند الكفَّار، وهذا الصعود والرفع إمَّا رتبيّ باعتبار رفعة الله تعالى وعلوّه كما يُقال: رفعوا كتابهم إلى الأمير، أو حقيقي إلى السَّماء حيث كتاب العليِّين ومحل الملائكة ومأوى أرواح الصالحين(١) كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾(٢).

[٢] (ولايتنا أهل البيت):
هذا تفسير لمصداق ﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾، فهو التوحيد والنُّبوَّة والولاية، فعن الإمام الصَّادق عليه السلام: ﴿ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ قول المؤمن: لا إله إلَّا الله، محمَّد رسول الله، عليٌّ وليّ الله وخليفة رسول الله ـ صلوات الله عليهما ـ»(٣).

[٣] (فمن لم يتولنا لم يرفع الله له عملاً):
وهذا تفسير لقوله: ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾، والمعنى: إنَّ من لم يتولهم ليس عمله صالحاً لفقدانه شرط القبول والصحة.

الحديث السادس والثمانون:

[١] (في قول الله عزَّ وجلَّ...) إلخ:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ وقد مرَّ أنَّ هذه العبارة خطاب لكل من آمن بلسانه ـ سواء آمن بقلبه أم لا ـ وهو مقابل اليهود والنصارى الذين يُخاطبون

---

(١) راجع تقريب القرآن: ج٤، ص٤٠٧.
(٢) سورة المطففين: الآية ١٨.
(٣) تفسير الصافي: ج٦، ص١٢٠ عن تفسير القمّي.

بقوله: «يا أهل الكتاب»، ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في أعمالكم، ﴿وَءَامِنُواْ﴾ إيماناً صادقاً لا يشوبه نفاق ﴿بِرَسُولِهِۦ﴾، وحينئذٍ ﴿يُؤْتِكُمْ﴾ الله ﴿كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ والمعنى: تضاعف الرَّحمة، ولهذا التضاعف مصاديق متعدِّدة منها: الثواب في الدُّنيا والآخرة، ومنها: الثواب لأجل التقوى وثواب آخر لأجل الإيمان بالرسول، ومنها: أن يزحزح عن النار، وأن يدخل الجنَّة، ومنها: استمرار الهداية بواسطة الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ أي ترون الطريق به، وهذا أيضاً له مصاديق متعدِّدة، منها: الإيمان، ومنها: القرآن، ومنها: الهداية، ومنها: النُّور في الآخرة، ومنها: الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ومنها: سائر الأئمَّة عليهم السلام، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.
والحاصل: أنَّ الله تعالى يبدأ بالرَّحمة والفضل، فإن حَسُن اختيار النَّاس فإنَّه تعالى يزيدهم رحمة وفضلاً، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾[1]، فمن رحمته أن أرسل الرسول صلى الله عليه وآله لهداية النَّاس، وحيث إنَّ جمعاً منهم آمنوا بالله واتقوا وآمنوا بالرسول صلى الله عليه وآله وصدَّقوه، فزاد الله رحمته بأن عيَّن لهم الإمام عِلياً عليه السلام خليفة لرسوله صلى الله عليه وآله، وزادهم رحمة بأن اصطفى الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام، ومن بعدهما سائر الأئمَّة عليهم السلام.

وفي المرآة: المُراد بالرَّحمة هنا إمَّا الرَّحمة الأخروية، أو الأعم منها ومن الدنيوية، و«الكفل» بالكسر: النصيب، فالمُراد تضاعف النعمة عليهم، ولا ريب أنَّ الإمام أعظم رحمات الله ونِعمه على العباد في الدُّنيا والآخرة، فذكر عليه السلام أعظم مصداقهما ـ وهما الحسنان صلوات الله عليهما ـ، ويحتمل أن يكون المُراد الإمام الناطق والإمام الصامت في كل عصر، ويكون ذكرهما على التشبيه... إلى آخر كلامه رضوان الله عليه[2].

(١) سورة محمد: الآية ١٧.
(٢) المرآة: ج٥، ص١٢١.

الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨] قَالَ: إِمَامٌ تَأْتَمُّونَ بِهِ[٢].

٨٧ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَوْهَرِيِّ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾[١] قَالَ: مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ؟ ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾[يونس: ٥٣].

---

[٢] (إمام تأتمُّون به):

وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «يجعل لكم إمامَ عدل تأتمون به وهو علي بن أبي طالب عليه السلام»(١) فهو عليه السلام المصداق الأبرز، ويدخل في الآية سائر الأئمَّة عليهم السلام.

والحاصل: أنَّ الكفلين من الرحمة والنُّور الذي يمشون به هم الأئمَّة عليهم السلام، وأمير المؤمنين والحسنان عليهم السلام مصاديق للآية، خُصّوا بالذِّكر لأنَّهم المصداق الأبرز، ولأنَّهم كانوا المصداق الموجود حين نزول الآية.

الحديث السابع والثمانون:

[١] (ويستنبئونك أحقّ هو):

الآية في سياق آيات العذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ * أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ * ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ * وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ * وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(٢).

فيكون تفسير الآية بأنَّ استفهامهم عن ولاية الإمام علي عليه السلام لأحد وجهين:

---

(١) البرهان: ج٩، ص٤١٥.

(٢) سورة يونس: الآيات ٥٠ ـ ٥٤.

١ ـ أن تكون قد نزلت مستقلة، لكن الله سبحانه أمر بجعلها في ضمن آيات أُخرى، وهذا أسلوب شائع في القرآن الكريم، وذلك لأنَّه سبحانه أراد حفظ القرآن من التحريف ولكن بالطرق الطبيعية، فلذلك كانت آيات الولاية ـ في صياغتها وسياقها ـ بطريقة لا تدع مجالاً لهم للتحريف، كما في الآيات النازلة في الغدير وآية التطهير وغيرها من الآيات، فبيَّنها الرسول ﷺ وشاءت إرادته تعالى أن يصل بيانه حتى عبر صحاح المخالفين لتتمَّ الحجَّة على الجميع.

٢ ـ إنَّ أحد أهم أسباب انحراف الأُمَّة هو مخالفتهم لتعيين الله تعالى الإمام عليّاً عليه السلام، وظلمهم أهل البيت عليهم السلام، لذا كان من المناسب أن يكون موقع هذه الآية بين آيات العذاب، فهؤلاء يستنبئون عن الولاية ويأتيهم الجواب صريحاً، لكن الأكثر أعرض، فاستحق العذاب.

٣ ـ إنَّ السياق كلّه في عذاب المخالفين لأمير المؤمنين والظالمين لأهل البيت عليهم السلام كما في تفسير القمّي: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ أي صدقتم في الرجعة، فيُقال لهم: ﴿ءَآلْـَٔـٰنَ﴾ تؤمنون يعني بأمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ﴾ من قبل ﴿تَسْتَعْجِلُونَ * ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ آل محمَّد حقَّهم ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ الآية ـ إلى أن قال ـ: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ آل محمَّد حقَّهم ﴿مَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ جميعاً ﴿لَٱفْتَدَتْ بِهِۦٓ﴾ في ذلك الوقت، يعني الرجعة[(١)].

ثمَّ إنَّ المفسرين أرجعوا ضمير ﴿أَحَقٌّ هُوَ﴾ إلى القرآن أو آيات الوعد والوعيد الواردة فيه أو النُبوَّة، وفي المرآة: على تقدير إرجاع الضمير إلى القرآن فولايته عليه السلام داخلة فيه، أو إلى الوعد والوعيد فهي أعظم ما صدر فيه الوعد وفي تركه الوعيد، أو النُبوَّة فهي من أعظم أجزاء النُّبوَّة وما جاء به النَّبي ﷺ[(٢)].

(١) البرهان: ج٥، ص٣٨ ـ ٣٩ عن تفسير القمّي.

(٢) المرآة: ج٥، ص١٣٢.

٨٨ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ الدَّيْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبَانِ بْنِ تَغْلِبَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١] فَقَالَ: مَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِوَلَايَتِنَا فَقَدْ جَازَ الْعَقَبَةَ؛ وَنَحْنُ تِلْكَ الْعَقَبَةُ الَّتِي مَنِ اقْتَحَمَهَا نَجَا، قَالَ: فَسَكَتَ فَقَالَ لِي: فَهَلَّا أُفِيدُكَ حَرْفاً خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا[١]؟ قُلْتُ: بَلَى جُعِلْتُ فِدَاكَ، قَالَ: قَوْلُهُ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣]، ثُمَّ قَالَ: النَّاسُ كُلُّهُمْ عَبِيدُ النَّارِ[٢] غَيْرَكَ وَأَصْحَابِكَ، ....

الحديث الثامن والثمانون:

قد مرَّ تفسير الآية وشرح الروايات الواردة في تفسيرها أو تأويلها في الحديث التاسع والأربعين من هذا الباب، فراجع.

[١] **(خير لك من الدُّنيا وما فيها):**

أي إن عملت بما قلته لك فهو خير لك، وذلك لأنَّ الدُّنيا وما فيها نعيم زائل، وعذاب جهنَّم نقمة دائمة، فالخلاص من النَّار خير للإنسان من كلّ الدُّنيا ونعيمها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾(١).

أو بمعنى أنَّ هذه الكلمات تُوجب سرورك بما لا يُقاس به السرور الحاصل من ملك الدُّنيا وما فيها، فأن يعلم الإنسان المؤمن أنَّه ناجٍ من النار أشد سروراً وارتياحاً له من علمه بأنَّه ملك الدُّنيا، نعم المنكر الغافل قد لا يكون كذلك ولذا قال الإمام عليه السلام: «خير لك».

[٢] **(عبيد النار):**

لأنَّها مسيطرة عليهم، وهي أَوْلى بهم، كالعبد الذي لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه، قال تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(٢).

---

(١) سورة يونس: الآية ٥٤.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٥.

فَإِنَّ اللَّهَ فَكَّ رِقَابَكُمْ مِنَ النَّارِ[٣]، بِوَلَايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ.

٨٩ ـ عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ[١]: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ قَالَ: بِوَلَايَةِ

---

[٣] (فك رقابكم من النار):
فهم ليسوا عبيداً للنار، بل هم عباد الله تعالى الذين مدحهم في كتابه: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾(١)، وقال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾(٢).

الحديث التاسع والثمانون:

[١] (في قول الله جلَّ وعزَّ):
شأن نزول الآية في بني إسرائيل، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟﴾ بالشُّكر والتعظيم والطاعة ﴿نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ المُراد كل النِّعم، ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ﴾ الذي أودعته في فطرتكم من الإيمان، أو ما أخذته من أسلافكم ومنه الإيمان بالرَّسول صلى الله عليه وآله وأوصيائه عليهم السلام، ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ وهو حسن الثواب في الدُّنيا والآخرة، ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ فلا تخافوا من غير الله إذا وفيتم بالعهد.
ولا يخفى أنَّ الإيمان بالرسول وأوصيائه أخذ من الأُمم السالفة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾(٤).

وأمَّا ﴿بِعَهْدِكُمْ﴾ فهو الوعود التي وعدها الله لهم إذا التزموا بعهودهم، ومنها ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٦٨.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٠.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.
(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٢]، ﴿أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البَقَرَة: ٤٠] أُوفِ لَكُمْ بِالْجَنَّةِ.

٩٠ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(١)، ولكن حيث نقضوا العهد استحقوا اللعن، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾(٣).

[٢] (بولاية أمير المؤمنين عليه السلام):

في المرآة: وما ذكر في الخبر بيان لعمدة أجزاء العهد، وهي أُصول الدِّين، واكتفى بذكر الولاية لاستلزامها سائر أجزاء الأُصول، بل يمكن أن يُقال: إنَّها مستلزمة للفروع أيضاً إذ ولايتهم ومتابعتهم تتضمن العمل بالطاعات وترك المناهي وتدعو إليهما، بل لا تتحقَّق الولاية الحقيقية إلَّا بهما، وللولاية درجات كما أنَّ للجنَّة درجات أيضاً، وكلّ درجة من الولاية تُوجب درجة من الجنَّة.

وكون الخطاب إلى بني إسرائيل، لا يُنافي ذلك، لوجهين:

الأوَّل: أنَّ الخطاب إلى بني إسرائيل الموجودين في زمن الرَّسول صلى الله عليه وآله الَّذين نزل عليهم القرآن.

الثاني: أنَّ التوراة تشتمل على الإيمان بجميع الرُّسل والكتب، لا سيَّما الإقرار بنبيّنا صلى الله عليه وآله، ولما جاء به، فهي داخلة في العهود المأخوذة عليهم أوَّلاً وآخراً(٤).

الحديث التسعون:

يسأل الراوي في هذا الحديث عن آيات متعدِّدة من سورة مريم بين الآيات (٧٣ ـ ٩٧)، ثمَّ ينتقل ويسأل عن آيات في مطلع سورة ياسين.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٤) المرآة: ج٥، ص١٢٤.

عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ

---

[١] **(في قول الله عزَّ وجلَّ. . .) إلخ:**

قال تعالى في سورة مريم(١): ﴿وَنَذَرُ﴾ نترك ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فِيهَا﴾ في جهنَّم ﴿جِثِيًّا﴾ أي باركين على ركبهم، وسبب دخولهم جهنَّم هو أعمالهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ دلالاتنا ﴿بَيِّنَٰتٍ﴾ واضحات الدلالة والإعجاز، ومنها: فضل الأئمَّة والآيات النازلة فيهم ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ بالرسول صلى الله عليه وآله وبما جاء به ـ ومنه الولاية ـ ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾ المؤمنين بها أو الجاحدين لها ﴿خَيْرٌ مَّقَامًا﴾ منزلة، فهل ما لنا من الدُّنيا خير أم ما لكم ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ أي مجلساً ونادياً؟ وفي تفسير الصافي: والمعنى أنَّهم لمَّا سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخول عليها، أخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدُّنيا، وزعموا أنَّ زيادة حظِّهم فيها تدلُّ على فضلهم وحسن حالهم عند الله(٢).

فردَّهم الله تعالى بأنَّ المقياس ليس الماديات ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم﴾ قبل هؤلاء الكفَّار المعاصرين للرسول صلى الله عليه وآله ﴿مِّن قَرْنٍ﴾ أي الجماعة المقترنون في زمان واحد، والمُراد الأجيال البشرية، ﴿هُمْ﴾ المهلَكون ﴿أَحْسَنُ أَثَٰثًا﴾ متاعاً وزينة ﴿وَرِءْيًا﴾ أي منظراً وهيئة.

﴿قُلْ﴾ لا تفرحوا كثيراً بمقامكم وبناديكم فإنَّما ذلك إملاء لكم فـ﴿مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ﴾ التي منها ترك الولاية ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ أي يمهله ويمدّه بالأموال والجاه، وفي التقريب: هذا تهديد في صورة أمر كما نقول: «دع الله يمهل الظالم» نريد أنَّه وإن أمهله لمصلحة فإنَّ عاقبته لا بُدَّ أن تكون إلى الخسارة والفناء(٣)، وفي الصافي: وإنَّما أخرجه على لفظ

---

(١) الآيات: ٧٣ ـ ٧٦.

(٢) تفسير الصافي: ج٤، ص٥٧٤.

(٣) تقريب القرآن: ج٣، ص٤٥٧.

ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريَم: ٧٣]، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَعَا قُرَيْشاً إِلَى وَلَايَتِنَا فَنَفَرُوا وَأَنْكَرُوا، فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قُرَيْشٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا ـ الَّذِينَ أَقَرُّوا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ـ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً، تَعْيِيراً مِنْهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ رَدّاً عَلَيْهِمْ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ﴾ مِنَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ ﴿هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾. قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾؟ قَالَ: كُلُّهُمْ كَانُوا فِي

الأمر إيذاناً بأنَّ إمهاله ممَّا ينبغي أن يفعله استدراجاً وقطعاً لمعاذيره[1]. وتستمر المهلة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ وتفصيله: ﴿إِمَّا ٱلْعَذَابَ﴾ في الدنيا ومن أظهر مصاديقه العذاب حين ظهور القائم عليه السلام ـ للموجودين حين ظهوره أو بالرجعة ـ ﴿وَإِمَّا﴾ العذاب في الآخرة وهي ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾، وحينئذٍ يتضح لهم بطلان دعاويهم ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ هل المؤمنون الناجون أم الكفّار المعذّبون، وهذا ردّ لما زعموه من كونهم خيراً مقاماً، ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ أي أنصاراً وفئة، وهذا ردّ لما زعموه من كونهم أحسن ندياً.

وفي مقابل هؤلاء الذين يمدّهم الله في الضلالة، في مقابلهم المؤمنون المهتدون ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ﴾ حيث آمنوا ﴿هُدًى﴾ بأن يؤمنوا بكلّ الأصول ومنه إيمانهم بالقائم عليه السلام، إذن الكفّار يتبجحون بالمقام والنادي مع ضلالتهم، وأمّا المؤمنون فهم قد ازدادوا هدى ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ﴾ الطاعات ﴿خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ مرجعاً وعاقبة، فنِعَمُ الكفَّار في الدُّنيا زائلة مآلها إلى الحسرة والعذاب، وأما نعيم المؤمنين فهو دائم كامل ومرجعه إلى السرور والرضوان، ولذا قيل: «لو كانت الدُّنيا من ذهب والآخرة من خزف، لاختار العاقل الخزف الباقي على الذهب الفاني، كيف والأمر بعكس ذلك».

---

(١) الصافي: ج٤، ص٥٧٥.

الضَّلَالَةِ[٢]، لَا يُؤْمِنُونَ بِوَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَلَا بِوَلَايَتِنَا، فَكَانُوا ضَالِّينَ مُضِلِّينَ، فَيَمُدُّ لَهُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ حَتَّى يَمُوتُوا[٣] فَيُصَيِّرُهُمُ اللَّهُ شَرّاً مَكَاناً وَأَضْعَفَ جُنْداً. قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾؟ قَالَ: أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ فَهُوَ خُرُوجُ الْقَائِمِ، وَهُوَ السَّاعَةُ[٤]، ﴿فَسَيَعۡلَمُونَ﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَمَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ عَلَى يَدَيْ قَائِمِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ يَعْنِي عِنْدَ الْقَائِمِ ﴿وَأَضۡعَفُ جُندٗا﴾. قُلْتُ: قَوْلُهُ:

---

[٢] **(قال: كلهم كانوا في الضلالة):**

أي كل أولئك الكفَّار الظالمين المذكورين في قوله: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا﴾ وفي قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

[٣] **(حتَّى يموتوا):**

تفسير لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ﴾، وهذا الموت قد يكون على يدي القائم عليه السلام وأصحابه وهو قوله: ﴿إِمَّا ٱلۡعَذَابَ﴾، وقد يكون موتهم قبل ظهوره فيكون عذابهم في الآخرة أو في الرجعة وهو قوله: ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾.

[٤] **(فهو خروج القائم وهو الساعة):**

الأظهر أنَّ الجملتين تفسير لما فصَّلته الآية، فالمعنى: إنَّ ما يوعدون أحد أمرين: (خروج القائم) و(الساعة)، فأمَّا الخروج فهو﴿إِمَّا ٱلۡعَذَابَ﴾، وأما الشق الآخر فهو ﴿وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾.

ويحتمل أن يكون معنى ﴿ٱلۡعَذَابَ﴾ هو موتهم قبل زمان القائم عليه السلام فيصيِّرهم الله إلى عذاب البرزخ، ومعنى: ﴿ٱلسَّاعَةَ﴾ هو ظهور الإمام عليه السلام فيعذَّبون على يده ويد أصحابه، وفي المرآة: «حتَّى يموتوا» كأنَّه عليه السلام فسَّر العذاب بالعذاب النازل بهم بعد الموت، والساعة بالرجعة في زمن القائم عليه السلام، أو بوصولهم إلى زمن القائم عليه السلام، أو الأعم منهما، فإنَّ كل

﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾؟ قَالَ: يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ هُدًى عَلَى هُدًى بِاتِّبَاعِهِمُ الْقَائِمَ حَيْثُ لَا يَجْحَدُونَهُ وَلَا يُنْكِرُونَهُ.

قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ[٥] إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مَريَم:

ما ورد من الساعة وأمثالها في القرآن، فظهرها القيامة، وبطنها الرجعة فإنَّها القيامة الصغرى ومن مقدِّماتها. . . إلى آخر كلامه[١].

[٥] (قلت: قوله: لا يملكون الشفاعة. . .) إلخ:

هذه الآية بعد الآيات السابقة بعشر آيات، يُذكر فيها الكفَّار وأفعالهم في الدُّنيا وإمهال الله لهم ثمَّ سوقهم إلى جهنَّم، خلاف المتَّقين الَّذين يفدون على كرامة الله تعالى، فقال: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ وافدين عليه منتظرين كرامته، ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ ندفعهم من خلفهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ عطاشى، فإن من يرد الماء لا يرده إلَّا لعطشه، ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ جميعهم ـ لا المتَّقون ولا المجرمون ـ ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ بأن يشفعوا أو يشفع لهم ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ والعهد بينهم وبين الله تعالى هو الإطاعة مقابل حسن المثوبة، فمن أطاع الله جازاه تعالى بأن أعطاه حقّ الشفاعة، وإن كانت له زلَّات أذن الله في أن يشفع له الشفعاء، ومن المعلوم أنَّه تعالى أمر بالولاية فاتباعها إطاعة له تعالى.

وفي مجمع البيان: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ أي لا يقدرون على الشفاعة، فلا يشفعون ولا يُشفع لهم حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض، لأنَّ ملك الشفاعة على وجهين: أحدهما: أن يشفع للغير، والآخر: أن يستدعي الشفاعة من غيره لنفسه، فبيَّن سبحانه أنَّ هؤلاء الكفَّار لا تنفذ شفاعة غيرهم فيهم، ولا شفاعة لهم لغيرهم، ثمَّ استثنى سبحانه فقال: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ أي لا يملك الشفاعة إلَّا هؤلاء، وقيل: لا يشفع إلَّا لهؤلاء[٢].

---

(١) المرآة: ج٥، ص١٢٨.

(٢) مجمع البيان: ج٦، ص٦٧٥.

٨٧]؟ **قَالَ: إِلَّا مَنْ دَانَ اللَّهَ[٦] بِوَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ، فَهُوَ الْعَهْدُ عِنْدَ اللَّهِ.**

قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا[٧]﴾ [مريم: ٩٦] قَالَ: وَلَايَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هِيَ الْوُدُّ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى.

---

[٦] **(إلَّا من دان الله. . . .) إلخ:**

فسَّر عليه السلام العهد بالاعتقاد بالولاية، لأنَّ طاعته تعالى لا تكون إلَّا عبر الولاية، حيث أمر الله تعالى بها وجعلها شرطاً لصحة الأعمال وقبولها ـ كما مرَّ مراراً ـ.

[٧] **(سيجعل لهم الرَّحمٰن ودّاً):**

بعد الآية السالفة بتسع آيات ردَّ الله تعالى فيها على من زعم أنَّ للرحمن ولداً، وبيّن أنَّ كلَّ من في السَّمٰوات والأرض ليسوا إلَّا عباداً لله سبحانه، وأنَّه تعالى يحضرهم ليوم القيامة، بعد ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهم بالعقائد الحقَّة ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ ويلازمها ترك السيِّئات ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ محبَّة ظاهرة، فيحبّهم المؤمنون ويحبّون المؤمنين، وأبرز مصاديق هذا الودّ هو مودَّة أمير المؤمنين عليه السلام والأئمَّة الطاهرين عليهم السلام، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات يُهديهم الله إلى ولاية الأئمَّة عليهم السلام فيكمل إيمانهم، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾(١) أي اهتدى للولاية.

والحاصل: أنَّ هؤلاء يُحبّون المؤمنين وعلى رأسهم الإمام علي والأئمَّة عليهم السلام، كما أنَّ الله يجعل محبَّة هؤلاء المؤمنين العاملين بالصالحات في قلوب سائر المؤمنين، هذا في الدُّنيا.

وأمَّا في الآخرة فكل أهل الجنَّة يُحبّ بعضهم بعضاً، فقال تعالى:

---

(١) سورة طٰه: الآية ٨٢.

قُلْتُ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ[٨] بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مَرْيَم: ٩٧]؟ قَالَ: إِنَّمَا يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَى لِسَانِهِ حِينَ أَقَامَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾[١].

وعن الإمام الصَّادق عليه السلام: «كان سبب نزول هذه الآية أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: قل يا علي: اللّهم اجعل لي في قلوب المؤمنين ودّاً، فأنزل الله الآية»[٢]، وعنه عليه السلام: «فما من مؤمن إلّا وفي قلبه حبّ لعليّ عليه السلام»[٣] وقد جعل الله تعالى حبّ الإمام عليّ عليه السلام علامة الإيمان وبغضه علامة النِّفاق.

وبهذا يتبيَّن جواب سؤال أنَّ كثيراً من النَّاس لا يُحبّون الإمام عليّاً عليه السلام ولا سائر المؤمنين، وأنَّ كثيراً من الكفَّار والمنافقين يُحبّهم كثير من النَّاس.

وذلك لأنَّ المُراد المحبَّة في قلوب المؤمنين وليس المحبَّة المطلقة، فالمؤمنون يُحبّون الإمام عليّاً وسائر المؤمنين، ولا يُحبّون المنافقين والكفَّار ـ لا في الدُّنيا ولا في الآخرة ـ، ثمَّ إنَّ محبَّة المؤمنين بعضهم لبعض هي القاعدة العامَّة ومن باب المقتضي، وقد يبغض بعضهم بعضاً استثناءً إمَّا لعدم معرفة بإيمانهم أو لبعض الدواعي الدنيوية، وهذا استثناء يثبت القاعدة، مضافاً إلى نزع الغلّ في الآخرة كما في آية ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾.

[٨] **(قلت: فإنَّما يسَّرناه. . . .) إلخ:**

بعد أن ذكر الله سبحانه مصير المؤمنين والكافرين في الآيات السابقة، بيَّن وضوح هذا المصير، إذ إنَّه تعالى ذكر كلّ ذلك في القرآن الكريم وقد يسَّره للناس فيفهمه العرب ثمَّ يحملونه إلى سائر النَّاس ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٧.

(٢) البرهان: ج٦، ص٣٧١.

(٣) المصدر نفسه.

عَلَماً[٩]، فَبَشَّرَ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنْذَرَ بِهِ الْكَافِرِينَ، وَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ ﴿لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧] أَيْ كُفَّاراً.

قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ[١٠]: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ

القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ على لغتك وهي العربيَّة، أو بمعنى أجريناه على لسانك بيسر ليسمعوه، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ﴾ بسبب هذا القرآن ﴿ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ جمع «ألدّ» أي أشداء في الخصومة، ومن المعلوم أنَّ من يبقى على الكفر والنِّفاق بعد وضوح الآيات هو شديد الخصومة، ولذا فسَّر «اللد» بالكفَّار، ومن مصاديقه بنو أُميَّة، وهو يُقابل الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الآية السابقة التي كان أبرز مصاديقها الإمام عليّ عليه السلام، فعن النَّبي صلى الله عليه وآله في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال: «هو عليّ عليه السلام ﴿قَوْمًا لُّدًّا﴾ قال: بني أُميَّة قوماً ظلمة»(١).

[٩] **(حين أقام أمير المؤمنين عليه السلام علماً):**

في المرآة: الضمير للقرآن باعتبار الآيات النازلة فيه عليه السلام، أو على هذا الضمير للودّ المفسّر بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، والأوَّل أظهر، وتفسير اللدّ بالكفَّار لبيان أنَّ شدَّة الخصومة في ولاية عليّ عليه السلام كفر(٢).

[١٠] **(وسألته عن قول الله):**

قال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿يسٓ﴾ من الحروف المقطَّعة وفي تفسيرها أقوال مختلفة، منها أنَّ القرآن متشكّل من الحروف التي تتلفظون بها لكنَّكم تعجزون عن الإتيان بمثله، ومنها أنَّها رمز بين الله ورسوله، وفي «يس» روايات تدلُّ على أنَّه من أسماء النَّبي صلى الله عليه وآله، ويمكن إرادة كل هذه المعاني من الكلمة ـ بظهرها وبطنها ـ.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ قسماً به، و«الحكمة» وضع الشيء في موضعه، وهكذا القرآن ألفاظه ومعانيه وأحكامه... كلّها بمقتضى الحال وفي مواضعها.

---

(١) تفسير الصافي: ج٤، ص٥٨٥.

(٢) المرآة: ج٥، ص١٣٠.

وجواب القسم قوله: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ خلافاً لما يزعمه أكثر هؤلاء ـ الذين سيذكرون في الآيات التالية ـ.

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي على الطريق الواضحة في العقيدة والعمل.

حال كون القرآن ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ﴾ في سلطانه فيعمل ما يريد وينزل ما يشاء على من يشاء ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بعباده فما أنزله رحمة لهم.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ كفّار مكّة ﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾ «ما» إمّا موصولة أي أنّك امتداد للأنبياء السابقين فتنذر هؤلاء ما أنذر الأنبياء السابقون أُنفسهم آباءهم، وإمّا نافية أي تنذرهم ولم يكن آباؤهم قد أنذروا لأنّهم كانوا في الفترة من الرُّسل، ﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ عن العقيدة والعمل، وإنّما عبّر بالغفلة، لأنّ الأُصول تكمن في فطرتهم لكن سوء التربية غطّت عليها فغفلوا عنها.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ﴾ كلمة العذاب، حيث أوعد الله أن يملأ جهنّم من الجنّة والنّاس، أو بمعنى الطبع على قلوبهم لعنادهم ﴿عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وفي الآية دلالة واضحة على أنّ أكثر أهل مكّة لم يؤمنوا مع أنّ التاريخ ذكر أنّ كلّ أهل مكّة ممّن كان في فتح مكّة قد أسلم، وهذه الآية دليل على نفاق الأكثر وعلامة نفاقهم أنّ أكثرهم رفضوا الولاية وكانوا يبغضون الإمام عليّاً عليه السلام لما فعله بأشياخهم في بدر وأُحُد وغيرهما.

وأمّا عقوبتهم ففي الدُّنيا والآخرة، أمّا في الآخرة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ جمع «غُلّ» وهو السلسلة التي يربط بها المجرم، ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾ أي تلك الأغلال عريضة فغطّت كلّ أعناقهم إلى أذقانهم بحيث لا يتمكنون من تحريك رؤوسهم، ﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ أي رافعون رؤوسهم فلا يتمكنون من النظر إلى أمامهم، و«القمح» بمعنى الرفع.

وأمّا العقوبة في الدُّنيا: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا﴾ أي حاجز عن قبول الحقّ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ فلا يتمكنون من الرجوع إلى الحقّ ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ أي جعلنا على أبصارهم غشاوة ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ الحقّ، وذلك لأنّ المعاند بسبب سوء اختياره يتركه الله وشأنه فلا يوفقه فيطبع على قلبه فلا يهتدي إلى أن يرى العذاب الأليم، وقد مرَّ تفصيل ذلك في بحوث

غَٰفِلُونَ﴾؟ قالَ: لِتُنْذِرَ الْقَوْمَ الَّذِينَ أَنْتَ فِيهِمْ كَما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ فَهُمْ غافِلُونَ عَنِ اللّٰهِ وَعَنْ رَسُولِهِ وَعَنْ وَعِيدِهِ، ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ مِمَّنْ لا يُقِرُّونَ بِوَلايَةِ[١١] أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِإِمامَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَوْصِياءِ مِنْ بَعْدِهِ، فَلَمّا لَمْ يُقِرُّوا كانَتْ عُقُوبَتُهُمْ ما ذَكَرَ اللّٰهُ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ فِي نارِ جَهَنَّمَ[١٢]، ثُمَّ قالَ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا

الهداية وأنَّها من الله تعالى لمن جعل في نفسه القابلية لها، وهذا أحد مصاديق العقوبة الدنيوية.

وهؤلاء لعنادهم وعتوِّهم لا تنفعهم الموعظة والإنذار ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وهذا لبيان عاقبة هؤلاء، وإنَّما ينذر الرسول صلى الله عليه وآله الجميع ـ مع علمه بعدم انتفاع البعض ـ إتماماً للحجَّة ولاختلاط القابل للهداية مع المعاند، فينذر الجميع فتتمّ الحجَّة على المعاند ويهتدي القابل.

فـ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أي ينفع إنذارك له ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ ومن مصاديقه: القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين والأئمَّة عليهم السلام ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ إمَّا الرَّحمٰن غيب لعدم إحساسه بالحواس بل العقل يدلُّ عليه، أو الخشية بالغيب أي في الخلوات يعلم بأنَّ الله رقيب عليه فلا يُخالف، ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبه ﴿وَأَجْرٍ﴾ ثواب ﴿كَرِيمٍ﴾ لا يشوبه ما يفسده، أو بمعنى أنّه يقدَّم له بإكرام واحترام.

[١١] **(ممَّن لا يقرّون بولاية.....) إلخ:**

لأنَّ أكثرهم نافقوا في إسلامهم يوم فتح مكَّة، وظهر نفاقهم ببغضهم للإمام عليّ عليه السلام ورفضهم لولايته، وكذا الأئمَّة من بعده عليهم السلام.

[١٢] **(في نار جهنَّم):**

فهي العقوبة الأخروية، وإنَّما قدَّمها على العقوبة الدُّنيوية لأنَّها أكثر ألماً

﴿يُبْصِرُونَ﴾ عُقُوبَةً مِنْهُ لَهُمْ حَيْثُ أَنْكَرُوا وَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالْأَئِمَّةِ مِنْ بَعْدِهِ هَذَا فِي الدُّنْيَا[١٣]، وَفِي الْآخِرَةِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مُقْمَحُونَ. ثُمَّ قَالَ: يَا

وأدوم، مضافاً إلى أنَّهم قد لا يشعرون بالعقوبة الدنيوية ـ وهي عدم الهداية ـ بل قد يستسيغونها.

[١٣] **(هذا في الدُّنيا):**

ولهذه العقوبة مصداقان:

الأوَّل: ما ذكرناه من عدم الهداية، وهو ما دلَّ عليه هذا الحديث الشريف.

والثاني: هو منعهم من الوصول إلى بغيتهم في قتل الرَّسول صلى الله عليه وآله، وهذا وإن لم يكن عقوبة لهم مباشرة بل هو إنقاذ للرسول صلى الله عليه وآله، لكنَّه كان عقوبة بالمآل، حيث نجَّى الله رسوله فهاجر إلى المدينة وقويت شوكته، فلمَّا حاربوه قتل الكثير منهم.

فعن الإمام الباقر عليه السلام نزل في أبي جهل بن هشام ونفر من أهل بيته، وذلك أنَّ النَّبي صلى الله عليه وآله قام يُصلِّي وقد حلف أبو جهل ـ لعنه الله ـ لئن رآه يُصلِّي ليدمغنَّه، فجاء ومعه حجر، والنَّبي قائم يُصلِّي، فجعل كلَّما رفع الحجر ليرميه أثبت الله يده إلى عنقه ولا يدور الحجر بيده، فلما رجع إلى أصحابه سقط الحجر من يده، ثمَّ قام رجل آخر وهو من رهطه أيضاً وقال: أنا أقتله، فلمَّا دنا منه فجعل يسمع قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله فأرعب، فرجع إلى أصحابه، فقال: حال بيني وبينه كهيَّئة الفحل يخطر بذنبه، فخفت أن أتقدَّم(١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: إنَّ قريشاً اجتمعوا بباب النَّبي صلى الله عليه وآله فخرج إليهم، فطرح التراب على رؤوسهم وهم لا يبصرونه، قال عبد الله: هم الذين سجنوا في القليب ـ قليب بدر ـ(٢).

---

(١) البرهان: ج٨، ص١٧٠.

(٢) مجمع البيان: ج٨، ص٣٧٧.

مُحَمَّدُ ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِاللَّهِ وَبِوَلَايَةِ عَلِيٍّ وَمَنْ بَعْدَهُ. ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾ يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[١٤] ﴿وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

٩١ ـ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَاضِي عليه السلام، قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ [الصَّف: ٨]؟ قَالَ: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا

ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام أراد التأكيد على أنَّ جعل السدّ والغشاوة هو في الدُّنيا لا في الآخرة لذلك كرَّر أنَّ عذاب الآخرة هو الأقماح فقال: «وفي الآخرة في نار جهنَّم مقمحون»، فتأمَّل.

[١٤] (يعني أمير المؤمنين عليه السلام):

والذِّكر في القرآن يُطلق على القرآن الكريم كقوله: ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾(١)، وعلى الرسول صلى الله عليه وآله كقوله: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾(٢)، وعلى الأئمَّة عليهم السلام كما في قوله: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٣)، ومن المعلوم أنَّ اتباع أمير المؤمنين عليه السلام اتّباع للقرآن واتّباع للرسول صلى الله عليه وآله كما مرَّ مراراً، ولذا خصَّه هنا بالبيان.

الحديث الحادي والتسعون:

الحديث الشريف تضمّن تفسير أو تأويل عدَّة آيات في عدَّة سور، والظاهر أنَّ محمَّد بن الفضيل راوي هذا الحديث سأل الإمام الكاظم عليه السلام عن أسئلة كثيرة ثم جمع ما ذكره الإمام عليه السلام في تفسير أو تأويل الآيات المرتبطة بالولاية.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ٥.

(٢) سورة الطلاق: الآيتان ١٠ ـ ١١.

(٣) سورة النحل: الآية ٤٣.

وَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٢] بِأَفْوَاهِهِمْ، قُلْتُ: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾[٣] قَالَ: وَاللَّهُ

أو أنَّ الكليني رضوان الله عليه جمع من كتاب محمَّد بن الفضيل ما يرتبط بمسائله عن الإمام الكاظم في الولاية.

وقد ذكر النجاشي في ترجمته: محمَّد بن فضيل بن كثير الصيرفي الأزدي أبو جعفر الأزرق، روي عن أبي الحسن موسى والرِّضا عليهما السلام، له كتاب ومسائل(١). ولعلَّ ما في هذا الحديث من كتاب مسائله.

١ ـ آيتان من سورة الصف

[١] (عن قول الله عزَّ وجلَّ):

الإمام عليه السلام يُفسِّر ما في سورة الصف، فإنَّ هذه الآيات نزلت في ثلاث سور:

١ ـ التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾(٢).

٢ ـ الفتح: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(٣).

٣ ـ الصف: وهي الآية التي يُفسِّرها الإمام عليه السلام في هذا الحديث الشريف: ﴿يُرِيدُونَ﴾ الكفَّار والمنافقون ﴿لِيُطْفِـُٔواْ﴾ اللام للتأكيد، أو للعلَّة أي يريدون الافتراء لكي يطفئوا ﴿نُورَ ٱللَّهِ﴾ وهو ما يرتبط بالله تعالى، وسُمِّي نوراً لأنَّه يُنير الطريق، ومنه الولاية، ﴿بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ بطعنهم وتكذيبهم، ﴿وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ أي يُوصله إلى غايته المُتوخاة منه، والمُراد استمراره بلا انطفاء.

وفي التقريب: فإنَّ النُّور إذا أُطفىء لم يتمّ امتداده في الزمان، أمَّا إذا لم

(١) رجال النجاشي: ص٣٦٧.

(٢) سورة التوبة: الآيتان ٣٢ ـ ٣٣.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٨.

يُطفأ استمرَّ وامتدَّ وتمَّ(١)، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، وفي الصافي: مَثَّلَ الله سبحانه حالهم في طلبهم إبطال نبوَّة محمَّد ﷺ وولاية علي عليه السلام بالتكذيب، بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم ـ يريد الله أن يبلغه الغاية القصوى من الإضاءة والإنارة ـ ليطفئه بنفخه(٢).

ثمَّ بيَّن الله تعالى الغاية المُتوخاة من هذا النُّور فقال: ﴿هُوَ﴾ الله تعالى ﴿ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾ محمَّداً ﷺ ﴿بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ والفرق بينهما أنَّ الدِّين هو الطريقة، والهدى هو الدلالة إليه، فالرسول جاء بالدِّين الصحيح وهدى النَّاس إليه بالدعوة والتبليغ، و«الحقّ» هو الواقع، فدينه المُطابق للواقع عكس سائر الأديان الَّتي لا تُطابق الواقع فهي باطلة، وفي التقريب: ثمَّ إنَّه كما يمكن لمخترع الطائرة أن يقول: «ستعمُّ الطائرة كلَّ البلاد وسيُنسخ السفر بالدواب»، لأنَّه يعلم ذلك بالمقايسة بين المركوبين ويفهم طبيعة البشر المائلة إلى الراحة، كذلك ظهور الإسلام على الأديان كلّها شيء موافق للمنطق، بعد فهم فطرة الإنسان المائلة للأخذ بالمنهج الصحيح، وفهم طبيعة الإسلام، ومقايسته بسائر الأديان، ليظهر أنَّه الأنسب لطبيعة الإنسان(٣)، فإرسال الرَّسول ﷺ بدين الحقّ، ﴿لِيُظْهِرَهُۥ﴾ أي ليغلب الإسلام ﴿عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ جميع الأديان، وسيكون ذلك حين خروج الإمام المهدي عليه السلام، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنَّه قال: أظهر ذلك بعد؟ قالوا: نعم، قال: كلَّا، فوالذي نفسي بيده حتَّى لا تبقى قرية إلَّا ونُودي فيها بشهادة أن لا إله إلَّا الله ومحمَّد رسول الله بكرة وعشياً(٤)، وعن الإمام الباقر عليه السلام: «والله لو تركتم هذا الأمر ما تركه الله»(٥)، ﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ فإنَّه سيغلب دينهم رغماً على أنفهم، ثمَّ لعلَّ قوله:

(١) التقريب: ج٥، ص٤٠٥ ـ ٤٠٦.
(٢) الصافي: ج٣، ص٤٠٠.
(٣) التقريب: ج٥، ص١٩٣ ـ ١٩٤ ـ بتصرُّف ـ
(٤) البحار: ج٥١، ص٦٠.
(٥) البرهان: ج٩، ص٤٩٦ ـ ٤٩٧.

مُتِمُّ الْإِمَامَةِ، لِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنا»[٤]، فَالنُّورُ هُوَ الْإِمَامُ. قُلْتُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾ قَالَ: هُوَ الَّذِي أَمَرَ رَسُولَهُ بِالْوَلَايَةِ لِوَصِيِّهِ، وَالْوَلَايَةُ هِيَ دِينُ الْحَقِّ، قُلْتُ: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[٥] قَالَ: يُظْهِرُهُ عَلَى جَمِيعِ الْأَدْيَانِ عِنْدَ قِيَامِ

«الكافرون» في الآية السابقة، و«المشركون» في هذه الآية، لأنَّ الأولى محاولتهم مقابل الله تعالى، والثانية مقابل الرسول ﷺ، فتأمَّل.

[٢] **(ليُطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام):**

كما أنَّ النُّور يُري الطريق فلا يقع الإنسان في المهالك والعثرات، كذلك الحقّ وطريقه يرى به الإنسان الواقع فلا يزلّ في ظلمات الجهل والضلال، فلذا تمَّ تشبيه الحقّ وما يؤدِّي إليه بالنُّور، فهو الظاهر بنفسه والمظهر لغيره.

ومن المعلوم أنَّ الولاية من أهم مصاديق هذا النُّور، فلذا فسَّره بها، أو باعتبار أنَّ من لم يعتقد بها ليس له نور إطلاقاً حتَّى لو ادعى التوحيد ومعرفة النَّبي، إذ إنكار أحد أُصول الدِّين ظلمات وضلال مطلق.

[٣] **(والله مُتِمُّ نُورِهِ):**

والإمامة تستمر إلى آخر الدهر، لعدم خلوِّ الأرض من حجَّة، فإتمامها هو استمرارها، فلذا لا تنقطع وتستمر إلى الإمام القائم عليه السلام، ولذا فسَّر الآية تارة بـ(والله مُتِمُّ الإمامة)، وأُخرى بـ(ولاية القائم).

[٤] **(لقوله عزَّ وجلَّ: الذين آمنوا...) إلخ:**

نقل للآية بالمعنى، والآية في سورة التغابن ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١)، وقد فُسِّر النُّور بالقرآن الكريم، وبالأئمَّة عليهم السلام(٢)، ولا مُنافاة لأنَّ حقيقة نور الله تعالى واحدة، بل حقيقة

---

(١) سورة التغابن: الآية ٨.

(٢) راجع الروايات في تفسير الصافي: ج٧، ص٢٠٩.

القرآن وأهل البيت عليهم السلام واحدة، ولذا كان قرآناً صامتاً وكانوا قرآناً ناطقاً.

وذلك لأنَّ القرآن هو ألفاظ تدلُّ على معانٍ، وتلك الألفاظ في صدورهم كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[١]، كما أنَّ معانيها ذاتهم وأعمالهم، وقد ورد في وصف النَّبي صلى الله عليه وآله «وكان خلقه القرآن»[٢].

قال العلَّامة المجلسي رحمه الله ـ ما ملخَّصه ـ: أنَّ القرآن هو الألفاظ المخصوصة من حيث دلالتها على معانيها، أو المعاني من حيث دلالة تلك الألفاظ عليها، أو المجموع من الألفاظ والمعاني، فإطلاق القرآن على المصحف لتضمُّنه نقوشاً تدلُّ على ألفاظ دالَّة على معانٍ، فيكون إطلاق القرآن على نفوسهم عليهم السلام أصوب وأقرب إلى الحقيقة، وذلك لأنَّ نفوسهم منتقشة بألفاظ القرآن وجميع معانيها مع اتصافهم بجميع الصفات الحسنة التي أمر الله بها واجتنابهم عن جميع المناهي التي نهى عنها، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام في مواطن شتَّى: «أنا كلام الله الناطق»، فظهر سرّ تأويل الآيات التي ظاهرها القرآن بهم عليهم السلام في الأخبار الكثيرة[٣].

ثمَّ إنَّ نزول الولاية واضح باعتبار أنَّها أمر من الله تعالى، وأمَّا نزول الإمام بناءً على تفسير ﴿وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ بالإمام عليه السلام فلأنَّ الأئمَّة عليهم السلام خلقهم الله أشباح نور حول العرش[٤] ثمَّ أنزلهم في صلب آدم عليه السلام، وكذا الرسول صلى الله عليه وآله ولذا قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولًا﴾[٥]، وفي المرآة: وأيضاً فإنَّه تعالى بعد رفعهم إلى الملأ الأعلى

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٩.

(٢) راجع المرآة: ج٣، ص٢٢٦.

(٣) المرآة: ج٥، ص١٣٥ ـ بتصرُّف ـ.

(٤) راجع الكافي: ج١، ص٤٤٢؛ علل الشرائع: ج١، ص٢٣.

(٥) سورة الطلاق: الآيتان ١٠ ـ ١١.

الْقَائِمِ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ[٦]: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ وَلَايَةِ الْقَائِمِ، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ، قُلْتُ: هَذَا تَنْزِيلٌ؟ قَالَ: نَعَمْ أَمَّا هَذَا الْحَرْفُ فَتَنْزِيلٌ وَأَمَّا غَيْرُهُ فَتَأْوِيلٌ[٧].

وتشريفهم بمنزلة قاب قوسين أو أدنى، أنزلهم من تلك المرتبة الكبرى إلى معاشرة الخلق وهدايتهم، قائلين: إن نحن إلّا بشر مثلكم، ليكونوا وسائط بينه وبين الخلق، يأخذون المعارف عنه سبحانه بتقدُّسهم، ويبلِّغون إلى الخلق ببشريتهم، فهم بأجسادهم بين الخلق وأرواحهم معلَّقة بالملأ الأعلى، فإنزالهم إشارة إلى ذلك[١].

[٥] **(ليظهره على الدِّين كلّه):**

«الإظهار»: هو الغلبة، ومن الواضح أنَّ الإظهار التام الكامل من كلّ الجهات لا يكون إلّا حين قيام حكومة العدل في جميع أرجاء المعمورة، وذلك لا يكون إلّا عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام، نعم الغلبة بالحجّة وأيضاً والظهور على بعض الكفّار حاصلة منذ زمان الرسول صلى الله عليه وآله.

[٦] **(قال: يقول الله. . .) إلخ:**

هذا المقطع عود إلى تفسير الآية الأولى، وإنّما عاد الإمام عليه السلام إليها لأنَّ السائل استعجل فقطع كلام الإمام عليه السلام حين كان يفسّر الآية الأولى فسأل عن الآية الثانية، فلمّا أجابه الإمام عليه السلام عن الآية الثانية، رجع إلى الآية الأولى فلذا أتمّ تفسير قوله: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾، وبيّن أنَّ إتمام الإمامة إنّما هو بالقائم عليه السلام، ثمّ فسّر ﴿الْكَافِرُونَ﴾.

[٧] **(أمّا هذا الحرف فتنزيل وأمّا غيره فتأويل):**

ذكرنا مراراً أنَّ القرآن نزل على الرسول صلى الله عليه وآله بنصّه وبتفسيره كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾[٢]، ويظهر من هذا الحديث أنَّ المعنى إذا

---

(١) المرآة: ج٥، ص١٣٥.

(٢) سورة القيامة: الآية ١٩.

قُلْتُ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾ [المنافقون: ٣]؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمَّى مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ رَسُولَهُ فِي وَلَايَةِ وَصِيِّهِ مُنَافِقِينَ، وَجَعَلَ مَنْ جَحَدَ

نزل مع النصّ فيعبَّر عنه بالتنزيل، وأمَّا إذا نزل بعد ذلك فيُقال له: تأويل.

أو يُقال: إنَّ تطبيق (النور) على الإمام، و(الإظهار) على زمان الإمام القائم عليه السلام هو المعنى الظاهر من الآية فلم يكن تأويلاً، وأمَّا التفسير بغير هذا الذي ذكره الإمام فهو تأويل للآية فلا بُدَّ من مراجعة الراسخين في العلم لتتضح صحَّة هذا التأويل من عدمها.

ثمَّ إنَّ قوله عليه السلام (هذا الحرف) لعلَّ المُراد هو ما ذكره الإمام عليه السلام من تفسير كلتا الآيتين، فقوله: (وأمَّا غيره) أي غير هذا المعنى الذي ذكره يكون خلافاً للظاهر فيكون تأويلاً فلا بُدَّ من مراجعة الراسخين في العلم لمعرفة صحته من سقمه، فتأمَّل.

٢ ـ آيات من سورة المنافقون

في تفسير القمِّي: إنَّ هذه السورة نزلت في عبد الله بن أُبي، وكان ذلك في غزوة بني المصطلق في سنة خمس من الهجرة[١]. وفي هذا الحديث دلالة على نزولها فيمن أنكر الوصي عليه السلام.

وللجمع بين ذلك وجوه، منها:

١ ـ أنَّ بعض الآيات نزلت أكثر من مرَّة، كما قيل ذلك في سورة الحمد[٢]، ولا محذور في أن تنزل الآية مرَّتين في قضيَّتين متشابهتين، تأكيداً وتذكيراً، ولتكون أوقع في النُّفوس، وبهذا يتم توجيه اختلاف الروايات في شأن نزول جملة من الآيات أو السور.

٢ ـ أنَّ خصوصية المورد لا تخصص الوارد، فآيات القرآن الكريم تجري أبداً مجرى الشَّمس والقمر، فأغلب الآيات لبيان قواعد عامَّة في العقيدة

---

(١) راجع تفسير القمِّي: ج٢، ص٣٦٨ ـ ٣٧٠.

(٢) راجع تفسير الصافي: ج١، ص١١٩.

وَصِيَّهُ إِمَامَتَهُ كَمَنْ جَحَدَ مُحَمَّداً، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ قُرْآناً فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ بِوَلَايَةِ وَصِيِّكَ ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ

والأحكام والآداب وأمثال ذلك، لكنَّها نزلت تدريجاً وقد يكون لنزولها شأن وقصة ولكن من غير تحديد وحصر مفاهيمها.

وهكذا هنا ـ على فرض صحة شأن نزول السورة في غزوة بني المصطلق ـ فإنَّ ذلك لا يُنافي عمومية مفاهيمها بحيث تشمل كلّ من نافق في أصل من أُصول الدِّين، فعبد الله بن أُبي نافق في النُّبوَّة، كذلك من أبغض الإمام عليّاً عليه السلام فقد نافق في الإمامة.

قال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾، والشهادة هنا إنشاء لكنَّها تلازم الإخبار بالاعتقاد بالمشهود به ولذا أمكن الصدق والكذب فيها، وقيل: الشهادة هي إخبار عن الاعتقاد، ولذا صدق المشهود به مع كذبهم في الشهادة، فلذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ وهذه جملة معترضة كالمقدمة للجملة التالية لئلَّا ينصرف التكذيب للرسالة بل ليتضح رجوعه إلى الشهادة ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ فإنَّهم آمنوا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم.

وهؤلاء المنافقون ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ﴾ جمع يمين أي الحلف ﴿جُنَّةً﴾ وقاية لهم لئلَّا يُصيبهم أذى من المسلمين، ﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فهم بإيمانهم اللِّسانيّ يحفظون أنفسهم في زمرة المسلمين لكنَّهم يكيدون بالإسلام من الداخل، أو إنَّهم بأفعالهم يمنعون النَّاس عن الإيمان الصحيح ويجرّونهم إلى النِّفاق ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي نفاقهم وكذبهم وصدّهم ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي بسبب أنَّهم ﴿ءَامَنُواْ﴾ بألسنتهم ﴿ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ بقلوبهم، وذلك لأنَّ الذي في قلبه زيغ قد تجرُّه فطرته إلى الخير لكنَّه سرعان ما يرتدّ على عقبيه لمَّا تتعارض مع مصالحه، أو بمعنى أنَّهم آمنوا ببعض الدِّين ثمَّ كفروا ببعضه الآخر، ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ وفي التقريب: إذ تمرَّنوا على الكفر، والتمادي في صفة تُوجب تطبُّع النَّفس بها إذ تكون ملكة للمتمادي، والطابع هو الله

لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ بولاية عليٍّ[٨] ﴿لَكَٰذِبُونَ * ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً

تعالى إذ خلق النَّفس البشرية هكذا، وإن كان الطبع بسبب نفاقهم[١]، ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لا يفهمون حقيقة الإيمان وذلك لاختلال الموازين عندهم فلا يرون الحسن حسناً ولا القبيح قبيحاً.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لحسن منظرهم، ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ لحلاوة كلامهم، ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ فهي جميلة في الظاهر لكنَّها خالية من الحياة والرُّوح ولا تثمر، وهم جبناء بحيث ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ لخوفهم من انكشاف أمرهم فهم يعيشون في خوف وقلق دائمين، ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾ الواقعي ﴿فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ دعاء عليهم ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ كيف يصرفون من الحق إلى الباطل.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ أي يدعو الله لكي يغفر ذنوبكم ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ أي حرَّكوها إعراضاً، ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ عن سبيل الحقّ، ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ فيظهرون أنَّهم لا حاجة لهم إلى استغفار الرسول.

وحيث إنَّهم هكذا فإنَّ الله سيُعاقبهم فـ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ﴾ في عدم انتفاعهم وعدم غفران الله لهم ﴿أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ فإنَّ الاستغفار ينفع المؤمن دون المنافق فـ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ لرسوخهم في الكفر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى﴾ بالألطاف الخفيَّة ﴿ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ أي الذين خرجوا عن الانقياد والطاعة، وهذا كالعِلَّة لعدم هداية الله إيَّاهم، فهؤلاء بسوء اختيارهم الكفر والعصيان لم يكونوا محلاً قابلاً للهداية فلا يُرجى إصلاحهم.

ولا يخفى أنَّ رفض حكم الله تعالى بولاية أمير المؤمنين عليه السلام يكشف عن نفاقهم واستكبارهم، لذا كانت الآيات تنطبق على هؤلاء المنافقين.

[٨] (المنافقين بولاية علي):

أي بسبب رفضهم للولاية قلباً، وإظهارهم قبولها ظاهراً، حيث بايعوا في الغدير، ثمَّ نكثوا البيعة في السقيفة.

---

(١) تقريب القرآن: ج٥، ص٤٢٢.

﴿فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ وَالسَّبِيلُ هُوَ الْوَصِيُّ[٩] ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ بِرِسَالَتِكَ وَكَفَرُوا بِوَلَايَةِ وَصِيِّكَ[١٠] فَطَبَعَ اللَّهُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾، قُلْتُ: مَا مَعْنَى لَا يَفْقَهُونَ؟ قَالَ: يَقُولُ: لَا يَعْقِلُونَ بِنُبُوَّتِكَ[١١]. قُلْتُ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾؟ قَالَ: وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْجِعُوا إِلَى وَلَايَةِ عَلِيٍّ يَسْتَغْفِرْ لَكُمُ النَّبِيُّ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴿لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ قَالَ اللَّهُ: ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ عَنْ وَلَايَةِ عَلِيٍّ ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عَلَيْهِ. ثُمَّ عَطَفَ[١٢] الْقَوْلَ مِنَ اللَّهِ بِمَعْرِفَتِهِ بِهِمْ، فَقَالَ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ

---

[٩] **(والسبيل هو الوصي):**

أي سبيل الله تعالى، فهو الطريق الَّذي من سار فيه وصل إلى النجاة، ولذا استفاضت الروايات بأنَّه عليه السلام هو الصراط المستقيم، كما مرَّ.

[١٠] **(آمنوا برسالتك وكفروا بولاية وصيّك):**

أي سبب نفاقهم أنَّهم دخلوا الإيمان ثمَّ خرجوا منه، وكثير من المنافقين دخل في البداية في الإسلام طوعاً وقناعة لكنَّهم بمرور الزمان كلَّما لم يعجبهم حكم رفضوه، فلما رفضوا أصلاً من أُصول الدِّين وهي الولاية دخلوا في زمرة المنافقين.

[١١] **(لا يعقلون بنبوّتك):**

أي لا يفهمون أنَّ ما جئت به ليس من عند نفسك، بل هو من الله تعالى، فإنَّ الذي يفهم معنى النُّبوَّة يعرف أنَّ النَّبي معصوم ولا تتحكَّم فيه الأهواء ولا يفعل شيئاً إلاَّ بأمر الله سبحانه وتعالى، أمَّا هؤلاء فقد كانوا يزعمون أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله نصَّب علياً عليه السلام من عند نفسه، حبّاً له، وهذا من شدَّة جهلهم بالنُّبوَّة ومعناها.

[١٢] **(ثم عطف...) إلخ:**

أي بعد بيان وصف المنافقين ليعرفهم النَّاس أوَّلاً، ولكي لا يبتلوا بمثل ما ابتلوا به ثانياً، حيث إن هذا الوصف للتحذير منهم وللتحذير من

أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ يقول: الظَّالِمِينَ لِوَصِيِّكَ[١٣].

قُلْتُ: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا[١٤] عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

الوقوع فيما وقعوا فيه، بعد ذلك بيَّن الله سبحانه مصير هؤلاء المنافقين وهو عقابهم وأخذهم بسوء أعمالهم، وقوله: (بمعرفته بهم) أي لا يتصوَّر المنافقون أنَّهم يتمكنون من خداع الله تعالى إذ هو عالم بهم وسيُجازيهم على أفعالهم، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾(١).

[١٣] **(الظالمين لوصيّك):**

أي فسقهم وخروجهم عن الطاعة هو بسبب رفضهم للوصيّ عليه السلام وظلمهم له.

٣ ـ آية من سورة الملك

[١٤] **(أفمن يمشي مكبّاً. . .) إلخ:**

بعد أن بيَّن الله بعض صفات الكفَّار من أنَّهم في غرور وأنَّهم لجّوا في عتوٍّ ونفور، بيَّن فرقهم عن المؤمنين بذكر مثال، فقال: ﴿أَفَمَن﴾ والاستفهام إنكاري ﴿يَمْشِى مُكِبًّا﴾ أي ساقطاً ﴿عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ وفي طريق وعرة يكثر فيها العثار ﴿أَهْدَىٰٓ﴾ أي أحسن معرفة بالطريق ﴿أَمَّن﴾ أم من ﴿يَمْشِى سَوِيًّا﴾ مستوياً على رجليه سالماً من العثار ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ مستوي الأجزاء والجهة صالح للسلوك.

وفي الآية ذكر استواء المؤمن واستقامة طريقه، وأمَّا الكافر فلم يذكر إلَّا هو بأنَّه مكبّ ولم تذكر طريقه، قيل: ولعلَّ الاكتفاء بما في الكبّ من الدلالة على حال المسلك، للإشعار بأنَّ ما عليه المشرك لا يستأهل أن يُسمَّى طريقاً كممشى التعسُّف في مكان متعار غير مستوٍ.

---

(١) سورة النِّساء: الآية ١٤٢.

[المُلك: ٢٢]؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلَ مَنْ حَادَ عَنْ وَلَايَةِ عَلِيٍّ[١٥] كَمَنْ يَمْشِي عَلَى وَجْهِهِ لَا يَهْتَدِي لِأَمْرِهِ، وَجَعَلَ مَنْ تَبِعَهُ سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

قَالَ: قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾[١٦] [الحَاقّة: ٤٠]؟ قَالَ: يَعْنِي

---

[١٥] (مثل من حاد عن ولاية علي):

حاد حَيْدة بمعنى الميل والعدول عن طريق الاستواء(١)، فهؤلاء في حيرة وضلالة كالمكبّ على وجهه لا يرى الطريق، وأيضاً معتقدهم باطل تُكثر فيه الشُّبهات والضلالات ممَّا يُوجب سقوطهم في متاهات الجهل كالطريق الوعرة التي يكثر فيها العثار.

عكس أهل الولاية، فلا يقعون في الضلالات والشُّبهات، وطريقهم هو العقائد الحقَّة والأعمال الصالحة الموصلة إلى النجاة.

٤ ـ آيات من سورة الحاقة

[١٦] (قوله: إنَّه لقول رسول كريم):

الآيات السابقة على هذه الآية في سورة الحاقة استعرضت أحوال المؤمنين والكافرين، بعد ذلك يتمّ الاستدلال على صحَّة طريقة المؤمنين وذلك بإثبات صدق الرسول صلى الله عليه وآله، فقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ النفي لتعظيم الحلف مع إلماع به، كمن يقول: «لا أُقسم بحياتك» للإلماع إلى الحلف مع بيان عظمته ﴿بِمَا تُبۡصِرُونَ﴾ من المشاهدات ﴿وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ﴾ من المغيّبات، ﴿إِنَّهُۥ﴾ القرآن، ومنه الآيات النازلة في الولاية ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ عند الله تعالى، والرسول الكريم لا يكذب على من أرسله فإنَّ ذلك عمل اللئام، ﴿وَمَا هُوَ﴾ القرآن وآياته النازلة في الولاية ﴿بِقَوۡلِ شَاعِرٖ﴾ فليس القرآن شعراً، ولا معانيه تخيُّلات وأوهاماً، كأكثر ما يقوله الشعراء الذين

---

(١) مقاييس اللغة: ص٢٧٢.

يهيمون في كل وادٍ ويقولون ما لا يفعلون، ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ وهذا استنكار وتقريع لهم، ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ كما كان يقول بعضهم، والكهانة هي الإخبار عن الغيب بألفاظ مسجعة ملفّقة، باطلها أكثر من حقّها، وذلك بإلقاء من الشياطين، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي لا تتذكرون الحقّ المودع في فطرتكم إلّا قليلاً، وقيل: ذكر الإيمان مع نفي الشاعريّة، والتذكُّر مع نفي الكاهنيَّة، لأنَّ عدم مشابهة القرآن للشعر أمر بيِّن لا ينكره إلّا المعاند، بخلاف مباينته للكهانة، فإنَّ العلم بها يتوقف على تذكر أحوال الرسول ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعاني أقوالهم[١].

بعد أن اتضح لكم أنَّ الرسول الكريم ليس بشاعر ولا كاهن لم يبقَ إلّا صدقه، وأنَّ القرآن وآياته والتي منها آيات الولاية ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

ثمَّ لزيادة الإنكار على الكفّار المكذبين، بيَّن الله أنَّ الرسول الكريم لا يتكلَّف الكذب على الله لأجل هؤلاء، لعلمه بعقاب المتقوِّل على الله مع علمه بعدم تمكنهم من إنقاذه، فهل من المعقول أن يكذب لأجلهم مع علمه بشدَّة العقاب وعدم نفعهم له؟ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾ افترى ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ المكذوبة ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ بيمينه ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ وهو عِرق في القلب ـ نياط القلب ـ، وهذا تصوير للإهلاك بفظاعة كما تُؤخذ يد من يُراد قتله ليسهل ضرب عنقه، وحينئذٍ ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ و«من» لزيادة التعميم ﴿عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ دافعين بمعنى تحجزون بيننا وبينه لكي لا يُعاقب.

وحيث إنَّه صادق ﴿وَإِنَّهُ﴾ تنزيل من الله فهو ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الَّذين يتَّقون الكفر والعصيان، فإنَّ المتَّقي هو المنتفع بالقرآن وبآياته.

ثمَّ هدَّد الله الكفّار فقال: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾ ولكنَّهم لا يتمكنون من الإفلات من العقاب، ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ إذا رأوا ثواب المؤمنين.

ثمَّ أكَّد الله صدق هذه المقالة فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ أي اليقين الحق

(١) تفسير الصافي: ج٧، ص٢٨٣.

جَبْرَئِيلَ عَنِ اللَّهِ فِي وَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام[١٧]، قَالَ: قُلْتُ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾؟ قَالَ: قَالُوا: إِنَّ مُحَمَّداً كَذَّابٌ[١٨] عَلَى رَبِّهِ! وَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهَذَا فِي عَلِيٍّ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِذَلِكَ قُرْآناً فَقَالَ: إِنَّ وَلَايَةَ عَلِيٍّ، ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ[١٩] * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ مُحَمَّدٌ ﴿بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا

الذي لا ريب فيه، وقد مرَّ الفرق بين «علم اليقين» و«عين اليقين» و«حقّ اليقين»، وهي درجات في اليقين ـ باعتبار قوّة منشئه ـ، فقد يعلم الإنسان بالنار، وقد يراها، وقد يلمسها، والأخير هو الأقوى في درجات اليقين.

وحيث علمتَ بالحقّ فلا تُعر أهمية لتكذيبهم بل امضِ حيثما تُؤمر من تنزيه الله من أباطيل الكفَّار ﴿فَسَبِّحْ﴾ تنزيهاً وشكراً ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الذي لا يُؤثِّر تكذيب هؤلاء في عظمته.

[١٧] **(في ولاية علي عليه السلام)**:

إمَّا بيان لشأن نزول الآيات، أو بيان لمصداق من مصاديقها، أو تنظير للمنافقين المنكرين للولاية بأولئك الكفَّار المنكرين للرسالة.

[١٨] **(قالوا: إنَّ محمَّداً كذَّاب...) إلخ**:

تفسير للشاعر، وفي المرآة: لأنَّ المُراد به من يروِّج الكذب بلطائف الحيل، وقد يكون منها الوزن والقافية، والحاصل: أنَّه لا بُدَّ أن يكون مرادهم بالشاعر من يكون بناء كلامه على الخيالات الشعرية والأُمور الباطلة المموهة، لأنَّ عدم كون القرآن شعراً ممَّا لا يريب فيه أحد(١).

[١٩] **(إنَّ ولاية علي تنزيل من ربِّ العالمين)**:

تفسير لضمير ﴿إِنَّهُ﴾، ولا يُنافي رجوعه للقرآن، لأنَّ المُراد به الآيات النازلة في الولاية، مضافاً إلى أنَّهم عليهم السلام القرآن الناطق، وهو في صدورهم، وأخلاقهم القرآن كما مرَّ آنفاً.

---

(١) المرآة: ج٥، ص١٤٢.

مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾، ثُمَّ عَطَفَ الْقَوْلَ[٢٠] فَقَالَ: إِنَّ وَلَايَةَ عَلِيٍّ ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ لِلْعَالَمِينَ[٢١]، ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾، وَإِنَّ عَلِيّاً ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٢٢]، وَإِنَّ وَلَايَتَهُ ﴿لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ فَسَبِّحْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾، يَقُولُ: اشْكُرْ رَبَّكَ[٢٣] الْعَظِيمَ الَّذِي أَعْطَاكَ هَذَا الْفَضْلَ.

قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[٢٤] [الجن: ١٣]؟ قَالَ:

---

[٢٠] **(ثمَّ عطف القول)**:
أي أرجع الله القول إلى الولاية، فإنَّه ذكر التنزيل، ثمَّ بيَّن عقاب التقوُّل، ثمَّ رجع إلى التنزيل مرَّة أُخرى.

[٢١] **(للعالمين)**:
إمَّا بكسر اللام أي من يعلم بصدق الرسول ﷺ فإنَّه يتقي العقائد الفاسدة والأعمال الباطلة.
أو بفتح اللام لبيان أنَّ القرآن نزل للجميع لكن المتذكِّر المنتفع هم المتَّقون.

[٢٢] **(وإنَّ علياً لحسرة على الكافرين)**:
أي الآيات النازلة فيه ستكون حسرة عليهم بسبب عدم عملهم بها.

[٢٣] **(يقول: اشكر ربّك)**:
إذ كما يكون تنزيهه بسلب صفات النقص عنه، كذلك يكون بإثبات صفات الكمال له، ومنها: إنزاله القرآن واختياره الوصيَّ للنَّبي، فلذا وجب شكره تعالى على هذه النِّعم الجسام.

٥ ـ آيات من سورة الجن

[٢٤] **(لما سمعنا الهدى آمنا به)**:
الآية في سورة الجن، وهذه السورة تبدأ بأنَّ نفراً من الجن استمعوا إلى القرآن وأنَّه يهديهم إلى الرشد، وذلك الرشد هو:

١ ـ **التوحيد**، (الآيات ٢ ـ ٦) فقالوا: ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾، وتستمر الآيات في نفي الصاحبة والولد، وإبطال كلام سفيههم ـ ولعلّه إبليس ـ وأنَّه كان يقول على الله شططاً.

٢ ـ **النُّبوَّة**، (الآيات ٧ ـ ١٣)، فقالوا: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾، وتواصل الآيات في بيان البعثة ومقدماتها بأنَّهم لمسوا السَّماء فوجدوها ملئت حرساً وشهباً، وأنَّهم منعوا عن السمع، وأنَّ الذي يحاول استراق السمع يرصده شهاب، فلم يكونوا يدرون أنَّ ذلك لعذاب أهل الأرض أم لخيرهم، حتَّى تبيَّن أنَّ ذلك علامة للبعثة، فبعضهم كان صالحاً فآمن والبعض استمر في غيِّه... إلخ.

٣ ـ **الولاية**، (الآيات ١٣ ـ ٢٥)، وهذا الحديث يُبيِّن بعض هذه الآيات الشريفة، فقال تعالى حكاية عن نفر من الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ القرآن، ومنه الآيات النازلة في الولاية ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ بالهدى، ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ أي يصدّقه فيما أنزله ومنه آيات الولاية ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ أي نقصان في ثوابه ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ عذاب يُرهقه، وأمَّا من لا يُؤمن فإنَّه يخاف البخس إذ حسناته تحبط، ويخاف الرهق إذ يُعذَّب.

ثمَّ قال بعد ذلك: ﴿وَأَلَّوِ﴾ أن لو ﴿ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ وقد مرَّت الروايات في أنَّ «الطريقة» هي الولاية، و«الماء العذق» العلم الكثير يتعلَّمونه من الأئمَّة[1].

ثمَّ قال بعد ذلك: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ والذِّكر هو الإمام عليّ عليه السلام[2].

ثمَّ قال بعد ذلك: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ وقد مرَّ أنَّهم الأوصياء عليهم السلام[3]، فإنَّهم أحد مصاديق الآية.

(١) راجع البرهان: ج١٠، ص٨٢ ـ ٨٥.

(٢) المصدر: ص٨٥ ـ ٨٦.

(٣) المصدر: ص٨٧ ـ ٨٨.

الْهُدَى الْوَلَايَةُ، آمَنّا بِمَوْلَانا[٢٥]، فَمَنْ آمَنَ بِوَلَايَةِ مَوْلَاهُ ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾، قُلْتُ: تَنْزِيلٌ؟ قَالَ: لَا، تَأْوِيلٌ[٢٦]، قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ [الجنّ: ٢١] **[٢٧] قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا النَّاسَ إِلَى**

---

[٢٥] (آمنا بمولانا):

بيان لمرجع الضمير في قوله ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾، وحيث إنَّ الضمير راجع إلى الهدى ـ المفسّرة بالولاية ـ، لذا فسَّره (بمولانا).

وفي المرآة: لمَّا كان الإيمان بالولاية راجعاً إلى الإيمان بالمولى ـ أي صاحب الولاية والذي هو أَوْلى بكلّ أحد من نفسه ـ أرجع ضميريه إلى المولى، بياناً لحاصل المعنى(١).

[٢٦] (قلت: تنزيل؟ قال: لا، تأويل):

حيث قال الإمام عليه السلام: «فمن آمن بولاية مولاه»، احتمل الراوي ـ محمَّد بن الفضيل ـ أنَّ ذلك تفسير لقوله تعالى: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ بأن يكون الرَّب هو الولاية!! لذا سأل أنَّ هذا تنزيل ـ أي تفسير الرَّب بالولاية ـ أم أنَّه تأويل؟ فأجابه الإمام الكاظم عليه السلام: بأنَّ هذا تأويل، أي إنَّ الإيمان بالرَّب يتوقف على تصديقه في كل ما أنزله، وممَّا أنزله الولاية، فمن يكفر بالولاية فقد ردَّ على الله تعالى فلا يكون مؤمناً.

وفي المرآة: وأوّل ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ بالإيمان بالولاية، للدلالة على أنَّ من لم يُؤمن بالولاية لم يُؤمن بربِّه، فإنَّها شرط الإيمان بالله، كما قال الإمام الرِّضا عليه السلام: «وأنا من شروطها»، وكما ورد أنَّ كلمة التوحيد مسلوبة عن غير الإمامية في القيامة، وكيف يتمّ الإيمان بالله مع ردّ ما أنزل الله في شأن المولى(٢)؟!

[٢٧] (لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً):

ثمَّ قال تعالى في تتمة سورة الجن: ﴿قُلْ﴾ يا رسول الله: ﴿إِنِّي لَآ أَمْلِكُ

---

(١) المرآة: ج٥، ص١٤٣.

(٢) المصدر نفسه.

وَلَايَةِ عَلِيٍّ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ أَعْفِنَا مِنْ هَذَا! فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا إِلَى اللَّهِ لَيْسَ إِلَيَّ»، فَاتَّهَمُوهُ وَخَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ﴾ إِنْ عَصَيْتُهُ ﴿أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فِي عَلِيٍّ،

﴿لَكُمْ ضَرًّا﴾ بأن أعذبكم ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ هداية وإرشاداً، وإنَّما الضرر والإرشاد بيد الله تعالى وهو الذي أمرني بالتبليغ.

قيل: إنَّ التقابل إنَّما هو بين «الضرر والنفع»، وكذا بين «الرشد والغيّ» لكن لمَّا أراد الله تعالى كلّ ذلك اختار من كل واحد من المتقابلين أحدهما، فعبَّر عن أحدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه أو مسبّبه، فالرشد سبب النفع، والغيّ سبب الضرر، وذلك إشعار بالمعنيين.

﴿قُلْ﴾ ليس فقط لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً، بل لا أملك النفع والضرر لنفسي، فـ﴿إِنِّي﴾ إن عصيت الله فـ﴿لَن يُجِيرَنِي﴾ لن يحفظني ﴿مِنَ﴾ تقدير ﴿ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ﴾ دون الله ﴿مُلْتَحَدًا﴾ ملتجأ ألجأ إليه، فلا أحد يُجيرني ولا مكان يُؤويني إن عصيته فأراد بي ضرّاً.

فلا أملك لكم شيئاً ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾، وقوله: ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ عطف بيان على بلاغاً، والاستثناء منقطع، أي لا أملك شيئاً لكن مهمَّتي التبليغ، ومن المعلوم أنَّ كمال الدِّين وتمام النعمة بالولاية، لذا أُمر الرسول ﷺ بتبليغها وأنَّه إن لم يفعل فما بلَّغ رسالة ربِّه.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بعدم طاعتهما في الأوامر والنواهي وخاصَّة فيما يرتبط بالولاية ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، وإفراد الضمير في «له» باعتبار لفظ «من»، وجمعه في «خالدين» باعتبار معناه.

لكن الكفَّار لا يبالون بهذا الإنذار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ العذاب في الدُّنيا وفي الآخرة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ حين رؤيتهم العذاب ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا﴾ هل ناصر الدِّين أضعف أم ناصرهم ﴿وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ هل أعوان الحقّ أقل أم أعوانهم؟ وسيظهر ذلك بشكل جليّ وواضح في الرجعة، وهذا جواب

قُلْتُ: هَذَا تَنْزِيلٌ؟ قَالَ: نَعَمْ[٢٨]**، ثُمَّ قَالَ تَوْكِيداً**[٢٩]**:** ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ **فِي وَلَايَةِ عَلِيٍّ** ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾**، قُلْتُ:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ **يَعْنِي بِذَلِكَ**[٣٠] **الْقَائِمَ وَأَنْصَارَهُ.**

لما زعموه من كثرتهم وقوَّتهم حيث قال سبحانه في آية سابقة: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾(١)، أي متكاثرين ليمنعوه عن الدعوة.

[٢٨] **(قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم):**

أي «في علي» هل هو تفسير الآية التي نزلت مع نصّها، أم أنّه من التأويل؟ والجواب: أنَّه التفسير الذي نزل معها، وذلك لأنَّ كمال الرِّسالة بالولاية ولولاها لما بُلِّغت الرِّسالة، كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾(٢).

[٢٩] **(ثمَّ قال توكيداً):**

هذا من كلام الإمام عليه السلام أي ثمَّ قال الله تعالى للتأكيد على الولاية فإنَّ الرسول أمر بإبلاغها وعلى الجميع اتباعها، وإلّا فسيُصيبهم العذاب.

[٣٠] **(يعني بذلك):**

هذا من كلام الإمام عليه السلام، و«بذلك» أي بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾، فإنَّ الرجعة أحد مصاديق الآية، والمصداق الآخر الموت والقيامة ـ كما في تفسير القمّي(٣) ـ.

---

(١) سورة الجن: الآية ١٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٦٧.

(٣) راجع تفسير الصافي: ج٧، ص٣١٦، عن تفسير القمّي: ج٢، ص٣٩١.

قُلْتُ: فَ﴿اَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾[٣١]؟ قَالَ: يَقُولُونَ فِيكَ ﴿وَاَهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي﴾. وَذَرْنِي يَا مُحَمَّدُ ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ بِوَصِيِّكَ ﴿أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١٠-١١] قُلْتُ: إِنَّ هَذَا تَنْزِيلٌ؟ قَالَ: نَعَمْ[٣٢].

---

٦ ـ آيتان من سورة المُزمِّل

[٣١] **(واصبر على ما يقولون):**

قال سبحانه: ﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ فوّض أمرك إليه فهو يحفظ.

ثمّ عَطف عليه ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ ما يقول الكفّار فيك من أنّك ساحر أو كاهن وأنّه اختار ابن عمّه لا بأمر من الله... إلخ، ﴿وَاهْجُرْهُمْ﴾ ابتعد عنهم ﴿هَجْرًا جَمِيلًا﴾ بمداراتهم أو بدعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن رغم هجرانهم، والحاصل: أنّ الله تعالى أمر رسوله ﷺ بأمور ثلاثة: الالتجاء إلى الله، والصبر على تكذيبهم، وهجرانهم مع مداراتهم، أمّا الأوّل: فلأنّ عنان الأُمور بيد الله سبحانه فهو يؤيّد رُسله، وأمّا الثاني: فلكي يُواصل الرسول ﷺ مهمّته الموكلة إليه، وأمّا الثالث: فلكي يقلّ إيذاؤهم مع إبقاء باب الهداية مفتوحاً أمامهم.

ثمّ قال تعالى: ﴿وَذَرْنِي﴾ أي دعني وإيّاهم فسأُجازيهم ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ بك وبما جئت به، والولاية من أهم ما جاء به ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾ أصحاب الثروة وسائر النِّعم، فإنَّ هؤلاء عادة يُعارضون الأنبياء خوفاً على مصالحهم أو تكبُّراً وحسداً، ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ فسيُصيبهم العذاب في الدُّنيا والآخرة، وهذا تسلية للرسول ﷺ وتهديد لهم.

[٣٢] **(إنَّ هذا تنزيل؟ قال: نعم):**

إمّا شأن نزول الآيات في المكذبين بالوصي ـ مع عموميّة مدلولها ـ، أو أنَّ ذلك تفسير بالمصداق وهو من التفسير الذي نزل على الرسول ﷺ، كما مرَّ مراراً.

قُلْتُ: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾[٣٣]؟ قَالَ: يَسْتَيْقِنُونَ أَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَوَصِيَّهُ حَقٌّ، قُلْتُ: ﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾؟ قَالَ: وَيَزْدَادُونَ بِوَلَايَةِ الْوَصِيِّ إِيمَاناً، قُلْتُ: ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [المدثر: ٣١] قَالَ: بِوَلَايَةِ

٧ ـ آيات من سورة المُدَّثِّر

[٣٣] (ليستيقن الَّذين أوتوا الكتاب):

قبل هذه الآية، بيَّن الله تعالى قصَّة الوليد بن المغيرة الَّذي كان عنيداً لآيات الله تعالى حيث زعم أنَّ القرآن سحرا! ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾(١). . . الآيات.

وقد مرَّ مراراً أنَّ شأن نزول الآيات لا يُحدِّد معناها ومفهومها عادة، بل إذا نزلت الآية في قوم فإنَّها تجري في أمثالهم، فكما أنَّ الوليد أنكر الرِّسالة واتهم الرسول ﷺ بالسحر وبالتقوُّل، كذلك المنافقون أنكروا الولاية واتهموا الرَّسول ﷺ بأنَّه نصَّب الإمام علياً عليه السلام للخلافة من عند نفسه!!

وكما أنَّ الله يُعذِّب الكفَّار في جهنَّم، كذلك يُعذِّب المنافقين.

وكما أنَّ الآيات النازلة تقوِّي إيمان المؤمنين بالرِّسالة فهي تُسبِّب زيادة كفر ونفاق الكافرين والمنافقين كما قال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾(٢)، كذلك آيات الولاية تزيد إيمان المؤمنين بتسليمهم وطاعتهم وتزيد كفر الكافرين ونفاق المنافقين بإعراضهم عنها.

وبهذا يتبيَّن معنى التأويل المذكور في هذه الآية، وعدم منافاته لكون السورة مكيَّة، على أنَّه يحتمل تعدُّد النزول كما مرَّ مراراً.

ثمَّ قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ وهي وادٍ في جهنَّم، ﴿لَا تُبْقِي﴾ على

(١) سورة المُدَّثِّر: الآيات ٢٤ ـ ٢٧.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٨٢.

شيء يُلقى فيها بل تحرقه، ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ لا تتركه كي يموت فينجو من العذاب، ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ من التلويح وهو تغيُّر اللون بواسطة الحرارة ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ جمع بَشرة وهي ظاهرة الجلد، ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ من الملائكة يتولّون أمرها.

وحيث استهزأ المشركون بهذا العدد، أنزل الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ﴾ أي الموكلين عليها ﴿إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ فيمكنهم تعذيب الآلاف المؤلفة من النَّاس ـ ولو كانوا بهذا العدد ـ فقد قيل: إنَّ أبا جهل قال لقريش: أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم[1]؟ ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ عددهم وهو تسعة عشر:

١ ـ ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في التقريب: حتَّى يتبيَّن هل هم يؤمنون أم يضحكون من هذا العدد قائلين لا يكفي هذا العدد القليل لتعذيب الكثرة من الكفَّار والعُصاة!! فإنَّ مخلوقاته سبحانه مُوجبة للفتنة والامتحان سواء كانت نعماً أم نقماً، في الدُّنيا أو في الآخرة، وسواء كان أصل الشيء أو خصوصياته ومزاياه[2].

٢ ـ إنَّ ذكر العدد ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ﴾ يتيقنوا بنبوَّة الرَّسول محمَّد ﷺ وصدقه في كل ما جاء به ـ ومنه الولاية ـ، وذلك حيث يرون أنَّ كلام الرَّسول ﷺ كلّه مطابق للحقّ والواقع الَّذي نطقت به كتبهم غير المحرَّفة حتَّى في الخصوصيات والجزئيات.

٣ ـ ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَٰنًا﴾ حيث يرون تصديق أهل الكتاب للرسول ﷺ، فيزداد إيمانهم به وبكل ما جاء به ـ ومنه الولاية ـ.

٤ ـ ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾ لا يشكُّ في نبوَّة محمَّد ﷺ وبما جاء به ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، الذين آمنوا بالرسول وبما جاء به ومنه الولاية، وذلك لأنَّ المستيقن والمؤمن معرَّضان لزوال اليقين والإيمان عبر الارتياب فكل آية من القرآن تدفع الارتياب كما أنَّها تزيد اليقين والإيمان.

(١) نقله في تفسير الصافي: ج٧، ص٣٣٨.

(٢) التقريب: ج٥، ص٥٥٣.

٥ ـ ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ المنافقون ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾؟ فكأنَّهم زعموا أنَّ هذا العدد من باب المثل.

والحاصل: أنَّ هذه الآية مع ذكر العدد الخاصّ فيها تُوجب امتحان الكفَّار، ويقين أهل الكتاب، وزيادة إيمان المؤمنين، كما أنَّها تُوجب دفع الريب عن قلوب أهل الكتاب والمؤمنين، وتُوجب ظهور كفر ونفاق الكفَّار والمنافقين.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ ببيان هذه الحقائق ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ﴾ فإنَّها تُوجب تنفُّرهم وذلك إضلال لهم، ﴿وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ فهي تُوجب قبول آخرين للإيمان وذلك هداية لهم، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ أصنافهم وعددهم ﴿إِلَّا هُوَ﴾ وقد يخبر الله ببعض هؤلاء الجنود.

ثمَّ قال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ﴾ الآيات السابقة أو هذه السورة ـ والتي ذكرت الولاية فيها ـ أو سقر التي يصلاها من كذَّب بالنبي أو بما جاء به من الولاية وغيرها ﴿إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ تذكرة لهم ليُقلعوا عن المعاصي.

﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما زعموا، وهذا ردع للكفَّار المنكرين المكذبين ﴿وَٱلْقَمَرِ * وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ أي أضاء ﴿إِنَّهَا﴾ الآيات السابقة، والتي ذكرت فيها الولاية أو سقر التي يصلاها المكذب المنكر لما جاء به الرَّسول ﷺ ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ جمع كبرى، أي إحدى الآيات العظمى، فخالق القمر واللَّيل والصبح قادر على إرسال الرُّسل وجعل أوصياء لهم وتشريع الأحكام، حال كون هذه الآية ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾.

ثمَّ هدَّدهم الله تعالى بقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ﴾ من البشر ﴿أَن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الإيمان والعمل الصالح ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ بالعصيان.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ فرقبته مرهونة للنار، فإن فكّ الرهن ـ بالإيمان والطاعة ـ نجا من النار، وإلَّا أخذته النار إليها، وهذا تشبيه بالرهن الذي عند الراهن فإن أدَّى المدين دينه فكّ رهنه وإلَّا أخذه الراهن، ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ حيث فكّوا رقبتهم من الرهن، وهم من آمن بالرسول وبكل ما جاء به ومنه الولاية، فيكون المُراد بهم الشيعة ﴿فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم

عَلِيٍّ عليه السلام. قُلْتُ: مَا هَذَا الِارْتِيَابُ[٣٤]؟ قَالَ: يَعْنِي بِذَلِكَ أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ فَقَالَ: وَلَا يَرْتَابُونَ فِي الْوَلَايَةِ، قُلْتُ: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَايَةُ عَلِيٍّ عليه السلام، قُلْتُ: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ [المدّثر: ٣٥]؟ قَالَ: الْوَلَايَةُ، قُلْتُ: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدّثر: ٣٧]؟ قَالَ: مَنْ تَقَدَّمَ إِلَى وَلَايَتِنَا[٣٥] أُخِّرَ عَنْ سَقَرَ، وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنَّا تَقَدَّمَ إِلَى سَقَرَ، ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ [المدّثر: ٣٩] قَالَ: هُمْ وَاللَّهِ شِيعَتُنَا، قُلْتُ: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾

بعضاً، أو يطلعون إلى الكفّار في نار جهنّم ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ فيقولون لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ أوصلكم ﴿فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ وقد مرَّ في الحديث ٣٨ من هذا الباب أنَّ المُراد بهم أتباع الأئمَّة عليهم السلام كالفرس الذي يفوز بالجائز الثانية وهو «المُصلِّي»، ومن المعلوم أنَّ أتباع الأئمَّة يقيمون فرائضهم، ومنها الصلاة المفروضة، ومنها ذكر الصلاة على النبي وآله، . . . إلى آخر الآيات.

[٣٤] (قلت: ما هذا الارتياب):

في المرآة: كأنَّ السائل جعل قوله عليه السلام (بولاية علي) متعلّقاً بالمؤمنين، فلا يعلم حينئذٍ أنَّ متعلّق الارتياب المنفيّ ما هو؟ فلذا سأل عنه، فأجابه الإمام عليه السلام: «بأنَّ هذا الارتياب إنَّما هو في الولاية»(١).

وقيل: هو سؤال عن الارتياب بعد اليقين، حيث قال: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ ثمَّ قال: ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾، فجاء الجواب: أنَّ متعلق اليقين والريب متعدِّد، فتأمَّل.

[٣٥] (من تقدَّم إلى ولايتنا. . . .) إلخ:

أي التقدُّم والتأخر المذكوران في الآية هما التقدُّم إلى الولاية أو التأخر عنها، ولازم ذلك التأخر أو التقدُّم إلى سقر.

---

(١) المرآة: ج٥، ص١٤٩ ـ ١٥٠.

[المدثّر: ٤٣]؟ **قَالَ: إِنَّا لَمْ نَتَوَلَّ وَصِيَّ مُحَمَّدٍ وَالْأَوْصِيَاءَ مِنْ بَعْدِهِ ـ وَلَا يُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ**[٣٦] **ـ، قُلْتُ:** ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ [المدثّر: ٤٩] **قَالَ: عَنِ الْوَلَايَةِ مُعْرِضِينَ، قُلْتُ:** ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾[٣٧] [عبس: ١١]؟ **قَالَ: الْوَلَايَةُ.**

قُلْتُ: قَوْلُهُ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾[٣٨] [الإنسان: ٧]؟ **قَالَ: يُوفُونَ لِلَّهِ بِالنَّذْرِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ فِي الْمِيثَاقِ مِنْ وَلَايَتِنَا، قُلْتُ:** ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾[٣٩] [الإنسان: ٢٣]؟ **قَالَ: بِوَلَايَةِ عَلِيٍّ عليه السلام تَنْزِيلًا. قُلْتُ: هَذَا تَنْزِيلٌ؟**

---

[٣٦] (ولا يصلّون عليهم):

مرَّ أنَّ تأويل ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ من التابعين للأئمَّة، ولازم تبعيتهم هو الالتزام بالفرائض، فتدخل فيها الصلوات اليومية، وكذا الصلاة عليهم في التشهُّد وغيرها.

[٣٧] (كلّا إنّها تذكرة):

هذه الآية في سورة عبس، فلعلَّ الراوي سأل عنها، وأمَّا الآية في سورة المُدَّثِّر فهي: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾.

٨ ـ آيات من سورة الإنسان

[٣٨] (يوفون بالنذر):

قد مرَّ شرح هذا المقطع من الحديث في الحديث الخامس من هذا الباب، فراجع.

[٣٩] (إنّا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً):

سورة الإنسان نزلت في فضل أهل البيت عليهم السلام لـمَّا صاموا ثلاثة أيّام وتصدَّقوا بإفطارهم لمسكين ويتيم وأسير(١)؛ فالمُراد من (القرآن) هو هذه السورة، لأنَّ كلمة «القرآن» تُطلق على كلّ المصحف وعلى أبعاضه أيضاً، وهذه السورة نزلت بولاية الإمام علي عليه السلام، ولذا عقَّب على هذه

---

(١) راجع تفسير الصافي: ج٧، ص٣٥٨ ـ ٣٦٠.

قَالَ: نَعَمْ ذَا تَأْوِيلٌ[٤٠]، **قُلْتُ:** ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾[٤١] [الإنسان: ٢٩]؟ **قَالَ: الْوَلَايَةُ، قُلْتُ:** ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ [الإنسان: ٣١]؟ **قَالَ: فِي وَلَايَتِنَا،**

الآية بقوله: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.

[٤٠] **(قال: نعم ذا تأويل):**

أي «بولاية علي» هي تفسير للآية، وذلك لأنَّ شأن نزول هذه السورة هم أصحاب الكساء عليهم السلام، كما أنَّ للآية تأويلاً أيضاً، ولعلَّ ذلك التأويل هو أن الإمام علي عليه السلام هو القرآن، كما مرَّ أنَّه عليه السلام قرآن ناطق لوجود القرآن في صدره، ولكون عمله وخُلقه القرآن. فقوله: (نعم ذا تأويل) أي هذا المعنى تفسير ولكن له تأويلاً، و(ذا) بمعنى الصاحب.

وهنا اختلاف في بعض النسخ، فراجع المرآة(١).

[٤١] **(إنَّ هذه تذكرة):**

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ السورة ـ المشتملة على الولاية ـ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ للناس تذكِّرهم بما في فطرتهم وبما أمر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله من الأوامر التي منها الولاية، فليس فيها جبر، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ بالتقرُّب إليه تعالى بالطاعات، وطريقها الولاية، إذ لولا الولاية لما عُرفت الطاعات بشكل صحيح، ولا قُبلت من الناس، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ اتخاذ السبيل إلى الله ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ بأن يرسل الرسول ويوضح الطريق، فلولا أنَّ الله أرسل وبيَّن لما تمكن النَّاس من معرفة الطاعات ليشاؤوها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ لا يشاء إلَّا ما تقتضيه الحكمة، ولذلك ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ أي هدايته التي تُوجب السعادة في الدارين، ومن المعلوم أنَّها متوقفة على الولاية إذ جعل تعالى إكمال الدِّين بها، ولولاها لما اهتدى الإنسان فلا يدخل في رحمته تعالى، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وعصيانهم وظلموا أهل الولاية ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

ولا يخفى أنَّ السورة بدأت بالعذاب بقوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ﴾...،

---

(١) المرآة: ج٥، ص١٥١.

قَالَ: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١]، أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ[٤٢]: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَعَزُّ وَأَمْنَعُ[٤٣] مِنْ أَنْ يَظْلِمَ، أَوْ يَنْسُبَ نَفْسَهُ إِلَى ظُلْمٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ خَلَطَنَا

وانتهت بالعذاب أيضاً، ولعلَّ ذلك لبيان أنَّ الحائد عن الأئمَّة عليهم السلام مصيره إلى النار، فالمتقدم لهم مارق، والمتأخر عنهم زاهق، واللازم لهم لاحق.

[٤٢] **(ألا ترى أن الله يقول. . . .) إلخ:**

المقصود تفسير قوله تعالى: ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ بالذين ظلموا أهل البيت عليهم السلام، فتكون الآية قد بيَّنت مصير الفريقين، فالمؤمنون يُدخلهم الله في رحمته التي هي الولاية، والظالمون لأهل البيت يدخلهم في العذاب الأليم الذي هو نقمته تعالى.

ثمَّ إنَّ الإمام عليه السلام بيَّن أنَّ ظلم هؤلاء في الحقيقة يرجع إلى أنفسهم وأنَّ عذاب الله تعالى ليس ظلماً لهم بل هو جزاء على ظلمهم، وقد استدلَّ لذلك بآيتين من القرآن الكريم.

١ ـ قوله: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ تدلُّ على أنَّ عصيان هؤلاء يرجع وباله عليهم.

٢ ـ قوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ تدلُّ على أنَّ الله تعالى لم يُكرههم على العصيان بل هم بسوء اختيارهم اختاروا العصيان، فجزاؤهم بالنار إنَّما هو نتيجة أعمالهم وليس ظلماً من الله عليهم.

[٤٣] **(إنَّ الله أعزّ وأمنع. . .) إلخ:**

في المرآة: إنَّ الله أجلّ من أن ينسب إليه أحد ظلماً ـ بالظالمية أو المظلومية ـ حتَّى يحتاج إلى أن ينفي عن نفسه ذلك، بل الله سبحانه خلط الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بنفسه، ونسب إلى نفسه كل ما يفعل بهم أو ينسب إليهم، لبيان كرامتهم لديه وجلالتهم عنده(١).

---

(١) المرآة: ج٥، ص١٥٢.

بِنَفْسِهِ[٤٤] فَجَعَلَ ظُلْمَنَا ظُلْمَهُ وَوَلَايَتَنَا وَلَايَتَهُ، ثُمَّ أَنْزَلَ بِذَلِكَ[٤٥] قُرْآناً عَلَى نَبِيِّهِ فَقَالَ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]، قُلْتُ: هَذَا تَنْزِيلٌ[٤٦]؟ قَالَ: نَعَمْ.

قُلْتُ: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ١٥][٤٧]؟ قَالَ: يَقُولُ: وَيْلٌ

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾(١)، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(٢).

والحاصل: أنَّ المعنى أنَّ هؤلاء لم يظلموا الله تعالى عبر ظلم أوليائه عليهم السلام بل في الحقيقة ظلموا أنفسهم بتسبيبهم لشقاوتها الدائمة، و«أعزّ» بيان لقاهريته، و«امنع» بيان لعدم مقهوريته.

[٤٤] (خلطنا بنفسه):

أي شرَّفنا بأن نسب أفعالنا إلى نفسه، وكأنَّ ما جرى علينا جرى عليه مجازاً، وقد مرَّ فيما مضى تفصيل هذا المعنى.

[٤٥] (ثمَّ أنزل بذلك....) إلخ:

أي بعد أن بيَّن أنَّ وبال ظلم أهل البيت يرجع إلى الظالمين، ذكر أنَّ هذا الوبال هو نتيجة سوء أعمال الظالمين وليس ظلماً من الله لهم.

[٤٦] (قلت: هذا تنزيل):

أي تفسير رحمته بولايتنا، وتفسير الظالمين بمن ظلم أهل البيت، فهذا هو تفسير الآية وقد نزل هذا التفسير على النَّبي صلى الله عليه وآله مع نزول نصّ الآية.

٩ ـ آيات من سورة المرسلات

[٤٧] (ويلٌ يومئذٍ للمكذِّبين):

في الآيات السابقة: ﴿إِنَّمَا﴾ إنَّ ما ﴿تُوعَدُونَ﴾ القيامة والجنَّة والنَّار

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١٧.

(٢) سورة الفتح: الآية ١٠.

لِلْمُكَذِّبِينَ يَا مُحَمَّدُ بِمَا أَوْحَيْتُ إِلَيْكَ مِنْ وَلَايَةِ[٤٨] عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام. ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾. قَالَ: الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا الرُّسُلَ فِي طَاعَةِ الْأَوْصِيَاءِ[٤٩]. ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ [المرسلات:١٦-١٨]. **قَالَ: مَنْ**

﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة، ثمَّ بيَّن تعالى علامات القيامة: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ ذهب نورها، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ انشقت ـ بسبب تغيُّر النظام ـ، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ صارت كالرمل أو الهباء، ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ عُيِّن لها وقت لتحضر للشهادة، ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ سؤال يُراد به التهويل أي تأخيرها لأيِّ يوم؟ والجواب: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ الذي يفصل فيه بين المؤمنين والكفّار، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ وهذا تعبير للاستعظام وحينئذٍ يكون العقاب للكفَّار والثواب للمؤمنين فـ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ﴾ في يوم القيامة ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ الذين كذبوا الرُّسل فيما جاؤوا به ومنه ما ذكروه في الأوصياء عليهم السلام، ثمَّ أنذر الله تعالى هؤلاء المُكذِّبين ببيان العذاب الدنيوي الذي أصاب سائر المُكذِّبين ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ كقوم نوح وعادٍ وثمود، ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ المكذبين بالرسول محمَّد صلى الله عليه وآله ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ تهديد لمن يكذب الرسول صلى الله عليه وآله.

وبعد ذلك عدَّة آيات فيها بيان لعقاب المكذبين ثمَّ يقول تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾ ظلِّ أشجار الجنَّة وقصورها... إلى آخر الآيات المباركة.

[٤٨] **(بما أوحيت إليك من ولاية...) إلخ:**

إمَّا شأن نزول الآيات في التكذيب بالولاية مع عموم مفهومها لكل تكذيب، أو هو تفسير بالمصداق لأنَّ عمدة التكذيب في هذه الأُمَّة إنَّما هو التكذيب بالولاية.

[٤٩] **(الأوَّلين الذين كذَّبوا الرُّسل في طاعة الأوصياء):**

وهذا يشعر بأنَّ ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ هو في تكذيب رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله في وصيِّه الإمام علي عليه السلام، ويؤيده الرفع في ﴿نُتْبِعُهُمْ﴾.

أَجْرَمَ إِلَى آلِ مُحَمَّدٍ[٥٠] وَرَكِبَ مِنْ وَصِيِّهِ مَا رَكِبَ، قُلْتُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المُرسَلات: ٤١]؟ قَالَ: نَحْنُ وَاللَّهِ وَشِيعَتُنَا[٥١] لَيْسَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ غَيْرُنَا، وَسَائِرُ النَّاسِ مِنْهَا بُرَآءُ.

قُلْتُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ[٥٢] وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ...﴾ [النبَإ: ٣٨] الآيَةَ؟

---

[٥٠] (من أجرم إلى آل محمَّد):

«أجرم إليه» بمعنى جنى عليه، و«ركب» كناية عن غصب الحقّ.

[٥١] (نحن والله وشيعتنا):

فهؤلاء مقابل المكذبين، فهم مصدِّقون بما جاء به الرَّسول ﷺ عاملون به، وحيث إنَّ الولاية من أهم ما جاء به الرَّسول ﷺ وبها كمال الدِّين فمنكرها غير متّقٍ على التحقيق.

و«ملَّة إبراهيم» طريقته ﷺ، وهي العقيدة السليمة والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، ومن المعلوم أنَّ الإمامة هي من أُصول الملَّة حيث دعا إبراهيم نيل الذرِّية لها، وقد استجاب الله دعاءه فجعلها في ذرِّيَّته، وهي من أُصول الدِّين، فلا يكون على ملَّة إبراهيم ﷺ من أنكرها.

«برآء» بمعنى التباعد عن الشيء ومزايلته، وهو بمعنى (بريء) كقوله: ﴿أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١).

١٠ ـ آية من سورة النبأ

[٥٢] (يوم يقوم الرُّوح. . .) إلخ:

بعد بيان مصير الطاغين ومصير المتَّقين في يوم القيامة، بيَّن أنَّ الله كما هو الخالق كذلك هو المُجازي، فبيده الخلق وإليه المصير للجزاء فقال: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾ ليس فيه اعتباط ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ فهو الخالق ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ يرحم عباده، فمن استحق العقاب فبسوء اختياره،

---

(١) سورة يونس: الآية ٤١.

قَالَ: نَحْنُ وَاللَّهِ الْمَأْذُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْقَائِلُونَ صَوَاباً، قُلْتُ: مَا

﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أهل السَّمٰوات والأرض ﴿مِنْهُ﴾ من الله ﴿خِطَابًا﴾ اعتراضاً عليه أو كلاماً من غير إذنه.

ثمَّ بيَّن الله معنى عدم ملكهم للخطاب فقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ - وقد مرَّ معنى الرُّوح - ﴿وَالْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ في صفّ واحد، وذلك يزيد القيامة هيبة، ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أولئك الملائكة والرُّوح ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ وهذا استثناء منقطع، لأنَّ الذي يُؤذن له هم الرسول ﷺ والأئمَّة عليهم السلام ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ بالتمجيد والصلاة والشفاعة، وحيث أذن الله لهم فإنَّه يقبل شفاعتهم، وهم عليهم السلام لا يشفعون إلَّا لمن ارتضاه الله تعالى.

ولا يخفى أنَّ عدم الكلام حينئذٍ إنَّما هو في ذلك الموقف الذي يصطف فيه الرُّوح والملائكة، فإنَّ للقيامة مواقف مختلفة ولكل موقف خصوصيته، وفي موقف آخر يختم على أفواههم وتتكلَّم أعضاؤهم، وفي موقف يُؤذن لهم لعتاب أعضائهم لِمَا شهدوا عليهم، وفي موقف يُؤذن لهم في الدفاع عن أنفسهم فيكذبون... إلخ.

﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ الكائن لا محالة، ﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ إلى ثوابه ﴿مَآبًا﴾ رجوعاً بالإيمان والطاعة.

﴿إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ لأنَّ ساعات عمر الإنسان والدُّنيا تنقضي بسرعة، وكل آتٍ قريب، ووقت ذلك العذاب ﴿يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير أو شر ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ لهول ما يراه، وعن رسول الله ﷺ: «إنَّه إذا كان يوم القيامة ورأى الكافر ما أعدَّ الله تبارك وتعالى لشيعة عليّ من الثواب والزلفى والكرامة قال: ﴿يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا﴾ أي من شيعة علي»[1].

---

(١) تفسير الصافي: ج٧ ص٣٨٧ عن العلل.

تَقُولُونَ إِذَا تَكَلَّمْتُمْ؟ قَالَ: نُمَجِّدُ رَبَّنَا، وَنُصَلِّي عَلَى نَبِيِّنَا، وَنَشْفَعُ لِشِيعَتِنَا، فَلَا يَرُدُّنَا رَبُّنَا.

قُلْتُ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧][٥٣] قَالَ: هُمُ الَّذِينَ فَجَرُوا فِي حَقِّ الْأَئِمَّةِ وَاعْتَدَوْا عَلَيْهِمْ، قُلْتُ: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٧]؟ قَالَ: يَعْنِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قُلْتُ: تَنْزِيلٌ؟ قَالَ: نَعَمْ[٥٤].

---

١١ - آيتان من سورة المطففين

[٥٣] (كلا إنَّ كتاب الفجّار لفي سجّين):
﴿كَلَّآ﴾ ليس الأمر كما زعموا من عدم الحساب، بل ﴿إِنَّ كِتَٰبَ﴾ صحيفة أعمالهم ﴿ٱلْفُجَّارِ﴾ جمع فاجر - سواء بالكفر أم بالإثم - ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ مشتق من السجن، وقد مرَّ أنَّ تأويل الآية بالطينة حيث خُلق الكفّار من طينة النار من موضع يُقال له: سجّين، فانظر الحديث الرابع من باب خلق أبدان الأئمَّة وأرواحهم، وسيأتي التفصيل في كتاب الإيمان والكفر. ومن أظهر مصاديق الفجّار الذين عادوا الأئمَّة عليهم السلام وغصبوهم حقّهم.

[٥٤] (هذا الذي كنتم به تكذبون):
سياق الآيات في العذاب، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ أي عن لطفه ورحمته، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ﴾ يحترقون بها، ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ فقوله عليه السلام: «يعني أمير المؤمنين» إمّا ذكر القائل أي إنَّ قائل «هذا الذي...» هو الإمام علي عليه السلام، لأنَّه قسيم الجنَّة والنار، وإمّا تفسير لـ«هذا» فيكون المعنى أنَّ الله يُريهم الإمام عليّاً عليه السلام ثمَّ يقال لهم هذا الكلام، ليعلموا سبب اصطلائهم في نار جهنَّم، وإمّا بيان أنَّ هذا العذاب إنَّما هو لترك الولاية.

[٥٥] (قلت: تنزيل؟ قال: نعم):
أي شأن نزول الآية هو أمير المؤمنين عليه السلام، أو أنَّه من مصاديقها، فليس تأويلاً بل تفسيراً.

٩٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ أَبِي بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام، فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ[١]: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:

والحمد لله ربّ العالمين على ولايتنا لأمير المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم صلوات المصلّين.

الحديث الثاني والتسعون:

[١] **(في قول الله عزَّ وجلَّ)**:

بعد ذكر قصَّة آدم وحوَّاء والشَّيطان، ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿ٱهْبِطَا﴾ إلى الأرض ﴿مِنْهَا﴾ من الجنَّة ﴿جَمِيعًا﴾ والخطاب لآدم وحوَّاء باعتبار ذرِّيَّتهما، فلأنَّهما أصل البشر فخُوطبا بقصد خطاب ذرِّيَّتهما، ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا﴾ «إنَّ» الشرطية، و«ما» للتأكيد ﴿يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى﴾ من الله ﴿هُدًى﴾ أسباب الهداية من الأنبياء والأوصياء والكتب، ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ﴾ اتبع الرُّسل وأوصياءهم وأطاعهم، ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ في الدُّنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ بعذاب الآخرة.

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى﴾ الهدى الذاكر إلى الله، وسُمِّي ذكراً لأنَّه يذكر الإنسان بما أُودع في فطرته، وذلك الذِّكر هو الرُّسل والأوصياء والكتب، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً﴾ في الدُّنيا ﴿ضَنكًا﴾ ضيِّقة، لأنَّ منهاج الله تعالى هو المناسب للإنسان من كلِّ الجهات، أمَّا سائر المناهج فتخالف تركيبة الإنسان الجسدية والرُّوحيَّة، فحتَّى من هم في قمَّة الرفاه المادي فإنَّهم في أضيق الحالات النفسيَّة، ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ لا يبصر ولا نور له فهو متحيِّر، ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ﴾ في هذا الموقف ﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ في الدُّنيا؟ ﴿قَالَ﴾ الله في جوابه: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل هذا العمى هنا كنت في الدُّنيا أعمى القلب، فعماك هنا جزاء عماك هناك، فقد ﴿أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا﴾ الكتب والرُّسل والأوصياء ـ ومنهم أئمَّة أهل البيت عليهم السلام ـ ﴿فَنَسِيتَهَا﴾ عميت عنها وتركتها ولم تنظر إليها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ مثل تركك الآيات

١٢٤]؟ قَالَ: يَعْنِي بِهِ وَلَايَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٢]، قُلْتُ: ﴿وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ

﴿نُنسَىٰ﴾ تترك هيهنا في عمى وفي النار.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما جازينا من نسي الآيات بالضنك والعمى والنسيان له ﴿نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ أي تجاوز الحدّ بالكفر والعصيان، نُجازيه في الدُّنيا والآخرة، وقوله: ﴿وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ﴾ إمَّا بيان للإسراف، أو لأنَّ عدم الإيمان تسبقه حالة نفسيَّة تُسبِّب تجاوزه للحدّ، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من الضنك في الدُّنيا ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ أكثر بقاءً.

وهذا بعد دخوله في جهنَّم يزول عماه ليُعذَّب أكثر بواسطة بصره أيضاً، فإنَّ لكلّ حاسة عذاباً يُناسبها، ولذا قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾(١).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أيُّها النَّاس اتبعوا هدى الله تهتدوا وترشدوا، وهو هداي، وهُداي هدى علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن اتبع هداه في حياتي وبعد موتي فقد اتبع هداي، ومن اتبع هداي فقد اتبع هدى الله، ومن اتبع هدى الله فلا يضلُّ ولا يشقى، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي...﴾ الآيات»(٢).

[٢] **(يعني به ولاية أمير المؤمنين عليه السلام)**:

في المرآة: وفسَّر الذِّكر بالولاية، لشموله لها، وكونها عمدة أسباب التذكُّر، والذِّكر المذكور في الآية شامل لجميع الأنبياء والأوصياء وولايتهم ومتابعتهم وشرائعهم وما أتوا به، لكون الخطاب إلى آدم وحوَّاء وأولادهما، لكن أشرف الأنبياء نبيّنا صلى الله عليه وآله، وأكرم الأوصياء أوصياؤه، وأفضل الشرائع شريعته، فتخصيص أمير المؤمنين عليه السلام لكونه المُتنازع فيه في هذه الأُمَّة(٣).

---

(١) سورة ص: الآيتان ٦٢-٦٣.

(٢) البرهان: ج٦، ص٤٣٢.

(٣) المرآة: ج٥، ص١٥٨.

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾؟ قَالَ: يَعْنِي أَعْمَى الْبَصَرِ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى الْقَلْبِ فِي الدُّنْيَا[٣] عَنْ وَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، قَالَ: وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِي الْقِيَامَةِ[٤] يَقُولُ: ﴿لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ قَالَ: الْآيَاتُ الْأَئِمَّةُ عليهم السلام[٥] ﴿فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ يَعْنِي تَرَكْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُتْرَكُ فِي النَّارِ، كَمَا تَرَكْتَ الْأَئِمَّةَ عليهم السلام فَلَمْ تُطِعْ أَمْرَهُمْ وَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَهُمْ، قُلْتُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧]؟ قَالَ: يَعْنِي مَنْ[٦] أَشْرَكَ بِوَلَايَةِ أَمِيرِ

---

[٣] **(أعمى القلب في الدُّنيا):**

أي إعراضه عن الذِّكر هو عماه في قلبه، قال سبحانه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾(١)، ولعلَّ ذكر هذا الكلام لبيان أنَّ جزاء الآخرة إنَّما هو من جنس المعصية التي ارتكبوها في الدُّنيا، فعمى القلب في الدُّنيا أورث عمى البصر في الآخرة، أو هو تجسُّد في ذلك.

[٤] **(وهو متحيِّر في القيامة):**

هذا نتيجة العمى، وعبَّر عنه في آيات أُخرى بفقدان النُّور كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾(٢).

[٥] **(الآيات الأئمَّة عليهم السلام):**

هم عليهم السلام المصداق البارز للآيات، وقد مرَّ أنَّهم عليهم السلام القرآن الناطق، وإنَّما خصّوا بالذِّكر لأنَّ تركهم سبب عمدة الضلال في هذه الأُمَّة.

[٦] **(قال: يعني من......) إلخ:**

تفسير الإسراف بالإشراك في الولاية، وتفسير عدم الإيمان بالآيات بعدم

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٦.

(٢) سورة الحديد: الآية ١٣.

الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام غَيْرَهُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ، وَتَرَكَ الْأَئِمَّةَ مُعَانَدَةً، فَلَمْ يَتَّبِعْ آثَارَهُمْ وَلَمْ يَتَوَلَّهُمْ.

قُلْتُ: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٩][٧]**؟ قَالَ: وَلَايَةُ أَمِيرِ**

اتباع آثار الأئمَّة وعدم توليهم، فالمعنى: إنَّه أقرَّ للإمام علي عليه السلام بالخلافة لكن جعل معه غيره، ثمَّ لم يؤمن بسائر الأئمَّة عليهم السلام فرفض إمامتهم ولم يتبع آثارهم.

وقد مرَّ أنَّ نصب الإمام هو أمر خاصّ بالله تعالى وليس ذلك لأحد من النَّاس، فمن زعم أنَّ له الحقّ في نصب الإمام فقد جعل لنفسه ما هو خاصّ بالله تعالى، فيكون مشركاً من هذه الجهة.

[٧] **(الله لطيف بعباده يرزق من يشاء):**

إنَّ الله خلق الدُّنيا للامتحان لذلك يرزق المؤمن والكافر فيها، وأمَّا الآخرة فرزقها خاصّ بالمؤمن العامل بالصالحات، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ﴾ بارّ ﴿بِعِبَادِهِ﴾ فيهيىء لهم وسائل السعادة الماديَّة والمعنويَّة فـ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ يخصُّ كلَّ واحد من عباده بنوع من البرِّ حسب ما تقتضيه الحكمة، ففي الماديَّات قسَّم المعايش بين النَّاس سعة وضيقاً، وفي المعنويات رزقهم المعرفة حسب أعمالهم ونيَّاتهم، ﴿وَهُوَ﴾ تعالى ﴿الْقَوِيُّ﴾ القادر على الإعطاء والمنع والتوسعة والضيق، ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب في سلطانه.

ومن برِّه تعالى أنْ رزق الجميع في الدُّنيا وهيَّأ لهم وسيلة الوصول إلى رزق الآخرة ـ ببيان العقائد والأحكام ـ وهنا يأتي دور الإنسان ليختار فـ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ بإيمانه وعمله ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ ثوابها، فالعمل كالزرع يحصد الإنسان نتيجته ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ فيُعطى رزقه من الدُّنيا ويُضاعف له الثواب في الآخرة، ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ فقط ولم يعمل للآخرة ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ أي شيئاً من الدُّنيا بما قسَّمه الله تعالى له من الرِّزق ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ لأنَّه لم يزرع لها.

الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام[٨]، قُلْتُ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ﴾؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام وَالْأَئِمَّةِ[٩]، ﴿نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ قَالَ: نَزِيدُهُ مِنْهَا، قَالَ: يَسْتَوْفِي نَصِيبَهُ مِنْ دَوْلَتِهِمْ[١٠]، ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ قَالَ: لَيْسَ لَهُ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ مَعَ الْقَائِمِ نَصِيبٌ.

---

[٨] **(قال: ولاية أمير المؤمنين عليه السلام):**

هذا هو الرِّزق المعنوي، فيشاء الله قذف المعرفة في القلوب المستعدَّة لها، وذلك عبر حسن اختيار الإنسان نفسه، فهو حينما يهيىء المقدِّمات يرزقه الله المعرفة.

وقد مرَّ في باب (الهداية أنَّها من الله عزَّ وجلَّ) أنَّ المعرفة من صنع الله تعالى ليس لأحد فيها صنع، ولكن الإنسان بحسن اختياره يجعل نفسه قابلاً لها قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾(١).

[٩] **(معرفة أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة):**

تفسير الحرث بسببه، فإنَّ ثواب الآخرة متوقف على الإيمان، ومعرفة أمير المؤمنين والأئمَّة عليهم السلام وولايتهم من أُصول الإيمان، فلا إيمان إلَّا بها، وكان كمال الدِّين بالولاية.

[١٠] **(يستوفي نصيبه من دولتهم):**

هذا تفسير لزيادة الحرث، فمن له المعرفة يُؤتيه الله ثواب الآخرة وثواب الدُّنيا، وأظهر مصاديق ثواب الدُّنيا هو في الرجعة حيث الاستخلاف في الأرض والتمكين في الدِّين وإبدال الخوف بالأمن... إلخ.

وفي المرآة: وفسَّر الآخرة بالرجعة ودولة القائم عليه السلام، لما مرَّ من أنَّ أكثر آيات البعث والقيامة مؤوَّلة بدولة القائم عليه السلام والرجعة، فإنَّها من مبادئها(٢) أي من مبادىء الآخرة وأشراطها.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٢٢.

(٢) المرآة: ج٥، ص١٦٠.

بَابٌ فِيهِ نُتَفٌ وَجَوَامِعُ مِنَ الرِّوَايَةِ فِي الْوَلَايَةِ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكُلَيْنِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ؛ وَعَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَ شِيعَتِنَا بِالْوَلَايَةِ

الحديث الأوَّل:

اعلم أنَّ النَّاس جميعاً قد مروا قبل هذا العالم بعالم آخر يُسمَّى عالم الذَّرّ، ولا بُدَّ في تحقيق ذلك من ذكر بحوث مختصراً.

البحث الأوَّل

دلَّت الروايات الكثيرة على وقوع هذا العالم، وهي تبلغ حدَّ التَّواتر، فلا وجه لإنكار هذا العالم.

وقد حاول البعض إخراج هذه الروايات عن حدِّ التَّواتر إلى مرتبة الخبر الواحد ثمَّ إسقاط حجِّيتها بأحد طريقين:

١ ـ عدم حجَّية أخبار الآحاد في المسائل العقائدية.

٢ ـ إرجاعها إلى مخالفة القرآن.

وكلا الطريقين غير صحيح:

أمَّا الطريق الأوَّل: فيرد عليه أنَّ هذه الأخبار متواترة ولا يخفى تواترها على من راجع البرهان(١) والبحار(٢).

---

(١) البرهان: ج٤، ص٢١٧ ـ ٢٣٠.

(٢) البحار: ج٥، ص٢٣٤ فما بعد.

ولو فرض أنَّها أخبار آحاد، فلا وجه لعدم حجِّيتها، وذلك لأنَّ مسائل أُصول الدِّين على قسمين:

١ ـ ما يشترط فيها العلم واليقين، فلو جهلها الإنسان كان كافراً، كأصل التوحيد والنُّبوَّة، والمطلوب فيها تحصيل اليقين بأيِّ طريقة أمكنت، حتَّى لو كانت عبر البراهين الارتكازية الفطرية، أو عبر الأخبار ـ إذا أوجبت اليقين ـ، بل حتَّى عبر التقليد المُوجب لليقين، وذلك لأنَّ التقليد المذموم هو ما إذا أوصل إلى الباطل، كتقليد المشركين آباءهم بما أوصلهم إلى عبادة الأصنام ومن غير أن يُوجب لهم القطع بل الظنّ الباطل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾[1]، وحتَّى لو قطعوا بذلك، لأنَّ التقصير في المقدِّمات بما أوجب القطع بالباطل سببٌ للمؤاخذة.

أمَّا إذا كان الإنسان متيقناً بالحقّ ـ من أيِّ طريق كان ـ فقد اعتقد بما أراده الله تعالى منه وأدَّى التكليف، وهذا ما ذكره الشيخ الأعظم الأنصاري رحمه الله في الرسائل[2].

٢ ـ المعتقدات التي لا يتوقف عليها الدخول في الإسلام، لكن إذا اطلع عليها يجب عليه أن يعتقد بها، مثل تفاصيل المعاد، وبعض خصوصيات صفات الله تعالى والأنبياء والأئمَّة عليهم السلام، فقد لا يجب على الإنسان تحصيل العلم بها فلو جهلها لا يخرج عن الإسلام، نعم العلم بها كمال وزيادة معرفة.

وهذا القسم يكفي فيه الدليل الشرعي حتَّى لو كان أخبار آحاد، ولا دليل على لزوم قيام الدليل القطعي عليها، بل أدلَّة حجِّية الخبر الواحد وتصديق الثقة شاملة لها.

وأمَّا الطريق الثاني: فيردّ عليه أنَّ التأويل لا يخالف القرآن، وإنَّما

---

(١) سورة يونس: الآية ٦٦.

(٢) الرسائل، باب الانسداد، التنبيه الخامس.

المخالفة تكون بالتصادم والتعارض بحيث لا يمكن الجمع، وأمَّا لو دلَّ الظاهر على شيء ودلَّ الباطن على شيء آخر وكانا كلاهما مرادين فليس ذلك من المخالفة للقرآن البتة، بل الأخبار الشارحة للقرآن على نحو التأويل فوق حدّ الإحصاء فهي متواترة بالتواتر الإجمالي قطعاً.

وذلك لأنَّ القرآن حجَّة بظاهره وباطنه، فما دلَّ عليه الظاهر يُؤخذ به، وأمَّا الباطن فلا طريق لنا إليه إلَّا عبر بيان الرَّسول ﷺ والأئمَّة عليهم السلام، وهذا الباطن أيضاً حجَّة في جنب الظاهر ولا يخالفه بل يكمِّله، نعم قد يكون هناك ارتباط بينهما وملازمة لكنَّها قد تخفى علينا لقصور علمنا، لكن الراسخين في العلم يعرفون تلك الملازمة بما علَّمهم الله، ثم بيَّنوا بعضها لنا، ولله الحمد.

البحث الثاني

في الجواب عن الإشكالات المطروحة على عالم الذَّرّ، منها:

الإشكال الأول: إذا كان قد أُخذ هذا الميثاق من بني آدم وهم في كامل وعيهم فلماذا لا يتذكَّره أحد منَّا؟ ثمَّ ما الفائدة في ذلك مع نسيانه؟

والجواب: أنَّ هذا الميثاق موجود في باطن الإنسان وهو المُعبَّر عنه في الآيات والروايات بالفطرة، صحيح أنَّ وقت هذا الميثاق وتفاصيله قد نُسيت لكنَّه بقي أثره.

وبعبارة أُخرى: إنَّ المنسيَّ هو الوقت والتفاصيل، وأمَّا الميثاق نفسه فهو موجود في صفحة اللاوعي، ولذا فإنَّه يسوق الإنسان إلى الاعتراف بالرُّبوبيَّة وخاصَّة في الحالات الخاصَّة.

وقد ثبت في علم النَّفس أنَّ الحوادث التي تقع على الإنسان وخاصَّة في طفولته تُؤثِّر على حياته وتُسيِّرها، حتَّى وإن لم يتذكَّرها لكنَّها موجودة في لا شعوره، وقد يكون تأثيرها على الإنسان أكثر من تأثير ما في شعوره.

وعن ابن مسكان عن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: قلت له معاينة كان هذا؟ قال: نعم، فثبتت المعرفة، ونسوا المواقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم

يدرِ أحد مَن خالقه ورازقه، فمنهم من أقرَّ بلسانه في الذَّرّ ولم يؤمن بقلبه، فقال الله: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾[1][2].

إن قلت: إنَّ الميل الفطري كما يمكن أن يكون عبر هذا الميثاق كذلك يمكن أن يكون نتيجة بداهة وفطرية وجود الله وربوبيته.

قلت: يكفي في إثبات الأوّل الأخبار الكثيرة، الدالة على أنَّ هذه البداهة والفطرية إنَّما هي نتيجة ذلك الميثاق.

وبتعبير آخر: إنَّ هذه الفطرة أمر حادث، وإنَّما ركَّبها الله في الإنسان، وكان التركيب في عالم الذَّرّ.

وبتعبير ثالث: إنَّ هذه الفطرة ليست من لوازم ماهية الإنسان بحيث لا يعقل انفكاكها عنه، بل هي أمر جعلي، وقد دلَّت الأخبار على أنَّ هذا الجعل كان في الذَّرّ.

الإشكال الثاني: إنَّ الهدف من هذا الميثاق هو أن يعمل الإنسان بموجب ذلك الميثاق، والعمل فرع التذكُّر، فإذا لم يتذكَّر هذا الميثاق فكيف يصحّ الاحتجاج عليه، وكيف يمكن دفعه إلى العمل وفقه؟

والجواب: يتضح ممَّا ذكرناه في جواب الإشكال الأوّل، فإنَّ اللاوعي يسوق الإنسان نحو العمل.

فالقول: «بأنَّ العمل فرع التذكُّر» محل إشكال، بل العمل فرع وجود الشيء في صحفة ذهن الإنسان ـ سواء كان في الشعور أو اللاشعور ـ.

أمَّا صحَّة الاحتجاج فهي لأنَّ نتيجة هذا الميثاق هي الفطرة، فيصحّ أن يحتجّ عليه بمخالفته للفطرة.

الإشكال الثالث: إنَّ هذه النظرية تؤول إلى نوع من القول بالتناسخ ـ الذي بطلانه من ضروريات الدِّين ـ.

أقول: هذا من أعجب الإشكالات وأغربها، فإنَّ التناسخ الباطل هو أن تنتقل روح الإنسان من جسمه إلى جسم إنسان آخر.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٠١.

(٢) البرهان: ج٤، ص٢٢٢ عن تفسير القمي.

وأمّا في عالم الذّرّ فإنّ الله تعالى أفاض أرواح النّاس إلى طينتهم، وتلك الطينة هي التي يفيض الله الرُّوح إليها مرّة أُخرى في عالم الدُّنيا ـ كما يظهر من جملة من الأحاديث ـ.

ولو صحّ هذا الإشكال لكانت نتيجته امتناع إحياء الأموات! لأنّ إحياءهم ـ بناءً على هذا الإشكال ـ من التناسخ! ولامتنع المعاد الجسماني لاستلزامه التناسخ! وكما بطلان هذه النتيجة واضح في إحياء الأموات وفي المعاد، كذلك بطلان توهم التناسخ في عالم الذّرّ والدُّنيا من الواضحات.

على أنّه قد نقلنا عن العلّامة المجلسي رحمه الله سابقاً: أنّ التناسخ الباطل إنّما هو في تعلُّق الرُّوح الواحدة بشخصين مختلفين، وأمّا لو كان الشخص واحداً فلا محذور في تعدُّد الجسد، وقد مرّ أنّ الأرواح بعد الموت تتعلّق بالأجسام المثالية فيأكلون ويشربون ويتنعمون أو يُعاقبون إلى يوم القيامة ثمّ تعود الأرواح إلى الأجسام الّتي كانت لهم في الدُّنيا، كما أثبت العلم الحديث أنّ جميع خلايا جسم الإنسان ـ إلّا خلايا المخ والأعصاب ـ تتبدّل كلّ سبع سنوات بالكامل، مع وضوح وحدة الإنسان وعدم تبدُّله وعدم التناسخ فيه.

البحث الثالث

إنّ الروايات دلّت على أنّ الميثاق بالرُّبوبيّة أخذ من جميع البشر فأقرّوا به ووضع في فطرتهم، وأمّا الميثاق بالنُّبوّة والإمامة فلم يقرّ به إلّا المؤمنون ـ كما تدلّ عليه روايات هذا الباب من الكافي ـ، وحيث إنّ الفطرة كانت نتيجة هذا الميثاق فلذا كانت الطريق إلى معرفة الرُّبوبيّة.

وأمّا معرفة النُّبوّة والإمامة فبالعقل، وبتعبير آخر: إنّ الدليل على الرُّبوبيّة هو الفطرة والعقل، وأمّا الدليل على النُّبوّة والإمامة فهو العقل فقط.

ثمّ إنّ الفطرة هل هي مرتبة من مراتب العقل، أم أنّها أمر آخر يختلف عن العقل؟ الظاهر هو الثاني، فإنّ الحيوانات ليس لها عقل لكنّها تعرف أنّ لها ربّاً وخالقاً ـ كما يظهر من الروايات ـ، فتأمّل.

نعم، يمكن القول بأنَّ أصل الحاجة إلى الحجَّة ـ سواء الأنبياء أم الأوصياء ـ أمر فطري، لكن المصداق ليس إلَّا عبر الدليل العقلي أو النقلي، فتأمَّل.

البحث الرابع

في الآية التي أُوِّلت بعالم الذَّرّ، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ * وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[(١)].

أمَّا ظاهر هذه الآية فيدلُّ على أنَّ تناسل النَّاس عبر الأصلاب، وأنَّ الله جعل لهم فطرة تدلُّ على ربوبيّته، وذلك لتكون له الحجَّة عليهم لئلَّا يقولوا: إنَّا لم نكن نعلم بربوبيّتك، أو أن تربيتنا كانت على الشِّرك وآباؤنا سبب له.

وأمَّا باطن الآية فهو بيان أخذ هذا الميثاق في عالم الذَّرّ، وكما ذكرنا فلا تنافيَ بين الظاهر والباطن، بل أحدهما دالّ على الفطرة، والآخر دالّ على كيفية تركيبها في الإنسان وزمانه.

أمَّا قوله: ﴿مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ مع أنَّ عالم الذَّر كان بأخذ الذرِّيَّة من آدم عليه السلام نفسه، فلما ذكرنا أنَّ الباطن لا يمكن معرفته من الظاهر، فلو كانت الآية «وإذ أخذ ربّك من آدم من ظهره ذرِّيَّته»... إلخ، لكان عالم الذَّر مدلول ظاهر الآية فلم يكن تأويلاً وباطناً، وحيث إنَّه من التأويل والباطن فلا يشترط انطباق ظاهر اللفظ عليه، بل يكفي عدم التنافي في المعنى، مع بيان من الراسخين في العلم.

مضافاً إلى إمكان القول بأنَّ الدال على عالم الذَّر هو قوله: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾... إلخ، لا قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ

(١) سورة الأعراف: الآيات ١٧٢ ـ ١٧٤.

ـ وَهُمْ ذَرٌّ[١] ـ يَوْمَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الذَّرِّ، وَالْإِقْرَارَ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ[٢]، وَلِمُحَمَّدٍ ﷺ بِالنُّبُوَّةِ.

ذُرِّيَّتَهُمْ﴾، فإنَّ الواو للجمع المطلق ولا دلالة لها على الترتيب، فتكون الآية دالة على مطلبين:

الأوّل: إنَّ خلق بني آدم يكون عبر التناسل وذلك عبر الأصلاب وهذا ما دلَّ عليه المقطع الأوّل من الآية.

الثاني: إنَّ الله أخذ الشهادة من بني آدم على ربوبيته، وذلك في عالم الذَّر، وهذا ما دلّ عليه المقطع الثاني من الآية.

فيكون حاصل الآية هو الدلالة على أنَّ الخلق من الله، وأنَّ المعرفة منه أيضاً، فالمعنى: واذكر أنَّ الله هو خالق الإنسان عبر أصلاب الآباء من بني آدم، وأنَّه هو الذي عرَّف نفسه إلى النَّاس عبر الفطرة. فتكون الروايات لتوضيح المقطع الثاني وبيان أنَّها كانت في عالم الذَّر ويكون التناسب في سياق الآية: هو أنَّ هناك أخذين، أخذاً تدريجيّاً عبر أصلاب الآباء من بني آدم في هذه الدُّنيا، وأخذاً دفعيّاً عبر صلب آدم في عالم الذَّر، فتأمّل.

وهناك بحوث أخرى حول عالم الذرّ سيأتي بعضها في أول كتاب الإيمان والكفر.

[١] **(أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية وهم ذرّ)**:

الميثاق عُرض على الجميع لكن الذين قبلوه هم الشيعة فقط، دون غيرهم الذين رفضوه بسوء اختيارهم، فكما اختاروا هناك الإنكار كذلك يختارون في هذه الدُّنيا، من غير جبر ولا إكراه.

و«الذَّرّ»: جمع ذرَّة، وهي الشيء الصغير جداً، ويُطلق على صغار النمل وعلى الهباء الذي يرى حين إشعاع الشَّمس من ثقب الجدار ونحوه.

[٢] **(والإقرار له بالرُّبوبيَّة)**:

عطف على (الولاية)، فالمعنى: أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية وبالإقرار له

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْجَعْفَرِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام؛ وَعَنْ عُقْبَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَخَلَقَ مَا أَحَبَّ مِمَّا أَحَبَّ[١]، وَكَانَ مَا أَحَبَّ[٢] أَنْ خَلَقَهُ مِنْ طِينَةِ

بالرُّبوبيَّة والإقرار لمحمَّد صلى الله عليه وآله بالنُّبوَّة، وسيأتي هذا الحديث بسند آخر في آخر هذا الباب، وفيه: (بالإقرار له بالرُّبوبيَّة).

الحديث الثاني:

[١] **(فخلق ما أحبّ ممَّا أحبّ... إلخ):**

أي خلق من أُحبّه من الطينة التي أحبَّها ـ وهي طينة الجنَّة ـ، وكذا خلق من أبغضه من الطينة التي أبغضها ـ وهي طينة سجِّين من النار ـ.

وقد مرَّت الإشارة إلى أنَّ الله تعالى لعلمه أزلاً باختيار العباد، كان يعلم أنَّ المؤمنين سيختارون الإيمان وأنَّ مصيرهم إلى الجنَّة، لذا خلقهم من طينة عليِّين وما دونها، ليكون تناسب بين عملهم وبين طينتهم، وكذا بينهم وبين الجنَّة، ولو كان يخلقهم من طينة سجِّين وكانوا يدخلون الجنَّة بحسن اختيارهم لكان ذلك خلاف الحكمة من إدخال طينة سجِّين إلى الجنَّة، وكذلك كان يعلم أزلاً سوء اختيار الكفَّار وأنَّ مصيرهم إلى النَّار لذا خلقهم من طينة سجِّين، ليكون تناسب بينهم وبين عملهم، وكذا بينهم وبين النار التي سيدخلونها، ولو كان يخلقهم من طينة الجنَّة لدخلت تلك الطينة إلى النار بسوء اختيارهم، وفي ذلك خلاف الحكمة، وتعالى الله عن ذلك.

فتبيَّن أنَّه ليس للطينة دخل في أعمال النَّاس ومصيرهم ـ لا بنحو العِليَّة ولا بنحو المقتضي ـ بل أعمالهم باختيارهم وعلمه تعالى باختيارهم هو سبب لتعيين نوعيَّة طينتهم وسيأتي تفصيل هذا في أول كتاب الإيمان والكفر.

[٢] **(وكان ما أحب...) إلخ:**

هذا المقطع تفسير لحبِّه تعالى وبغضه، وبيان أنَّ الحب والبغض فيه ليس

الْجَنَّةِ، وَخَلَقَ مَا أَبْغَضَ مِمَّا أَبْغَضَ، وَكَانَ مَا أَبْغَضَ أَنْ خَلَقَهُ مِنْ طِينَةِ النَّارِ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ فِي الظِّلَالِ[٣]، فَقُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ الظِّلَالُ؟ قَالَ: أَلَمْ تَرَ إِلَى

بمعنى الكيفية النفسانية، لأنَّه سبحانه منزَّه عن الكيفيات، بل بمعنى فعله، أي الخلق من طينة الجنَّة.

فقوله: (فكان ما أحب) هو بمعنى: «وتفسير ما أحب هو أن خلقه...» إلخ، ولذا جاء بـ(أن) التفسيرية، أو (ما) و(أن) مصدريتان أي وكان حُبُّه هو خَلْقُهم من طينة الجنة، وكذا في (ما أبغض أن خلقه).

[٣] **(ثمَّ بعثهم في الظلال):**

يُحتمل أن يكون المُراد من (الظِلال) عالم الذَّر، وإنَّما سُمِّي (عالم الظلال) ـ وهو من الظلّ بمعنى الفيء ـ لصغر حجمهم آنذاك فكأنَّهم لم يكونوا، كالظلّ الذي هو شيء ولكنَّه عَرَض فكأنَّه غير موجود ولا شيء.

ويحتمل أن يكون غير عالم الذرّ من مراحل الخلق ـ والتي ستجيء في أول كتاب الإيمان والكفر الإشارة إليها ـ، وفي المرآة: «ثمَّ بعثهم في الظلال» الضمير للمخلوقين، والمُراد بالظلال: عالم المثال، أو عالم الأرواح، أو عالم الذَّر.

وإنَّما سُمِّي عالم المثال بالظلال لأنَّه بمنزلة الظلّ لهذا العالم وتابع وموافق له، والتشبيه في الوجهين الأخيرين أيضاً قريب من ذلك.

أو لما ذكره عليه السلام من شباهتها بالظِّلال في أنَّه شيء وليس بشيء، والمعنى: أنَّه بالنسبة إلى الوجود العيني ليس بشيء.

أو كناية عن أنَّها أجسام لطيفة على الأوَّل، وعلى الثاني إيماء إلى تجرُّدها ـ على القول بالتجرُّد ـ، أو إلى لطافتها ـ على القول بعدمه ـ، وعلى الثالث كناية عن صغر تلك الذرَّات التي تعلَّقت بها الأرواح، كأنَّها ليست بشيء، أو عن أنَّها ليست شيئاً معتدّاً به، بل هي حكاية لشيء معتدّ به»(١).

---

(١) المرآة: ج٥، ص١٦٢.

ظِلّكَ فِي الشَّمْسِ شَيْءٌ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ[٤]. ثُمَّ بَعَثَ اللّٰهُ فِيهِمُ النَّبِيِّينَ[٥] يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِاللّٰهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ[٦]: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، **ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِقْرَارِ بِالنَّبِيِّينَ، فَأَقَرَّ بَعْضُهُمْ وَأَنْكَرَ بَعْضُهُمْ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى وَلَايَتِنَا، فَأَقَرَّ بِهَا وَاللّٰهِ مَنْ أَحَبَّ[٧] وَأَنْكَرَهَا مَنْ أَبْغَضَ، وَهُوَ قَوْلُهُ:**

---

[٤] **(ظلّك في الشّمس شيء وليس بشيء):**

وذلك لأنّ الظِلّ هو في الحقيقة قِلّة النور وضعفه، حيث إنّ النور وجود مُشكّك ـ ذو مراتب ـ فمكان الظِلّ فيه نور أقل من غير مكان الظلّ، ولذلك نحن نرى مكان الظِلّ، ولولا وجود النور في مكان الظِلّ لما أمكن رؤيته أصلاً ـ لأنّ النور سبب الرؤية ـ، ولذا فالظلّ هو أمور وجودي في حقيقته وله آثار وجودية، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾(١)، والحاصل إنّ الظِلّ شيء لأنّه وجودي، لكنه مثل اللاشيء لضعفه.

[٥] **(ثمّ بعث الله فيهم النّبيّين):**

يدلّ هذا المقطع على أنّ أخذ الميثاق في ذلك العالَم كان عبر الأنبياء أيضاً، فأخذ الله الإقرار من الأنبياء أوّلاً ثمّ كلّفهم بأخذ الإقرار من سائر النّاس، فإنّهم عليهم السلام الواسطة في الفيض الإلٰهي.

[٦] **(وهو قوله...):**

أي وذلك الإقرار هو قوله...، والمعنى: أنّ نتيجة تلك الدعوة هي إقرارهم في ذلك العالَم فتحقّقت الفطرة، ولذا في هذا العالم يقرّون بفطرتهم على وجود الله تعالى وأنّه الخالق.

[٧] **(فأقرّ بها واللهِ من أحبّ):**

أي من أحبّه الله، أو من أحبّنا، أو من أحبَّ الولاية، أو من أحبّ الإقرار، والمقصود هو بيان اختيارهم وعدم جبرهم.

---

(١) سورة الرّعد: الآية ١٥.

﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُۚ﴾ [يونس: ٧٤]. **ثُمَّ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: كَانَ التَّكْذِيبُ ثَمَّ**[٨].

---

[٨] **(فالتكذيب كان ثَمَّ):**

«ثَمَّ»: بمعنى هناك، أي بدأ التكذيب في عالم الذَّر، واستمر في عالم الدُّنيا، وذلك بسوء اختيارهم.

سؤال: إذا كان التكذيب والإيمان هناك وقد ساروا على التكذيب والإيمان نفسه هنا، فما الفائدة في هذه الدُّنيا؟

والجواب:

١ ـ هو تكرار الامتحان لتكون الحجَّة أتمّ، كما أنَّه يتكرَّر الامتحان في هذه الدُّنيا مرَّات متعدِّدة، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾(١).

٢ ـ مضافاً إلى أنَّ الجنَّة مرتبطة بالعمل في هذه الدُّنيا، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾(٢).

٣ ـ مضافاً إلى رفع درجات المؤمنين، فإنَّهم وإن آمنوا في عالم الذَّر لكنَّهم كلّهم تساووا في ذلك الإقرار، فبمجيئهم إلى هذه الدُّنيا، وعملهم الصالح ونجاحهم في الامتحانات تزداد درجتهم، وحتَّى الأنبياء والأوصياء تزداد درجاتهم بالتمحيص والامتحان، وورد حول الإمام الحسين عليه السلام: «إنَّ لك في الجنان درجات لا تنالها إلَّا بالشهادة»(٣)، فالوجه الثاني كان في أصل نيل الجنَّة، وهذا الوجه في درجاتها، بل وفي كمال الإنسان بذاته.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

(٣) أمالي الصدوق: ص٢١٧؛ البحار: ج٤٤، ص٣١٣.

٣ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْخَطَّابِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ سَيْفٍ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ رِزْقٍ الْغُمْشَانِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: وَلَايَتُنَا وَلَايَةُ اللَّهِ[١] الَّتِي لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً قَطُّ إِلَّا بِهَا[٢].

٤ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ عَبْدِ الْأَعْلَى قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ: مَا مِنْ نَبِيٍّ جَاءَ قَطُّ[١] إِلَّا بِمَعْرِفَةِ حَقِّنَا وَتَفْضِيلِنَا عَلَى مَنْ سِوَانَا.

الحديث الثالث:

[١] (ولايتنا ولاية الله):

لأنَّ الله أمر بها، فمن لم يتولَّهم فقد عصى الله، والعاصي لا يتولّى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(١)، أو بمعنى أنَّ ولاية الله لا تصحّ ولا تُقبل إلّا بولايتهم، حيث إنَّ الله شرط ذلك، ولذا ورد في بعض الأحاديث أنَّ منكري الولاية يُسلب منهم التوحيد في الآخرة(٢) كما يُسلب التوحيد من غير المسلمين من فرق الكفّار الذين يُوحّدون الله لكنّهم ينكرون رسالة رسوله صلى الله عليه وآله.

[٢] (التي لم يبعث نبيّاً قطّ إلّا بها):

أي إلّا بولايتنا، أو إلّا بولاية الله المشروطة بولايتنا، وفي جملة من الروايات أنَّ جميع الأنبياء بشَّروا برسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله وبأوصيائه، وأخذوا الإقرار على ذلك من أُممهم، كما سيأتي في الحديث اللاحق أيضاً.

الحديث الرابع:

[١] (جاء قطّ....) إلخ:

إمّا بمعنى ما بُعث إلّا بشرعٍ يتضمن معرفة حقّهم وتفضيلهم عليهم السلام وذلك

---

(١) سورة النّساء: الآية ٨٠.

(٢) انظر بحار الأنوار: ج٧، ص٢٠٦.

٥ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ الْكِنَانِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: وَاللَّهِ إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَسَبْعِينَ صَفّاً مِنَ الْمَلَائِكَةِ[١]، لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ يُحْصُونَ عَدَدَ كُلِّ صَفٍّ مِنْهُمْ[٢] مَا أَحْصَوْهُمْ، وَإِنَّهُمْ لَيَدِينُونَ بِوَلَايَتِنَا[٣].

لأنَّ الإمامة من أُصول الدِّين، وجميع الأنبياء دينهم واحد والاختلاف قد يكون في بعض فروع الشريعة ـ كما مرَّ تفصيله ـ.

وإمَّا بمعنى أنَّ نبوّة الأنبياء تتوقف على هذه المعرفة والتفضيل، فهي شرط لنبوَّتهم.

كما يدلُّ الحديث على فضل الرسول صلى الله عليه وآله والأئمَّة عليهم السلام على جميع من سواهم، حتَّى الأنبياء عليهم السلام.

الحديث الخامس:

[١] **(لسبعين صفاً من الملائكة):**

وفي بصائر الدرجات لسبعين صنفاً(١) والمعنى واحد، ويظهر من بعض الأحاديث أنَّ الله لم يخلق شيئاً أكثر من الملائكة(٢).

[٢] **(يحصون عدد كلّ صف منهم):**

جملة حالية، أي لو اجتمع أهل الأرض حال كونهم يريدون إحصاء، و«كل صف منهم» أي كلّ واحد من الصفوف.

فالمعنى: يعجز أهل الأرض عن إحصاء صف واحد فكيف بسائر الصفوف؟! وذلك لكثرة عدد الملائكة.

[٣] **(ليدينون بولايتنا):**

أي يعتقدون بها، أو يعبدون الله بها، لأنَّ الولاية شرط لصحة العبادات وقبولها.

---

(١) بصائر الدرجات: ص٨٧.

(٢) راجع الكافي: ج٨، ص٢٧٢، الوسائل: ج١٤، ص٣٧٥.

٦ ـ مُحَمَّدٌ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْفُضَيْلِ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ عليه السلام قَالَ: وَلَايَةُ عَلِيٍّ عليه السلام مَكْتُوبَةٌ فِي جَمِيعِ صُحُفِ الْأَنْبِيَاءِ[١]، وَلَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِلَّا بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَوَصِيَّةِ عَلِيٍّ عليه السلام.

٧ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُمْهُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ[١]: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَصَبَ عَلِيّاً عليه السلام

ويدلُّ هذا الحديث على أنَّ الولاية فرض على الملائكة أجمعين، وحيث إنَّهم معصومون(١) فإنَّ جميعهم يلتزمون بهذا الفرض.

الحديث السادس:

[١] (في جميع صحف الأنبياء):

وصحف الأنبياء مائة وأربع ـ كما في بعض الروايات(٢)ـ، ولبعضهم أكثر من صحيفة، فيدلُّ هذا الحديث على أن الولاية كانت مكتوبة في جميع تلك الصحف حتَّى التي كانت لنبي واحد، تكراراً وتأكيداً.

الحديث السابع:

[١] (عن أبي جعفر عليه السلام قال):

قسَّم الإمام عليه السلام أصناف النَّاس ـ من جهة اعتقادهم بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام ـ إلى أربعة أصناف:

١ ـ العارف به عليه السلام الذي لم يخلط إمامة أئمَّة الضلال معه، فهو المؤمن.

٢ ـ الجاحد إمامته عليه السلام مع علمه بأنَّ الله تعالى عيَّنه لها، فهذا كافر

---

(١) ذكرنا أدلة عصمتهم في المجلد الأوَّل من التفكُّر في القرآن.

(٢) البحار: ج١١، ص٣٢ عن العِلل ومعاني الأخبار.

عَلَماً بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ[٢]، فَمَنْ عَرَفَهُ كَانَ مُؤْمِناً، وَمَنْ أَنْكَرَهُ كَانَ

ظاهراً وباطناً، وهذا هو الناصب.

٣ ـ الذي لا يعرفه عليه السلام فهذا ضالٌ، وهذا هو الجاهل القاصر، ولله فيه المشيئة ـ كما سيأتي في الحديث اللاحق ـ.

٤ ـ الذي يقرّ بإمامته عليه السلام ولكن يخلط إمامة أئمَّة الجور والضلال معه، فهذا مشرك باطناً.

ثمَّ بعد ذلك يُبيِّن الإمام مصير هذه الطوائف الأربع، فيذكر أنَّ: «من جاء بولايته دخل الجنَّة»، وفي ذلك إشعار بأنَّ سائر الطوائف ليسوا من أهل الجنَّة، وهذا ما دلَّت عليه الأخبار الكثيرة(١)، مع بيان أنَّ الجاهل القاصر يُمتحن في الآخرة(٢) فإنْ نجح في الامتحان أُدخل في الأعراف يتنعَّم فيها ـ والأعراف دون الجنَّة ـ(٣)، وإن سقط في الامتحان خُلِّد في النَّار، وأمَّا الجاحد والجاهل المُقصِّر فمصيره إلى النار خالداً مُخلَّداً فيها.

[٢] (علماً بينه وبين خلقه):

أي علامة يُهتدى بها، فهو المائز بين الرشد والغيّ بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وفي الحديث: «لا يُحبّك إلَّا مؤمن ولا يبغضك إلَّا منافق»(٤)، وفي حديث آخر: «إنَّ عليّاً عليه السلام ميزان الأعمال»(٥)، وفي ثالث: «عنوان صحيفة المؤمن حبُّ علي بن أبي طالب»(٦)، وفي رابع: «اللَّهم والِ من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»(٧)، وفي

---

(١) وقد مرّ أن من مات ولم يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وكفر ونفاق، وراجع البحار: ج٢٣، ص٧٦ فما بعد.

(٢) راجع الروايات في البحار: ج٥، ص٢٨٨ ـ ٢٩٥.

(٣) راجع البحار: ج٨، ص٣٤٠ ـ ٣٤١ عن الشيخ المفيد.

(٤) الوسائل: ج٢، ص٣١٩.

(٥) مستدرك سفينة البحار: ج١٠، ص٢٩٤.

(٦) مناقب آل أبي طالب: ج٢، ص٣.

(٧) أمالي الصدوق: ص٤٢٨.

كَافِراً[٣]، وَمَنْ جَهِلَهُ كَانَ ضَالًّا[٤]، وَمَنْ نَصَبَ مَعَهُ شَيْئاً كَانَ مُشْرِكاً[٥]، وَمَنْ جَاءَ[٦] بِوَلَايَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

خامس: «إنَّ عليّاً وشيعته هم الفائزون»[١] إلى غيرها من الأحاديث المتواترة التي رواها الفريقان.

[٣] **(ومن أنكره كان كافراً):**
أي رفض ولايته مطلقاً، وهؤلاء هم النواصب، وهم كفّار باطناً وظاهراً، فلا تجري عليهم أحكام الإسلام، أمّا سائر الطوائف فهم محكومون بالإسلام ظاهراً بمعنى جريان أحكام الإسلام عليهم من الموارثة والمناكحة والطهارة... إلخ.

[٤] **(ومن جهله كان ضالاً):**
أي الجاهل القاصر الذي لم تتمّ عليه الحجّة، وهؤلاء هم المستضعفون الذي لله فيهم المشيئة.
أو أن يكون المُراد بالجاهل، الشاكّ الذي لا ينكر ولا يقرّ ـ كما احتمله في المرآة[٢] ـ.

[٥] **(ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً):**
أي خلط ولايته بولاية أئمّة الجور، وقد ذكرنا فيما مضى أنَّ تعيين الإمام هو حقّ خاص بالله تعالى، لم يجعله لغيره أصلاً، فمن زعم أنَّ له الحقّ في نصب الإمام والخليفة فهو أشرك نفسه بالله، حيث جعل صفة خاصّة بالله لغيره سبحانه وتعالى.

[٦] **(ومن جاء...) إلخ:**
بيان مصير الفرق الأربع، فالطائفة الأولى في الجنّة حصراً، وسائر الطوائف لا يدخلونها ـ كما بيّناه قبل قليل ـ.

---

(١) الإرشاد: ج١، ص٤١.
(٢) المرآة: ج٥، ص١٦٥.

٨ ـ الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْوَشَّاءِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ عَلِيّاً عليه السلام بَابٌ فَتَحَهُ اللَّهُ[١]، فَمَنْ دَخَلَهُ[٢] كَانَ مُؤْمِناً، وَمَنْ خَرَجَ مِنْهُ[٣] كَانَ كَافِراً، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ كَانَ فِي الطَّبَقَةِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى[٤]: لِي فِيهِمُ الْمَشِيئَةُ.

الحديث الثامن:

[١] **(بابٌ فتحه الله):**
فمن أراد الوصول إلى الله تعالى لا بُدَّ من أن يمرَّ عبر الباب الذي جعله الله تعالى، وهو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث إنَّه عليه السلام باب علم النَّبي صلى الله عليه وآله، فعن هذا الطريق يمكن الوصول إلى المعارف والعلوم والأحكام التي أرادها الله تعالى، وعن هذا الطريق يُفيض الله رحمته على العباد.

[٢] **(فمن دخله):**
أي دخل هذا الباب، وذلك بولايته وإطاعته عليه السلام.

[٣] **(ومن خرج منه):**
الخارج قد يكون على جهة الإنكار، وقد يكون على جهة التشريك ولذا دمج في هذا القسم الطائفتين ـ الثانية والرابعة ـ المذكورتين في الحديث السابق.

[٤] **(قال الله تبارك وتعالى):**
أي قاله في الحديث القدسي، أو قاله في القرآن فنقل الإمام عليه السلام مضمون الآية، كما قال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٦.

٩ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنِ ابْنِ رِئَابٍ، عَنْ بُكَيْرِ بْنِ أَعْيَنَ قَالَ: كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ أَخَذَ مِيثَاقَ شِيعَتِنَا بِالْوَلَايَةِ لَنَا وَهُمْ ذَرٌّ، يَوْمَ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الذَّرِّ بِالْإِقْرَارِ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، وَلِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِالنُّبُوَّةِ، وَعَرَضَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ عَلَى مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أُمَّتَهُ فِي الطِّينِ وَهُمْ أَظِلَّةٌ[١]، ....

وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾(١).

وإنَّما قال: ﴿عَسَى﴾ لأجل أنَّ قصورهم مشوب بالتقصير، فهم لم تكن لهم القدرة العرفية، لكنَّهم كانت لهم القدرة العقلية، فلا مانع عقلاً من عقابهم، لكن الله يتفضَّل عليهم فلا يُعاقبهم بمجرَّد ذلك، وقد يُقال بعدم وجود القاصر بمعناه الدقي العقلي إلَّا المجانين وغير المميزين.

أو لأجل أنَّ التوبة عليهم متوقفة على نجاحهم في الامتحان الذي يُمتحنون به في الآخرة، فتأمَّل.

الحديث التاسع:

مرَّ صدر الحديث، في الحديث الأوَّل من هذا الباب، باختلاف في أوَّل السند، وكان فيه (والإقرار).

[١] **(أُمَّته في الطين وهم أظلَّة)**:

الظاهر أنَّ المُراد عالم الذَّر، وذلك لأنَّ الأرواح تعلَّقت بالطينة التي منها الأجساد في ذلك العالم.

وقوله: (وهم أظلَّة) قد شرحناه في الحديث الثاني من هذا الباب.

وفي المرآة: «في الطين» أي حين كان الرسول في الطين أو أُمَّته أو هما معاً، أي قبل خلق أجسادهم، «وهم أظلَّة» أي أرواح بلا أجساد أو أجساد مثالية(٢).

---

(١) سورة النِّساء: الآيتان ٩٨-٩٩.

(٢) المرآة: ج٥، ص١٦٦.

وَخَلَقَهُمْ مِنَ الطِّينَةِ الَّتِي خُلِقَ مِنْهَا آدَمُ[٢] وَخَلَقَ اللَّهُ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا قَبْلَ أَبْدَانِهِمْ بِأَلْفَيْ عَامٍ وَعَرَضَهُمْ عَلَيْهِ، وَعَرَّفَهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ[٣]، وَعَرَّفَهُمْ عَلِيّاً، وَنَحْنُ نَعْرِفُهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ[٤].

---

[٢] (وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم):

أي وخلق شيعتنا، وقد دلَّت الروايات على أنَّ الله خلق أرواح الرسول ﷺ والأئمَّة من نور عظمته وخلق أجسادهم من أعلى عليِّين، وأمَّا الأنبياء فخلق أرواحهم وأجسادهم من أعلى عليِّين، وأمَّا المؤمنون فأرواحهم من أدنى عليِّين وأجسادهم من دون العليِّين، وأمَّا الكفَّار فمن سجِّين أرواحهم وأجسادهم، وقد مضت الإشارة إلى تفصيل ذلك مع ذكر بعض الروايات.

[٣] (وعرَّفهم رسول الله. . . .) إلخ:

«عرَّف»: من باب التفعيل، وفاعله هو الله تعالى، و«رسول الله» مفعول عرف، و«هم» مفعول ثانٍ، وكذا في (عرفهم علياً).

[٤] (ونحن نعرفهم في لحن القول):

«اللحن»: هو أسلوب الكلام فقد يكون ممدوحاً أو مذموماً، قال الراغب في مفرداته: «اللحن»: صرف الكلام عن سَنَنه الجاري عليه، إمَّا بإزالة إعراب أو تصحيف، وهو المذموم وذلك أكثر استعمالاً، وإمَّا بإزالته عن التصريح وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى، وهو ممدوح عند أكثر الأدباء من حيث البلاغة. . .إلخ(١).

وضمير نعرفهم إمَّا يرجع إلى (الأمَّة) في قوله: «أُمَّته في الطين» فالمعنى: إنَّا نعرف الأُمَّة ـ بمؤمنها ومنافقها ـ عبر أسلوبهم في الكلام الكاشف عن حقيقة قلوبهم، وإمَّا يرجع إلى (الشيعة) فالمقصود أنَّا نعرف الشيعة من أسلوب كلامهم الدالّ على حقيقة الإيمان في قلوبهم.

---

(١) مفردات الراغب: ص٧٣٨.

ولا يخفى أنَّ المعرفة عبر أسلوب الكلام هي أحد طرق علمهم ﷺ، وهناك طرق أُخرى أيضاً كالتوسم حيث إنَّه مكتوب مؤمن أو كافر بين عيني كل إنسان[1]، وأيضاً ما في مصحف فاطمة ﷺ، وأيضاً بأخبار الرسول ﷺ، وأيضاً بإفاضة العلم لهم في كل ليلة جمعة، إلى غير ذلك ممّا مرَّ ذكره سابقاً في الأبواب الماضية، ولا إشكال في وجود أسباب متعددة للعلم بمعلوم واحد ـ تأكيداً أو تأسيساً ـ.

(١) كما مرَّ في (باب أنَّ المتوسمين الذين ذكرهم الله هم الأئمّة)، وكذا راجع البحار: ج٢٤، ص١٢٤.

بَابٌ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَوْلِيَاءَهُمْ وَالتَّفْوِيضِ إِلَيْهِمْ

١ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ صَالِحِ بْنِ سَهْلٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ[١] إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام ـ وَهُوَ مَعَ أَصْحَابِهِ ـ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَنَا وَاللَّهِ أُحِبُّكَ وَأَتَوَلَّاكَ! فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: كَذَبْتَ، قَالَ: بَلَى ـ وَاللَّهِ ـ إِنِّي أُحِبُّكَ وَأَتَوَلَّاكَ، فَكَرَّرَ ثَلَاثاً، فَقَالَ لَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: كَذَبْتَ، مَا أَنْتَ كَمَا قُلْتَ، إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَبْدَانِ بِأَلْفَيْ

أمّا معنى التفويض فقد مرَّ مفصَّلاً في باب (التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمّة عليهم السلام في أمر الدِّين) فراجع.

الحديث الأوّل:

[١] (أنَّ رجلاً جاء):

يظهر من بعض الأخبار أنَّ الرجل هذا كان ابن ملجم لعنه الله، ففي بصائر الدرجات بأسناده عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام قال: دخل عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله على أمير المؤمنين عليه السلام في وفد مصر الذين أوفدهم محمَّد بن أبي بكر، ومعه كتاب الوفد، قال: فلمَّا مرَّ باسم عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله قال: «أنت عبد الرحمن؟ لعن الله عبد الرحمن، قال: نعم يا أمير المؤمنين، أما والله يا أمير المؤمنين إنِّي لأُحبّك، قال: كذبت والله ما تحبّني ـ ثلاثاً ـ... الحديث(١).

---

(١) البحار: ج٤٢، ص١٩٦ عن بصائر الدرجات: ص٢٤.

عَامٍ[٢]، ثُمَّ عَرَضَ عَلَيْنَا الْمُحِبَّ لَنَا، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رُوحَكَ فِيمَنْ عُرِضَ، فَأَيْنَ كُنْتَ؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَمْ يُرَاجِعْهُ.

---

[٢] **(خلق الأرواح قبل الأبدان بألفي عام):**

في توضيح هذه العبارة ـ التي وردت في مُستفيض الأحاديث ـ[١] احتمالات:

١ ـ أنَّ المُراد من الخلق هو التقدير، أي قدَّر تعالى الأرواح ثمَّ بعد ألفي عام قدَّر الأجساد، وهذا ما رجحه الشيخ المفيد رحمه الله[٢].

٢ ـ أنَّه تعالى أوجدها فتعلَّقت بالأجساد المثالية ثمَّ بعد ألفي عام تعلَّقت بالأجساد العنصرية، وهذا ما رجحه العلَّامة المجلسي رحمه الله[٣].

٣ ـ أنَّه لا يلزم تعلُّق الرُّوح بالجسم، فلا مانع ـ عقلاً ونقلاً ـ من خلق الأرواح وهي أجسام لطيفة من غير تعلُّقها بشيء من الأجسام الكثيفة، ثمَّ إنَّ الله تعالى علَّق تلك الأرواح بعد ألفي عام في طينة الأجسام وذلك في عالم الذَّر.

وهذا هو الأرجح لعدم استلزامه تأويل الأخبار، ولا محذور فيه عقلاً، أما توهم عدم إمكان بقاء الرُّوح بلا تعلُّق بالأجسام فغير صحيح لعدم محذور فيه أصلاً.

والحاصل: أنَّه لا دلالة للعقل على لزوم تعلُّق الرُّوح بالجسم، وإنَّما المرجع إلى البداهة أو النقل، وقد دلَّا على الموارد التالية:

أ ـ في عالم الذَّر، تعلَّقت الأرواح بالطينة التي خُلقت منها الأجسام كما مرَّ في أوَّل الباب السابق.

ب ـ في حال الحياة الدنيوية، بالبداهة تتعلَّق الرُّوح بالجسم، وانفصالها عنه هو الموت.

---

(١) راجع البحار: ج٥٨، ص١٣١ باب خلق الأرواح قبل الأجساد.

(٢) المصدر: ص١٤٤ عن أجوبة المسائل السروية.

(٣) المصدر: ص١٤٤.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام: كَانَ فِي النَّارِ[٣].

٢ ـ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، عَنْ عَمَّارِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّا لَنَعْرِفُ الرَّجُلَ إِذَا رَأَيْنَاهُ[١] بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ وَحَقِيقَةِ النِّفَاقِ[٢].

ج ـ **في البرزخ**، قد يُقال بتعلُّق الرُّوح بالأجسام المثالية، كما مرَّ نقله عن العلَّامة المجلسي سابقاً.

د ـ **في القيامة**، دلَّت ضرورة الدِّين برجوع الأرواح إلى الأجسام العنصرية التي للإنسان في عالم الدنيا، فالمعاد جسماني.

وبما ذكرناه يتبيَّن أنَّ الأرواح عامَّة ـ إلَّا ما استثني ـ خُلقت دفعة واحدة، وكذلك الأجسام خُلقت دفعة واحدة، فلا حاجة إلى تأويل الخبر بأنَّه عليه السلام عنى به أنَّ الأرواح خُلقت قبل آدم بألفي عام(١).

[٣] **(كان في النار):**

أي كانت طينته ـ التي منها روحه ـ في النار، أو كانت روحه في النار حينذاك لأنَّها منها.

الحديث الثاني:

[١] **(إذا رأيناه):**

وهذا لا يُنافي معرفتهم بالناس حتَّى إذا لم يروهم، أو يُقال بتعميم الرؤية للرؤية بالعين أو بالقلب ـ بمعنى العلم ـ.

[٢] **(حقيقة الإيمان وحقيقة النِّفاق):**

الحقيقة بمعنى الواقع، أي بواقع إيمانه أو واقع نفاقه، من غير النظر إلى ظاهره، وسبب المعرفة متعدِّد، وقد أشرنا إليه في آخر الحديث التاسع من الباب السابق، هذا مضافاً إلى عرض الأعمال عليهم وبأعمالهم يمكن معرفة حقيقتهم أيضاً.

---

(١) كما في كتاب العلل، لمحمد بن علي بن إبراهيم، راجع البحار: ج٥٨، ص١٣٥.

٣ ـ أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ؛ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ، عَنْ عُبَيْسِ بْنِ هِشَامٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْإِمَامِ فَوَّضَ اللَّهُ إِلَيْهِ كَمَا فَوَّضَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ[١]؟ فَقَالَ: نَعَمْ. (وَذَلِكَ أَنَّ[٢] رَجُلًا سَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَابَهُ فِيهَا، وَسَأَلَهُ آخَرُ عَنْ تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ فَأَجَابَهُ بِغَيْرِ جَوَابِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ سَأَلَهُ آخَرُ فَأَجَابَهُ

الحديث الثالث:

[١] **(فوَّض إلى سليمان بن داود):**

في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ إلى قوله: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١)، ففوَّض الله إلى سليمان عليه السلام العطاء كيفما يشاء، وقد مرَّ تفصيله في باب (التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمَّة عليهم السلام في أمر الدِّين)، وأنَّ الله تعالى فوَّض إليهم أكثر ممَّا فوَّض إلى سليمان عليه السلام، إذ فوَّض إليهم العطاء في الماديات والمعنويات، ومنها: الإجابة على الأسئلة حسب التقيَّة وعدمها، وحسب قابلية السامع، وحسب المصلحة العامَّة، وغير ذلك، فهم عليهم السلام يُجيبون بالزيادة والنقصان، أي قد يذكرون جزءاً ولا يذكرون أجزاء أُخرى، كما أنَّ القرآن الكريم قد يذكر قصَّة من زاوية دون زوايا أُخرى، ثمَّ في سورة أُخرى يذكرها بتفصيل أكثر أو من زاوية أُخرى، وذلك حسب المقصود بيانه في السورة أو الآية.

[٢] **(وذلك أنَّ. . . .) إلخ:**

هذا المقطع إلى قوله: «بغير جواب الأوَّلين» من كلام الراوي، وقد مرَّت القصَّة في (باب التفويض. . .) في الحديث الثاني فراجع، وقد ذكر الراوي هناك أنَّ تعدُّد الجواب كان لأجل التقيَّة.

---

(١) سورة ص: الآيات ٣٥ ـ ٣٩.

بِغَيْرِ جَوَابِ الْأَوَّلَيْنِ)، ثُمَّ قَالَ: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ﴾ أَعْطِ ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٣] [صٓ: ٣٩]، وَهَكَذَا هِيَ فِي قِرَاءَةِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ[٤]، قَالَ: قُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ

ويحتمل أن يكون المذكور هنا قصّة أُخرى، فيكون تعدُّد الجواب إمّا للتقيَّة، أو أنَّ الإمام عليه السلام أجاب من زوايا مختلفة حسب قابلية السائل أو حسب حاجته.

[٣] (فامنن أو أعطِ بغير حساب):

أي تفسير الإمساك بالإمساك عن المنّ، وليس الإمساك عن العطاء، فيكون معنى: ﴿أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ هو أعطِ حال كونك ممسكاً عن المنِّ.

فحاصل المعنى هو: ﴿فَٱمْنُنْ﴾ أي اصطنع الخير بمنّة، ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عن المنّة بأن تعطيهم ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

ولا يخفى أنَّ المِنّة بالقول على قسمين:

١ ـ ما يستقبح بين النّاس، كما يُقال: «المِنّة تهدم الصنيعة» وهي كفران للنعمة، كما يُقال: «إذا كفرت النعمة حسنت المِنّة»(١) ومنه قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾(٢).

٢ ـ ما هو حسن، إذا كان فيه تذكير للنّاس بنعم الله تعالى عليهم، أو إذا كان فيه تذكير للحقوق كما يقول الأب لابنه: ألستُ أحسنتُ تربيتك؟ فلعلَّ تفسير الإمام عليه السلام هو على هذا المعنى، أي هذا عطاؤنا فامنن عليهم بأن ذكّرهم بحقوق الله تعالى أو بحقوقك عليهم، أو أمسك عن المنّ فأعطهم بغير حساب، فعلى هذا التفسير يكون ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ بمعنى بغير منّ عليهم، لأنَّ في محاسبتهم نوع مَنٍّ.

[٤] (هكذا هي في قراءة علي عليه السلام):

أمّا على الصحيح من أنَّ قراءتهم هي القراءة المشهورة المتداولة فمعنى:

---

(١) راجع مفردات الراغب: ص٧٧٧.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٧.

فَحِينَ أَجَابَهُمْ بِهَذَا الْجَوَابِ[٥] يَعْرِفُهُمُ الإِمَامُ؟ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَمَا تَسْمَعُ اللَّهَ يَقُولُ[٦]: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾؟ وَهُمُ الأَئِمَّةُ ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾

(قراءة علي) هي تفسيره أو تأويله عليه السلام للآية، وقد بيَّنا المعنى قبل قليل.
وأمَّا على مبنى من صحَّح القراءات، وأنَّ لأهل البيت عليهم السلام قراءة تختلف عن القراءة المتداولة، فالمعنى: هو أنَّه عليه السلام فسَّر المنّ بالقطع، ومنه يُقال: «مننت الحبل» إذا قطعته، وقد قال تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾(١) أي غير مقطوع ـ حسب بعض التفاسير ـ، وربَّما قالوا: «منَّ بيد أسداها» إذا قرَّع بها وهذا يدلُّ على قطع الإحسان(٢)، فعلى هذا يكون معنى الآية حسب قراءة الإمام عليه السلام هو هذا عطاؤنا فامنعه عمَّن شئت أو أعطه من شئت، بغير حساب للعطاء أو بغير حسابك على عطائك ومنعك، أو عطاء بغير حساب من كثرته.
لكن الصحيح هو أنَّ قراءتهم هي القراءة المتداولة، فمعنى قوله عليه السلام: «هكذا هي قراءة علي عليه السلام» هو هكذا تفسيره أو تأويله، فتأمَّل.

[٥] **(فحين أجابهم بهذا الجواب...) إلخ:**
أي حين أجبتَهم، لأنَّ الراوي ـ عبد الله بن سليمان ـ لمَّا نقل الحوار بين الإمام وبينه، التفت من الخطاب إلى الغيبة وهذا أسلوب شائع، كقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾(٣)، أي ما سبقتمونا.

[٦] **(أما تسمع الله يقول...):**
المتوسمون هم الذين ينظرون إلى العلائم والأشياء فيعرفونها على حقيقتها، وهي الفراسة.
ثمَّ تأويل ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ بأنَّ الإمامة لا تخرج منهم أبداً أو أنَّ هذه

---

(١) سورة التين: الآية ٦.
(٢) راجع مقاييس اللغة: ص٩٢٧.
(٣) سورة الأحقاف: الآية ١١.

[الحجر: ٧٦] **لَا يَخْرُجُ مِنْهَا[٧] أَبَداً. ثُمَّ قَالَ لِي: نَعَمْ إِنَّ الْإِمَامَ إِذَا أَبْصَرَ إِلَى الرَّجُلِ عَرَفَهُ وَعَرَفَ لَوْنَهُ[٨]، وَإِنْ سَمِعَ كَلَامَهُ مِنْ خَلْفِ حَائِطٍ عَرَفَهُ وَعَرَفَ مَا هُوَ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ:** ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الرُّوم: ٢٢] **وَهُمُ الْعُلَمَاءُ[٩]، فَلَيْسَ يَسْمَعُ**

الآيات مقيمة فيهم يعلمونها، وقد مرَّ تفصيل التأويل في باب (أنَّ المتوسمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هم الأئمَّة وأنَّ السبيل مقيم فيهم)، فراجع.

[٧] **(لا يخرج منها أبداً):**

الظاهر هو (منَّا)، لأنَّ الكليني رضوان الله عليه روى هذا المقطع من الحديث بهذا السند نفسه في باب (أنَّ المتوسّمين...) إلخ الحديث الرابع، وفيه: (منَّا)، وفي الاختصاص: (منهم)(١)، ويمكن إرجاع ضمير (منها) إلى الأئمَّة باعتبار اللفظ.

[٨] **(وعرف لونه):**

في المفردات: ويعبَّر بالألوان عن الأجناس والأنواع، يُقال: «فلان أتى بالألوان من الأحاديث» و«تناول كذا ألواناً من الطعام»(٢).

فالمعنى: عرف نوعه وأنَّه مؤمن أم منافق، وكذا سائر أوصافه، وعليه فيكون قوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ عامّاً يشمل لون البشرة من السواد والبياض ونحوهما، وكذا يشمل اختلاف النفسيَّات والعقائد... إلخ.

[٩] **(وهم العلماء):**

تفسير قوله تعالى: ﴿لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ أي العلماء الربَّانيِّين، وهم الأئمَّة عليهم السلام.

---

(١) راجع البحار: ج٢٤، ص١٢٥.

(٢) المفردات: ص٧٥٢.

شَيْئاً مِنَ الْأَمْرِ يَنْطِقُ بِهِ إِلَّا عَرَفَهُ[١٠]**، نَاجٍ أَوْ هَالِكٌ، فَلِذَلِكَ يُجِيبُهُمْ بِالَّذِي يُجِيبُهُمْ.**

---

[١٠] **(إلَّا عرفه)**:

أي إلَّا عرف الإمامُ الناطقَ، وعرف أنَّه مؤمن ناجٍ أم منافق هالك، وحيث عرفه فيُجيبه حسب تلك المعرفة.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلَّى الله على محمد وآله الطاهرين
الجمعة ٢٨/ذي الحجة/ ١٤٣٢هـ

الفهرس

باب أن الإمام لا يغسّله إلا إمام من الأئمة ٥
باب مواليد الأئمة عليهم السلام ٩
كيفية خلق الأئمة عليهم السلام ٩
حقيقة الأئمة عليهم السلام ١٣
كيفية حمل أمهاتهم ٢٤
كيفية ولادتهم ٢٥
علامات عشر للإمام عليه السلام ٢٩
باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم ٣٣
حول طينة المؤمن والكافر ٣٣
تعدد الطينات ٣٨
مصدر الطينات ٤٢
باب التسليم وفضل المسلّمين ٤٦
النهج الحق ٤٧
باب أن الواجب على الناس بعدما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام فيسألونه عن معالم دينهم ويعلمونهم ولايتهم ومودتهم له ٥٨
باب أن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم وتطأ بُسُطهم وتأتيهم بالأخبار ٦٤
حول تصوّر الملائكة وأجنحتهم ٦٨
باب أن الجن يأتيهم فيسألونهم عن معالم دينهم ويتوجهون في أمورهم ٧٠
قصة الثعبان مع أمير المؤمنين عليه السلام ٧٧
قصة جابر الجعفي وتظاهره بالجنون ٧٩
باب في الأئمة أنهم إذا ظهر أمرهم حكموا بحكم داود وآل داود ولا يسألون الناس البيّنة عليهم السلام والرحمة والرضوان ٨٣
حول سيرة الإمام القائم عليه السلام ٨٣

كيفية حكم داود عليه السلام ٨٤
باب أن مستقى العلم من بيت آل محمد صلى الله عليه وآله ٩١
منازل الإمام الحسين عليه السلام بين مكة والكوفة ٩٤
كيفية بناء الكوفة وسكانها ٩٥
باب أنه ليس شيء من الحق في يد الناس إلّا ما خرج من عند الأئمة عليهم السلام
وأنّ كل شيء لم يخرج من عندهم فهو باطل ٩٧
حول كلمة (سلوني قبل أن تفقدوني) ٩٩
حول شهادة ولد الزنا ومصيره ١٠٢
حول كفن الرسول صلى الله عليه وآله ١٠٤
كيفية خلق النخلة ١٠٥
باب في ما جاء أن حديثهم صعب مستصعب ١٠٧
عدم إنكار الأحاديث ١١١
حول إيمان سلمان وأبي ذرّ ١١٣
أخذ الميثاق من الشيعة في عالم الذرّ ١١٥
أقسام علومهم عليهم السلام ١١٧
باب ما أمر النبي صلى الله عليه وآله بالنصيحة لأئمة المسلمين واللزوم لجماعتهم ومَن هم ١٢٦
خطبة الرسول صلى الله عليه وآله في مسجد الخيف ١٢٦
باب ما يجب من حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام ١٣٨
آخر خطبة للرسول صلى الله عليه وآله ١٤٣
حول التشريعات الاقتصادية في الإسلام ١٤٨
باب أن الأرض كلها للإمام عليه السلام ١٥٦
حول وجوب الزكاة على الإمام عليه السلام ١٦٤
الأنهار التي حباها الله للأئمة عليهم السلام ١٦٧
باب سيرة الإمام في نفسه وفي المطعم والملبس إذا ولي الأمر ١٧٤
حول ملبس أمير المؤمنين عليه السلام ١٨٤
باب نادر ١٨٦
باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ١٩١

أصناف الروايات الواردة في معاني القرآن الكريم ١٩١
قواعد التأويل ومصاديقه ١٩١
حول تفسير (الأمانة) وتأويلها ومصاديقها ١٩٥
حول عالم الذر ٢٠٠
معنى (يوفون بالنذر) ٢٠١
حول آية (المودة في القربى) ٢٠٣
من مصاديق إيذاء الرسول ﷺ ٢٠٤
حول آية الخمس ٢٠٧
حول تأويل المحكم والمتشابه ٢١٠
حول معنى عدم عزم آدم عليه السلام ٢٢٠
حول العهد لآدم عليه السلام ٢٢١
كيفية الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام ٢٢٣
حول الميزان في يوم القيامة ٢٣٨
أسماء خيول السِّباق ٢٤٣
قصة اتفاق الغاصبين مع بني أمية ٢٥٠
معنى العقبة وفك رقبة ٢٦٣
معنى بيت النبي ﷺ ٢٦٨
معنى الأذن الواعية ٢٧٢
صراط علي مستقيم ٢٧٧
معنى المساجد ومصاديقها ٢٨٠
معنى البئر المعطلة والقصر المشيد ٢٩٧
مؤامرة المنافقين ضد الولاية ٣٠٠
تأويل الوالدين ٣٠٥
الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة ٣٠٩
معنى الكفلين ٣٣١
بيان آيات من سورة مريم في الولاية ٣٣٧
معنى حب أمير المؤمنين علامة الإيمان وبغضه علامة النفاق ٣٤٣

آيات من سورة ياسين في الولاية ٣٤٤
١ ـ آيتان من سورة الصف في الولاية ٣٤٩
اتحاد حقيقة أهل البيت عليهم السلام والقرآن ٣٥٢
٢ ـ آيات من سورة المنافقون في أعداء الولاية ٣٥٤
٣ ـ آية من سورة الملك في الولاية ٣٥٨
٤ ـ آيات من سورة الحاقة في الولاية ٣٥٩
٥ ـ آيات من سورة الجن في الولاية ٣٦٢
٦ ـ آيتان من سورة المزمل في الولاية ٣٦٧
٧ ـ آيات من سورة المدثر في الولاية ٣٦٨
٨ ـ آيات من سورة الإنسان في الولاية ٣٧٢
٩ ـ آيات من سورة المرسلات في الولاية ٣٧٥
١٠ ـ آيات من سورة النبأ في الولاية ٣٧٧
١١ ـ آيتان من سورة المطففين في الولاية ٣٨٠
باب فيه نتف وجوامع من الرواية في الولاية ٣٨٥
بحوث حول عالم الذر ٣٨٥
البحث الأول: تواتر أخبار عالم الذر ٣٨٥
أقسام مسائل أصول الدين ٣٨٦
البحث الثاني: الجواب عن الإشكالات على عالم الذر ٣٨٧
البحث الثالث: حول الميثاق وما أقرّوا به ٣٨٩
البحث الرابع: تأويل آية الذر ٣٩٠
أصناف الناس الأربعة حول الولاية ٣٩٨
باب في معرفتهم أوليائهم والتفويض إليهم ٤٠٥
خلق الأرواح قبل الأجسام ٤٠٦